



المملكة العربية السعودية  
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد  
جامعة الملك فهد لطباعة المصحف الشريف  
الأمانة العامة

# مجلة البحوث والدراسات القرآنية

مجلة عالمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه  
تصدر مرتين سنويًا

العدد التاسع - السنة الخامسة والستادسة  
المتحم ١٤٣٢ - ١٤٣١ هـ / ديسمبر ٢٠١٠ - ٢٠٩ م

حَمْدُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِهِ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ الْمُرْسَلُونَ  
فِي سُكُونٍ

الافتتاح: نظرًا لازدياد حاجة العالم الإسلامي إلى المصحف الشريف، واختلاطًا من المملكة العربية السعودية بدورها الرائد في خدمة الإسلام وال المسلمين، واستشعارًا من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - لأهمية خدمة القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة، من خلال جهاز متخصص ومفترغ لهذا العمل الجليل، قام بوضع حجر الأساس لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في السادس عشر من المحرم عام ١٤٠٣ هـ (١٩٨٢ م)، وافتتحه رحمه الله في السادس من صفر عام ١٤٠٥ هـ (١٩٨٤ م). وكان له عند وضع حجر أساس هذا الصرح المبارك كلمة ضافية جاء فيها:

”بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلى بركة الله العلي القدير ... إننا نرجو أن يكون هذا المشروع خيراً وبركة لخدمة القرآن الكريم أولاً، ولخدمة الإسلام والمسلمين ثانياً، راجياً من الله العلي القدير العون والتوفيق في أمورنا الدينية والدنيوية وأن يوفق هذا المشروع الكبير لخدمة ما أنشئ من أجله وهو القرآن الكريم، ليتسع به المسلمين وليتدركوا معانيه“

أهم أهداف المجمع: طباعة المصحف الشريف وتسجيل تلاوته بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي، وترجمة معانيه وتفسيره، والعناية بعلومه، وبالسنة والسيرة النبوية، وبالبحوث والدراسات الإسلامية، والوفاء باحتياجات المسلمين داخل المملكة وخارجها من إصدارات المجمع المختلفة، ونشرها على الشبكة العالمية .

الإشراف على المجمع: تتولى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الإشراف على المجمع، ومعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد هو المشرف العام على المجمع ورئيس هیئتہ العليا. ويتابع تنفيذ سياسات المجمع وتحقيق أهدافه أمانة عامہ، يضطلع بمسؤوليتها الأمين العام للمجمع الأستاذ الدكتور محمد سالم بن شدید العوفي.

المبيبة العليا للمجمع: تختص الهيئة العليا للمجمع بعدد من المهام، منها: رسم الخطط والأهداف العامة للمجمع وسياسات تطبيقها، والإشراف على تنفيذها، وإقرار الواقع والأنظمة التي يحتاج إليها المجمع.

المجلس العلمي للمجمع: تتضمن مهامه واحتصاصاته في دراسة الشؤون العلمية وفقاً لأهداف المجمع، واقتراح ما يؤدي إلى تطويرها، ودراسة القضايا والبحوث ذات الصبغة العلمية، والنظر في التقارير المرفوعة من المراكز المتخصصة.

#### إنجازات وإنجازات:

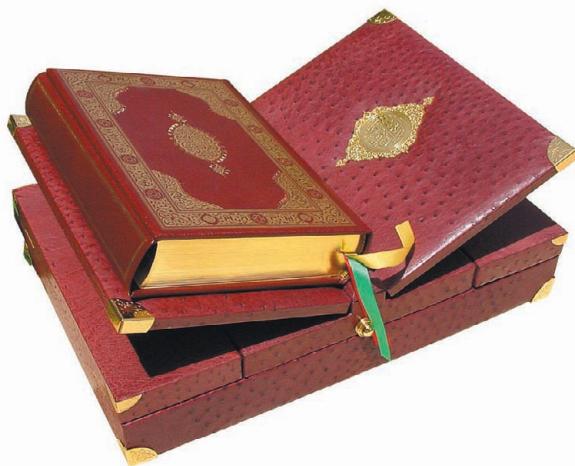
- يضم المجمع الجهات العلمية التي تقوم على إعداد إصداراته وإخراجها، كما توافر فيه أحدث التجهيزات في مجال الطباعة، والتسجيل على الأشرطة والأقراص الصوتية.
- ينفرد المجمع بنظام رقمي متتطور، يطبق في جميع مراحل إنتاج العمل منذ الخطوات الأولى في إعداده، مروراً بمراحل الطباعة المختلفة، وتضم إدارة مراقبة الإنتاج بالمجمع نحو (٧٠٠) موظف؛ وذلك لضمان سلامة النصوص، وإخراج إصدارات المجمع خالية من العيوب والأخطال.
- تجاوز عدد ما أصدره المجمع (٢٧٣) من الإصدارات الهمامة، في شتى العلوم التي يُعنى بها المجمع، ومنها نحو (٥٨) ترجمة لمعاني القرآن الكريم بلغات العالم المختلفة، ولزيادة العمل جاريًا لإخراج المزيد من الإصدارات المقيدة بعون الله تعالى.
- زاد إنتاج المجمع السنوي ليصل إلى (١٣) مليون نسخة، وزاد جمجم إنتاجه منذ إنشائه على (٢٧٠) مليون نسخة.
- وزع المجمع عشرات الملايين من إصداراته في مختلف قارات العالم هدية من المملكة العربية السعودية، منها أكثر من مليون وثمانمائة ألف نسخة سنويًا هدية من خادم الحرمين الشريفين للحجاج.

دعم المجمع: يلقى المجمع دعماً متواصلاً ورعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز، وصاحب السمو الملكي ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز، حفظهما الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجَّةُ الْبِحْرَ وَالْأَنْتَارِ الْقَلْنِيَّةِ

الغَدْرُ الدَّائِعُ السَّنَةُ الْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ



حروف مصيغة

كلمة خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله

لدى افتتاح المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كنت قبل سنتين في هذه المطافئ منع التجربة  
في هذه المدينة العظيمة وهذه المدينة التي كانت  
أعظم مدينة فرحاً أهلها بعد عدم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
خزعون له نشادن الأصوات واللهم فجزاك الله عزوجل عن دعوه  
دعوه النبي وابنه للعالم (جمع ورحى) هذا اليوم  
أحمد الله ما كان عليه سيف على انفذ منوراً ولذلك  
جف على كل صاحب حرام المحال العالية صوره انه  
سيكون على هذه النعمة الكبيرة وأرجو ان يتحقق ذلك  
ان اقفر نحرمه وبيني نعم ومحني وجميع المسلمين  
وأرجو منكم التوفيق

خواص عبد العزيز آل سعود

\_\_\_\_\_

٢٤٠٥٢٦



حروف مصيّبة

## كلمة خادم الحرمين الشريفين

لِلْكَلِمَةِ الْمُبَارَكَةِ لِلْمُرْسَلِينَ يَخْفَظُهُ اللَّهُ

لَدَى أَفْتَاحِ الْمُجْمَعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعليه آله وصحبه وأجمعين .

أحمد الله الذي يسر على يدأ في صاحب العبرة فهر بن عبد العزير هذا العمل العظيم رأكمه به فنال العمل الفالد هما الذي يبقى وهو الذي يلتقى دائمًا على مر الأجيال بقدرات المسلمين في شتى أنحاء العالم ، رئيس في بيته أهل رأفته من هذه المساجد الخالدة والتي لن تكون إلا شاهد لله رب العالمين سلطان الرمز العظيم لعتبره يعني يعطي أسمى العطايا في أطهار يتعبد في الأكرم مدرينة ، منها اطلقت رسالة السمارية إلى العالم أجمع عمل الوراية رئيس الطوطيع للوازير والمطاطعين على وجهه الأذواق ، سالة رئيس الدنسان ونظمت شاملة سما كلها ما يلي زمان وكانت تم تحفون رقبتها إلى الأرض ولهم تقطيع أمله من حياة مخلدة وتقول لهم في هذه الحياة الثانية راز كانت البرم هذه المدينة المزينة على تغوصا محل اهتمام الدولة وعلى رأسهم صاحب العبرة فهذا مقطعا وضمنا وأرجو لهم عذر فيه لنا جميعا ، أقول هذا وأؤكد من صحيق ملي ودون إعارة بمحور هذه المدينة العزيزة .

وبهذه المناسبة الجليلة لو يغتربي من أن أترجم على شهادة الرئيس من أنصاره وروابطه أعطوا دسم وصالح وكل ما يملكون وإنه كما بهم مخصصة فايا ربنا الذي به يعتز كل سلم يجب أنه نذكره ونستحضره دائمًا في عودة الرغوة لدولتنا العمال العظيم .

وفوجه الله كل من لهم أرساصهم في هذا العمل الأكرم سلام عليكم ورحمة الله

٢٠١٩/٥/٩

عبد الله بن عبد العزير آل صدر



حروف مضيئة

كلمة ولـيـ العهـد صـاحـبـ الشـمـوـالـكـيـ

الأمير سلطان بن عبد العزيز رحمـهـ اللهـ

لـدـىـ اـفـتـارـ المـجـمـعـ

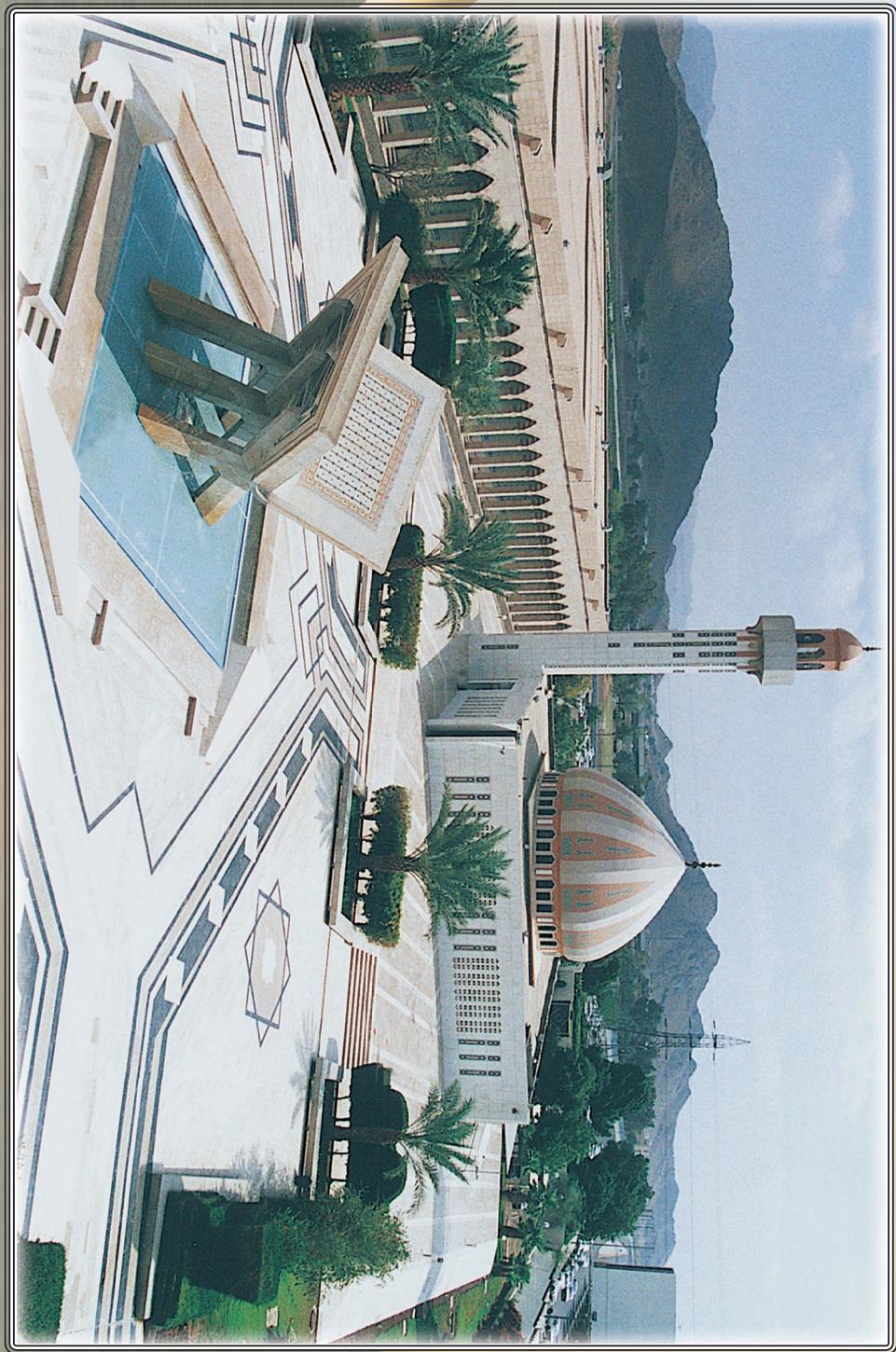
عام ١٤٥٥ هـ

بـالـلـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ

الحمد لله الذي سر للملائكة بغير علم بخدمته  
فقد كان له فداء انت ولهذا الجميع طبعه أشرف  
وأكرم كتابه بكتاب الله العظيم الذي  
جعله الله نوراً وهدى إليه وسبيلاً للمؤمنين  
إلى درجات رأى لهذا اليوم الجميع الموافقة  
للمساعي به كأنه صغر أعيتها مما يراها  
اليوم في حياته إلا هذه مقدمة  
المطردة التي جاء بها رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وما يحيى الله من لا يرى العره  
الذرادي هي أرحم ما يفعل فيكم  
هذه الأفعال لا يدرى لها أى لبله  
ومنه الله العاملين لذمة الذين وقفوا  
أنه يسمع محجبـهـ منـهـ ضـرـهـ الـأـلـامـ

مَجَّةُ الْبَحْرِ وَالْأَنْهَارِ الْقَرْنِيَّةُ

الْعَدَدُ السَّابُعُ السَّنَةُ الْخَامِسَةُ وَالسَّادِسَةُ



## الأهداف المجلة

تحدف المجلة إلزام طالب الحجت العجمي ، وللهonoram  
في نشر الرسائل وابحاث العينة بالفراء للكريم  
وعلمها ، حمايتها مكتبة للدراسات القرآنية ،  
ويبرع إلى التوصل العلمي بين المختصين  
في هذا المصمار .

وتحقيقاً لهذا القصد ، فإن مجال النشر في المجلة  
يشمل : للدراسات وابحاث ، وتحقيق المخطوطات ،  
وفضاليات جمعها في الفراء للكريم .

تَكُونُ الْمَرْسَدَتُ بِاسْمِ يَٰسِينِ الْحَمْرَى عَلَىِ الْعَنْوَانِ التَّالِيِّ :

## مَجَلَّةُ الْبُحُوثِ وَالدِّرَاسَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

مُجَمَّعُ الْمَلَكِ فَهَدٍ لِطِبَاعَةِ الْمُصَحَّفِ الشَّرِيفِ

الْمَدِينَةُ النَّوَّرَةُ ٤١٤٤٢ ص. ب : ٦٢٦٢

الْمَمْلَكَةُ الْعَبْرِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ

هَاتِفُ وَنَاسُوخُ : ٠٠٩٦٦-٤-٨٦١٥٦٠٠

تَحْوِيلَةٌ : ١٨١٠

[journal@qurancomplex.org](mailto:journal@qurancomplex.org)

## مجلة

# البحوث والدراسات القرآنية

العدد السادس - السنة الخامسة والستادسة المحرم ١٤٣٢ - ١٤٣١ هـ / ديسمبر ٢٠٠٩ - ٢٠١٠ م

## هيئة التحرير

المشرف العام

مَعَالِي الشَّيْخِ صَالِحْ بْنُ عَبْدِ الْغَيْرِ بْنِ حَمَّادَ الْشَّيْخِ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المشرف العام على المجمع

رئيس التحرير

أ.د. محمد بن شديد العوفي

الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

نائب رئيس التحرير

أ.د. علي بن محمد بن ناصر فقيهي

مدير إدارة الشؤون العالمية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

مدير التحرير

د. عبد الغفور عبد الحق البلوشي

الأعضاء

أ.د. أحمد بن محمد البخاري أ.د. عمار بن زهرة حافظ

د. حازم بن سعيد حيدر د. مصطفى بن غنم حليبي

رقم الإيداع ٦٢٢٢ / ١٤٢٦ ردمد ٢٦٢٤ - ١٦٥٨

جَمِيعُ حُقُوقِ الظِّيْعِ مَحْفُوظَةٌ

لِجَمَعِ الْمَلَكِ فَهَدِ لِطِبَاعَةِ الْمُصَحَّفِ الشَّرِيفِ

المَوَادُ الْمُنشَوَّرَةُ فِي الْمَجَلَّةِ تَعْبِرُ عَنْ آرَاءِ أَصْحَابِهَا

## فَوْلَاعُدُ النُّشْرِ

تلزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد التالية:

- ١ - أن تسهم في تحقيق أهداف المجلة.
- ٢ - ألا تكون منشورة، أو مقدمة للنشر في جهة أخرى.
- ٣ - ألا تكون جزءاً من بحث منشور للباحث، أو من رسالة نال بها درجة علمية.
- ٤ - أن يراعي الباحث قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجه، وأصول تحقيق التراث الإسلامي.
- ٥ - أن تكون متميزة من حيث الابتكار، والإضافة العلمية، وسلامة المنهج.
- ٦ - أن يشار إلى الدراسات السابقة حول الموضوع، والجديد الذي أضافه البحث.
- ٧ - أن تتصدر بملخص باللغتين العربية والإنجليزية لا يزيد على صفحة، يتضمن أهم محاور البحث وتنتائجها.
- ٨ - ألا تزيد صفحاتها على خمسين صفحة، ولا تقل عن عشر صفحات.
- ٩ - أن يقدم الباحث تعريفاً موجزاً بسيرته العلمية، وعنوانه الاتصال به، وعنوان بريده الإلكتروني إن وجد.
- ١٠ - أن يقدم الباحث خمس نسخ مطبوعة من مشاركته، وأن تصاحبها نسخة إلكترونية مدخلة بواسطة برنامج ميكروسوفت وورد (الإصدار ٢٠٠٣)، أو ما يتوافق معه.
- ١١ - لا تعاد المادة إلى أصحابها، سواء أنشرت أم لم تنشر.
- ١٢ - يُمنح صاحب كل بحث مكافأة مالية، ويعطى خمس نسخ من العدد المنصور فيه بحثه، وعشرين مستلة خاصة ببحثه.
- ١٣ - لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه إلا بإذن خطوي من رئيس تحرير المجلة.
- ١٤ - يتم ترتيب المشاركات في المجلة وفق ضوابط موضوعية وفنية.

## سَنَهْجُ الْتَّرْوِيْعِ

- ١ - إلحاق نماذج واضحة من المخطوطات التي اعتمدها الباحث.
- ٢ - التوثيق في الحواشى لا المتن.
- ٣ - إثبات حواشى كل صفحة في الصفحة نفسها، ويكون ترقيم حواشى كل صفحة مستقلاً.

- ٤ - اختصار الحواشى التعليقية ما أمكن.
- ٥ - لا يشار في الحواشى إلى بيانات طباعة المرجع المحال عليه، إلا عند اعتماد الباحث أكثر من طبعة.
- ٦ - ضبط المشكك من الأعلام، والأمكنة، والكلمات.
- ٧ - مراعاة الابتداء بالتاريخ الهجري في كل ما يؤرخ.
- ٨ - استخدام علامات الترقيم.
- ٩ - أن تضمن قائمة المراجع جميع الأعمال التي تمت الإشارة إليها في البحث.
- ١٠ - يكون ترتيب المراجع في الفهرس الخاص بها ترتيباً هجائياً بحسب عنوان الكتاب، مع استيفاء بيانات الطبع.
- ١١ - ترتتب المراجع في قائمة واحدة، مهما كانت طبيعتها ومجال تخصصها.
- ١٢ - إفراد قائمة للمراجع الأجنبية، مستوفية بيانات الطبع، مع ذكر اللغة التي كتبت بها.

## مواصفات النشر

تراعى في المشاركات المقدمة إلى المجلة المواصفات التالية:

- ١ - مقاس الكتابة الداخلية: ١٢ سم × ١٨ سم.
- ٢ - نوع الخط: Traditional Arabic.
- ٣ - العنوان الرئيس: الحجم ٢٠ مسوّداً.
- ٤ - العنوان الفرعية: الحجم ١٨ مسوّداً.
- ٥ - المتن: الحجم ١٧ غير مسوّد، إلا الأبيات الشعرية، فتكتب بخط مسوّد.
- ٦ - الآيات القرآنية: الحجم ١٨ مسوّد، وتكتب على النحو التالي: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدْرِ﴾ [القدر: ١].
- ٧ - تكتب القراءات الشاذة والأحاديث النبوية والآثار بين قوسين عاديين هكذا: ( )، بحجم ١٨ مسوّداً.
- ٨ - تكتب النقول بين علامتي تصيص « ». .
- ٩ - الحواشى السفلية بحجم ١٢ غير مسوّدة، وتوضع أرقام الحواشى بين قوسين.

## مجلة

# البحوث الدارالإنسانية القرآنية

## فهرس المحتويات

١٦	كلمة معالي المشرف العام على المجلة.....
١٨	كلمة رئيس التحرير.....
	ترتيب سور القرآن الكريم دراسة تحليلية لأقوال العلماء
٢١	د. طه عابدين طه.....
	المنهجية في إعراب القرآن الكريم
٩٥	أ.د. فخر الدين قباوة.....
	صلة ذوي القربي من غير المسلمين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية
١٥٣	د. محسن سميح الخالدي.....
	صيانتة القرآن الكريم من العبث والامتهان
٢٠٣	د. محمد بن عبد العزيز المستند.....
	أثر القرآن الكريم في الخط العربي
٢٩٩	كمال عبد جاسم الصالح الجميلي.....
	إشكالية ترجمة المصطلح: مصطلح الصلاة بين العربية والعبرية أنموذجاً
٣٣٣	د. عامر الرناتي الجابری.....
٤٠٣	أخبار المجمع.....
٤٠٧	من إصدارات المجمع.....

## كَلْمَةٌ مَعَالِيَ الْمُشْفِدِ لِعَلَىِ الْمُجَاهِدِ

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنه ليسبني أن أقدم بين يدي هذا العدد من مجلة «البحوث والدراسات القرآنية»، التي غدت معيناً ثراً، ومورداً عذباً للمشتغلين بعلوم القرآن الكريم من أساتذة الجامعات ورواد البحث العلمي في عصرنا؛ لما وجدوا فيها من تحقیقات أصيلة للتراث الإسلامي المجيد، ومباحث متقدمة حررها المتخصصون، وكتبوا فيها خلاصة ما انتهى إليه تطوافهم.

وهذا المجمع المبارك - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - صار بفضل الله موئلاً يزدحم على رحابه العلماء والباحثون، فهذه ندواته وملتقياته يجتمعون فيها ليناقشو مسائلهم، ويلقوا محاضراتهم، وتلك مطابعه تعكف على طباعة ما هو قيم نافع بإذن الله، ويخدم كتاب الله عز وجل بجانب من جوانب علومه، هذا بالإضافة إلى نشاط حديث لإدارة الحاسوب الآلي في تقديم الخدمات التقنية للنص القرآني، كما تم توجيه الأمانة العامة للمجمع إلى استقبال الزائرين الذين يزورون المجمع، ويطلعون على إنجازاته، وتزويد كل واحد منهم بنسخة من المصحف الكريم، أو ترجمة معانيه.

والحمد لله أولاً وآخرأً، أغدق علينا من آلة، ووفقاً إلى الخيرات، ويأتي في مقدمتها خدمة أبناء العالم الإسلامي بما ييسر عليهم الإقبال على كتاب الله عز وجل، وهذه ثمار هذا المجمع تصل إلى الآفاق.

وأود من خلال هذه السطور أن أستحب إخواني المستغلين بعلوم القرآن الكريم أن يرددوا مورد هذه المجلة العذب، ويزودوا هيئة التحرير بإنتاجهم العلمي ليأخذ مكانه على صفحات هذه المجلة.

وفي الختام أذكر بالعرفان والتقدير ما يقدمه ولاة أمرنا حفظهم الله من رعاية ودعم لهذا الصرح الشامخ، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، وولي عهده الأمين، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الداخلية، صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز، حفظهما الله جميعاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صَنَاعُ الْحِكْمَةِ بْنُ عَمَّالِ الْعَنْزِيرِ بْنِ مُحَمَّدِ الْشَّيْخِ  
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد  
الشرف القائم على مجتمع المليك فهو لم يتابع المصحف الترتيب

## كَلِمَةُ رَئِيسِ الْتَّحْرِيرِ

الحمد لله الذي أفضى علينا من فضله، وأسبغ نعمه ظاهرة وباطنة، والصلة والسلام على أشرف نبي أرسل محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن من أعظم الخيرات على العبد أن يقيمه كتاب الله تعالى: تلاوة وتدبراً وعملاً

**﴿فُلْ يَفَضِّلُ اللَّهَ وَيَرَحْمَةَهُ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ قَرْحَوْ حِرْمَانَ مَا يَجْمَعُونَ﴾** [يونس: ٥٨].

وما أحوج المسلمين في هذا الزمان إلى القرآن العظيم، إذ إنهم لا يستطيعون مواجهة قضايا عصرهم إلا بالقرآن، يعتصمون به في روابطهم، ويقيمون أحکامه في حياتهم، ويصلحون به دنياهم، ويستقبلون به آخرتهم.

وقد اقتضت سنة الله في خلقه أن يكون اتباعهم للقرآن الكريم سبباً لنجاتهم **﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنْ هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾** [طه: ١٢٣].

ولم تزل مجلتنا المعطاء مهيعاً ورافداً للدلالة على هداية القرآن وخيريته، وقد حفل العدد التاسع منها بمجموعة من البحوث القيمة: يأتي أولها، وهو: «ترتيب سور القرآن الكريم دراسة تحليلية لأقوال العلماء» ليناقش الأقوال في هذا الموضوع، ويبين الراجح منها، ويبين أن الالتزام بالترتيب النبوى للقرآن الكريم من الأمور الواجبة على الأمة، وأنه يحمل من الأسرار والمزايا والحكم الشيء الكثير.

ويأتي ثانية، وهو: «المنهجية في إعراب القرآن الكريم» ليفصل المفاهيم الأصطلاحية للإعراب، ويؤكد أنه لا بدّ من منهج علمي يعتمد في التحليل الإعرابي للمفردات، والجمل، وأشباه الجمل، وتحليل معاني الأدوات، والتحليل الصّرفي.

ويأتي ثالثها، وهو: «صلة ذوي القربى من غير المسلمين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية» ليتحدث عن صلة الرحم الكافرة غير المسلمة، كتابية كانت أو وثنية، مما يُظهر صورة الإسلام المشرقة، ويُبين أن صلة الكافر رحمة تنفعه وتُنفع ذريته في الدنيا.

ويأتي رابعها، وهو: «صيانة القرآن الكريم من العبث والامتحان» ليذود عن حمى القرآن الكريم ومكانته، ويُبيّن بعض صور الامتحان المتعمدة لآيات الكتاب بما يسمى بالرمزيّة والحداثة، وبالدعوة إلى تفسيره وفق طرائق محدثة منبأة عن هدي سلف الأمة وعلمائها، ويُظهر جملة من صور العبث غير المتعمدة للقرآن الكريم.

ويأتي خامسها، وهو: «أثر القرآن الكريم في الخط العربي» ليُلقي الضوء بصورة مختصرة على الخط العربي وتطوره، وأثر القرآن في مسيرته.

ويأتي سادسها، وهو: «إشكالية ترجمة المصطلح: مصطلح الصلاة بين العربية والعبرية أنموذجاً» ليتناول معنى المصطلح وأهميته وإجراءات ترجمته، مع تركيزه على مناقشة مصطلح الصلاة بصفة خاصة من خلال الترجمات العبرية الأربع المطبوعة لمعاني القرآن الكريم، وتطرق للمسائل التي تطرحها ترجمة المصطلح فيما يختص باللغتين المصدر والهدف، أو ما يرتبط منها بالمتترجم ذاته.

ويسعدني بمناسبة صدور هذا العدد أن أشكر للزماء في هيئة التحرير ما قدّموه من جهود في انتقاء البحوث و اختيار محكمتها، ثم تدقيقها وتصحيحها؛ مما أخر جها بالصورة المناسبة.

والشكر موصول لمعالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المشرف العام على المجمع الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ الذي يتبع أعمال المجمع ومشروعاته بعناية واهتمام.

ولا يسعني إلا أن أتقدّم بالشكر والعرفان لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، وأن يمُنَّ الله عليه بتمام الصحة ووفر العافية، ووليّ عهده الأمين نائب رئيس مجلس الوزراء، ووزير الداخلية، صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز، حفظهما الله، على ما يولون المجتمع من رعاية ودعم وتشجيع.

والحمد لله على أفضاله وسابع آلاته.

الأمين العام  
لجمع الملك فهد لطاعة المصحف الشريف  
أ.د. محمد سالم بن سدير العواني

# ترتيب سور القرآن الكريم

دراسة محلية لأقوال العلماء

د. طه عابدين طه<sup>(\*)</sup>

## ملخص البحث

هدف هذا البحث دراسة أقوال العلماء في كيفية ترتيب سور القرآن الكريم، وجاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، شملت الحديث عن تعريف المراد بترتيب السور، وأقوال العلماء في ترتيب السور وأدلة كل قول، ومناقشة أقوال العلماء وبيان الراجح منها، ثم ختمت الدراسة ببيان حكم الالتزام بهذا الترتيب. وقد خلصت الدراسة للنتائج التالية:

- ١) الخلاف في كيفية ترتيب سور قديم، والذي توصل إليه الباحث أن ترتيب سور القرآن توثيق من النبي ﷺ.
- ٢) هذا الترتيب النبوي للقرآن الكريم يحمل من الأسرار والمزايا والحكم الشيء الكثير الذي لا تتصور العقول كنهه.
- ٣) الالتزام بهذا الترتيب في كتابة المصاحف من الأمور الواجبة على الأمة التي تحرم مخالفته، كما أن الالتزام بهذا الترتيب في التلاوة والصلوة من الأمور المندوبة وتجوز مخالفته، كما تجوز مخالفته في التعليم كالبداية بقصار المفصل.
- ٤) الذي عليه جمهور العلماء وجوب الالتزام بترتيب سور على ما عليه المصاحف العثمانية وحرمة مخالفته؛ وذلك لضمان صيانة القرآن من التبديل والتحريف.
- ٥) القول بالتوكيف في ترتيب سور يدعوه إلى التمسك به والمحافظة عليه، ويجعل كل ما يتعلق بالقرآن متواتراً عن النبي ﷺ تلاوة ورسماً وترتيباً.

(\*) أستاذ مشارك في قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

## المقدمة

الحمد لله الذي أحكم كتابه وفصله، وأتقن نظامه ويسره، والصلاه والسلام على الذي أنزل الله سبحانه وتعالى على قلبه النور المبين، وكلّه ربه ببلغ وبيان كتابه الحق المجيد، وعلى آله الطاهرين، وصحبه الصادقين، ومن سار على هديهم إلى يومبعث والدين.

### أولاًً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

مما دفعني لدراسة هذا الموضوع أمور عديدة أبرزها ما يلي:

(١) أهمية هذا الموضوع المتعلق بالقرآن العظيم، وأسراره، وإعجازه؛ الذي يعجزخلق مهما أوتوا من علم أن يحيطوا به علمًا، وسيظل موضوع ترتيب آياته وسوره، واستنباط ما فيهما من لطائف وحكم موضع بحث العلماء وتدقيقهم ما بقي هذا الكتاب بين أيديهم، يقول البقاعي<sup>(١)</sup>: «إنَّ ترتيب السور في السياق الترتيلي الذي هو بين دفتري المصحف الذي عليه الأمة جموع إنما هو مظهر من مظاهر إعجازه البياني، وأنَّ تناصُبَه المعجز ليس بالمحصور في تناسب نظمه التركبي الماثل في بناء الجملة، بل هو أيضًا متحقق على كماله في نظمه الترتيلي الماثل في علاقات الجمل بعضها بعض في بناء المعقد، وعلاقات المعاعد بعضها بعض في بناء السورة، وعلاقات السور بعضها بعض في بناء البيان القرآني العظيم كلَّه مفتوحًا بسورة «الفاتحة» ومختتما بسورة «الناس»»<sup>(٢)</sup>.

(١) هو: الحافظ برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، العلامة المحدث الحافظ، مؤرخ أدب، له تصانيف كثيرة حسنة منها كتاب «جوهر البحار في نظم سيرة المختار»، و«نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، و«القول المفيد في أصول التجويد» وغيرها، توفي سنة (٨٨٥ هـ). انظر: الأعلام للزر كلي (٥٦/١).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٤/١٩٩).

(٢) الحاجة الماسة لجمع أقوال العلماء المتناولة حول هذا الموضوع في بطون الكتب، وحسن عرضها، وترتيبها، وتبويتها، وتحقيقها بصورة تمكن القارئ من الإلعام بأطراف هذا الموضوع المهم الذي اختلفت فيه مذاهب العلماء اختلافاً كبيراً، وقد ظلت كتب علوم القرآن تنقل ذلك الخلاف بصورة متكررة لما ذكره الزركشي<sup>(١)</sup> في «البرهان»، والسيوطى<sup>(٢)</sup> في «الإنقان»، وقد خللت في غالبيها من التحقيق<sup>(٣)</sup>، وهو من الموضوعات التي تحتاج إلى دراسات وتحقيق علمي تجيب عن تساؤلات كثيرة ترتبط بهذا الموضوع تحتاج إلى إجابات علمية مقنعة؛ من ذلك: هل ترتيب السور توقيفي أو اجتهادي؟ ولماذا اختلفت مذاهب العلماء في ترتيب السور دون ترتيب الآيات؟ وما حكم الالتزام بهذا الترتيب؟ فهذه الأسئلة وغيرها، دفعتني لدراسة هذا الموضوع وفق منهج البحث العلمي الحديث الذي يعني بالتحقيق فيما يقرر من حقائق، مع حسن بيان وترتيبٍ لما يطرح من أفكار ومعانٍ.

(١) هو: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعى، عالم في التفسير والحديث وجميع العلوم، ولد سنة (٧٤٥هـ) وتوفي سنة (٧٩٤هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودى (ص ٣٠٢).

(٢) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الخصبى السيوطى، جلال الدين، أبو الفضل، محدث، مفسر، مؤرخ، أديب، مصنف متقن، توفي سنة (٩١١هـ). انظر: الأعلام للزركلى (٣٠٢/٣).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشى (١/٣٢٤ - ٣٢٤)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطى (١/٣٣٤ - ٢١٧)، ومناهل العرفان للزرقانى (١/٣٥٣ - ٣٦٠)، ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان (ص ١٤١ - ١٤٥)، ومنهج الفرقان في علوم القرآن للشيخ محمد علي سلامه الجزء الأول (ص ١٢٨ - ١٣٢)، والواضح في علوم القرآن للدكتور مصطفى ديب البغا، والشيخ محى ديب مستو (ص ٧٩)، وكتاب علوم القرآن والحديث للشيخ حسن أيوب (ص ١٩ - ٢٢)، ودراسات في علوم القرآن للدكتور فهد الرومى (ص ١٠٧ - ١١٣)، والمقدمات الأساسية في علوم القرآن، للشيخ عبد الله بن يوسف الجابيع (ص ١٣١ - ١٣٦)، والبيان في علوم القرآن للدكتور: سليمان بن صالح القرعاوى، والدكتور محمد بن علي الحسن (ص ٢١٠ - ٢١٣)، وعلوم القرآن وتاريخ توثيقه للدكتور عدنان محمد زرزور (ص ١٦٤ - ١٦٩)، وغيرها.

(٣) التصدّي لتلك الدعاوى التي تنادى بجمع القرآن وفق ترتيب جديد بحجة تيسير فهمه على الناس، حتى أصبح الخلاف في هذا الموضوع منفذًا ينفذ منه أعداء القرآن للتشكيك في قداسة هذا الكتاب المجيد والطعن فيه، وإثارة الشبهات حوله بسبب الاختلاف وتضارب الآراء حول هذا الموضوع، كما دعا بعض المستشرقين لإعادة ترتيب القرآن وفق أسباب نزوله تيسيرًا للقارئ، وإعانته على فهم المعنى - على حسب زعمهم الباطل وفهمهم السقيم - يقول المستشرق الفرنسي بلاشير<sup>(١)</sup>: «إن إعادة ترتيب السور الذي اقتربه «نولدكه»<sup>(٢)</sup> ينال هنا كامل الأهمية لأنه يلقي على المصحف أصوات مطمئنة، ويردد وضع النصوص إلى آفاق سهلة الإدراك لكونها مقرونة إلى السياق التاريخي المعقول - يعني وفق نزولها -»، ويقول بلاشير أيضًا: «ويتوصل القارئ العربي إذ ذاك بمنطق لا تكلف فيه إلى الاقتناع بأنَّ الحياة قد أعيدت للمصحف؛ فما عاد يظهر على شكل متتابع مصطنع وغير منتظم للنصوص بل على شكل سلسلة من الموضوعات عالجها محمد خلال عشرين عاماً وفقاً لمقتضيات دعوته». ثم يقول في الموضوع نفسه: «وال مهم منذ تلك اللحظة أن يقبل قارئ القرآن بالانقياد وتدل التجربة فيما يبدو أن التقيد بالمراحل الزمنية للتترتيب الذي اقتربه «نولدكه» وأخذ به بعض المترجمين يجعل قراءة المصحف سهلة بل ممتعة»<sup>(٣)</sup>. وهذه الدعوة التي ظهرت مؤخرًا بسبب اضطراب الأقوال في ترتيب

(١) مستشرق فرنسي من أشهر كتبه «تاريخ الأدب العربي»، وكتابه «القرآن: نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره». انظر: ترجمته في كتاب المستشرقون للأستاذ: نجيب العقيقي (١٣٠٩ - ٣١٢).

(٢) مستشرق ألماني (ت: ١٩٣٠) له مؤلفات عديدة منها تاريخ النص القرآني، تكلم فيه عن تاريخ السور والآيات. انظر: ترجمته في كتاب المستشرقون للأستاذ: نجيب العقيقي (٢٣٧٩ - ٣٨٣).

(٣) القرآن: نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره - بلاشير، ترجمة رضا سعاده (ص ٤٤ - ٢٣)، نقلًا من كتاب «موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات»، للدكتور: أحمد بن محمد الشرقاوي (١٨٧/١)، وقد استعرض د. صبحي الصالح في كتاب «باحث في علوم القرآن» الطبعة الثامنة (١٩٧٤م) (١٧٦ - ١٧٨). أبرز محاولات المستشرقين في ترتيب القرآن على حسب النزول يرجع إليه.

السور قد حذر منها السلف قديماً، كما قال أبو جعفر النحاس<sup>(١)</sup>: «ولو كان

التأليف من غير الله ورسوله لسمو عد بعض الملحدين على طعنهم»<sup>(٢)</sup>.

٤) هذا الموضوع له أهمية خاصة في دراسة علم المناسبات بين السور، إذ القول بالتوقيف يفتح المجال رحباً أمام الباحثين لسبر أغوار هذا العلم الذي يكشف عن روعة وجمال هذا الكتاب المجيد الذي لا تنفذ عجائبه، مع الاعتناء بما كتبه السابقون وأفردوا له المصنفات في هذا الباب<sup>(٣)</sup>، والأمة محتاجة إلى عشرات البحوث في هذا المجال الرحب، والقول بالاجتهاد يقصر همم الباحثين على دراسة وجه التناسب فقط بين الآيات.

ولهذا الموضوع تعلق بإعجاز القرآن الكريم الذي لا تنقضي وجوه إعجازه، فكما أن القرآن الكريم معجز بحسن ألفاظه، وبلاعة تركيبه، وسحر أسلوبه، وشرف معانيه، فهو معجز كذلك بدقة نظمه وبدائع ترتيبه، وكمال تناسق كلماته وأياته وسوره، ولهذا قال الأصفهاني: «إن القرآن معجز والركن الأبين في الإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب»<sup>(٤)</sup>.

٥) تأكيد مبدأ المحافظة على ترتيب القرآن الكريم كما وصل إلينا سواء أكان الترتيب اجتهاديأ ثم أجمعـت عليه الأمة أم توقيفيأ، وكذلك التصدي لكل دعوة

(١) هو: إمام العربية أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المرادي المصري، أبو جعفر، مفسر، أديب، من مصنفاته معاني القرآن، وإعراب القرآن، وناسخ القرآن ومنسوخه، توفي بمصر سنة (٥٣٨).

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥ / ٤٠)، الأعلام (١ / ٢٠٨).

(٢) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس (ص ١٥٩).

(٣) كما فعل البقاعي في كتابه: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، وابن الزبير في كتاب: «البرهان في تناسب سور القرآن»، والسيوطى في كتابه: «تناسق الدرر في تناسب السور».

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١ / ٢١).

باطلة تنادي بإعادة ترتيب المصحف على أي وجهة كانت؛ مع إثبات أنَّ القرآن كما آنه معجز في ترتيب آياته في سورها، كذلك فهو معجز في ترتيب سوره ببراهين واضحة للمتدربين لسور القرآن.

### ثانيًاً: مشكلة الدراسة:

لما جاءت روايات في السنة تبين أن ترتيب السور في المصحف توقيفي، وجاء بعضها يشير إلى أن بعضه كان اجتهادياً، اختلفت مذاهب العلماء وتبينت آراءهم في القول في ترتيب السور إلى ثلاثة مذاهب، وقد استدلَّ كل قوم بأدلة، ونُسِّب كُلُّ قول من هذه الأقوال الثلاثة إلى الجمَهور، وظلت بعض كتب علوم القرآن تنقل هذا الخلاف بدون تحقيق علمي دقيق في المسألة؛ وظل موقف العلماء من المناسبات بين السور كذلك متبيناً، جاءت هذه الدراسة بهدف معالجة هذا الموضوع الذي ظلَّ بعضه غامضاً في أذهان الكثيرين من طلبة العلم<sup>(١)</sup> فضلاً عن غيرهم، وهو من الموضوعات التي تحتاج إلى تحرير؛ لتشعب الخلاف فيه، ولتعلق هذا الموضوع بأحد أسرار هذا الكتاب المجيد الذي نلموس عظمته في كُلِّ جوانبه؛ ولذلك فإن مشكلة الدراسة تكمن في معرفة كيفية ترتيب سور القرآن الكريم.

### ثالثًاً: أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي: كيف رُتبت سور القرآن الكريم؟ ويترفع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

- ما المراد بترتيب السور؟
- ما موقف العلماء من ترتيب السور؟ ولماذا اختلفت مذاهب العلماء في ذلك؟

(١) وقد وقفت على ذلك من خلال حوارات علمية هادفة بيني وبين طلاب الدراسات العليا في جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنّة، مما دفعني لدراسة هذا الموضوع.

- ما أدلة كل فريق، وما الراجح منها؟

- ما حكم الالتزام بهذا الترتيب؟

#### رابعاً: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة لمعرفة كيفية ترتيب سور القرآن الكريم، ويتفرع من هذا

الهدف العام للأهداف الفرعية التالية:

- إدراك المراد بترتيب السور.

بيان موقف العلماء من ترتيب السور، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى تبادل مذاهبهم.

- الوقوف على أدلة كل فريق، ومعرفة الراجح منها.

- معرفة حكم الالتزام بترتيب السور.

#### خامساً: حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على بيان المراد بترتيب السور، وموقف العلماء من القول في ترتيب سور القرآن الكريم، وأدلة كل فريق، والراجح منها، مع بيان حكم الالتزام بهذا الترتيب، وفق الأدلة الشرعية وأقوال أهل العلم خاصة ذوي الاختصاص.

#### سادساً: منهج البحث وأداته:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وسلك فيه أسلوب الاستقراء والاستنباط، وكانت أداته تحليل المحتوى للأدلة ذات الصلة بالموضوع، التي تم جمعها من خلال ما كتبه العلماء في هذا الفن من الكتابات القديمة والحديثة؛ بغية الوصول إلى أهداف البحث.

**سابعاً: الدراسات السابقة:**

عنابة العلماء بترتيب آيات سور القرآن الكريم قديمة، وقد تحدث عنه العلماء في عامة كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم، ولكن لم أقف - في حدود بحثي واطلاعني - على من أفرد موضوع البحث بالدراسة؛ ولذا عالجت هذه الدراسة موضوعاً لم أقف على دراسة متكاملة خصته بالبحث والتحقيق، وإن كانت قد جاءت بعض جوانبه في كتابات العلماء قديماً وحديثاً.

وبعد أن أوشك البحث أن يفرغ إذا بخبر رسالة علمية ينتهي إلى سمع الباحث بعنوان «الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسورة» للدكتور: محمد أحمد يوسف القاسم، قد نوقشت في جامعة الأزهر، عام (١٩٧١م) قد تناولت من ضمن مباحثها هذا الموضوع، وبعد جهد توصلت إلى نسخة منها، فوجدت بها رسالة علمية قيمة في موضوعها «المناسبات» إلا أنها تناولت هذا الموضوع في نقطة من الرسالة من (ص ٢٥٧ - ٢٨٦) فلم تخصه بعناية كبيرة؛ وإنما جاء الحديث عنه من ضمن نقاط البحث الكثيرة؛ ولذا جاءت الدراسة مختصرة من حيث المضمون، وناقصة بصورة كبيرة من حيث المعالجة، لم يذكر لكل فريق أكثر من دليلين، ولم يناقش الأقوال بصورة شاملة، وإن كانت هذه الدراسة أكثر الدراسات تقدماً في الموضوع.

**ثامناً: هيكل البحث:**

اشتمل هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس، جاءت على النحو التالي:

**المبحث الأول:** أقوال العلماء في ترتيب السور وأدلة كل فريق.

**المبحث الثاني:** مناقشة أقوال العلماء في ترتيب السور مع الترجيح.

**المبحث الثالث:** حكم الالتزام بهذا الترتيب.

**الخاتمة:** شملت أهم نتائج البحث وتوصياته.

قائمة المصادر والمراجع.

## مصطلحات الدراسة:

فهم مصطلحات الدراسة مدخل أساسى ومهم لفهم مقاصد الباحث، واتجاهات بحثه، وأهم مصطلحات هذه الدراسة ما يلى:

### أولاًً: الترتيب في اللغة:

من رَبِّ الشَّيْءِ يَرْتُبُ رُتُوبًا: ثَبَّتْ وَدَامَ وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الشَّيْءُ، وَعَيْشُ رَاتِبٍ: ثَابِتُ دَائِمٌ، وَأَمْرُ رَاتِبٍ أَيْ دَارُ ثَابِتٍ، وَرِزْقُ رَاتِبٍ ثَابِتٌ دَائِمٌ، وَمِنْهُ الرَّاتِبُ الَّذِي يَأْخُذُهُ الْمُسْتَخْدِمُ أَجْرًا عَلَى عَمَلِهِ، قَالَ ابْنُ جِنِّيٍّ<sup>(١)</sup>: «يَقُولُ مَا زِلْتُ عَلَى هَذَا رَاتِبًا وَرَاتِبًا أَيْ: مُقِيمًا»، وَيَقُولُ: رَاتِبُ رُتُوبَ الْكَعْبِ أَيْ اَنْتَصَبَ اَنْتِصَابَهُ، وَرَاتِبَ تَرْتِيبًا أَكْبَثَتَهُ وَأَقْرَهَ وَجَعَلَهُ فِي مَرْتَبَتِهِ، وَالْتُّرْتُبُ وَالْتُّرْتُبُ كُلُّهُ الشَّيْءُ الْمُقِيمُ الثَّابِتُ، وَالْتُّرْتُبُ الْأَمْرُ الثَّابِتُ، وَأَمْرُ رُتُوبٍ عَلَى تُفْعِلٍ بِضمِ التاءِ وَفَتحِ العَيْنِ أَيْ ثَابِتٌ، يَقُولُ: يَتَرَبَّ عَلَيْهِ كَذَا، أَيْ يَسْتَقِرُ وَيَبْيَنِي، وَالْتَّرْتِيبُ الْمَرَادُ بِهِ وَضَعُ الشَّيْءُ فِي مَوْضِعِهِ عَلَى نَسْقٍ وَاسْتِقْاماً بِصُورَةِ ثَابِتَةٍ<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: اللغة واصطلاحاً:

أولاًً: في اللغة: السُّورَةُ: جمع سُورَ، وهي تهمز، ولا تهمز، وأكثر القراء على ترك الهمزة فيها، فمن همزها جعلها من سُورَ الكأس؛ وهو ما يبقى فيه من الشراب؛ لأنَّ كُلَّ سورة من القرآن بقيَّة منه.

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، من أئمة الأدب والنحو، وله شعر ومصنفات قيمة، منها: «شرح ديوان المتنبي»، و«المحتسب في شواذ القراءات» وغيرها، توفي سنة (٣٩٢هـ). انظر: الأعلام (٤/٤).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة «راتب» (٤٠٩/١)، (١٩٤)، وتابع العروس، للزبيدي (١/٥١٥)، والمجمع الوسيط لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار (٦٧٨/١).

ومن لم يهمز جعلها من سورة الأسد بمعنى القوة، ويقال: فلان ذو سورة في الحرب؛ لأنَّ قوَّةَ السُّورَةِ أَكْثَرُ مِنْ قَوَّةِ الْآيَةِ، أوَّلَ مِنَ السُّورَ بِمَعْنَى الْجَمَاعَةِ يَقُولُ: لفلان سُورَ مِنَ الْإِبْلِ بِمَعْنَى جَمَاعَةٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السُّورَةَ مُشَتَّمَلَةٌ عَلَى جَمَاعَةِ الْآيَاتِ، أَوْ مِنَ السُّورَ الْمُحِيطِ بِالْأَبْنِيَةِ، وَمَا طَالَ مِنَ الْبَنَاءِ وَحْسُنَ، وَالْجَمْعُ: أَسْوَارٌ؛ لِأَنَّ السُّورَةَ مُحِيطَةٌ بِالْآيَاتِ وَالْكَلْمَاتِ وَالْحُرُوفِ إِحْاطَةً السُّورَ بِمَا فِي دَاخْلِهِ، وَقَوْلٌ: بِأَرْتِفَاعِهَا لِأَنَّهَا كَلَامُ اللَّهِ، وَيَقُولُ: إِنَّ السُّورَةَ بِلَا هَمْزَةٍ بِمَعْنَى الْمَنْزَلَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْفَضْلِ وَالشَّرْفِ وَالْعَلَمَةِ وَالرَّتْبَةِ، كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ<sup>(١)</sup>:

**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَّدُ<sup>(٢)</sup>**

أي: شرفاً ورفعه ومنزلة، وكل سورة في القرآن الكريم لها منزلتها وشرفها وفضلها، والسورة من القرآن كأنها درجة أو منزلة يُفضي منها إلى غيرها، قال ابن سيده<sup>(٣)</sup>: «سُمِّيَتِ السُّورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ سُورَةً لِأَنَّهَا دَرَجَةٌ إِلَى غَيْرِهَا»<sup>(٤)</sup>.

**ثانيًا: في الاصطلاح:** عَرَفَهَا الْعُلَمَاءُ بَعْدَ تَعْرِيفَاتِ كُلِّهَا تَؤْدِي إِلَى مَعْنَى اصطلاحِي صَحِيحٍ، مِنْهَا أَنَّهَا: «قُرْآنٌ يَشْتَمِلُ عَلَى أَيِّ ذِي فَاتِحةٍ وَخَاتَمَةٍ، وَأَقْلَهَا

(١) هو: زياد بن معاوية بن ضباب الذهبياني الغطفاني المصري، أبو أمامة، شاعر جاهلي، كان من أحسن شعراء العرب ديبياجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. انظر: الأعلام (٣/٥٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص ١٦)، والبيت في ديوان النابغة الذهبياني (ص ١٨) في مدح النعمان بن المنذر، وقد ذكره الطبرى في تفسيره (١/١٥٠)، وغيره.

(٣) هو الإمام علي بن إسماعيل يعرف بابن سيده، كان إماماً في اللغة العربية حافظاً له تأليف حسان، توفي سنة ٤٦٠هـ. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي (ص ٢٢٩)، والأعلام (٤/٢٦٤).

(٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور مادة «سور» (٤/٣٨٤)، والقاموس المحيط، للفيروزابadi، مادة «السور» (٣/١٠٥)، والمحيط في اللغة، للصاحب بن عباد (٢/٢٧٣)، وجمهرة اللغة، لابن دريد (١/٣٩٣)، وتابع العروس، للزبيدي (١/٢٩٧٥)، وكتاب الكليات لأبي البقاء الكفووي (١/٧٧٨ - ٧٧٩)، والمجمع الوسيط (١/٩٥٨)، وبصائر ذوي التميز للفيروزابادي (١/٨٤، ٨٥)، (٣/٢٧٤).

ثلاث آيات»<sup>(١)</sup> قاله الجعبري<sup>(٢)</sup>، وقيل: «طائفة مستقلة من آيات القرآن؛ ذات مطلع ومقطع»<sup>(٣)</sup> ذكره الزرقاني<sup>(٤)</sup>، وقيل: «الطائفة المترجمة توقيفيًا، أي: المسممة باسم خاص بتوفيق من النبي ﷺ»<sup>(٥)</sup>، فهي إذاً في الاصطلاح يمكن القول بأنها: «طائفة مستقلة من آيات القرآن الكريم، ذات فاتحة وخاتمة، بترتيب من النبي ﷺ، مسممة باسم خاص»<sup>(٦)</sup>، كما قال تعالى عن سورة النور: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ١].

### ثالثاً: المراد بترتيب السور:

مما سبق يتضح لنا أن المراد بترتيب القرآن الكريم: كيفية وضع كل سورة من سور القرآن الكريم في موضعها الذي عليه اليوم في المصحف من حيث الترتيب بصورة ثابتة.

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطى (١٨٣ / ١).

(٢) هو: العلامة شيخ القراء برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل بن أبي العباس الجعبري الشافعي، وكان يقال له: شيخ الخليل، صاحب التصانيف المتقدمة في القراءات والحديث والأصول والعربية والتاريخ وغير ذلك، توفي سنة (٧٣٢ هـ). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (١٤، ١٤ / ١).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن (١ / ٣٥٠).

(٤) هو: محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، تخرج في كلية أصول الدين، وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث، صاحب كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن، توفي سنة (١٣٧٦ هـ). انظر: الأعلام خير الدين الزركلي (١٤ / ٢٨).

(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١ / ١٨٣).

(٦) انظر: كتابي المتنقى في علوم القرآن (١ / ١٨٤).

## المبحث الأول

### أقوال العلماء في ترتيب السورة وأدلة كل قول

اختلف العلماء في ترتيب سور القرآن الكريم على ما هو عليه اليوم في المصاحف إلى ثلاثة أقوال: القول الأول: أنها توقيفية من النبي ﷺ. والقول الثاني: أنها اجتهادية من الصحابة في عهد عثمان رضي الله عنه. والقول الثالث: أن بعضها توقيفي وبعضها اجتهادي، وإليك أدلة كل قول، ومن قال به.

#### القول الأول: أن ترتيب السور توقيفي:

ذهب عدد من العلماء إلى أن ترتيب السور توقيفي من النبي ﷺ أخذه عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين، ليس للاجتهاد فيه أي مجال، وأنه لم توضع السور في موضعها إلا وفق ما نزل به جبريل على النبي ﷺ، وأن ترتيب السور كترتيب الآيات سواء بسواء، ونسب الألوسي<sup>(١)</sup> هذا القول للجمهور<sup>(٢)</sup>، وقد نصّ عدد من العلماء على التوقيف، قال أبو جعفر النحاس: «إن ترتيب السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>، وقال ابن الحصار<sup>(٤)</sup>: «ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها

(١) هو أبو الفضل محمد بن عبد الله الحسني، مفسر محدث أديب، صاحب كتاب روح المعاني في التفسير، توفي سنة ١٢٧٠ هـ. انظر: الأعلام (١٧٦/٧).

(٢) حيث قال: «وأما ترتيب السور ففي كونه اجتهاديًّا أو توقيفيًّا خلاف، والجمهور على الثاني» روح المعاني (٢٦/١).

(٣) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس (ص ١٥٨).

(٤) هو: عبد الرحمن بن سعيد بن محمد بن بشير مولى بنى فطيس أبو المطرف، المعروف بابن الحصار، كان من أجل علماء وقته، علماً وعقلاً وفقهاً، سمعتاً وعفة وهديةًّا، توفي سنة ٤٢٢ هـ.

انظر: الديجاج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (١/٨٧).

إنما كان بالوحى»<sup>(١)</sup>، وقال أبو عمرو الداني<sup>(٢)</sup>: «كان جبريل يوقف رسول الله على موضع الآية وعلى موضع السورة»<sup>(٣)</sup>، وقال برهان الدين الكرمانى<sup>(٤)</sup>: «ترتيب سور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ، وعليه كان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين»<sup>(٥)</sup>. وقال البغوي<sup>(٦)</sup>: «إن الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو ينقصوا منه شيئاً... فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته... فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن يقدموا شيئاً أو يؤخرها أو يضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو عليه الآن في مصافحتنا بتوفيق جبريل إياه على ذلك... فثبتت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصافحتنا، أنزله الله تعالى جملةً واحدةً في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا... ثم كان ينزله مفرقاً على رسوله ﷺ مدة حياته عند

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢١٩/١).

(٢) هو: عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، من كتبه: التيسير، والإشارة، والمقتنع، توفي سنة (٤٤٤هـ). انظر: الأعلام (٤/٣٠٦).

(٣) مقدمة التحرير والتنوير (٢/١٢٢)، لم أقف على قوله في كتابه.

(٤) هو تاج القراء، برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة الكرمانى، عالم بالقراءات، كان عجبًا في دقة الفهم وحسن الاستنباط، من كتبه «باب التأويل»، و«خط المصاحف»، و«البرهان في متشابه القرآن»، توفي في حدود سنة (٥٠٥هـ). انظر: الأعلام للزرکلي (٧/١٦٨).

(٥) البرهان في توجيه متشابه القرآن، (ص ١٦).

(٦) هو: الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي أبو محمد، الحافظ، إمام في الفقه والتفسير والحديث، الملقب بمحب النبي السنة، من كتبه: «التهذيب»، و«شرح السنة»، و«معالم التنزيل» وغيرها، توفي سنة (٥١٦هـ). انظر: طبقات المفسرين للسيوطى (ص ٤٩).

الحاجة، وحدوث ما يشاء الله عز وجل، فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة<sup>(١)</sup>. وقال أبو بكر الأنباري<sup>(٢)</sup>: «أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فُرق في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر، ويقف جبريل النبي ﷺ على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي ﷺ، فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن»<sup>(٣)</sup>. وقال ابن الزبير<sup>(٤)</sup> في «ملاك التأويل»: «إن ترتيب سور بتوقيف على أصح المأخذين»<sup>(٥)</sup>. وقال الطبي<sup>(٦)</sup>: «أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح، ثم ثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ»<sup>(٧)</sup>. وقال الزركشي: «قال بعض مشايخنا المحققين: قد وَهِمَ مَنْ قال: لا يُطَلِّبُ لِلأَيِّ الْكَرِيمَةِ مَنْاسِبٌ لِأَنَّهَا حَسْبُ الْوَقَاعِ الْمُتَفَرِّقِ، وَفَصْلُ الْخَطَابِ أَنَّهَا عَلَى حَسْبِ الْوَقَاعِ تَنْزِيلًا، وَعَلَى حَسْبِ الْحِكْمَةِ تَرْتِيبًا، فَالْمَصَحَّفُ كَالصَّحْفِ الْكَرِيمَةِ عَلَى وَقْقَةِ مَا فِي الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ مَرْتَبَةِ سُورَةِ كُلِّهَا وَآيَاتِهِ بِالتَّوْقِيفِ...»<sup>(٨)</sup>.

(١) شرح السنة للإمام البغوي متناً وشراحًا (٤/٥٢١ - ٥٢٣).

(٢) هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن دعامة أبو بكر الأنباري، كان من بحور العلم في اللغة والتفسير والحديث، توفي سنة (٣٢٨هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن حلكان (٣/٣٦٣).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١١/٢١٧).

(٤) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، محدث مؤرخ، مفسر أصولي، من كتبه: «البرهان في ترتيب سور القرآن»، و«صلة الصلة» وغيرها توفي سنة (٧٠٨هـ). انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (٦/١٦).

(٥) ملوك التأويل (١/٣١٦).

(٦) هو الحسن بن محمد بن عبد الله شرف الدين الطبي، إمام مشهور، عالمة في المعقولات والمعاني والبيان، له مؤلفات كثيرة منها: «التفسير للقرآن العظيم»، و«الحاشية على تفسير الكشاف»، توفي سنة (٧٤٣هـ). انظر: الدرر الكامنة (٢/١٥٦)، وطبقات المفسرين للأدنوي (ص ٢٧٧).

(٧) الإتقان في علوم القرآن (١١/٨٣).

(٨) البرهان في علوم القرآن (١/٣٥).

وقال الشيخ ولی الدين الملوی<sup>(۱)</sup>: «فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البین أسلوبه ونظمه الباهر»<sup>(۲)</sup>.

واستدلوا على أن ترتيب السور توقيفي بعدد من الأدلة، أبرزها ما يلي:

۱) تحزيب الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم، كما ورد عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه، قال: كُنْتُ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ أَسْلَمُوا مِنْ ثَقِيفٍ مِنْ بَنِي مَالِكٍ، أَنْزَلَنَا فِي قُبَّةِ لَهُ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُيُوتِهِ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ الْأُخْرَةَ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، وَلَا نَبْرُحُ حَتَّى يُحَدِّثَنَا وَيَسْتَكِي قُرْيَاً، وَيَسْتَكِي أَهْلَ مَكَّةَ ثُمَّ يَقُولُ: «لَا سَوَاءٌ كُنَّا بِمَكَّةَ مُسْتَدَلِّينَ وَمُسْتَضْعَفِينَ، فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ سِجَالُ الْحَرْبِ عَلَيْنَا وَلَنَا»، فَمَكَثَ عَنَّا لَيْلَةً لَمْ يَأْتِنَا؛ حَتَّى طَالَ ذَلِكَ عَلَيْنَا بَعْدَ الْعِشَاءِ قَالَ: قُلْنَا: مَا أَمْكَثَكَ عَنَّا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيهُ»، قَالَ: فَسَأَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحْنَا، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: نُحَزِّبُهُ ثَلَاثَ سُورٍ، وَخَمْسَ سُورٍ، وَسَبْعَ سُورٍ، وَتَسْعَ سُورٍ، وَإِحدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبُ الْمُفَاصِلِ مِنْ قَافْ حَتَّى يُخْتَمْ<sup>(۳)</sup>.

(۱) هو: محمد بن أحمد بن إبراهيم الديباجي المعروف بـ «المفلطي» الشيخ ولی الدين الملوی الشافعی، وكان عارفاً بالتفسیر والفقہ والأصلین والتصوف، توفي سنة (۷۷۴ھ). انظر: إبناء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني (۱۵/۱).

(۲) الإتقان في علوم القرآن (۲/۳۵۰).

(۳) رواه أبو داود برقم (۱۸۵)، وابن ماجه برقم (۱۳۳۵)، وأحمد برقم (۱۵۵۷۸)، وقال يحيى بن معین كما في عون المعبود (۴/۲۷۰): «إسناد هذا الحديث صالح».

قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: «فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان على عهد رسول الله ﷺ. وقال: ويحتمل أن الذي كان مرتبًا حينئذ حزب المفصل خاصة بخلاف غيره»<sup>(٢)</sup>.

وإذا جمعت أعداد السور هكذا  $٣ + ٥ + ٧ + ٩ + ١١ + ١٣ = ٦٣$  كان المجموع (٤٨) سورة<sup>(٣)</sup>. قال الزركشي: «وحينئذ فإذا أعددت ثمانية وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة «ق»<sup>(٤)</sup>. قال الدكتور فهد بن سليمان الرومي: «هذا إذا لم نعد الفاتحة، أما إذا عدناها فإن التي بعدهن سورة الحجرات، ولهذا وقع الاختلاف في أول المفصل ومن لم يعد الفاتحة من الطوال فقد عدتها من المفصل»<sup>(٥)</sup>، فقالوا: هذا الحديث يدل على أن هذه السور كانت مرتبة على هذا الترتيب المعروفاليوممنذ عهد النبي ﷺ، ولا يعقل أن يكون لهم ختم للقرآن الكريم أسبوعياً بدون ترتيب.

(٢) استدلوا بحديث وائلة بن الأسعق الذي جاء فيه قول النبي ﷺ: «أُعْطِيْتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبَعَ، وَأُعْطِيْتُ مَكَانَ الرَّبُورِ الْمَيِّنَ، وَأُعْطِيْتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفْصَلِ»<sup>(٦)</sup>. قال أبو جعفر النحاس: «فهذا الحديث يدل على أن

(١) هو: أحمد بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين بن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، له مصنفات قيمة من أجلها «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، توفي سنة (٨٥٢هـ). انظر: الأعلام (١٧٨/١).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٢/٩).

(٣) دراسات في علوم القرآن د. فهد الرومي (ص ١٠٨).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٢٤٧/١).

(٥) دراسات في علوم القرآن، د. فهد الرومي (ص ١٠٩).

(٦) رواه أحمد في المستند برقم (١٧٤٤٥)، والطبراني في العجم الكبير برقم (٧٩٢٩)، والطيسلي في مسنده برقم (١٠١٢)، والبيهقي في الشعب برقم (٢٣١٨)، وأبو عبيدة في الفضائل (ص ٢٢٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنع الفوائد (٧١/٧) برقم (١١٦٢٦)، وقال: «رواه الطبراني وفيه ليث ابن أبي سليم، وقد ضعفه جماعة ويعتبر بحديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٦٩/٣) برقم (١٤٨٠): «الحديث بمجموع طرقه صحيح، والله أعلم».

تأليف القرآن من رسول الله ﷺ، وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وهذا أصل من أصول المسلمين لا يسعهم جهله؛ لأن تأليف القرآن من إعجازه، ولو كان التأليف من غير الله ورسوله لسوعد بعض الملحدين على طعنهم، ثم فرق بين المراد بجمع القرآن على حرف في عهد عثمان رضي الله عنه وبين ما جاء هذا الحديث عن تأليف القرآن الذي يراد به ترتيبه من رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>. وروي ذلك عن علي بن أبي طالب؛ وذلك لأنه ذكر أربعة أقسام للقرآن الكريم كانت معلومة الترتيب من النبي ﷺ.

(٣) واستدلوا باختلاف ترتيب بعض السور المتجانسة في القرآن بأنها لم ترتب متواتلة، فلو كان الأمر اجتهادياً لروعي فيه هذا الجانب إذ الاجتهد يقوّم على جمع المتجانسات والمتماثلات بعضها على بعض، سور المسبحات فصل بين سورها بالمجادلة، والممتحنة، والمنافقون. وسورة ﴿طسم﴾ الشعراء، و﴿طسم﴾ القصص لم يتعاقبا مع تماثلهما؛ بل فصل بينهما بسورة أقصر منها وهي ﴿طس﴾ كما قال السيوطي: «ومما يدل على أنه توقيفي كون «الحواميم» رتبت ولاء، وكذلك «الطواسين» ولم ترتب «المسبحات» ولاء، بل فصل بين سورها وفصل بين ﴿طسم﴾ القصص بـ﴿طس﴾<sup>(٢)</sup> مع أنها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت «المسبحات» ولاء، وأخرت ﴿طس﴾ سورة النمل عن القصص»<sup>(٣)</sup>. وكذلك الفصل بين الانفطار والانشقاق بالمطفيين، وهو نظيرتان في المطلع والمقصد، فلو لا أنه توقيفي لحكمة لتوالت المسبحات، وأخرت ﴿طس﴾ عن القصص،

(١) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس (ص ١٥٩).

(٢) المراد سورة النمل، ولعل ما قاله صحيح إذا أريد الحروف الهجائية لا عدد الآيات.

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١١ / ٢٢٠).

وأخرت المطوفين أو قدمت، فقالوا: فإننا لا نجد قاعدة ثابتة يمكن القول أنه رتب سور القرآن الكريم على أساسها؛ لأن الاجتهاد يقوم على أساس واضحة، فلم تأت السور المشابهة متواالية مثل التي بدأت بالقسم أو الحروف المقطعة، ولا رتب حسب النزول، ولا حسب القصر والطول، ولا غير ذلك، فلو رُتب بالاجتهاد لَوَضَحَّ أَوْ وَضَحَّتِ الْقَاعِدَةُ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا هَذَا الاجتهاد؛ لأنَّه لا يعقل أن يضعوا سور القرآن كيما اتفق لهم، فلو كان ترتيبها باجتهادهم لرَبَّوْهَا إِمَّا بحسب تاريخ نزولها أو مواقعها، وإِمَّا بحسب طولها وقصرها، وإِمَّا بحسب ترتيب مصحف أحد كبار الصحابة كعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب، وكل ذلك لم يكن فيما هناك سوى التوقيف<sup>(١)</sup>.

٤) استدلوا بما ثبت أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ القرآن كل سنةً مرةً؛ وعرض عليه القرآن مرتين في السنة التي قبض فيها، ولا ريب أن القرآن حينئذ كان قد أنزل كله على رسول الله ﷺ، فعَرَضَهُ عَلَى جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه المرة كان من أوله إلى آخره، وأن تلك العرضة لابد أن تكون قد تمت على ترتيب معين؛ هو الذي نقل إلينا، وبالضرورة أن يكون موافقاً لما هو في اللوح المحفوظ؛ إذ لا يعرضه ﷺ العرض الأخير على جبريل إلا مرتب الآيات والسور كما سمعه منه؛ لأنَّه لا يمكن النبي ﷺ أن يخالفه، وما كان للصحابية أن ينقلوا لنا خلافه؛ لأنَّهم كانوا أشد الناس اقتداء برسول الله ﷺ، وأبعدهم عن الابداع والعمل بالظن والهوى، ومما لا شك فيه أنه حين جمعهم للقرآن الكريم تحرروا في كل شيء ما كان عليه النبي ﷺ، فما قدّموا سورة على أخرى

(١) انظر: الإنقاذ (١/٢٢٠)، وأسرار ترتيب القرآن للسيوطى (١/٧٣)، وتاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي (١/٧٢).

إلا باستناد إلى أمره عليه السلام أو فعله أو تقريره، كما قال الإمام مالك<sup>(١)</sup>: «إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه<sup>(٢)</sup>»، وزيد بن ثابت كان حاضراً هذه العرضة الأخيرة، وهو كاتب الوحي فعلى هذه العرضة كتبت صحف أبي بكر ومصاحف عثمان رضي الله عنهم<sup>(٣)</sup>.

٥) أن جمَعَ القرآن الكريم في الصدور على عهد النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه كان مرتبًا آياته و سوره، وقد جمعه عدد من أصحابه في حياته، ثم جمع على ذلك النحو في الصحف والمصاحف توثيقاً وتحقيقاً؛ مخافة أن يزول الجمع الأول بزوال الصدور التي جمعته حين استحرَرَ القتل بكثير منهم جهاداً في سبيل الله سبحانه وتعالى، فما فعله الصحابة من الجمع لم يكن أكثر من استنساخ الجمع القائم في الصدور ليكون بين دُقَّتي مصحف، وأن النسخة الأم في شأن القرآن الكريم كانت الصدور<sup>(٤)</sup>.

٦) إنَّ الذي يتدبَّر في وَضْع السور في المصحف يجدها في غاية الإحكام والاتساق والتناسب، فإنَّ بعضها أخذ برقب بعض، فكل سورة تجمعها وجه مناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها ومكملة لمقاصدتها ومواضيعاتها، في صورة تحمل الكثير من روائع الإعجاز، بما يؤكِّد أنه توقيفي صادر عن حكيم علِيم، فوق أن يُردَّ ذلك لا جهاد بشري، قال الزركشي: «وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجده في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى، كافتتاح

(١) مالك بن أنس بن أبي عامر أبو عبد الله الأصبхи المدني، إمام الحديث، وصاحب المذهب المالكي في الفقه، ومن سادات التابعين والفقهاء الصالحين، توفي سنة (١٧٩هـ). انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٧/٣١٠)، ومشاهير علماء الأمصار، لابن حبان، (ص ١٤٠).

(٢) المقعن في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني (ص ٥).

(٣) انظر: تاريخ القرآن الكريم، لمحمد طاهر الكردي (١/٧٠).

(٤) انظر: الإمام البقاعي ومنهاجه في تأویل بلاغة القرآن، لمحمود توفيق محمد سعد (١/١٨٣).

سورة الأنعام بالحمد؛ فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء كما قال سبحانه: ﴿وَقُصِّيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، وكافتتاح سورة فاطر بالحمد أيضاً؛ فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿وَجَاهَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشَتَّهُونَ كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَا عِهْمَ مِنْ قَبْلٍ﴾ [سـٰءـٰ: ٥٤]، وكما قال تعالى: ﴿فَقُطِّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَلَحْمُدُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح؛ فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به، وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿الْمَرْ \* ذَلِكَ الْكِتَبُ لَآرِبَّ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢]؛ إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿أَهَدَى الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ لأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتـمـ الهداية إليه هو الكتاب... وتأمل ارتباط سورة لإيلاف قريش بسورة الفيل...» إلى أن قال: «وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور، فما ظنكـ بالآياتـ، وتعلـقـ بعضـهاـ ببعضـ، بل عند التأمل يظهرـ أنـ القرآنـ كلهـ كالـكلمةـ الـواحدـةـ»<sup>(١)</sup>.

وقال الزركشي: «لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم أحدـها بحسبـ الحروفـ كماـ فيـ الحوامـيمـ، وثانيـهاـ لـموافـقةـ أولـالسورـ لـآخرـ ماـ قبلـهاـ كـآخرـ الحـمدـ فيـ المعـنىـ وأـولـ الـبـقرـةـ، وـثـالـثـهاـ للـلـوزـنـ فـيـ الـلـفـظـ كـآخرـ تـبـتـ وأـولـ الإـلـاـصـ، وـرـابـعـهاـ لـمـشـابـهـةـ جـمـلـةـ السـورـ لـجمـلـةـ الأـخـرـىـ مـثـلـ وـالـضـحـىـ وـأـلـمـ نـشـرـحـ»<sup>(٢)</sup>.

٧) واستدل أصحابـ هذاـ الرأـيـ بـأنـ الصـحـابةـ أـجـمـعواـ عـلـىـ المصـاحـفـ التـيـ كـتـبـتـ فـيـ عـهـدـ عـثـمـانـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ، وـحرـقـواـ مـاـ سـوـاهـاـ، وـلـمـ يـخـالـفـ مـنـهـ أـحـدـ لـ

(١) البرهان في علوم القرآن (١١/٢٥٧).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١١/٢٦٠).

في كلماته وآياته ولا في ترتيبه، وإن جماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف؛ لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم لكنهم لم يتمسكون بها بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم، وعدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها ورجعوا إلى مصحف عثمان رضي الله عنه وترتيبه جميماً الذي تحرّى فيه كل شيء الاقتداء برسول الله ﷺ وإبعاد الظن والبدعة<sup>(١)</sup>.

(٨) إن العقل لا يمكن أن يتصور أن هذا الكتاب المجيد الذي حظي بعناية وإجلال وتقديس في الملايين والأدئن بما لم يلقه كتاب سابق ترك دون أن توضع كل سورة منه في موضعها وموقعها الذي يلائمها<sup>(٢)</sup>.

### القول الثاني: أن ترتيب سور اجتهادي:

ذهب جماعة من العلماء أن ترتيب سور اجتهادي، اجتهد فيه الصحابة رضي الله عنهم في عهد عثمان رضي الله عنه ثم أجمعوا عليه، ولم يكن بتتوقيف من النبي ﷺ، ومن قال إنه اجتهادي: مالك<sup>(٣)</sup>، وأحمد بن فارس<sup>(٤)</sup>، والقاضي

(١) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن (ص ٥٤)، والإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، للدكتور محمد يوسف القاسم (ص ٢٦٩)، ومناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٣٥٤).

(٢) انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن (٤٥٣).

(٣) علماً بأن قول مالك أن اجتهادهم كان وفق ما سمعوه من النبي ﷺ وليس مجرد اجتهاد محض كما هو الظاهر من قوله، وهذا الذي جعل الزركشي في البرهان يقول: الخلاف بين الفريقين لفظي، ولكن منهم من جعله اجتهاداً محضاً من الصحابة، كما هو الظاهر من كلام ابن فارس، وأبي بكر الباقلي.

(٤) هو: العلامة أبو الحسين أحمد بن فارس الرّازِي اللغوي، من أئمة اللغة والأدب، له مصنفات قيمة منها «مختصر السير»، و«المجمل في اللغة»، و«مقاييس اللغة»، وغير ذلك، توفي سنة (٣٩٥هـ).

انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٤٧/٢)، والأعلام (١٩٣).

أبو بكر بن الطيب<sup>(١)</sup> فيما اعتمد من قوله واستقر عليه رأيه، وذكره مكي بن أبي طالب القيسي<sup>(٢)</sup> في تفسير سورة براءة، ونسبة ابن الزبير، والزرκشي، والسيوطى، وابن حجر العسقلانى لجمهور العلماء<sup>(٣)</sup>. قال ابن فارس: «جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور كتقدم السبع الطوال، وتعقيبها بالمئين فهذا الذي تولّته الصحابة، وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي تولاه النبي ﷺ كما أخبر به جبريل عليه السلام عن أمر ربه»<sup>(٤)</sup>، ونقل ابن عطية<sup>(٥)</sup> عن القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني قوله: «وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه من مشاركة من عثمان رضي الله عنه في ذلك، وقد ذكر ذلك مكي رحمة الله في تفسير سورة براءة في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة هذا أحد ما قيل في براءة. ثم قال: هذه الآثار تدل على أن السبع الطوال والحواميم والمفصل كان مرتبًا في زمن النبي ﷺ، وكان من السور ما لم يرتب؛ فذلك هو الذي رتب وقت كتابة المصحف»<sup>(٦)</sup>.

(١) هو: القاضي أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم القاضي البصري، وكان ثقة عارفًا بالكلام. صنف الرد على الرافضة والمعزلة والخوارج والجهمية، وهو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة المتكلم على لسان أهل الحديث وطريق الشيخ أبي الحسن الأشعري، توفي في ٤٠٣هـ. الواifi بالوفيات، للصدقي (١/٣٧٠).

(٢) هو: أبو محمد مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي، كان فقيهًا مقرئًا، غالب عليه علم القرآن وكان من الراسخين فيه، توفي سنة ٤٣٧هـ. انظر: الدبياج المذهب (١/٣٧٨).

(٣) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن (ص ٧٩)، والبرهان (١/٣٢٤)، والإتقان (١/٢١٧)، وفتح الباري (٩/٤٠).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٥٩)، والبرهان في علوم القرآن (١/٢٥٩)، والإتقان في علوم القرآن (١/١٧٠)، ومناهل العرفان (١/٢٤٤).

(٥) هو: القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطيه المحاربي الأندلسى الغرناطي، صاحب كتاب المحرر الوجيز في التفسير، توفي سنة ٤٦٥هـ. انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/٢٧٨).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/٤٧).

واستدلوا على قولهم بعدد من الأدلة أبرزها ما يلي:

**أولاً:** ما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال: (صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَفْتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ. ثُمَّ مَضَى. فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى. فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا. ثُمَّ افْتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرْسِلاً إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّاحٌ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ». فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى». فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ)<sup>(١)</sup>، فقرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران بدون الترتيب الذي في المصاحف.

**ثانياً:** واستدلوا بحديث ابن عباس رضي الله عنهمما قال: قُلْتُ لِعُثْمَانَ ابْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه: (مَا حَمَلْتُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى «الْأَنْفَالِ»؛ وَهِيَ مِنْ الْمُثَانِي، وَإِلَى «بَرَاءَةٍ»؛ وَهِيَ مِنْ الْمُبَيِّنَاتِ؛ فَقَرَأْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرٌ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ») وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطُّولِ، مَا حَمَلْتُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّورُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ؛ فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَإِذَا نَزَلتْ عَلَيْهِ الْآيَةَ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكِّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَّلِئِلِ مَا أُنْزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ؛ وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَيْهَةً يَقِصِّتُهَا فَظَنَنتُ أَنَّهَا مِنْهَا فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل برقم (١٨٥٠).

وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا؛ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرِنْتُ بَيْنَهُمَا؛ وَلَمْ أَكُتبْ بَيْنَهُمَا سَطْرٍ يُسْمِي اللَّهُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطَّوَالِ<sup>(١)</sup>.

قال القاضي عياض<sup>(٢)</sup>: «فيه دليل لمن يقول إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف، وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي ﷺ، بل وكله إلى أمته بعده. وقال: وهذا قول مالك وجمهور العلماء، واختاره القاضي أبو بكر الباقلانى، وقال: هو أصح القولين مع احتمالهما»<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: استدلوا بحديث يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيُّ فَقَالَ: أَيُّ الْكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيُحَكَّ وَمَا يَضُرُّكَ؟! قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَرِينِي مُصْحَّفَكِ . قَالَتْ: لَمْ؟ قَالَ: لَعَلَّيِ أُؤْلَفُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤْلَفٍ . قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيُّهُ قَرَأَتْ قَبْلُ؟... قَالَ: فَأَخْرَجْتُ لَهُ الْمُصْحَّفَ فَأَمْلَأْتُ عَلَيْهِ آيَ السُّورِ<sup>(٤)</sup>. ووجه الدلالة فيه أن

(١) رواه أبو داود برقم (٧٨٦)، والترمذى برقم (١١)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٠٧)، وأحمد في المسند برقم (٣٧٦)، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (١٥٢/٧)، والحاكم في المستدرك (ج ١/٢٢١) برقم (٣٢٣٠)، وابن حبان في صحيحه برقم (٤٣)، وابن جرير في تفسيره (١٠٢/١)، وقد ضعفه الشيخ أحمد شاكر، بل حكم عليه أنه لا أصل له؛ وضعفه الألبانى في ضعيف سنن الترمذى برقم (٥٩٩)، ويزيد الفارسي مجھول وقد انفرد بهذا الحديث، ومن قبل: ضعفه ابن عطية فقال: «هذا القول يضعفه النظر أن يختلف في كتاب الله مكتنا». المحرر الوجيز (٣/٣). وقد حسن بعض أهل العلم منهم الإمام الترمذى، وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجه (١/٢٢١)، وأورده ابن كثير في فضائل القرآن (ص ٧٢، ٧٣)، وقال (ص ١٤٣): «إسناده قوي جيد».

(٢) هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصي السبتي، أبو الفضل، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، وولي القضاء، له مصنفات قيمة، منها: «الشفاعة بتعريف حقوق المصطفى»، توفي سنة (٥٤٤هـ). انظر: الأعلام (٩٩/٥).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٦١)، وروح المعاني (١/٢٧).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن برقم (٤٩٩٣).

السائل كان يسأل عن ترتيب السور، بدليل قول عائشة له: وَمَا يُصْرُكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ لأن السلف متفقون على المنع من قراءة القرآن منকوساً، بأن يقرأ من آخر السورة إلى أولها، ولو كان السائل يسأل عن ترتيب الآي لأنكرت عليه عائشة قراءة القرآن غير مؤلف. ويُفهَمُ من هذا الحديث أن الناس كانوا يقرأون القرآن ويكتبونه من غير ترتيب لسوره حتى جمع عثمان مصحفه، وحمل الناس عليه.

رابعاً: واستدلوا باختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور قبل جمع المصاحف العثمانية، فكان مصحف علي بن أبي طالب مرتبًا على التزول، فأوله كان: «اقرأ»، ثم «المدثر»، ثم «ن»، ثم «المزمِّل»، ثم «تَبَّتْ»، ثم «التوكير» ثم «سبح»... وهكذا إلى آخر المكي ثم المدنى<sup>(١)</sup>، وكان مصحف ابن مسعود أوله: «البقرة»، ثم «النساء»، ثم «آل عمران» على اختلاف شديد، ولم يكن على ترتيب التزول، ومصحف أبي: «الفاتحة»، ثم «البقرة»، ثم «النساء»، ثم «آل عمران»، ثم «الأنعام»، وهكذا غيرهم. فقالوا: لو كان هناك ترتيب من النبي ﷺ ما اختلفت مصاحف الصحابة عن ترتيب النبي ﷺ، وكانت جميعاً على ترتيب واحد<sup>(٢)</sup>.

خامساً: قالوا: لو كان ترتيب السور بتوقف من النبي ﷺ لظهر وفشا ونُقل مثله، وفي العلم بعدم ذلك النقل دليل على أنه لم يكن منه توقف فيه<sup>(٣)</sup>.

سادساً: وكذلك قالوا: إنَّ الخلاف نقل في ترتيب السور دون ترتيب الآيات في سورها، مما يدلُّ على أنَّ أمر ترتيب السور مغاير لموضوع ترتيب الآيات.

(١) فتح الباري لابن حجر (٩/٧٩).

(٢) انظر: البرهان (١/٢٧٦)، والإتقان (١/٢٢٤)، وفتح الباري (٩/٥٣)، ومناهل العرفان (١/٣٥٣)، والتحرير والتنوير (١/٨٨).

(٣) نكت الانتصار لنقل القرآن، للقاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى (ص ٨٢).

### القول الثالث: أن ترتيب السور كان بعضها توقيفيًّا وبعضها كان اجتهادياً

ذهب جماعة من العلماء أن ترتيب السور منها ما هو توقيفي، ومنها ما هو اجتهادي، فما وردت فيه الأدلة على ترتيبه قلنا إنه توقيفي، وما لم يرد فيه دليل قلنا إن ذلك تركه النبي ﷺ لا جتهاد الصحابة، ونسب ابن عاشور<sup>(١)</sup> هذا القول للجمهور<sup>(٢)</sup>، قال الزركشي: «مال ابن عطية إلى أن كثيراً من السور كان قد علم ترتيبها في حياته ﷺ، كالسبعين الطوال، والحواميم، والمفصل، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده»<sup>(٣)</sup>. وقال أبو جعفر بن الزبير: «وظاهر الآثار شاهدة بصحة ما ذهب إليه في أكثر مما نص عليه ابن عطية ويفقىء قليل من السور يمكن فيها يجري الخلاف أو يكون وقع»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن حجر: «ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفياً... ثم ذكر حديث عثمان ثم قال: فهذا يدل على أن ترتيب الآيات في كل سورة كان توقيفياً، ولما لم يفصح النبي ﷺ بأمر براءة أضافها عثمان إلى الأنفال اجتهاداً منه رضي الله تعالى عنه»<sup>(٥)</sup>. وقال البيهقي<sup>(٦)</sup> في المدخل: «كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتبًا سورة وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة». وقال السيوطي

(١) هو: محمد بن الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، توفي سنة ١٣٩٣ هـ. انظر: الأعلام (٦/١٧٤).

(٢) قال: إن الجمهور جزموا بأن كثيراً من السور كان مرتبًا في زمان النبي ﷺ، مقدمة التحرير والتنوير (١/٨٨).

(٣) والملاحظ في قوله أنه لم يذكر شيئاً في الاجتهاد. البرهان في علوم القرآن (١/٢٥٥).

(٤) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن (ص ٨٢).

(٥) فتح الباري (٩/٥٣).

(٦) هو: أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الحافظ، أبو بكر البيهقي النيسابوري، حافظ كبير من أئمة الحديث، وأصولي نحير، زاهد ورع، من كتبه «السنن الكبرى»، و«السنن الصغرى»، و«دلائل النبوة» وغيرها، توفي سنة ٤٥٨ هـ. انظر: الأعلام (١/١١٦).

في الإتقان: «والذي ينسرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو أنَّ جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة الأنفال». وقد نصر هذا الرأي بشدة الشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان» فقال: «وقد ذهب إلى هذا الرأي فطاحل من العلماء، ولعله أمثلُ الآراء»<sup>(١)</sup>. وقال ابن العربي<sup>(٢)</sup> بعد أن ذكر حديث عثمان: «في هذا كله دليل على أن تأليف القرآن كان متولاً من عند الله، وأن تأليفه من تنزيله، يبينه النبي ﷺ لأصحابه، ويميِّزه لكتابه، ويرتبه على أبوابه، إلا هذه السورة فلم يذكر لهم فيها شيئاً، ليتبين الخلق أن الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يسأل عن ذلك كله، ولا يعرض عليه، ولا يحاط بعلمه إلا بما أبرز منه إلى الخلق، وأوضنه بالبيان. ودلل بذلك على أن القياس أصل الدين، ألا ترى إلى عثمان وأعيان الصحابة كيف لجأوا إلى قياس الشبه عند عدم النص، ورأوا أن قصة براءة شبيهة بقصة الأنفال، فأحقوا بها فإذا كان الله قد بيَّن دخول القياس في تأليف القرآن فما ظنك بسائر الأحكام؟»<sup>(٣)</sup>.

وقد اختلف القائلون بهذا القول في السور التي جاء ترتيبها عن توقيف وال سور التي جاء ترتيبها عن اجتهاد، فمنهم من نصَّ على أن الاجتهاد فقط في سورة التوبه والأنفال، مثل البيهقي والسيوطى وابن العربي، ومنهم من لم ينصَّ على ذلك لكنه لم يسمِّ غيرها، منهم ابن عطية وابن الزبير وابن حجر.

(١) (ج) ٣٥٧/١.

(٢) هو: الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمدالمعروف بابن العربي الأندلسي، كان مقدماً في جميع المعارف، حريصاً على أدائها ونشرها، توفي سنة (٤٣٥هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودي (١٨١/١).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٤٤٦).

## المبحث الثاني

### مناقشة أقوال العلماء في ترتيب السور مع الترجيح

انقسم موقف المحققين في النظر إلى اختلاف أقوال العلماء في ترتيب السور وترجح أحد الأقوال في عمومه إلى فريقين:

**الفريق الأول:** نظر في أدلة كل قول ورجح أحد الأقوال بقرائن ترجحت عندهم، كما سبق من بيان ما استدل به كل فريق لترجمح قولهم.

**الفريق الثاني:** نظروا إلى الخلاف على أنه لفظي أكثر من أنه عملي فهوّنوا منه، كما قال الزركشي: «والخلاف يرجع إلى اللفظ؛ لأن القائل بأن الترتيب كان عن اجتهاد منهم يقول: إنه رمز إليهم بذلك، لعلهم بأسباب نزوله، وموقع كلماته؛ ولهذا قال الإمام مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ، مع قوله بأن ترتيب سور اجتهاد منهم، فالخلاف إلى أنه: هل ذلك بتوقف قولي، أم بمجرد استناد فعلي، وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر». قال السيوطي: «وسبقه إلى ذلك أبو جعفر بن الزبير»<sup>(١)</sup>.

والظاهر أن الزركشي وابن الزبير يتحدثان عن الفترة التي سبقتهما من خلاف العلماء، كما هو ظاهر من قول مالك، أما الخلاف فيما جاء بعدهما ليس خلافاً لفظياً فقط لأنهم نصوا على أنه اجتهادي تولته الصحابة من بعد النبي ﷺ؛ ولذا كانت الحاجة إلى تحقيق وتحrir الموضوع من الأهمية بمكان؛ والذي يميل إليه الباحث؛ وإن تباينت أقوال العلماء في ذلك هو ترجح القول بأن ترتيب سور القرآن كلها توثيقٌ - والله أعلم - وذلك للآتي:

(١) الإتقان (١/١٧٢).

**أولاً:** قوة أدلة الفريق الأول ووضوحاً أنها سواء أكانت الأدلة النقلية، أو الأدلة العقلية، مع ضعف أدلة الفريق الثاني والثالث، إما من حيث السنن، أو من حيث الحجة والدلالة، كما سوف نبين ذلك بإذن الله تعالى.

**ثانياً:** لورود أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تشير إلى الترتيب الذي في المصايف اليوم منها قوله ﷺ: «اقرُّوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ»<sup>(١)</sup>. وعن عبد الرحمن ابن يزيد بن قيس قال: (سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفَ، وَمَرْيَمَ، وَطَهَ، وَالْأَنْبِيَاءِ: إِنَّهُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ) <sup>(٢)</sup> الأولى). وبما ورد كذلك عن النبي ﷺ: «كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَّا فِيهِمَا (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وَ(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) وَ(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدُأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) <sup>(٣)</sup>. وكقراءته في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين، كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عباسٍ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ (الَّمْ \* تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ وَ(هُلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَنِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ)، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ) <sup>(٤)</sup>. وفي رواية الترمذى وغيره: «أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بِ(سَيِّخِ أَسْمَرِيَّكَ الْأَعْلَى) وَ(هُلْ أَتَكَ حَدِيثُ الْغَشِيشَةِ) <sup>(٥)</sup>. وروي عن أنس رضي الله عنه

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم (١٣٣٧).

(٢) قوله: «من العتاق الأول» أي: من قديم ما نزل.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، برقم (٤٦١٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب: فضل المعوذات، برقم (٤٦٣٠).

(٥) رواه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: ما يقرأ في يوم الجمعة، برقم (٢٠٦٨).

(٦) رواه الترمذى برقم (٥٣٦)، وابن ماجه برقم (١١٧٤)، والن sai برقم (٦٣٧)، وأحمد في المسند

برقم (١٨٤٥٤)، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

رجاله ثقات رجال الشيوخين غير حبيب بن سالم فمن رجال مسلم (٤/٢٧٦)، وقال الترمذى: حديث

حسن صحيح (٢/٤٢٣).

أنه قال: وجد رسول الله ﷺ ذات ليلة شيئاً، فلما أصبح قيل: يا رسول الله إن أثر الوجع عليك لبيّن، قال: «أما إنني على ما ترون بحمد الله قد قرأت البارحة السبع الطوال»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: ومما رجح هذا الرأي قول سليمان بن بلال قال: «سمعت ربعة - هو ابن أبي عبد الرحمن، المعروف بربعة الرأي»<sup>(٢)</sup> - يسأل: لِمَ قَدِّمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضم وثمانون سورة بمكة، وإنما نزلتا بالمدينة؟ فقال: قدّمتا، وألف القرآن على علم ممن ألفه به، ومن كان معه فيه، واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا مما يتنهى إليه ولا يسأل عنه»<sup>(٣)</sup>. قال ابن وهب: وسمعت مالكا يقول: «إنما أَلْفَ القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

فهذا الأثر وما جاء فيه يرجح أن ترتيبه توقيفي؛ لأنه لو كان تم باجتهاد لبني ذلك الاجتهاد وفق معطيات واضحة، مثل: أن يرتب على حسب أسبقية النزول، أو الطول، أو القصر، أو الموضوعات، ولا نجد في ترتيب القرآن كل هذه المعطيات التي يمكن أن تبني عليها اتجهادات البشرية، وهذا يؤكّد أن ترتيبه من لدن حكيم خبير.

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (١٠٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٢٣٢٩)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم (١١٠٦)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط سلم، ولم يخرجاه» (ج ١٧٧ / ٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنيع النوائد حديث برقم (٣٦٤٩) وقال: «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات» (٣٢٣ / ٢)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٣٩٩٥).

(٢) هو الإمام، مفتى المدينة أبو عبد الرحمن القرشي التيمي مولاه، المشهور بربعة الرأي، كان فقيهاً عالماً بالحديث من أئمة الاجتهاد. توفي سنة (١٣٦ هـ). سير أعلام النبلاء للذهبي (٦ / ٨٩)، وشذرات الذهب (١٩٤ / ١).

(٣) فضائل القرآن (ص ٨٦)، والإتقان (١ / ٢٢٠)، وقال صاحب المقدمات الأساسية: «أثر صحيح آخرجه عمر بن شبة في تاريخ المدينة (١ / ١٠٦)» (ص ١٣٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ٥٩، ٦٠).

**رابعاً:** ومما يؤكد أن ترتيبه توقيفي أن الجمع الذي تم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وكذلك في عهد عثمان رضي الله عنه لم يكن لترتيب الآيات أو السور، وإنما كان لجمع القرآن في مصحف واحد في عهد أبي بكر، ونسخه في عدد من المصاحف في عهد عثمان، فلو كان هناك اجتهاد يتعلق بترتيب السور أو غير ذلك لنقل إلينا، كما نقل إلينا ما هو دونه بكثير.

**خامساً:** ما صحت به الروايات الصحيحة بأن النبي ﷺ كان له ورده اليومي من كتاب الله جل جلاله يحرص على قراءته حتى يختتم القرآن بين الحين والحين، وفق تحزيب معين للقرآن الكريم كما في حديث وفد ثقيف، وكان للصحابة الكرام رضي الله عنهم أورادهم اليومية، وتحزيبهم كذلك للقرآن وفق هديه ﷺ كما أشار حديث وفد ثقيف وغيره إلى ذلك، حيث جاء فيه: «قُلْنَا: مَا أَمْكَنْتَ عَنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَتَقْضِيهِ، قَالَ: فَسَأَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحْنَا، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: نُحَزِّبُهُ ثَلَاثَ سُورٍ، وَخَمْسَ سُورٍ، وَسَبْعَ سُورٍ، وَتَسْعَ سُورٍ، وَإِحدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبَ الْمُفَاصِلِ مِنْ قَافٍ حَتَّى يُخْتَمْ»، وكل ذلك يستلزم منه أن يكون له ترتيب محدد وهذا صار له طريقة متوافقة في تحزيبه مسترشدين بهدي رسول الله ﷺ في تحزيبه.

**سادساً:** إن القول بالتوقيف يزيد من ع神性 القرآن وجلاله، ويقوي الوحدة المعنوية بين سور الكتاب المبين وهي بارزة فيه، ويقطع الطريق أمام المشككين والطاعنين في كتاب الله المجيد؛ هذا إذا كانت الأقوال متوازية فكيف إذا كان القول بالتوقيف هو راجح، وليس هناك حكمة ظاهرة أن يدع الله سبحانه وتعالى مثل هذا لعباده، ولو كانوا صحابة نبيه الكريم فيما يتعلق بكتابه المجيد الذي حظي بالعناية الكاملة في السموات والأرض.

سابعاً: لأنَّ أدلة الفريق الثاني والثالث عليها ملاحظات وتعقيبات واضحة تضعف الاستدلال بها، وهي:

١) لأنَّ استدلالهم باختلاف ترتيب مصاحف الصحابة - إنَّ صَحٌ<sup>(١)</sup> - فلا يقوى لهم دليلاً فيما ذهبوا إليه؛ وذلك لأنَّه يمكن ردُّه بالآتي:

أ - أن ذلك كان قبل العرض الأخير؛ وربما يكون ذلك قبل علمهم بالتوقيف؛ الذي كان في نهاية الأمر بعد اكتمال نزول القرآن الكريم، حيث أثبتت فيه ما لم ينسخ، وما ثبت من قراءات في العرضة الأخيرة، وما استقرَّ عليه القرآن من حيث الترتيب، فقد جاءت المصاحف العثمانية على ما استقرَّ في العرضة الأخيرة في جميع الجوانب مما يمكن أن يكون لم يبلغ أبداً ابن مسعود كما لم يبلغهما نسخ ما وضعاه في مصاحفهما من القراءات التي تختلف المصحف العثماني، فالذى بين أيدينا هو المتفافق مع التلاوة والكتابة النبوية الذي استقرَّ عليه القرآن في عرضته الأخيرة، دون تلك الكتابات المترفة التي كانت لبعض الصحابة، وهي لم تَحظَ بتدقيق وعناية كما حظيت المصاحف العثمانية؛ لأنَّه لا يستطيع أحد منهم أن يدعى أنه باشر جميع ما نزل ولم يغب عنه شيءٌ، خاصة وقد كانوا في تلك الفترة أصحاب مهمات وأعمال أخرى في نصرة الدين، والقرآن كان ينزل منجماً، ومنه ما ينسخ بعد نزوله، وقد تكتمل سورة نزلت متأخرة قبل سورة نزلت متقدمة كالبقرة والتوبه، ولذا كان الواحد إذا غاب في سَرِيَّة أو أي مهمة ثم نزلت سورة أو آيات بعد أن يرجع تلقاها ثم كتبها في مصحفه.

ب - قالوا: الاختلاف بين مصاحف الصحابة إنَّ صَحٌ دليلاً على نفي التوقيف؛ وذلك لأنَّ مصاحف الصحابة كانت خاصة بهم ولم تكن عامة للناس، ولم

(١) لأنَّ الروايات التي نقلت في اختلاف مصاحف الصحابة عن ما جاء في المصاحف العثمانية جاءت في كتب لم يلتزم مؤلفوها بصحَّة الرواية؛ وقد تكلم العلماء في سندتها وبينوا ضعفها، وهو موضوع يحتاج أن يفرد بالدراسة والتحقيق، وليس مجال هذا البحث يسع لذلك.

تكن مصاحفهم للتلاوة وإنما كانت للعلم، ولذا أثبتو فيها مع القرآن بعض مسائل العلم من التأویلات، وما نسخت تلاوته، وبعض المأثورات من الأدعية، فهي إلى کتب العلم أقرب منها إلى المصاحف المجردة، ومن هنا وجدنا الذين استنسخوا المصاحف العثمانية لم يعتمدوا عليها في جمع القرآن، سواء كان ذلك في ترتيب السور أو الآيات، بل اعتمدوا على جمع أبي بكر؛ الذي اعتمد على ما جمع بين يدي النبي ﷺ، فهم «لم يكونوا يكتبونها للناس إنما كانوا يكتبونها لأنفسهم»، فبدهي أن الواحد منهم لم يثبت فيها إلا ما وصل إليه بمجهوده الفردي، وقد يفوته ما لم يفت سواه من تحقيق أدق أو علم أوسع، ولهذا كان يوجد بتلك المصاحف الفردية بعض آيات قد تكون منسوبة وربما لم يبلغ صاحب ذاك المصاحف نسخها، وقد يهمل صاحب المصاحف إثبات سورة لشهرتها وغناها بهذه الشهرة عن الإثبات كما ورد أن مصحف ابن مسعود لم تكن به الفاتحة<sup>(۱)</sup>، وقد يكتب صاحب المصاحف ما يرى أنه بحاجة إليه من غير القرآن في نفس المصاحف كما تقدم ذلك في قنوت الحنفية الذي روي أن بعض الصحابة كان قد كتبه بمصحفه وسماه سورة الخلع والحدف<sup>(۲)</sup>.

ج - أن مصحف عثمان رضي الله عنه لو كان اجتهادياً لما وافقوه على ذلك؛ لأنه ليس لمجتهد أن يقلد مجتهداً آخر، كما هو مقرر عند الأصوليين، فلما عدلوا جميعاً عن مصاحفهم، وساروا على ما سار عليه الصحابة جميعاً، ووافقو على مصحف عثمان رضي الله عنه، وما فيه من لفظ وترتيب، وترك ما سواه، بل أجمعوا على فعله، ومعلوم بأن الإجماع لا بد له من مستند يستند إليه من كتاب أو سنة أو قياس؛

(۱) وكان في مصحف ابن مسعود اثنتا عشرة سورة لم يكن فيها المعوذتان، لشبهة الرقية. وجوابه رجوعه إليهم، وما كتب الكل، وفي مصحف أبي ست عشرة وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كال سورتين. انظر: البرهان (۱/ ۲۶۸).

(۲) مناهل العرفان (۱/ ۳۶۰)، وأسرار ترتيب القرآن (۱/ ۷۳).

لأن «الإجماع لا يخلو عن نص خفي أو جلي قد اختصه»<sup>(١)</sup> فإن ذلك يدل على أن إجماعهم قام على دليل من الوحي؛ لأنه لو كان الترتيب تم بالاجتهاد لظهرت بواحد الاختلاف في مثل هذا الموضوع الذي يصعب الاجتماع عليه بدون نص<sup>(٢)</sup>. قال الألوسي<sup>(٣)</sup>: «وإجماع الصحابة في المال على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولاً من بعضهم على غيره من الأساليب وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل، ولا يصدّهم عن اتباع الحق لوما لائمه ولا قول قائل أقوى دليلاً على أنهم وجدوا ما أفادهم علمًا ولم يدع عندهم خيالاً ولا وهما»<sup>(٤)</sup>.

٢) وأما استدلالهم بقراءة النبي ﷺ في صلاة الليل في حديث حذيفة، فهو ليس دليلاً في محل النزاع؛ لأننا نتحدث عن ترتيب السور في المصحف، وهذا عن ترتيب السور في الصلاة، ولعل النبي ﷺ فعل ذلك ليدل على جواز التقديم والتأخير بين السور في الصلاة.

٣) أما استدلالهم بحديث ابن عباس في قوله لعثمان بن عفان: «ما حملكم أنْ عَمَدْتُم إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةَ وَهِيَ مِنَ الْمَيْنَنَ فَقَرَنْتُم بَيْنَهُمَا...» الذي هو حجة الفريق الثالث كما نص على ذلك البيهقي والسيوطى في سبب اختيارهم للقول الثالث، وهو أقوى دليل للفريق الثاني الذين قالوا بالاجتهاد، بل هو عمدتهم وبرهانهم، فالاستدلال بحديث عثمان بعد النظر والدراسة هو من أوهى ما اعتمدوا عليه؛ وذلك لأنه يمكن الجواب عنه من جهتين: جهة السند، وجهة المتن.

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١٩٧/١).

(٢) انظر: أسرار ترتيب القرآن، للسيوطى (١/٧٣)، والمناسبات بين الآيات والسور فوائدتها وأنواعها وموقف العلماء منها، د. سامي عطا حسن (٧/١).

(٣) هو: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، نحوى، مفتى بغداد، من تصانيفه القيمة (روح المعانى في تفسير القرآن والسبع المثانى) في تسع مجلدات، و«الأجوبة العراقية»، و«حاشية على شرح القطر فى النحو». توفي سنة (١٢٧٠هـ). انظر: معجم المؤلفين (١٢/١٧٥).

(٤) روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى (١/٢٦).

**الجهة الأولى:** من حيث السنّد: الذي رواه الترمذى وغيره بسنّد قال: حدثنا مُحَمَّدٌ بْنُ شَارِ، حدثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدٌ بْنُ جَعْفَرٍ، وَابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، وَسَهْلٌ بْنُ يُوسُفَ، قالُوا: حدثنا عوف بْنُ أَبِي جَمِيلَةَ، حدثنا يَزِيدُ الْفَارَسِيُّ، حدثنا ابْنُ عَبَّاسٍ، قال: قُلْتُ لِعُمَانَ بْنِ عَفَانَ: مَا حَمَلْكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةَ وَهِيَ مِنَ الْمَيْنَ فَقَرَرْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرًا سُمِّ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَوَضَعْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطُّولِ...».

**أولاً:** ففي سنده راويان فيهما مقال، الأول: هو عوف الأعرابي الذي قال عنه الذهبي<sup>(١)</sup> في ميزان الاعتدال في نقد الرجال: «عوف الأعرابي: قيل: كان يتشيع، وقد وثقه جماعة، وجرحه جماعة، وكان داود بن أبي هند<sup>(٢)</sup> يضرره ويقول: ويلك يا قدرى». وقال بندار<sup>(٣)</sup> وهو يقرأ حديث عوف: «والله لقد كان عوف قدرياً، راضياً، شيطاناً»<sup>(٤)</sup>، وقال مسلم<sup>(٥)</sup> في مقدمة صحيحه: «إذا وازنت بين القرآن كأبن عون

(١) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، حافظ، مؤرخ، عالمة محقق، له مصنفات كثيرة، منها: «سير أعلام النبلاء»، و«تذكرة الحفاظ»، و«طبقات القراء» وغيرها، توفي سنة (٧٤٨) هـ. انظر: شذرات الذهب (٦/١٥٣)، والأعلام (٥/٢٣٦).

(٢) هو: داود بن أبي هند واسمها: دينار بن عدادر القشيري مولاه البصري، أبو بكر ويقال: أبو محمد، وكان ثقةً متقدناً كثير الحديث مفتى أهل البصرة، توفي سنة تسع وثلاثين ومائة، وقيل: سنة أربعين ومائة بطريق مكة. وروى له مسلم والأربعة. انظر: الروايات بالوفيات (٤/٤١٧)، وطبقات الحفاظ للسيوطى (١٠/١).

(٣) هو: بندار محمد بن بشار بن عثمان بن كيسان أبو بكر البصري، شيخ الأئمة الستة، وروى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، توفي سنة (٢٥٢) هـ. انظر: التاريخ الكبير (١/٤٩)، الأعلام للزرکلي (٢/٧٥).

(٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (٤/٤١٨).

(٥) هو: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، أبو الحسن التيسابوري، الإمام الحافظ، صاحب الصحيح، انظر: وفيات الأعيان (٥/١٩٤)، وتذكرة الحفاظ (٢/٥٨٨).

وَأَيُّوبَ السَّخْتَنَانيَّ مَعَ عَوْفَ بْنَ أَبِي حَمِيلَةَ، وَأَشْعَثَ الْحُمْرَانِيَّ وَهُمَا صَاحِبَا الْحَسَنِ وَابْنِ سِيرِينَ كَمَا أَنَّ ابْنَ عَوْنَى وَأَيُّوبَ صَاحِبَاهُمَا إِلَّا أَنَّ الْبَوْنَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ هَذِينَ بَعِيدٌ فِي كَمَالِ الْفَضْلِ وَصِحَّةِ النَّقلِ»<sup>(١)</sup>.

والثاني: فهو يزيد الفارسي: فقد اختلف فيه: هل هو ابن هُرْمز أم غيره، قال عنه الترمذى في سنته: «هَذَا حَدِيثُ حَسَنٍ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَوْفٍ، عَنْ يَزِيدِ الْفَارِسِيِّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَيَزِيدُ الْفَارِسِيُّ قَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ غَيْرَ حَدِيثٍ، وَيُقَالُ: هُوَ يَزِيدُ بْنُ هُرْمزَ، وَيَزِيدُ الرَّفَاقِيُّ هُوَ يَزِيدُ بْنُ أَبَانَ الرَّقَاشِيِّ، وَلَمْ يُدْرِكْ ابْنَ عَبَّاسٍ، إِنَّمَا رَوَى عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ، وَكَلَّا هُمَا مِنَ التَّابِعِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَيَزِيدُ الْفَارِسِيُّ أَقْدَمُ مِنْ يَزِيدَ الرَّفَاقِيِّ»<sup>(٢)</sup>، والحديث تفرد به عوف عن يزيد الفارسي، وقد أشار الترمذى إلى الاختلاف في يزيد الفارسي هل هو ابن هُرْمز أو غيره، بما يبين جهالة حاله؛ ولذا اختلف فيه أهل الحديث. فسواء بينهما عبد الرحمن بن مهدي<sup>(٣)</sup>، وأحمد بن حنبل<sup>(٤)</sup>، وابن حبان<sup>(٥)</sup> وغيرهم.....

(١) صحيح مسلم (١/٢).

(٢) سنن الترمذى: كتاب: تفسير القرآن، سورة التوبة برقم: (٣٠٨٦) (ج ١١ / ٣٤٢).

(٣) هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان أبو سعيد البصري اللؤلؤي الحافظ، روى عن شعبة ومالك وخلق، وهو إمام ثقة، قال ابن المدينى: أخلف بالله ما بين الركن والمقام إنني لم أر أحداً قط أعلم بالحديث من ابن مهدي، مات بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر: الدبياج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (١/٨٥)، وطبقات الحفاظ (١/٢٥).

(٤) هو: أحمد بن حنبل بن هلال أبو عبد الله الشيباني، إمام المحدثين، صاحب المسند، والمذهب المشهور، ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع، توفي سنة (٢٤١) هـ. انظر: وفيات الأعيان (١/٦)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٨/٣٢٦).

(٥) هو: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي البستي، ويقال له: ابن حبان، عالمة مؤرخ محدث، من كتبه « الصحيح ابن حبان »، و« روضة العقولاء » و« الثقات » وغيرها، توفي سنة (٤٣٥) هـ. انظر: شذرات الذهب (٣/١٦)، والأعلام (٦/٧٨).

ما قال ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup>: «يزيد بن هُرْمز، اختلفوا فيه، هل هو يزيد الفارسي أم لا؟» فقال عبد الرحمن بن مهدي، فيما سمعت أبي يحبي عن علي ابن المديني<sup>(٢)</sup> عنه أنه قال: يزيد الفارسي، هو يزيد بن هرمز، وكذا قاله أحمد بن حنبل<sup>(٣)</sup>. وقال ابن حبان: «يزيد بن هرمز المدني، هو الذي يروي عنه عوف الأعرابي، ويقول: حدثنا يزيد الفارسي، عن ابن عباس. وأنكر يحيى بن سعيد القطان<sup>(٤)</sup>، ويحيى بن معين<sup>(٥)</sup>، وأبو حاتم أن يكونا واحداً»<sup>(٦)</sup>. قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: «يزيد بن هُرْمز هذا ليس بيزيد الفارسي، هو سواه، وكان يزيد بن هُرْمز من أبناء الفرس الذين كانوا بالمدينة وجالسوأبا هربرة، وليس هو بيزيد الفارسي البصري الذي يروي عن ابن عباس، روى عنه عوف الأعرابي»<sup>(٧)</sup>.

(١) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس، شيخ الإسلام، أبو محمد الرazi، من كبار حفاظ الحديث، كان إماماً في معرفة الرجال، من تصانيفه: «الجرح والتعديل» و«التفسير» عدة مجلدات، و«الرد على الجهمية» كما صنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين، توفي سنة (٥٣٢٧هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٤٦/٣)، وطبقات الحنابلة (٥٥/٢)، والأعلام للرزكلي (٩٩/٤).

(٢) هو علي بن عبد الله بن جعفر السعدي المديني البصري أبو الحسن، محدث مؤرخ، كان حافظ عصره، له نحو مئتي مصنف، توفي سنة (٢٣٤هـ). انظر: ميزان الاعتدال (٢٢٩/٢)، والأعلام (٣٠٣/٤).

(٣) الثقات لابن حبان (٥٣١/٥).

(٤) هو يحيى بن سعيد القطان التميمي البصري، الحافظ أحد الأئمة النقاد، كان من سادات أهل زمانه حفظاً وورعاً وفهمأً وفضلاً ودينأً وعلمأً، وهو الذي مهد لأهل العراق رسم الحديث، وأمعن في البحث عن الثقات والضعفاء، مات سنة (١٩٨هـ). انظر: تاريخ أسماء الثقات، لابن شاهين (٩/١)، وال عبر في خبر من غير، للذهبي (٦١/١)، وطبقات الحفاظ (٢٣/١).

(٥) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد المري، أبو زكريا، من أئمة الحديث، ومؤرخي رجاله، من كتبه: «التاريخ والعلل»، و«معرفة الرجال»، و«الكتنى والأسماء» وغيرها. انظر: تذكرة الحفاظ (٢/١٦)، والأعلام (٨/٨)، (١٧٢).

(٦) انظر: التاريخ الكبير (٤/٤)، (٣٦٧/٢).

(٧) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/٢)، (٢٩٣).

وعدهما البخاري<sup>(١)</sup> واحد في الترجمة وأثبتهما في الضعفاء بالاسمين: ابن هرمنز والفارسي<sup>(٢)</sup>، فهما ضعيفان عنده. وقال عنه الهيثمي<sup>(٣)</sup> في «مجمع الزوائد»: «يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف»<sup>(٤)</sup>. وقال فيه النسائي<sup>(٥)</sup> والحاكم أبو أحمد<sup>(٦)</sup>: «متروك الحديث». وقال النسائي أيضاً: «ليس بشقة». وقال فيه شعبية<sup>(٧)</sup> قوله فاحشاً إذ قال: «لأن أذني أحب إلي من أن أحدث عن يزيد الرقاشي»<sup>(٨)</sup>. وقال في رواية: «لأنْ أقطع الطريق أحبُّ إلى من أنْ أروي عن يزيد الرقاشي»<sup>(٩)</sup>.

(١) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة مولاهم البخاري، صاحب الصحيح. انظر: تذكرة الحفاظ (٥٥٥/٢)، والنقات (٩/١١٣).

(٢) الضعفاء الصغير، للبخاري، ترجمة (٤٠٧) (ص ١٢٢).

(٣) هو: الإمام الحافظ أبو الحسن نور الدين على بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيثمي. وكان إماماً عالماً حافظاً زاهداً متواضعاً مودداً إلى الناس، ذا عبادة وتقشف وورع، من مؤلفاته القيمة «مجمع الزوائد ونبأ الفوائد»، توفي سنة (٨٠٧هـ). انظر: معرفة النقاط (١٤٥ - ١٤٨)، ولسان الميزان، لابن حجر العسقلاني (٣/١٥٠).

(٤) (١٥٨/٧).

(٥) هو: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، الحافظ الحجة، صاحب السنن، توفي سنة (٣٠٣هـ). انظر: طبقات الحفاظ (ص ٣٠٦).

(٦) هو: محمد الحكم بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري، الكرايسي، المعروف بالحاكم (أبو أحمد) محدث، حافظ، من تصانيفه الكثيرة: «الأسماء والكتنى» في عدة مجلدات، العلل، «كتاب الشروط»، المخرج على كتاب المزنى، و«شرح الجامع الصحيح للبخاري». توفي سنة (٣٧٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٢٤٢ - ٢٤٠)، معجم المؤلفين، عمر رضا كحال (١٨٠/١١).

(٧) هو: أبو سطام شعبة بن الحجاج بن ورد العتكبي مولاهم، ثقة حافظ متقن عابد، شيخ البصرة وأمير المؤمنين في الحديث. توفي سنة ستين ومائة. انظر: التقريب (ص ٢٦٦)، ووفيات الأعيان (٣/١٤٦).

(٨) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (٣/٢٠٦).

(٩) الضعفاء للعقلي (٤/٣٧٣).

وفي تقريب التهذيب قال ابن حجر: «يزيد بن أبان الرقاشي أبو عمرو البصري القاصُّ بتشديد المهملة زاهد ضعيف من الخامسة، مات قبل العشرين»<sup>(١)</sup>. وقال البوصيري<sup>(٢)</sup>: «هذا إسناد فيه يزيد بن أبان الرقاشي، وقد أجمعوا على ضعفه»<sup>(٣)</sup>. وقال الدارقطني<sup>(٤)</sup>: «ضعف». وقال ابن سعد: «كان ضعيفاً قدرياً». وقال عنه ابن معين: «ضعف وليس حديثه بشيء». وقال الإمام أحمد: «كان يزيد منكر الحديث». وقال أبو حاتم: «كان واعظاً بكاء وفي حديثه ضعف». وقال ابن حبان: «كان من خيار عباد الله من البكائيين بالليل، لكنه غفل عن حفظ الحديث شغلاً بالعبادة حتى كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبي ﷺ، فلا تحل الرواية عنه إلا على جهة التعجب»<sup>(٥)</sup>.

قال الذهبي: «وأما يزيد فقد اختلفوا فيه، هل هو ابن هرمز أو غيره..؟ وقد ذكره البخاري في كتاب الضعفاء، باسم: يزيد الفارسي، لاشتباهه فيه، وحيث إنه قد انفرد بهذا الحديث، فلا يتحرج به في شأن القرآن، الذي يطلب فيه التواتر». وقال الذهبي:

(١) تقريب التهذيب (٣/٩٦).

(٢) هو: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري، الكتاني، الشافعي، شهاب الدين، أبو العباس محدث، جمع زوائد ابن ماجه على باقي الكتب الخمسة مع الكلام على أسانيدها، وزوائد السنن الكبرى للبيهقي على الستة في مجلدين، وزوائد مسانيد الطیالسی وأحمد ومусعود وغيرهما، وله «تحفة الحبيب للحبيب بزوائد في الترغيب والترهيب»، توفي سنة (٨٤٠هـ).

انظر: الأعلام (١١/١٠٤)، معجم المؤلفين (١/١٧٥).

(٣) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للبوصيري (ج ١/٥٥).

(٤) هو: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي أبو الحسن، المقرئ المحدث المجود شيخ الإسلام الإمام الحافظ. انظر سير أعلام النبلاء (٣/٨٥١)، ووفيات الأعيان (٣/٢٩٧).

(٥) انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/٢٢٧)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٣٦٧).

«قال فيه النسائي وغيره: متروك». وقال الدارقطني وغيره: «ضعيف»<sup>(١)</sup>. وقال الشيخ أحمد شاكر<sup>(٢)</sup> في تحقيقه للمسند بأن الحديث في إسناده نظر؛ بل هو ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له، وذكر عللها وأفاض الشيخ في توهين ذلك الحديث وتقرير أنه لا أصل له حيث قال: «فهذا يزيد الفارسي الذي انفرد برواية هذا الحديث، يكاد يكون مجهولاً، حتى شبه على مثل ابن مهدي وأحمد والبخاري أن يكون هو ابن هرمز أو غيره... فلا يقبل منه مثل هذا الحديث ينفرد به، وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي... وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك. ثم قال: فلا علينا إذا قلنا إنه حديث لا أصل له... فلا عبرة في هذا الموضع بتحسين الترمذى، ولا بتصحیح الحاکم<sup>(٣)</sup>، ولا بموافقة الذهبي، وإنما العبرة للحجۃ والدلیل»<sup>(٤)</sup>. والحاکم نفسه ذكره في موضع فقال: صحيح على شرط الشیخین، وقال في الموضع الثاني: صحيح الإسناد، ولم یخرج الشیخان لیزید الفارسی، وإنما روی مسلم فقط لیزید ابن هرمز.

(١) انظر: الضعفاء والمتروكين للنسائي (١١٠)، وميزان الاعتدال في نقد الرجال (٤١٨/٤)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (١١/٢٧٢ - ٢٧٠)، والكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (٧/٢٧١٢)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/٢٥١)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٢٤٥)، وتقريب الدهذيب (١/٥٩٩) و(٢/٣٢٠)، والتاريخ الكبير (٨/٣٢٠)، والمغني في الضعفاء، للذهبي (٢/٧٤٧).

(٢) هو الأستاذ المحدث أبو الأشباع الشیخ أحمد بن محمد شاكر بن عبد القادر، درس في السودان بكلية غوردن، ثم التحق بالأزهر واستفاد من شيوخه حتى حاز على الشهادة العالمية من الأزهر سنة (١٩١٧م) وقد أثرى المكتبة الإسلامية بأبحاثه القيمة وتحقيقه لأمهات الكتب المفيدة، وكانت وفاته في السادس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة (١٣٧٧هـ) الموافق (١٩٥٨م). انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرین (١/٢٨).

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدویه بن نعیم، الشهیر بالحاکم، من أکابر حفاظ الحديث والمصنفین فيه، من کتبه (المستدرک على الصحيحین)، و«فضائل الشافعی»، توفي سنة (٤٠٥هـ). انظر: ميزان الاعتدال (٣/٨٥)، والأعلام (٦/٢٢٧).

(٤) مسند الإمام أحمد بتحقيق الشیخ أحمد شاكر (١/٣٩٩ - ٤٠١).

فالحديث من حيث السنن ضعيف، إما لضعف يزيد بن هرمز إن كان هو نفسه يزيد الفارسي، أو لجهالته إن كان غيره، وكذلك لضعف عوف الأعرابي الذي بين الذبي أنه شيعياً قدرياً. وقال بندار: «والله لقد كان عوف قدرياً، رافضياً، شيطاناً»، ولهذا قال الدكتور صبحي الصالح<sup>(١)</sup>: «لا يستند القسم الاجتهادي إلى دليل صحيح، بل يعتمد على حديث ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له»<sup>(٢)</sup>. وهذا الحديث مع ضعفه الذي لم يرتضيه إلا القليل من علماء الحديث الذين قوموه، ولم يخرجوه عن أقل درجات القبول، كما قال عنه ابن حجر في «تقريب التهذيب» إنه مقبول<sup>(٣)</sup>، ونقل في التهذيب عن أبي حاكم أنه لا يأس به<sup>(٤)</sup> قد تفرد بروايته يزيد الفارسي كما ذكر ذلك الترمذى؛ فإذا كان الحديث بهذه المكانة من الضعف بعد أن عرفنا حال من تفرد به، فكيف نقبله ونترك تلك الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ في أمر يتعلق بالقرآن الكريم الذي هو في أعلى درجات القمة نقاً، ونظمأً، وترتباً، ويتعلق كذلك بعدم بيان وتبلیغ الرسول ﷺ لشيء من القرآن الكريم، ولو كان ذلك في شيء يتعلق بترتيب سوره... الذي أمر ببلاغ القرآن كاملاً كما أنزل عليه كما قال تعالى: ﴿بَيَّنَاهَا الرَّسُولُ بَلَغَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رِبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتِ رسالَتِهِ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]<sup>(٥)</sup>، فلا

(١) صبحي الصالح، هو: ابن إبراهيم الصالح، عالم، باحث، كاتب، داعية، ونال الدكتوراه في الآداب عام ١٩٥٤م)، وعمل أستاذاً للإسلاميات وفقه اللغة في الجامعة اللبنانية، وكان الأمين العام لرابطة علماء لبنان، وله العديد من المؤلفات، اغتيل سنة ١٩٨٦هـ/١٤٠٧م). انظر: السنة النبوية مكانتها وأثرها في حياة مسلمي البوسنة والهرسك (١٨٤/٧).

(٢) مباحث في علوم القرآن الكريم (ص ٧٢، ٧٣).

(٣) تقريب التهذيب (٣/١٧٥).

(٤) تهذيب التهذيب (١١/٣٧٤).

(٥) انظر: الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن (١/١٧٤).

يحتاج بمثله في أمر القرآن الذي يحتاج إلى التواتر، وقد قال الخطيب<sup>(١)</sup> في كتاب الكفاية: «لا يقبل خبر الواحد في منفأة حكم العقل، وحكم الثابت المحكم، والسنة المعلومة، والفعل الجاري مجرى السنة، وكل دليل مقطوع به. وكثيراً ما يضعف علماء الحديث راوياً لأنفراده برواية حديث يخالف المشهور من الروايات»<sup>(٢)</sup>.

والجهة الثانية: من حيث المتن: فإنه يحمل تناقضًا ظاهراً واضطراباً بيناً، ينقض آخره أوله، كما يحمل طعناً في الثابت المجمع والمتفق عليه بين العلماء كالتوقيف في ترتيب الآيات، وفي وضع البسملة في فواحة السور، وإليك بيان ذلك من عدة وجوه:

### أولاً: التناقض والاضطراب:

أ - إنَّه أثبتَ لِلأنفَالِ وبراءةِ اسْمَيْ مُخْتَلِفِيْنِ، قال الباقلاَنِي: «وقد تضمن ذلك آنَّهَا سُورَتَانٌ؛ لأنَّه سَمِّيَ كُلُّ واحِدَةٍ بِاسْمِهَا»<sup>(٣)</sup>، وقد سمى رسول الله ﷺ كلاًّ منهما باسم خاص، وقد قام الإجماع على أن سورة الأنفال سورة برأسها غير سورة التوبه؛ ولذا قال الزركشي: «إنَّ عدَدَ سُورَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بِإِتْفَاقِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَدْمِ مائَةً وَأَرْبَعَ عَشَرَةً سُورَةً»<sup>(٤)</sup>. وقال السيوطي: «أَمَّا سُورَهُ فِمَايَهُ وَأَرْبَعَ عَشَرَهُ سُورَهُ بِإِجْمَاعٍ مِنْ يُعْتَدُ بِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الخطيب البغدادي هو: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن محمد بن مهدي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات، كان من الحفاظ المتقنيين والعلماء المتبحرين ولو لم يكن له سوى التاريخ لكتفاه، وكان فقيهاً فغلب عليه الحديث. توفي سنة (٤٦٣ هـ). انظر: وفيات الأعيان وأئمة أبناء الزمان (١/٦٩).

(٢) الفتح الرباني (٢/١٥٥).

(٣) انظر: نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاَنِي (ص ٨٢).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/٢٥١).

(٥) الإتقان (١/١٧٧).

ثم جاء في الأثر ما يفيد أن عثمان ظن أن براءة من الأنفال فقرأها بها على أنهم سورة واحدة كما في سؤال ابن عباس: «فَقَرَّنْتُمْ بَيْنَهُمَا؛ وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرًا»<sup>١</sup> بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطَّوْلِ، مَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟»، وجاء في رد عثمان: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمَدِينَةُ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تَنْزِيلٌ عَلَيْهِ السُّورُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ؛ فَكَانَ إِذَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دُعَا بَعْضُ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: ضَعُوا هُؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَإِذَا نَزَّلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةَ فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَتْ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَّلِي مَا نَزَّلْتُ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةً مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ؛ وَكَانَتْ قِصْصَتُهَا شَبِيهَةً بِقِصْصَتِهَا فَظَنَّتْ أَنَّهَا مِنْهَا فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا؛ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا؛ وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرًا»<sup>٢</sup> بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطَّوَالِ»، وهذا تناقض واضطراب؛ ولو كان الأمر كما جاء في الأثر لجعلنا سورة واحدة باسم واحد، الواقع يخالف ذلك، وابن عباس نفسه ورد عنه في الصحيح أنه جعل كل سورة منهما سورة لحالها، كما جاء عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة التوبة قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل ومنهم ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تُبْقَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فيها. قال: قلت: سورة الأنفال. قال: نزلت في بدري. قال: قلت: سورة الحشر. قال: نزلت فيبني النمير<sup>(١)</sup>. والحديث مع اضطرابه فيه كذلك تشكيك في ترتيب آيات سور القرآن الكريم الثابت ذلك بالإجماع.

ب - قد بيَّنَ الحديث في أوله أنَّ النبي ﷺ كان لا يدع شيئاً ينزل من القرآن الكريم إلا وبين موضعه من حيث الترتيب كما جاء في الحديث فَيَقُولُ: «ضَعُوا هُؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَإِذَا نَزَّلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةَ فَيَقُولُ:

(١) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: (الجلاء) الإخراج من أرض إلى أرض، برقم (٤٨٨٢).

ضعوا هذِه الآيَة فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا». وجاء في آخره أنه لم يبين ما يتعلق بالأَنفَال وبراءة، فقال: «فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا»، فهو مع ما فيه من تناقض يحمل اتهاماً للنبي ﷺ في عدم البلاغ الكامل للقرآن الكريم.

ج - قوله: «فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا» بعيد، إذ الأَنفَال نزلت في السنة الثانية عقب غزوَة بدر، والتوبَة نزلت في أواخر السنة التاسعة بعد غزوَة تبوك، وبعد خروج أبي بكر للحج على رأس المسلمين، فكيف يعقل أن يظلَّ الرسُول ﷺ زهاء خمسة عشر شهراً ولا يبيِّن للنَّاس أنها منها، أو من غيرها..؟ إنه يكون بذلك قد تأخر عن البيان وقت الحاجة إليه، بل انتقل إلى الرفيق الأعلى قبل البيان، وحاشاه ﷺ أن يفعل ذلك، مع ورود الأحاديث الصاححة بأنه كان يعرض القرآن كله في رمضان من كل عام على جبريل عليه السلام، وعرضه في العام الذي توفي فيه مرتين، وحينئذ فأين كان يضع هاتين السورتين في قراءته حينما كان يعرضهما على جبريل عليه السلام..؟ وزيد كان قد شهد هذه العرضة الكاملة، وقرأ القرآن بعدها كاملاً على النبي ﷺ.

قال الرازِي: قال القاضي: «يعدُّ أن يقال: إنه عليه السلام لم يبيِّن كون هذه السورة تالية لسورة الأَنفَال؛ لأنَّ القرآن مرتبٌ من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله على الوجه الذي نقلَّ، ولو جَوَزْنَا في بعض السور أن لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي، لجُوزَنا مثله في سائر السور وفي آيات السورة الواحدة، وتجمُّيزه يعْضُدُ ما يقوله الإمامية من تجمُّيز الزيادة والتقصان في القرآن. وذلك يُخرجُه من كونه حجة، بل الصحيح أنه عليه السلام أمر بوضع هذه السورة، بعد سورة الأَنفَال وحِيًّا، وأنَّه عليه السلام حذفَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من أول هذه السورة وحِيًّا»<sup>(١)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (٣٢١ / ١٦).

د - قوله: «فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا» تفيد كأن هذا الجمع تم باجتهاد عثمان رضي الله عنه دون مشاورة من الصحابة، والواقع الذي نقل يكذب ذلك ويرده، وقد صحت الأدلة التي تؤكد إسناد عثمان رضي الله عنه جمع القرآن الكريم إلى لجنة من كبار القراء وأشرف عليهم، وأن عثمان رضي الله عنه ما فعل إلا باستشارة الصحابة رضي الله عنهم، وما كان ليستبد برأي أو يجتهد مع نص، وما اعترض معترض على ذلك، كما أن الذي ثبت عن عثمان رضي الله عنه خلاف ذلك كما في سؤال ابن الزبير رضي الله عنه قال: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا يَرَبَّصُنَّ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةً شَهْرٍ وَعَشَرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] قال: قَدْ سَخَّنَتْهَا الْآيَةُ الْأُخْرَى<sup>(١)</sup> فَلِمَ تَكْتُبُهَا أَوْ «تَدْعُهَا»<sup>(٢)</sup>؟ قال: يَا بْنَ أَخِي، لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ<sup>(٣)</sup>. فكان رده أن هذا القرآن جاء ترتيبه هذا من النبي ﷺ وأنه لا يغير من ذلك الذي سمعه شيئاً، وهنا أن عثمان رضي الله عنه تعامل مع ترتيب القرآن بظنه واجتهاده حيث ظنهما سورة واحدة؛ ولذا ترك البسمة بينهما، وأن جميع الروايات التي جاءت عن جمع الصحابة للقرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق، وفي عهد عثمان رضي الله عنهم تووضح أن جهدهم كان منصباً حول جمع القرآن في مكان واحد، أو نسخه في عدد من المصاحف، ولم يكن لهم عمل مرتبط بترتيب القرآن الكريم لآياته أو سوره، وإنما نقل لنا ذلك.

ه - قوله «مَا حَمَلْتُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى بَرَاءَةَ وَهِيَ مِنَ الْمَئِينَ وَإِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي فَجَعَلْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطُّولِ»، وهذا ليس موضع اتفاق، فالسبعين الطوال هي: سورة البقرة، آل عمران، النساء، والمائدة، والأعراف،

(١) سورة البقرة الآية: (٢٤٠).

(٢) وهذا وهم من الراوي والمعنى: «لماذا تكتبها؟» أو قال: لماذا تركتها مكتوبة؟ مع أنها منسوبة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَزْوَاجًا﴾، برقم (٤١٦٦).

والأعراف، واختلفوا في السابعة فقيل: التوبية، وقيل: الأنفال والتوبية؛ لأنهما في حكم سورة، وقيل: يونس، ولكن الذي صح نقلًا كما جاء في مستدرك الحاكم والنمسائي وغيرهما عن ابن عباس قال: «السبع الطوال: البقرة وأل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف، قال الرواية: وذكر السابعة فنسبتها، وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير أنها يونس». وبذلك قال مجاهد ومكحول وعطاءة بن قيس وأبو محمد القاري شداد بن عبد الله ويحيى بن الحارث الذماري<sup>(١)</sup>.

و- كما أن قول ابن عباس: «عَمَدْتُم إِلَى سُورَةِ الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي، وَإِلَى سُورَةِ بَرَاءَةٍ وَهِيَ مِنَ الْمَيْنَينَ... فَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطَّوَالِ» فهو يحمل ما يرد احتجاج هؤلاء بهذا الحديث، فهو ذا يذكر أن الأنفال من المثاني، وأن براءة من المئين، ويقول: فوضعتموها في السبع الطوال، وهذا يدل على أن السبع الطوال كانت معلومة بالتوقيف قبل الجمع، وكذلك المثاني، وكذلك المئون، وإنما وجه استنكار ابن عباس هذا الترتيب؟!

ز - والسؤال في الحديث لم يكن متعلقاً بالترتيب، وإنما كان اقتراهما وترك البسملة، وجعل السورتين في محل سورة واحدة، وكان الجواب مطابقاً للسؤال، لم يتعرض لترتيب السورتين<sup>(٢)</sup>، فالأنفال والتوبية سورتان متمايزتان بترتيب من النبي ﷺ كما رتب غيرهن.

وبهذا نقول: إذا صرحت بهذا الحديث فهو لا ينهض دليلاً لأحد من الفريقين إلا بوجه ضعيف محتمل.

(١) انظر: تفسير البحر المحيط (٧/٢٠٧)، ويحرر العلوم للسمرقندى (٤٥٢/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (٤٥٣/١)، وفتح القدير (٤٣/١).

(٢) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسورة (ص ٢٨٥).

## ثانيًا: الطعن في توقف ترتيب الآيات ووضع البسمة:

أ— وأمّا الطَّعْنُ في التوقيف في ترتيب الآي، فلأن قول عثمان رضي الله عنه: «فظننا أنَّها منها» يدل على أن النبي ﷺ لم يفصح بأمر براءة، فأضاف عثمان آياتها إلى الأنفال اجتهاداً منه. وهذا مخالف لما لا يُحصى من الأخبار الصحيحة الدالة على التوقيف في ترتيب آي السور، ومخالف للإجماع المنشول عن أهل العلم على أن ترتيب آي السور ليس محلاً للاجتهاد، وإنما كان بتوقف من النبي ﷺ، وقد نقل الإجماع على هذا الأمر غير واحد من أهل العلم كما قال السيوطي: «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وأمّا الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في «البرهان»، وأبو جعفر بن الزبير<sup>(١)</sup> في مناسباته فقال: «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقفه ﷺ، وأمره بلا خلاف في هذا بين المسلمين»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الحصار: «ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى كان رسول الله ﷺ يقول: (ضعوا آية كذا في موضع كذا)، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، وممَّا أجمع الصحابة على وضعه في المصاحف»<sup>(٣)</sup>.

ب— أمّا قوله (فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم) يفيد أن عثمان هو الذي ترك كتابة البسمة التي لا تخضع كتابتها لاجتهاد أحد في إثبات أو حذف، أخرج أبو داود والحاكم، وصححاه عن ابن عباس رضي

(١) هو: أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد الأندلسي، وكان من التحاة الحفاظ، له مؤلفات قيمة منها «البرهان في تناسب سور القرآن»، و«ملاك التأویل القاطع بذوي الإلحاح والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل» وغيرها. توفي سنة: (٨٠٧ هـ). انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٤ / ٢٦٥)، والدرر الكامنة لابن حجر (١ / ٨٩).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن (ص ٧٩).

(٣) المرجع السابق.

الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى ينزل: بسم الله الرحمن الرحيم». وفي رواية: «إذا نزلت: بسم الله الرحمن الرحيم، علم أن السورة قد انقضت»<sup>(١)</sup>، وقد نقلت عن الصحابة أقوالاً مخالفة عن ابن عباس وغيره في أسباب ترك البسمة غير ما روی في الحديث، منها قول ابن عباس: سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لم لم تكتب في براءة باسم الله الرحمن الرحيم؟» قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وبراءة نزلت بالسيف، ليس فيها أمان»<sup>(٢)</sup>. قال ابن حجر: «وهو إذا صح يعتبر رداً بليغاً لهذا الحديث الذي نحن بصدده»<sup>(٣)</sup>; ولذا قال ابن عطية: «وهذا القول يضعفه النظر أن يختلف في كتاب الله هكذا، وروي عن أبي بن كعب أنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بوضع باسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة، ولم يأمرنا في هذا بشيء فلذلك لم نضعه نحن»<sup>(٤)</sup>.

ومما سبق يتبيّن لنا: أن القرآن الكريم أثبت كاملاً في اللوح المحفوظ، ثم أُنزل جملة إلى بيت العزة، ثم نزل منجماً على قلب النبي ﷺ ثم رتب بعد أن اكتمل نزوله وفق ما هو في اللوح المحفوظ، وأن ترتيب القرآن كما هو في المصحف توقيفي لا مجال للرأي فيه، وليس للصحابة أي تدخل في شأنه غير نقلهم لما سمعوه، وهو ترتيب ينطوي على حكم عديدة لا يحيط بها إلا منزل هذا الكتاب جل جلاله<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه أبو داود برقم (٧٨٨)، والبيهقي في السنن الصغرى برقم (٣٦٨)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (١٢٥٤)، وصححه: أبو داود وابن حبان والحاكم والألباني في صحيح سنن أبي داود، وقال المناوي في فيض القدير للمناوي (١/٤٥٧)، ورواه الحاكم أيضاً وصححه. قال الذهبي: «أما هذا ثابت». وقال الهيثمي: «رواه عنه أيضاً البزار بإسنادين رجالاً أحدهما رجال الصحيح».

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (ج/٢/٣٦٠) ح (٣٢٣١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/٣٨٥).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/٣).

(٥) انظر: المناسبات (١/٩ - ١١)، ومناهل العرفان (١/٢٥٠)، والإمام البعاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن (١/١٧٣)، وكتاب جمع القرآن (١/٧٤)، وموقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات (١/٣٦)، وإتقان البرهان (١/٤٦).

قال الألوسي: «والذي ينسرح له صدر هذا الفقير هو ما اشرحت له صدور الجمع الغفير من أن ما بين اللوحين الآن موافق لما في اللوح من القرآن، وحاشا أن يهمل عليه السلام أمر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته، فلا بدّ إما من التصرّيف بمواضع الآي والسور وإما من الرمز إليهم بذلك، وإن جماع الصحابة في المال على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولاً من بعضهم على غيره من الأساليب وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل، ولا يصدّهم عن اتباع الحق لومة لائم ولا قول قائل أقوى دليلاً على أنهم وجدوا ما أفادهم علمًا، ولم يدع عندهم خيالاً ولا وهما»<sup>(١)</sup>.

٤) أما حديث يوسف بن ماهك قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرك؟! قال: يا أم المؤمنين أريني مصحفك. قالت: لم؟ قال: لعالي أو لف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف. قالت: وما يضرك أية قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحال والحرام. قال: فآخر جلت له المصحف فامتلأ عليه آي السور.

أولاً: هذه القصة وقعت بعد ترتيب القرآن الذي أجمعه الأمة عليه وأرسل عثمان رضي الله عنه المصاحف للأمصال، بدليل أن الذي حدث به عن عائشة هو يوسف بن ماهك، وقد كان عند عائشة عند مجيء ذلك العراقي، ويوسف تابعي لم يدرك زمان إرسال عثمان للمصاحف، قال ابن حجر: «قوله» أو لف عليه القرآن فإنه يقرأ غير مؤلف. «قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: كأن قصة هذا العراقي كانت قبل أن يرسل

(١) روح المعاني (١/٢٧).

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير الإمام الفقيه المحدث، أبو الفداء عماد الدين، حافظ، ومفسر، مؤرخ، فقيه، صاحب «تفسير القرآن العظيم»، وكتاب «البداية والنهاية». توفي سنة (٧٤٤هـ). انظر: معجم المحدثين للذهبي (ص ١٩٨)، والدرر الكامنة (١/٤٤٥).

عثمان المصحف إلى الآفاق كذا قال، وفيه نظر فإن يوسف بن ماهاك لم يدرك زمان إرسال عثمان المصاحف إلى الآفاق فقد ذكر المزي أن روایته عن أبي بن كعب مرسلة، وأبی عاش بعد إرسال المصاحف على الصحيح، وقد صرخ يوسف في هذا الحديث أنه كان عند عائشة حين سألها هذا العراقي، والذي يظهر لي أن هذا العراقي كان من يأخذ بقراءة ابن مسعود، وكان ابن مسعود لما حضر مصحف عثمان إلى الكوفة لم يوافق على الرجوع عن قراءته ولا على إعدام مصحفه كما سيأتي بيانه بعد الباب الذي يلي هذا، فكان تأليف مصحفه مغايراً لتأليف مصحف عثمان، ولا شك أن تأليف المصحف العثماني أكثر مناسبة من غيره، فلهذا أطلق العراقي أنه غير مؤلف...»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: سؤاله لعائشة الظاهر أنه كان فيما يتعلق بترتيب السور وتأليفها، كما قال ابن حجر: «أن السؤال إنما وقع عن ترتيب السور، ويدل على ذلك قولها له وما يضرك أية قرأت قبل...»<sup>(٢)</sup>. وليس ترتيب الآيات، لأن ترتيب الآيات لا يمكن أن تقول له عائشة: (وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرأتَ قَبْلُ) لحرمة ذلك بالإجماع كما سبق بيانه، وقد بينت له بأن قراءة سورة قبل سورة لا يقع عليه ضرر أو محظوظ شرعاً فهو يفيد أنها لا ترى القراءة على ترتيب المصحف أمراً لازماً، وهو الصحيح، وليس الحديث عن ترتيب السور في المصحف.

ثالثاً: وهذا كله على أن السؤال إنما وقع عن ترتيب السور ويدل على ذلك قوله لها: «وما يضرك أية قرأت قبل» ويحتمل أن يكون أراد تفصيل آيات كل سورة لقوله في آخر الحديث: «فَأَمْلَأْتُ عَلَيْهِ آيَ السُورِ» أي آيات كل سورة كأن تقول له

(١) انظر: فتح الباري (٩/٣٩ - ٤١).

(٢) انظر: فتح الباري (٩/٣٩ - ٤١).

سورة كذا كذا آية الأولى كذا الثانية. وهذا يرجع إلى اختلاف عدد الآيات وفيه اختلاف بين المدني الشامي والبصري، وقد اعنى أئمة القراء بجمع ذلك وبيان الخلاف فيه، والأول أظهر ويحتمل أن يكون السؤال وقع عن الأمرين، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

٥) أما دعواهم أنه لو كان ترتيب السور بتوقيف من النبي ﷺ لظهور فشا ونُفَّل مثله، وأن في العلم بعدم ذلك النقل دليلاً على عدم التوقيف.

فيجب بأن عدم النقل ليس دليلاً على عدم وجود النص، بل إن إجماع الصحابة على هذا الترتيب دليل على وجود النص بالتوقيف؛ لأنهم لا يُجتمعون على خلاف السنة<sup>(٢)</sup>، وقد جاءت الروايات الصحيحة عن ترتيب القرآن بما يرجح أن إجماعهم قام على السنة، والأدلة التي أوردها من يقول إن إجماعهم تمّ عن اجتهاد فهي إما واهية من حيث السند، أو خالية من وجوه الاستدلال في محل النزاع كما سبق بيان ذلك.

٦) وأما الفريق الثالث القائل بالتفصيل، فيجب بنفس الأجرة، إذ لم يأت بدليل جديد، كما يرد عليهم أيضاً أنَّ العلم بتوقيف البعض يدل على التوقيف في الكل، إذ لو علم الصحابة التوقيف لما فاتتهم أن يسألوا عن كل سورة بعينها، والنبي ﷺ حيٌّ بين أظهرهم، وإلا لكانوا - وحاشاهم - مقصرين في حفظ القرآن.

وخلاصة القول بأن ترتيب السور توفيقي من النبي ﷺ، والقرآن الكريم روعي في نزوله منجماً نشأة الدعوة الإسلامية وتطورها، والأحداث العظيمة التي مرت بها بصورة جعلت القرآن يلامس ذلك الواقع خطوة خطوة، يقدم له الدواء المناسب

(١) انظر: فتح الباري (٣٢/٩)، وروح المعاني (٢٧/١)، والإمام اليعافي ومنهاجه في تأويل بлага القرأن (١/١٧٩)، وكتاب جمع القرآن (١/٧٣).

(٢) انظر: الرسالة للإمام الشافعي (ص ٣٢٢).

في كل مرحلة، حتى تم تشييد صرح الإسلام في صورة جمعت من الحكم ما يفوق عقول الخلق إدراكتها، ثم رتب في آياته وسورة بعد اكتمال نزوله لحكم ومعجزات وجوانب أخرى غير التي روّعيت عند نزوله، وهو ترتيب آخر يحمل من الحكم والروعة والجمال بما جعله طوداً شامخاً للأجيال أن تحيط بكلّه؛ ولذلك من لا يرى توقيف الترتيب أو من لا يرى في اختلاف الترتيبين حكم ومعجزات فقد حرّم نفسه من بعض أنوار كتاب الله المنير، والذين أقبلوا على تدبر ذلك بعد إقرار بالتوقيف وتقنوا من وجود حكم في ذلك جاءوا إلينا بالعجب الذي يبهج النفوس ويتمتع العقول، فسبحانه العليم الحكيم، ومنشأ هذا الاختلاف هو اختلاف الهدف المقصود من كلا الترتيبين « فهو في ترتيب النزولي منهج لتأسيس دعوة، وأسلوب إقناع بعقيدة، وطريقة تبشير وإنذار، ودحض كامل لمنطق الإلحاد، وهو في ترتيبه المصحفي أسلوب حياة، وبناء حضارة، ودستور للعالم كله، محاط بكل صغيرة وكبيرة من حاجاته ومطالبه، أحکم ترتيبه من هذه الوجهة، ليكون هداية للمؤمنين ... ولو أنه جمعَ ورتبَ على حسب ترتيب نزوله لفهم بعض الناس أن آياته خاصة بحوادثها، أو أنه حلول وقته للمسكلات التي كانت على عهد الرسول ﷺ فحسب، والله تعالى يريد كتابه عاماً خالداً لا يختص بعصر دون عصر، ولا بقوم دون قوم، لذلك اقتضت الحكمة أن يرتب ترتيباً يحقق هذا العموم، وهذا الخلود، ويبعد عن الترتيب الزمني الذي نزل به، لحكمةٍ كانت مناسبة حين نزوله»<sup>(١)</sup>.

(١) المناسبات د. سامي عطا حسن (٤، ٣/١).

### المبحث الثالث

## حكم التزام ترتيب السور

حكم الالتزام بترتيب السور ينقسم إلى قسمين:

### القسم الأول: في كتابة المصاحف:

التزام الترتيب الذي عليه المصاحف العثمانية، المبدوعة بسورة الفاتحة المختومة بسورة الناس؛ بحيث تكون كل سورة في موضعها من المصحف عند كتابة القرآن الكريم من الأمور الواجبة التي تحرم مخالفتها؛ وذلك للآتي:

- ١) لأنه من خلال ما سبق من دراسة مستوفاة ظهر لنا يقيناً أن ترتيب السور توقيفي من النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة.
- ٢) لأنه مما أجمع عليه الصحابة، وإجماعهم حجة ملزمة لمن جاء بعدهم إلى يوم الدين؛ فإن إجماعهم تمّ عن علمٍ تامٍ، ونحن مأمورون باتباع الصحابة منهيوه عن مخالفتهم، قال تعالى: ﴿وَالسَّدِيقُونَ الْأَقْوَوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَلَهُمْ جَنَّتٌ تَجْرِي تَحْتَهَا أَلَانِهُرُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبه: ١٠٠].
- ٣) لأنه مما فعله وأقره الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، واتباعه مما أمر به الوحي كما جاء ذلك في حديث العرباض بن سارية: «... فَعَلَيْكُم بِسُتْرِيٍّ وَسُنْتَهُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيَّينَ عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاحِذِ، وَإِيَّا كُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأَمْوَرِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذني برقم (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم (٤٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، وأحمد في المسند برقم (١٧١٨٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(١)</sup>: «وقد دل الحديث على أن لهم سنة يجب اتباعها»<sup>(٢)</sup>.

٤) لأنَّه مَا مَضَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ وَالْتَّزَمَتْ فِي قَرْوَنَهَا الْمَاضِيَّةِ وَلَمْ يَخْالِفْ فِي ذَلِكَ وَاحِدًا مِّنْ عَلَمَائِهَا وَفَضَلَائِهَا.

٥) لأنَّ مَخالِفَتِهِمْ تَفْتَحُ بَابَ فَتْنَةٍ لَا يَقْفِلُ فِي الْأُمَّةِ، وَيَمْسِي مِنْ قَدَاسَةِ الْقُرْآنِ وَكَرَامَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ «وَدَرِءُ الْفَتْنَةِ وَسَدُّ ذَرَائِعِ الْفَسَادِ وَاجِبٌ»<sup>(٣)</sup>.

٦) لأنَّ تَرْتِيبَهِ بَغَيْرِ هَذَا التَّرْتِيبِ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَصَاحِفُ غَيْرُ مُمْكِنٍ كَتْرِتِيبِهِ حَسْبَ النَّزْولِ كَمَا يَدْعُونَ لَذَلِكَ بَعْضَ الْجَهَلَاءِ؛ لَأَنَّ السُّورَةَ لَمْ تَكُنْ تَنْزَلَ فِي الْغَالِبِ جَمْلَةً وَاحِدَةً بَلْ قَدْ يَمْتَدُ نَزْولُ السُّورَةِ الْوَاحِدَةِ أَزِيدَ مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ كَسُورَةِ الْبَقْرَةِ، كَمَا لَمْ تَكُنْ تَنْزَلَ آيَاتٍ مِّنْ سُورَةِ ثَانِيَةٍ أَوْ ثَالِثَةٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَكْتَمِلَ بَنَاءُ السُّورَةِ السَّابِقَةِ، وَلَمْ تَصْحَّ رَوَايَاتٌ قَاطِعَةٌ فِي تَرْتِيبِ جَمِيعِ سُورِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ، فَكِيفَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَمَّ تَرْتِيبُهِ مَعَ ذَلِكَ حَسْبَ النَّزْولِ. قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ: «وَمَنْ نَظَمَ السُّورَ عَلَى الْمَكْيِ وَالْمَدْنِي لَمْ يَدْرِ أَيْنَ يَضْعُفَ الْفَاتِحةُ لَا خَلَافَ فِيهِمْ فِي مَوْضِعِ نَزْولِهَا وَيُضْطَرُ إِلَى تَأْخِيرِ الْآيَةِ فِي رَأْسِ خَمْسٍ وَثَلَاثَيْنِ وَمَائَتَيْنِ مِنْ الْبَقْرَةِ إِلَى رَأْسِ الْأَرْبَعِينِ، وَمَنْ أَفْسَدَ نَظَمَ الْقُرْآنِ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ»<sup>(٤)</sup>.

## القسم الثاني: ترتيب السور في الصلاة والتلاوة:

أما ترتيب السور في التلاوة فهو فهـذه فيها تفصيل:

(١) هو: شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين بن تيمية، من بحور العلم وأوعيته، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: طبقات الحفاظ للسيوطى (١/٥٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٤١٠، ٤٠٩، ٣٩٦).

(٣) مناهل العرفان (١/٣٥٨).

(٤) البرهان في علوم القرآن للزرκشي (١/٣٢٩).

الأول: أن ترتيب السور في التلاوة ليس واجباً إنما هو مندوب. قال النووي<sup>(١)</sup> في كتابه البيان: «قال العلماء: الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف، فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران ثم ما بعدها على الترتيب، وسواء قرأ في الصلاة أو في غيرها حتى قال بعض أصحابنا: إذا قرأ في الركعة الأولى سورة ﴿فُلَّأَعُوذُ بِرَبِّ الْثَّالِثِ﴾ يقرأ في الثانية بعد الفاتحة من البقرة. قال بعض أصحابنا: ويستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التي تليها، ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة ينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد المشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة يقرأ في الأولى سورة (السجدة) وفي الثانية ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَنِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ﴾، وصلاة العيد في الأولى (ق) وفي الثانية ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾، وركعتي سنة الفجر في الأولى ﴿فُلَّيَّا إِيَّاهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثانية ﴿فُلَّهُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وركعات الوتر في الأولى ﴿سَيِّخَ أَسْمَرَ رِيشَ الْأَعْلَى﴾ وفي الثانية ﴿فُلَّيَّا إِيَّاهَا الْكَافِرُونَ﴾، وفي الثالثة ﴿فُلَّهُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعدودتين، ولو خالف المواالة فقرأ سورة لا تلي الأولى، أو خالف الترتيب فقرأ سورة ثم قرأ سورة قبلها جاز، فقد جاءت بذلك آثار كثيرة، وقد قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الركعة الأولى من الصبح بالكهف وفي الثانية بيوسف، وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف، وروى ابن أبي داود عن الحسن: أنه كان يكره أن يقرأ القرآن إلا على تأليفه في المصحف»<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أنه لو خالف ذلك الترتيب من حيث المواالة فقرأ سورة لا تلي الأولى أو خالف الترتيب فقرأ سورة قبلها جاز فقد جاءت بذلك الأحاديث والآثار الكثيرة، من ذلك حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَفْتَحَ

(١) هو: يحيى بن شرف بن مُري الشافعي النووي، الإمام الفقيه الحافظ، صاحب التصانيف المباركة ومنها «رياض الصالحين»، و«شرح صحيح مسلم». توفي سنة (٦٧٦هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣٩٥/٨).

(٢) البيان في آداب حملة القرآن للنووي (١١/٣٧).

البقرة فقلتُ: يرکع عِنْدَ الْمِائَةِ. ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى فَقُلْتُ: يرکع بِهَا. ثُمَّ افْتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ افْتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً...»<sup>(١)</sup>. وقد روى البخاري تعليقاً عن الأحنف: أنه قرأ في الأولى بالكهف، وفي الثانية بيوسف أو يونس، وذكر أنه صلى مع عمر بن الخطاب الصبح بهما. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تجوز قراءة هذه قبل هذه». قال أبو الحسن بن بطال: «ومن قال بهذا القول لا يقول إن تلاوة القرآن في الصلاة والدرس يجب أن تكون مرتبة على حسب الترتيب الموقوف عليه في المصحف، بل إنما يجب تأليف سوره في الرسم والخط خاصة، ولا يعلم أن أحداً منهم قال: إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي قراءة القرآن ودرسه، وأنه لا يحل لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة ولا الحج قبل الكهف، ألا ترى قول عائشة رضي الله عنها للذى سألهما: لا يضرك أية قرأت قبل، وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير السورة التي تليها»<sup>(٢)</sup>.

الثالث: تعليم القرآن للصبيان وغيرهم من آخر المصحف إلى أوله فقد قال النووي: «فحسن... على ما فيه من تسهيل الحفظ عليهم والله أعلم»<sup>(٣)</sup>، وقد جاء في صحيح البخاري، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - جماعتُ الْمُحْكَمَ في عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا الْمُحْكَمُ؟ قَالَ: الْمُفَصَّلُ»<sup>(٤)</sup>، وهذا يبين هدى النبي ﷺ في تعليم الصبيان من المفصل.

(١) تقدمه تحريرجه (ص ١٧).

(٢) تفسير القرطبي (٦١ / ١).

(٣) البيان في آداب حملة القرآن (٣٧).

(٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب: فضائل القرآن، باب: تَعْلِيمِ الصَّبِيَّانِ الْقُرْآنَ بِرَقْمِ (٥٠٣٦).

## الخاتمة

وقد اشتملت على نتائج البحث ووصياته التي خلصت إليها هذه الدراسة:

### أ- نتائج البحث:

من خلال تلك الدراسة توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- ١) موضوع ترتيب سور الخلاف فيه قديم، وقد نسب كل قول من المذاهب الثلاثة إلى الجمهور، والذي توصل إليه الباحث واطمأنت إليه نفسه بعد تحقيق وتحرير أن ترتيب سور القرآن توقيفي من النبي ﷺ، سمعه الصحابة من النبي ﷺ بهذا الترتيب، وجمعت عليه المصاحف في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وليس هو من الأمور الاجتهادية؛ وذلك لأنه لو تم باجتهاد لنقل إلينا على أي أساسبني ذلك الاجتهاد، إذ إن أمر الاجتهاد دائمًا يلحق فيه النظير بالنظير، ولا تجد تعليلاً واضحاً تحمل عليه الاجتهاد لا من حيث التزول، ولا من حيث الطول، ولا من حيث الأشباه والنظائر في فواتح السورة، ولا غير ذلك، كما أن الصحابة الذين حرصوا على اتباع أثر الرسول ﷺ في كل شيء ولم يبدلوه تدليلاً عما كان عليه لم يكن لهم مخالفة صورة ما سمعوا عنه، وهذا هو الأخرى بهم رضي الله عنهم، وقد جاءت الأدلة التي تؤكد أنهم جموعه على وفق ما سمعوه عن النبي ﷺ، والذي استدل به الفريق الثاني والثالث ليس لهم دليل يثبت المخالفة للترتيب النبوى إلا حديث عثمان الذي جاء ذكر الاجتهاد فيه في سوريتي الأنفال والتوبة، وبعد الدراسة والنظر بيّنا ما في الحديث من ضعف يسقط الاستدلال به من حيث السند في وجه تعارضه مع الأدلة الصحيحة، وكذلك ما فيه من تناقض واضطراب يسقط الاستدلال به من حيث المتن إن صح كما ذكر ذلك ابن عطية.

(٢) القول بالتوقيف هو قول جمهور العلماء منهم: أبو جعفر النحاس، وابن الحصار، وأبو عمر الداني، والكرمني، والبغوي، وابن الزبير، والطبيبي، وبدر الدين الزركشي، وولي الدين الملوى، وأبو بكر الأنباري القاضي أبو بكر بن الطيب في أحد قوله، وما لـإليه ابن حجر في الفتح بعد أن قال بالتوقيف ما عدا الأنفال والتوبة ذكر في موضع آخر أنه توقيفي إذ قال: «ومما يدل على أن ترتيب المصحف كان توقيفيًّا ذكر حديث وفد بنى ثقيف. ثم قال: فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>. وانتصر إليه من المعاصرين عدد من العلماء، خلافًا لمن نسب القول الثاني والثالث إلى الجمهور، ولأن الذين قالوا بالاجتهاد في الغالب لم يثبتوا على قول واحد، وليسوا على فهم واحد في الاجتهاد فمالك رأيه اجتهاد قائم على دليل غير صريح، والباقلاني له أكثر من قول، والبيهقي وابن العربي والسيوطى يرون أنه توقيفي ما عدا سورتي الأنفال وبراءة، ولم يقطع ابن عطية بشيء في ما رتب بالاجتهاد.

(٣) الالتزام بهذا الترتيب في كتابة المصاحف من الأمور الواجبة على الأمة تحريم مخالفته، وقد رجح من خلال هذا البحث أنه توقيفي، وهو مما أجمع عليه الأمة في عهد عثمان رضي الله عنه؛ ولأنه يفتح باب فتنة في الأمة، ويمس من قداسة هذا الكتاب، ولا يمكن أن يتم ترتيبه على أي كيفية أخرى لعدم وجود أدلة عليه، وهي دعوات باطلة لا تخرج إلا من عقول فارغة أو صاحب نية خبيثة، كما أن الالتزام بهذا الترتيب في التلاوة والصلاحة من الأمور المندوبة وتجوز مخالفته، كما تجوز مخالفته في التعليم كالبدایة بقصار المفصل.

(١) فتح الباري (٩/٥٤).

٤) القول بالتوفيق لترتيب سور يدعوا إلى التمسك به والتشديد في المحافظة عليه، ويجعل كلّ ما يتعلّق بالقرآن متواتراً عن النبي ﷺ تلاوة ورسماً وترتيباً، مما يتربّع عليه الصيانة الكاملة للقرآن من التحرير والتبديل بين جيل وجيل.

٥) هذا الترتيب التوفيفي للقرآن الكريم يحمل من الأسرار والمزايا والحكم الشيء الكثير الذي لا تتصور العقول كنهه، ولن تستطيع أن تسبّر أغواره، وسيظل طوداً شامخاً أمام العلماء ما بقي هذا الكتاب بين أيديهم، وسيظل موضوع المناسبات بين سور من الموضوعات التي تظهر قدرات العلماء في النظر والتأمل، ويرهن على عظمة هذا الكتاب المجيد الذي قال عنه الجن: ﴿فُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ أَسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنْ أَجْنَبٍ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قَوْمًا أَجَجَّا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بَهُ وَلَنْ تُشْرِكَ بِرَبِّهَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢].

## ب - توصيات البحث:

ومن خلال النتائج السابقة التي توصل إليها الباحث يوصي بما يلي:

١) إظهار قوة القول الذي يقول بتوفيق الرسم، وبيان ضعف الأقوال الأخرى بين أبناء الأمة؛ لما يدخله من شكوك حول تأليف القرآن الذي هو وجه من أوجه إعجازه، وما يمكن أن يفتحه القول بالاجتهاد من منافذ للفتنة والطعن في كتاب الله، فتجدد الأصوات التي تنادي بتغيير ترتيب المصحف مستندًاً للدعواها.

٢) العناية الكبيرة بالمناسبات بين سور، ومواصلة تلك الجهود العظيمة التي بدأ مشوارها بعض السلف وما زال العلماء كلّ يوم يقدّمون لنا من الأسرار الباهرة والحكم الناضرة بما يهنج العقول ويسكن النفوس لكلام العزيز الحكيم.

٣) التصدي لأي دعوة تنادي بمخالفة هذا الترتيب، مع بيان ما فيها من ضعف وهوی وانحراف.

٤) السعي الجاد من قبل الباحثين لتحقيق كثير من مباحث علوم القرآن التي في خدمتها خدمة مباشرة لكتاب الله عز وجل، خاصة وقد جاءت الكتابات في هذا العلم وتحرير مباحثه متأخرة.

## فهرس المراجع

- ١) القرآن الكريم.
- ٢) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن سعيد، وأبو إسحاق السيد بن إسماعيل. ط: دار الرشد، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).
- ٣) إتقان البرهان في علوم القرآن، لفضل حسن عباس. ط: دار الفرقان، عمان الأردن، الطبعة الأولى (١٩٩٧م).
- ٤) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز. ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ٥) أحكام القرآن، لابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا. ط: دار الفكر للطباعة، بيروت، بدون.
- ٦) أسرار ترتيب القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، الناشر: دار الاعتصام - القاهرة، بدون تاريخ.
- ٧) الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، للدكتور محمد أحمد يوسف القاسم، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ٨) الأعلام، لخير الدين بن محمود بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية عشر (١٩٩٧م).
- ٩) الإمام البقاعي ومناهجه في تأويل بلاغة القرآن، لمحمود توفيق محمد سعد أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف شبين الكوم، ط: مكتبة وهبة، القاهرة، ط (١)، (١٤٢٤هـ).

- ١٠) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٢)، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
- ١١) بحر العلوم، لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندى، تحقيق د. محمود مطرجي، ط: دار الفكر، بيروت، بدون.
- ١٢) البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف أبو حيان الأندلسى، طبعة جديدة بعنایة زهير جعید، ط: دار الفكر، بيروت (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).
- ١٣) البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير، ط: مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٤) البرهان في تناسب سور القرآن، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق د. سعيد بن جمعة الفلاح، طبعة: دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٨ هـ).
- ١٥) البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة، بيروت، ط (١٣٩١ هـ).
- ١٦) البرهان في متشابه القرآن، لمحمود الكرمانى، تحقيق: أحمد خلف الله، ط: دار صادر، بيروت، ط (٢)، (١٤١٧ هـ).
- ١٧) بصائر ذوي التّميّز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى، تحقيق الأستاذ محمد على النجار، ط: المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة بدون تاريخ.
- ١٨) البيان في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادرها، للدكتور سليمان بن صالح القرعاوى، والدكتور محمد بن علي الحسن، ط: مكتبة الظلال، الأحساء، السعودية، ط (٢) الثانية (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

- (١٩) تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، الملقب بمرتضى ، الزبيدي ، تحقيق : الترمذ ، وحجاري ، والطحاوي ، والعزباوي ، ط: مطبعة حكومة الكويت ، عام (١٩٦٥) م).
- (٢٠) تاريخ أسماء الثقات ، المؤلف: عمر بن أحمد أبو حفص الواقظ ، تحقيق: صبحي السامرائي ، الناشر: الدار السلفية - الكويت ، الطبعة الأولى ، (٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م).
- (٢١) تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه ، لمحمد طاهر عبد القادر الكردي ، ط: مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية (١٩٥٣) م).
- (٢٢) التاريخ الكبير ، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي ، تحقيق: السيد هاشم الندوبي ، الناشر: دار الفكر ، بيروت ، بدون.
- (٢٣) البيان في آداب حملة القرآن ، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، حققه وعلق عليه محمد الحجار ، ط: دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).
- (٢٤) تذكرة الحفاظ ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات ، ط: دار الكتب العلمية بيروت ، ط (١) (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
- (٢٥) التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي ، ط: دار الكتاب العربي ، بيروت . الطبعة الرابعة ، سنة (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).
- (٢٦) تفسير التحرير والتنوير ، للإمام محمد بن الطاهر عاشور ، ط: دار سحنون ، تونس ، بدون.
- (٢٧) تقريب التهذيب ، للعلامة أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق: محمد عوامة ، ط: دار الرشيد ، سوريا ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

- ٢٨) تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، (٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م).
- ٢٩) الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى، (٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م).
- ٣٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى، ط: دار الفكر، بيروت (٤٠٥ هـ).
- ٣١) الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق محمد إبراهيم الخنawi و محمود وحامد عثمان، ط: دار الحديث، القاهرة، طبعة: (٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م).
- ٣٢) الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٥٢ م).
- ٣٣) جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابه، أ. د. علي بن سليمان العبيد، مصدر الكتاب: موقع الإسلام: <http://www.al-islam.com>
- ٣٤) جمهرة اللغة، لابن دريد، ط: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية (٣٤٥ هـ).
- ٣٥) الحديث في علوم القرآن والحديث، للشيخ حسن أيوب، ط: دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى (٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م).
- ٣٦) دراسات في علوم القرآن للأستاذ الدكتور فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة التاسعة (٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).
- ٣٧) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعين ضان، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، ط (٢)، (٩٢ هـ ١٣٩٢ م).

- (٣٨) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون اليعمرى المالكى، تحقيق: مأمون الجنان. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).
- (٣٩) الرسالة، لمحمد بن إدريس الشافعى، دراسة وتحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة الأولى، (١٣٥٨هـ - ١٩٤٠م).
- (٤٠) روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، ضبطه وصححه على عبد البارى عطية، ط: المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- (٤١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، لمحمد ناصر الدين الألبانى، ط: المكتب الإسلامى، دمشق، (١٤٠٥هـ).
- (٤٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السىئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألبانى، ط: دار المعارف، الرياض، ط (١)، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- (٤٣) السنة النبوية مكانتها وأثرها في حياة مسلمي البوسنة والهرسك، لأحمد عبد الكريم نجيب، المصدر: موقع مكتبة صيد الفوائد: <http://www.saaid.net/book/index.php>.
- (٤٤) سنن الترمذى، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذى ط: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.
- (٤٥) سنن أبي داود، لسلیمان بن الأشعث أبو داود السجستانى الأزدى. ط: المكتبة العصرية، بيروت، بدون.
- (٤٦) سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ط: إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

(٤٧) سنن النسائي، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ط: دار البشائر الإسلامية، ط: (١٩٨٦ م).

(٤٨) سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، (١٤١٣ هـ).

(٤٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العمادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).

(٥٠) شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط. ط: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).

(٥١) شعب الإيمان، أبي بكر أحمد بن الحسين البهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، (١٤١٠ هـ).

(٥٢) صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض (١٤٠٠ هـ).

(٥٣) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض (١٤٠٠ هـ).

(٥٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ليحيى بن شرف بن مري الحواربي النووي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).

(٥٥) صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، (١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م).

- (٥٦) الضعفاء الصغير، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، (١٣٩٦هـ).
- (٥٧) الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، تحقيق: الدكتور عبد المعطى أمين قلعي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، بدون.
- (٥٨) الضعفاء والمتروكين، لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، (١٣٩٦هـ).
- (٥٩) الضعفاء والمتروكين، لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: عبد الله القاضي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ).
- (٦٠) طبقات الحفاظ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ).
- (٦١) الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة (١) (١٩٦٨).
- (٦٢) طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنوي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط (١)، (١٩٩٧م).
- (٦٣) طبقات المفسرين، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، ط: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى (١٣٩٦هـ).
- (٦٤) طبقات المفسرين، لمحمد بن علي الداودي، ضبط: عبد السلام عبد المعين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
- (٦٥) العبر في خبر من غبر، لشمس الدين بن أحمد الذهبي، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، ط: حكومة الكويت الطبعة الثانية (١٩٨٤م).

- ٦٦) علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه للدكتور عدنان محمد زرزور، ط: دار الإعلام، عمان، الأردن، الطبعة الأولى (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
- ٦٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد أشرف بن أمير العظيم إبادي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- ٦٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن على بن حجر العسقلاني، تحقيق على بن عبد العزيز الشبل، ورقم وكتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).
- ٦٩) الفتح الرباني لشرح وترتيب مسنده أحمد بن حنبل الشيباني، لأحمد بن عبد الرحمن الساعاتي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، بدون.
- ٧٠) فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدرایة من علم التفسير، لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، ط: دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م).
- ٧١) فضائل القرآن، لأبي عبيّد القاسم بن سلام بن عبد الله الهرمي، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابه، ووفاء تقى الدين، وقد صدر عن دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، (١٤٢٠ هـ).
- ٧٢) فضائل القرآن لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٦ هـ).
- ٧٣) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، لسعدى أبو جيب، ط: دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- ٧٤) القاموس المحيط، لمجاد الدين محمد بن يعقوب بن محمد إبراهيم الفيروزابادي، ط: مكتبة دار الباز، مكة، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ).

- ٧٥) الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م).
- ٧٦) كتاب الكليات - لأبي أنيب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
- ٧٧) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، طبعة: دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
- ٧٨) لسان الميزان، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
- ٧٩) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة والعشرون (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).
- ٨٠) مباحث في علوم القرآن، للدكتور، صبحي الصالح، ط: دار العلم للملائين، بيروت، طبعة (٢٠٠٩ م).
- ٨١) مجمع الزوائد ونبأ الفوائد، للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي، تحرير الحافظين العراقي وابن حجر، ط: دار الفكر، بيروت، طبعة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
- ٨٢) مجموع فتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، طبعة (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م).

- (٨٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ط (١) (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).
- (٨٤) المحيط في اللغة، الصاحب لإسماعيل بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، ط: دار عالم الكتب، بيروت سنة (١٤١٤ هـ).
- (٨٥) مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى، تحقيق محمود خاطر، ط: مكتبة لبنان - بيروت، طبعة جديدة (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).
- (٨٦) المستدرک على الصحيحين، للحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ط: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
- (٨٧) المستشركون للأستاذ: نجيب العقيسي، ط: دار المعارف، القاهرة، طبعة رابعة موسعة، بدون تاريخ.
- (٨٨) مسنن الإمام أحمد، للإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، ط: (١٩٨٥ م).
- (٨٩) مسنن الطيالسي، لسليمان بن داود أبو داود الطيالسي، ط: دار المعرفة، بيروت، بدون.
- (٩٠) مشاهير علماء الأمصار، لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، (١٩٥٩ م)، تحقيق: م. فلايشهم.
- (٩١) المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرین، المؤلف: أعضاء ملتقى أهل الحديث، مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث، [الكتاب عبارة عن كتاب إلكتروني تم إدخاله إلى الموسوعة الشاملة، ولا يوجد مطبوع].
- (٩٢) المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط: مكتبة الزهراء، الموصى تحقيق: حمد بن عبد الحميد السلفي، ط (٢) (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م).

- ٩٣) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- ٩٤) معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
- ٩٥) المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط: دار الدعوة، بدون.
- ٩٦) مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والجبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- ٩٧) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، ط: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ٩٨) المقدمات الأساسية في علوم القرآن، للشيخ عبد الله بن يوسف الجديع، ط: مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ٩٩) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، لعثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق: الشيخ محمد الصادق قمحاوي طبعة: مكتبة الكليات الأزهرية.
- ١٠٠) ملاك التأويل في توجيهه متشابه اللفظ من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق سعيد بن جمعة الفلاح، ط: دار الغرب الإسلامي، عام (١٩٨٣م).
- ١٠١) الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهريستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، (١٤٠٤هـ).

- ١٠٢) المناسبات بين الآيات وال سور فوائدتها وأنواعها و موقف العلماء منها، للدكتور سامي عطا حسن، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد (٥٣)، السنة (٢٠٠٣) م.
- ١٠٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م).
- ١٠٤) المتنقى في علوم القرآن الكريم، للدكتور طه عابدين طه، ط: دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، ط (١٤٢٩ هـ).
- ١٠٥) منهج الفرقان في علوم القرآن، للشيخ محمد علي سلامه، تحقيق: أ. د. محمد سيد أحمد المسير، ط: شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية (٤٢٠٠٤ م).
- ١٠٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان قايماز الذهبي، تحقيق: على محمد البيجاوي، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م).
- ١٠٧) موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، لأحمد بن محمد الشرقاوي، صدر هذا الكتاب آلياً بواسطة الموسوعة الشاملة، المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية.
- ١٠٨) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل الصفار، المعروف بأبي جعفر النحاس، ط: المكتبة العصرية، بيروت، ط (١)، (١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).
- ١٠٩) نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، وخرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب ط: دار الكتب العلمية بيروت ط (١)، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

- ١١٠) نكت الانتصار لنقل القرآن - للقاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) تحقيق د. محمد زغلول سلام - منشأة المعارف - الإسكندرية (١٩٧١ م).
- ١١١) الواضح في علوم القرآن، لمصطفى ديب البغا، ومحب الدين ديب مستو، ط: دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م).
- ١١٢) الوافي بالوفيات، لصلاح خليل بن أبيك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠ هـ).
- ١١٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلkan، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢١	ملخص البحث.....
٢٢	المقدمة.....
٢٢	أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.....
٢٦	ثانياً: مشكلة الدراسة.....
٢٦	ثالثاً: أسئلة الدراسة.....
٢٧	رابعاً: أهداف الدراسة.....
٢٧	خامساً: حدود الدراسة.....
٢٧	سادساً: منهج البحث وأداته.....
٢٨	سابعاً: الدراسات السابقة.....
٢٨	ثامناً: هيكل البحث.....
٢٩	مصطلحات الدراسة.....
٢٩	أولاً: الترتيب في اللغة.....
٢٩	ثانياً: السورة لغة واصطلاحاً.....
٣١	ثالثاً: المراد بترتيب السور.....
٣٢	المبحث الأول: أقوال العلماء في ترتيب السورة وأدلة كل قول.....
٣٢	القول الأول: أن ترتيب السور توقيفي.....
٤١	القول الثاني: أن ترتيب السور اجتهادي.....
٤٦	القول الثالث: أن ترتيب السور كان بعضها توقيفياً وبعضها كان اجتهادياً.....
٤٨	المبحث الثاني: مناقشة أقوال العلماء في ترتيب السور مع الترجيح.....
٧٣	المبحث الثالث: حكم التزام ترتيب السور.....
٧٣	القسم الأول: في كتابة المصاحف.....
٧٤	القسم الثاني: ترتيب السور في الصلاة والتلاوة.....
٧٧	الخاتمة.....
٨١	فهرس المراجع.....
٩٤	فهرس الموضوعات.....

## المنهجية في إعراب القرآن الكريم

أ. د. فوزي الدين فبارة<sup>(\*)</sup>

### مُلَحَّنُ الْبَحْثِ

فصل البحث في المفاهيم الاصطلاحية للإعراب، ثم في معالم المسيرة التاريخية لعمليات التحليل بثرائها وسعة أفقها، وقد تأكد لنا أنه لا بد من منهج علمي نعتمد في التحليل الإعرابي للمفردات، والجمل، وأشباه الجمل، وتحليل معاني الأدوات، والتحليل الصRFي. ثم فصل البحث في أساليب التحليل ومعادلاته، وتحدث عن تاريخ الإعراب التحليلي ومصنفات الإعراب ومناهجها، كما تحدث عن المصطلحات الإجرائية، وأسباب التزام المفردات والأساليب التي اشتهرت عن البصريين؛ لأنها الأشيع والأكثر استخداماً في المصادر التراثية.

والبحث رسم توضيحي مكثف لما يحسن تناوله والمسير معه في التحليل النحووي للنص القرآني الكريم لإدراك توارد العلاقات، والوظائف، والمعاني النحوية، وما يتولد عن ذلك من تأثير وتأثير بين عناصر التركيب.

(\*) أستاذ علوم العربية بجامعة حلب، سوريا.

## تمهيد

يشغل إعراب القرآن الكريم أحيازاً واسعة المدى من مصنفات التفسير وال نحو واللغة والبيان، وتتعدد أنماطه وتوجهاته تبعاً لموضوع الكتاب الذي تردد فيه، وقد كثر تشعيّب هذا الميدان في تاريخ العربية، وتبينت نماذجه وأساليب التعبير عنها، حتى اضطربت في أذهان الدارسين معالمها، وتعذر عليهم استيعاب ما يوحّد بينها، وصار جائزاً لديهم التحدث عن ذلك بما يتيسر من الكلام، بدون نهج أو أصول أو حدود. ولذلك وجب علينا أن نتابع هذا الموضوع بعناية، ليبيان ما يستحقه من التفصيل، وتأصيل نهج قويم في الإجراءات الإعرابية، للنص القرآني العظيم.

## المفاهيم الاصطلاحية للإعراب:

للنحو في حقيقة الإعراب مذاهب متعددة<sup>(١)</sup>. غير أن اختلافهم هذا لا يقدّم بوضوح ما تضمّنته المصادر التراثية، من دلالات على مفهوم الإعراب. فالدارس يجد نفسه إزاء دلالات توزّع على ما يلي:

**أولاً: الاستعداد الإعرابي:** والمراد به أن الإعراب هو صفة ذاتية، تلبّس المفردات قبل التركيب، لتغيّر آخرها باختلاف العوامل عليها<sup>(٢)</sup>. فالأسماء عامةً وبعض الأفعال خاصةً تحمل في بنيتها اللغوية استعداداً بالقوة، للتأثير بما يصاحبها من عوامل تركيبية، دلالة على الوظائف والعلاقات المختلفة في التعبير، ثم يكون في التعبير نشاط وتفاعل، يولّدان في الأداء بالفعل ما كان كامناً. وعلى هذا، فقد انشطرت المفردات شطرين: أحدهما مُعرَّب يتلوّن آخره في التركيب، والآخر مبني يلازم لفظه الأصليَّ.

(١) ينظر كتابي: مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء (ص ٣٩ - ٦٨).

(٢) الملخص في ضبط قواعد العربية لابن أبي الريبع (ص ١٠٤). ونسب هذا الرأي إلى الزمخشري وعبد القاهر الجرجاني.

ثانياً: إعراب التعبير: وهو التعبير عن الوظائف التركيبية والمعاني النحوية والعلاقات والدلالات لعناصر الكلام، بالنحو والنحو والصوت صياغةً وأداءً، أو بالصوت وحده قراءةً. وهو معنى قديم للإعراب في تاريخ الاصطلاح، فلقد نسب إلى يعرب بن قحطان - وهو من قدماء العرب - أنه قال<sup>(١)</sup>:

وَلِفَظَكَ أَعْرِبْهُ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ فَإِنَّكَ مَرْهُونٌ بِمَا أَنْتَ لَافِظٌ  
وأوضح من هذا، في الدلالة على ما زعمنا، أن السيدة عائشة قالت: «ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قطٌ، إلا بيتاً واحداً»:

تَفَاءلْ بِمَا تَهْوَى يَكُنْ فَلَقَلَّمَا يُتَّقَالْ لِشَيْءٍ «كَانَ» إِلَّا تَحَقَّقَ  
ولم يقل: «تَحَقَّقاً»، لئلا يعربه فيصير شرعاً<sup>(٢)</sup>. فالمراد إذاً بالإعراب هنا هو الأداء الدقيق الوافي، كما تقتضي لغة العرب الفصحاء، إذ هو في الأصل اللغوي يعني الإيضاح والبيان.

ثالثاً: الإعراب التركيبي: وهو علم الإعراب، أي: «الأصول التي تُعرف بها أحوال تركيب كلام العرب». ويعادله علم الصرف قسيماً له في مجموع النحو، وإن كان بعض المتأخرين والمعاصرين يجعل الصرف قسيماً للنحو، جرياً مع المعنى المجازي. وعلم الإعراب هذا قد ضمَّ في طياته جميع مفردات اللغة، ولم يخصَّ المعربات فحسب، رغم أن ظاهره الاهتمام بالإعراب.

وأقدم ما عُرف من هذا العلم، خلافاً لما يردّده المستشرقون وبعض الدارسين العرب، هو قول الإمام عليٍّ رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>: «الكلام كله اسم و فعل و حرف».

(١) وينسب إلى قحطان. الإكليل في أنساب حمير وملوكها للحسن بن أحمد الهمذاني (١٧٧/٨)، ووصايا الملوك (٢/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٥٦/٣)، وفتح القدير للشوکانی (٤/٥٣٥).

(٣) أمالی الزجاجی (ص ٢٣٩ - ٢٣٨)، ونرہة الأباء (ص ٤ - ٦).

والاسم: ما أَنْبَأَ عن المُسْمَى، والفعل: ما أَنْبَأَ عن حركة المُسْمَى، والحرف: ما أَنْبَأَ عن معنى ليس باسم ولا فعل. والفاعل مرفوع وما سواه مُلْحَقٌ به، والمفعول منصوب وما سواه مُلْحَقٌ به، والمضاف إليه مجرور وما سواه مُلْحَقٌ به».

وقد دُوِّنَ هذا قديماً في «صحيفة» أو «تعليق» للإمام عليٰ رضي الله عنه، ثم تلته جهود أبي الأسود الدؤلي (ت: ٦٩ هـ)، في كتابه «المختصر»، وجهود تلاميذه ومن خلفهم<sup>(١)</sup>، في الآثار الباقية حتى العصر الحاضر. ومع توسيع البحث بين العلماء، واستفاضة الأحكام والضوابط والتفرعات والمذاهب في التوجيه والتعليل واكتشاف غرائب الفروع والمسائل، فقد بقي الاعتقاد السائد عند العلماء هو ما جاء في «التعليق» الكريمة. وهذا محيي الدين الكافيجي (ت: ٨٧٩ هـ) يقول: «أصل النحو ثلاث قواعد، والباقي من القواعد والاصطلاحات زيادة عليها. وقد تقرر أن علل النحو اعتبارات بعد الواقع لا موجبات»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: الإعراب اللفظي: أعني التعبير عن الوظائف التركيبية للمفردات بأصوات أو أحرف، تلحق أواخرها أو تُحذف منها. وعلى هذا فالإعراب: أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل؛ ولذا يقال: «إن الإعراب هو ما اختلف آخر المُعرَب به». فهو عبارة عما به الاختلاف، أي: الحركات والأحرف والحدوف المُبيّنة لمعاني اللغة<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت القبائل العربية، على الرغم من الخلافات اللهجية المعروفة بينها، تتفقّيد بهذا الإعراب اللفظي في كلامها، ولا سيّما إذا كان المقال شعراً أو خطابة أو كهانة، أو مناظرات ومفاحرات في المجالس العامة. فالكلام بين الأفراد والجماعات رهين بعروبة البيان والإعراب، صياغة وتركيبياً ولفظاً، مع فصاحة في الأداء والتعبير.

(١) ينظر (ص ٤٢ - ٤٠) من كتابي: ابن عصفور والتصريف.

(٢) مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصاييف للملاء علي القاري: (١٦ / ٢٧).

(٣) الإيضاح في علل النحو للزجاجي (ص ٩١).

**خامساً: الإعراب المعنوي:** والمراد به أن ظواهر التغيير في أواخر الكلمات المعرفة هي معانٍ وظيفية، يتلقّاها السامع والقارئ للكلام، وتكون الحركات والسكنات والحرروف والحدوف المستخدمة في ذلك دلائل على تلك المعاني.

وعندي أنَّ الإعراب، بخلاف ما توزَّع فيه النحاة، ليس لفظياً صرفاً ولا معنوياً خالصاً، لأنَّه في الواقع اللغوي التعبيري محصلة لمجموع المفهومين المذكورين. فهو صور صوتية معينة، لمعانٍ سياقية وموقع تركيبية مخصوصة، تتحقق في الأداء الكلامي أو الكتابي أو الذهني. وقد كان لها في بنية المفردات قدرات كامنة بالقوّة أطلقها التعبير الناجز بالفعل.

ثم إنَّ هذا المفهوم من الإعراب له صور مختلفة في التركيب<sup>(١)</sup>: يكون لفظياً تظهر علاماته في أواخر المفردات الصحيحة الآخر والشبيهة بصحاحتها، ومحلياً اعتبارياً في الجمل، وفي المفردات المبنية الآخر التي حقّها أو موقعها موقع إعراب.

**سادساً: إعراب الصيغة:** أعني دلالة الصيغة في بنية المفردات، بما تحمله من نمط حركات وسكون، على المعاني الصرفية التي تتضمّنها. فقد ذهب بعض المتقدّمين من النحاة إلى أنَّ هذه الظواهر، مع ما يشبهها من ضوابط، هي إعراب أيضاً.

فقولك: «همزة» يختلف معناه إذا كان اللفظ بضم الهاء مع فتح الميم أو سكونها، أو بفتح الهاء مع فتح الميم أو سكونها أيضاً. وفي الأفعال ييدو هذا الاختلاف الدلالي أيضاً. فنحو قولنا: «علم» يكون لضبط العين واللام أثر ظاهر في تغيير المعنى، بين صيغ المعلوم والمجهول والتعجب، وكون العلم للغريزة والسجية.

وقد قام أبو الأسود الدؤلي بتحقيق هذا في إعراب القرآن الكريم حين نُقط المصاحف الشريفة، فضبط بذلك حركات أواخر المفردات وما أشكّل من حركات

(١) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (ص ٩٤٤).

بنيتها أيضاً<sup>(١)</sup>. وقلَّ من تنبَّه لهذا من الزملاء الأكارم، إذ توهم جمهور الباحثين المعاصرین لنا أن ذلك الإعراب خاصٌ بأواخر الكلمات، مع أن دلالته واضحة في أذهان القدماء وألسنتهم وأفلامهم.

**سابعاً: الإعراب التحليلي:** وهذا الضرب من الإعراب يتناول عناصر التركيب بالتحليل، فيبيّن وظائفها فيما حولها من الكلام، ومعانيها النحوية السياقية، وعلاقات بعضها بعض من تأثير وتأثير، ويتابع ما فيها من إعراب ظاهري أو محلّي أو مقدر أو محكيٍّ، مع دراسة تحليلية للصيغ الظاهرة والمقدرة وما جرى فيها من التصرف، وما تحتمله ضمن التعبير، وللدلالات الصرفية، ولمعاني الأدوات وعملها في العناصر اللفظية مفردات وجملًا وأشباه جمل.

وهو لا يقتصر أيضاً على مُعَرب الكلمات كما ذكرنا، بل يضم المبنيّات منها، ويتناول أشباه الجمل، والمصادر المُؤَوَّلة، ثم يشمل الجمل التي لها محل، أو ليس لها محل من الإعراب. وهي مركبات تعبيرية ولا تحمل شيئاً من رموز الإعراب المعروفة.

**ثامناً: الإعراب الصوتي:** ونعني به «الإبابة عن المعاني بالألفاظ»، كما قال ابن جنّي<sup>(٢)</sup>. فهو إذًا: تلوينُ أواخر الكلمات المُعَرَّبة بما يناسب التركيب، من رفع ونصب وجر وجزم، أو تغييرُ هذه الأواخر للدلالة على الوظائف التركيبية لها، تبعاً لمتطلبات التعبير. وقد اختلف النحويون، في هذا اللون الإعرابي: الفظيُّ هو أم معنويُّ؟ وعندى أنه يضم الجانبيّن، كما ذكرت من قبل، لأنَّه لفظ مخصوص يدل على وظيفة تركيبية وموقع نحوبي.

(١) انظر دراسات في تاريخ الخط العربي لصلاح الدين المنجد (ص ٦٥ و ٦٧ و ٧٢).

(٢) الخصائص (٣٥ / ١).

ولا شك أنّ العرب كانوا يُجرونه في كلامهم شعراً ونثراً، وفي كتاباتهم قبل الإسلام، ثم نزل القرآن الكريم فزاده وضوحاً وتحقيقاً واستعمالاً. حتى إنه قد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ، وَتَمْسِحُوا غَرَائِبَه»<sup>(١)</sup>، ثم تتبع أبو الأسود الدؤلي مظاهر هذا الإعراب، في ممارساته التدريسية والتعليمية خلال عشرات السنوات، ورَصَدَ صورَها وأشكالها المختلفة فيما جاء منها عن بعض الكتبة، وشرع يثبتها في المصحف الشريف، بمدينة البصرة على عهد وإليها زياد بن أبيه (٤٥ - ٥٣).

قال<sup>(٢)</sup>: «رأيت أن أبدأ بالقرآن» ولتحقيق ذلك - في أشهر الأقوال - اختار من يثق به من بنى عبد القيس، وأمره بقوله: «خُذِ الْمُصْحَفَ وصِبِغَا يَخَالِفُ لَوْنَ الْمِدَادِ. فَإِذَا فَتَحْتُ شَفَتَيِّ فَانْقَطَتْ واحِدَةٌ فَوْقَ الْحَرْفِ، وَإِذَا ضَمَّتُهُمَا فَاجْعَلِ النَّقْطَةَ إِلَى جَانِبِ الْحَرْفِ، وَإِذَا كَسَرْتُهُمَا فَاجْعَلِ النَّقْطَةَ فِي أَسْفَلِهِ، فَإِنْ أَتَبَعْتُ شَيْئاً مِّنْ هَذِهِ الْحَرْكَاتِ غُنْنَةً فَانْقَطَتْ نَقْطَتَيْنِ» وهكذا ابتدأ بالمصحف الشريف من أوله، حتى أتى على آخره بذلك، ثم صنف كتابه الذي سُمي «المختصر»، يبسّط فيه الأصول والفروع التي تبدّلت له من تنفيذ ذلك العمل الكريم.

والحق أنّ هذا الإعراب الذي عمّمه أبو الأسود لم يكن مقصوراً على أواخر الكلمات المُعرَبة، كما زعم بعض المعاصرين<sup>(٣)</sup>، وإنما شمل جمهور الحروف المكوّنة للكلمات، من دون تمييز بين معرب ومبنيٍّ، وكان فيه أيضاً تحقيقاً لما ذكرنا في إعراب الصيغة قبل. ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي، فهذّب أسلوب الدؤلي في الضبط، بوَضْعِ الحركات المتعارفة الآن، مع زيادة صور للسكون والهمز والتضعيف

(١) مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (١/٧٥)، والإتقان في علوم القرآن للسيوطى (١١٣/١) و(٢/١٧٥).

(٢) إيضاح الوقف والإبتداء لابن الأباري (٤١/١)، والمحكم في نقط المصاحف للدانى (ص ٧).

(٣) ينظر: إحياء النحو لإبراهيم مصطفى (ص ٢١).

والتبخيف والمد والروم والإشمام<sup>(١)</sup>. وقد بالغ في الدقة والبيان، حين جعل كل حركة جزءاً صغيراً جداً أو صورة مصغرّة، مما يناسبها في الأحرف والكلمات.

تلك هي مفاهيم مصطلح الإعراب، عرفها القدماء والمتأنرون، وتداولوها في المجالس والكتب والرسائل، يعبرون بها في يسر ودقة وأمانة، ثم غابت تلك المعالم لدى بعض المعاصرين لنا، فكان اختلاط في الفهم والتعبير والتوظيف والنقد والتوجيه. ولهذا ترى أن الزملاء الكرام احتلّت لديهم صور تلك الدلالات المختلفة، واجتمعت عندهم في ميادين أضيق من ذلك وأقل، وصارت تُرد لفاظ «الإعراب» في عباراتهم أحياناً، وكأنها ذات معنى اصطلاحٍ واحد، فأصبح من الضروري تحديد أبعاد المقاصد العلمية لهذا المصطلح العلمي، في السياقات المتمايزة.

### التحليل النحوى:

من خلال ممارستنا لميادين عروبة اللسان قراءة وتعلماً وبحثاً وتحقيقاً وتدرисاً وتطبيقاً، تبدّلت لنا معالم المسيرة التاريخية لعمليات التحليل بثرائها، وسعة أفقها، وبعدها عمماها، وتوزّع عناصرها، في الحقل التطبيقي بين ثنيا الموضوعات الجانبية، وما يكون عن ذلك من ضياع عند بعض الدارسين للمفهوم بين أمواج الحقول المتعددة الآفاق والمداخلة الجوانب، فكان علينا أن نستلّ عنصر التطبيق من أقرانه، لنجعله نصب الأعين بوضوح وتميز وتحديد للأبعاد والجزئيات المكونة. وإنما يتحقق ذلك باتخاذ سبيل منهجية واضحة المعالم، تساعد المؤلف والقارئ والدارس على السير بخطوات منتظمة متسلسلة متعاونة في استيعاب جميع عناصر الإعراب، وتأدية التعبير عن ذلك بالوفاء والتمام. وهذا يتطلب بيان المراد بالتحليل النحوى، والمنهج العملي لتنفيذ ذلك.

(١) المحكم (ص ٦).

فمفهوم التحليل غائم جداً في أذهان الدارسين والمدرّسين والمؤلفين اليوم، يتناول كُلّ منهم جانباً أو عنصراً أو مجموعة من الجوانب والعناصر، بمزاجيته الخاصة، وعباراته الملتوية المتعددة الأنماط على غير هدى ولا بصيرة، وهو يحسب أنه قد أحسن صنعاً. ولهذا ترى لديه أشتاتاً من المقولات والعمليات لا وحدة بينها في الفهم والتوجّه والإنجاز، حملتني على الشروع في تحديد الميدان وتوضيح المعالم ضمن كتابي<sup>(١)</sup> «المورد النحوي الكبير نماذج من التحليل النحوي في الإعراب والأدوات والصرف»، حيث بسطتُ المفهوم النظري، ثم النهج العملي، من خلال نصوص أدبية مختارة.

ثم جاء كتابي «التحليل النحوي، أصوله وأداته» لتعزيز النظر ببحث علمي وافٍ للمقاصد والأساليب والبيان، فأصبح للموضوع نطاقه المحدود ومفاهيمه الواضحة وعناصره المكونة وأساليبه ومصطلحاته المتداولة، إذ يسّر الله - سبحانه وتعالى - لي بعد ممارستي لهذا الفن أن أجعل منه عِلْماً، وأضع له تعريفاً يعين المفهوم والعمل فيه. فقد تبدّى لي، كما ذكرتُ من قبل، أن التحليل النحوي هو<sup>(٢)</sup>: «تمييز العناصر اللغوية للعبارة، وتحديد صيغها ووظائفها ومعانيها النحوية والعلاقات التركيبية بينها، بدلالة المقام والمقال». وهذا يقتضي منك مراحل متتابعة نوجزها فيما يلي:

أولاًها: أن تفرق العناصر اللغوية والدلالية والتشكيلية المكونة للتركيب، بعضها عن بعض، اعتماداً على أدلة المقام والمقال وظواهر الصوت والصورة والتكوين.

(١) (ص ٨-٩).

(٢) ينظر كتابي: التحليل النحوي أصوله وأداته (ص ١٤).

والثانية: تعين أنماط تلك العناصر وأنساقها وخصائصها ووظائفها، وما بينها من تلاحم وعلاقات، وتبادل لمعاني الإعرابية والصرفية، وما لها من حضور أو غياب، وتبدل في اللفظ والصيغة والدلالة اللفظية والرتبة.

والثالثة: اكتشاف صورة النظم الذي يسود كلاً منها، والوظائف التي تقوم بها، والدلالات النحوية التي تؤديها معاونته، في حيز التراكيب الصرفية والإعرابي، وفي حضور الأدوات والسياق العام للتعبير.

وهذا يعني أنه لا بد من منهج علمي تعتمده أنت معي في التحليل الإعرابي للمفردات والجمل وأشباهها، وتحليل معاني الأدوات، والتحليل الصرفي، بمصطلحات وأساليب محفوظة متقنة مقتنة. وبذلك تؤدي معاً عمليات معاونته ومتكاتفة، للوصول إلى إنجاز ما يقتضيه الإجراء التطبيقي المقصود.

وقد قمت بشيء من ذلك في بعض كتبى القديمة، ثم توجهت إلى استيعاب جميع العناصر في المصنفات المنهجية، بعد تواردها في «المفصل في تفسير القرآن الكريم». ولقد كان آخر ذلك في: «شرح بانت سعاد، وشرح القصائد السبع الطوال، للخطيب التبريري، ورياض الصالحين للإمام النووي»، حيث أجريت المراحل كلها بالدقة والتسلسل والتفصيل، والاعتماد في كثير منها على شبه ثمار من نهج واضح للقسمات لمضمون التعريف المذكور.

### أساليب التحليل ومعادلاته:

الأصل العملي الواجب في الإجراءات التحليلية هو أن يكون سياق التعبير منطقاً من الأعم إلى العام فالخاص فالخاص، مع توحيد للمصطلح في كل حقل من حقول الإجراءات، ولأساليب التعبير وسوق العبارات فيها. وإلاً فمما يزيد الأمر تعقيداً وتضليلًا في نفوس الدارسين والقراء أن تختلف - خلال العمليات

التحليلية – أساليب التعبير عن العنصر الواحد في موقع معين ووظيفة محددة، فترى كل مدرس أو مؤلف أو موجه يتخد لنفسه أسلوباً خاصاً أو أساليب متعددة لا ضابط لها، ولا حدود.

وبذلك يتلقى الطالب المتخصص في هذا العلم صوراً متباعدة من الأساليب والتركيب، يتعدد عليه الجمع بينها، ليتّخذ منها فهماً دقيقاً وأسلوباً معيناً، فإذا هو شبيه بما عرفته بين الطلاب الصينيين منذ ثلاثين سنة، فقد سمعتهم يعبرون عن ذلك بما تسعفهم به الذاكرة والخبرة، من ترجمات للمصطلحات والمفاهيم والأحكام والعبارات، فلا تجد فيما بينها ضرباً من التشابه أو اللقاء، ولا في أداء الفرد منهم شيئاً من الوحدة والانتظام، مع أنهم جميعاً يؤدون معلومات في ذلك شبه موحدة.

وكذلك ما تصادفه بين العاملين من العرب في هذا الحقل. فكل يصوغ العبارات التحليلية بما يعنُّ له، لتكون قاصرة مقتضبة برموز اختصار، أو فضفاضة بعيدة عن الدقة والاستيفاء والإفادة للمخاطب، فيعجز أن يكون المهارة الكافية لفهم الأصول النظرية وربطها بالإجراءات التطبيقية. ولا شك أن توحيد التعبير والاصطلاح أو شبهه يقيم علاقات منطقية بين النظر والتحليل، ويغرس في الذهن ولسان واليد مهارات منظمة جاهزة للعمل الإيجابي المستمر الناجح.

يضاف إلى هذا التوحيد أن يُلغى، في إجراءات التحليل، استعراض المعرف الخاصة ببسط الوجوه المختلفة لما يجوز وما يحتمل، وعرض اللغات واللهجات القبلية المتعددة والمذاهب الجماعية والفردية للنحو، ثم ما يجوز لي ولك أن نقتحم فيه أيضاً. فمثل هذه الاستعراضات والعروض في غير المستويات التخصصية العليا يشتّت الدارس، ويوزع لديه قنوات التفكير والتقدير والتعبير، ويرسخ عنده أن عوالم النحو واسعة لا حدود لها ولا سواحل، مطلقة رجراجة هلامية يجوز فيها كل شيء، والإحاطة بها مُحالة، فلا حاجة إذًا إلى تكوين معارف محددة، وحسبُ المرء مهارةً

في تشكيل الكلام، واستعراض ما يعني بتفصيل بين المذاهب والوجوه واللهجات والاجتهادات الخاصة.

فقد روي أن الحسن بن قحطة جمع بين الكسائي والأصممي وعيسى بن عمر، في بغداد، فطلب عيسى بن عمر من الكسائي تحليلًا لهذه العبارة<sup>(١)</sup>: «هَمَّكْ مَا أَهَمَّكْ»، فذهب الكسائي يقول: «يجوز كذا، ويجوز كذا»، فقال عيسى له: «عافاك». إنما أريد كلام العرب، وليس هذا الذي تأتي به كلام العرب». قال أبو العباس ثعلب: «وليس يقدر أحد أن يخطئ في هذه المسألة، لأنَّه كيف عَرَبَ فهو مصيب». وإنما أراد عيسى من الكسائي أن يأتيه باللفظة التي وقعت إليه، دون عرض الاحتمالات المتتصورة للمعاني المتعددة والوجوه المفترضة.

فمثل هذا الأمر من التشتيت يزيد المَهارات الإيجابية تميّعاً، حين يُسطّط في تحليل العبارة الواحدة ما يحتمله كل عنصر منها على أنه وظيفة إعرابية أو صرفية. وبذلك يكون أمام الدارس وجوه متعددة متفرقة، لا يستطيع ربط كل منها بلفظه وقرنه من محتملات العناصر الأخرى، وتصبح لديه العلاقات التحوية والوظائف والمفاهيم اعتباطية سائبة، تصلح للتوظيف في أي توجيه كان. إذًا فلا حاجة لنا جميعاً إلى التدقيق والتعيين والرباط المنهجي في الفهم والأداء.

(١) طبقات التحويين واللغويين للزبيدي (ص ٣٧)، ومجالس العلماء للزجاجي (ص ١٤٨)، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب للحموي (٦ / ١٠٢ - ١٠٣)، وإنها الرواة للفقطي (٢ / ٣٧٦ - ٣٧٧)، واللسان والتاج (هم). وفي الروايات أيضاً أن الكسائي هو السائل لعيسى بن عمر، وفي التركيب احتمالات كثيرة للإعراب، منها أن:

هم: مبتدأ خبره «ما» أو الجملة الاسمية، أو خبر لمحدوف أو مقدم، أو مفعول لمحدوف أو منصوب بنزع الخافض أو فعل ماض، أو مجرور بحرف اللام أو: في. والكاف: تتبع ذلك. وما: اسم استفهام مبتدأ، أو نكرة تامة مبتدأ، أو موصول خبر لما قبله أو بدل مما قبله أو مبتدأ مؤخر، أو مفعول مطلق لما قبله، أو فاعل، أو اسم شرط جازم والجواب دل عليه ما قبله، أو حرف نفي، أو حرف زائد. وأهم: فعل ماض، أو اسم تفضيل خبر لـ«ما»، أو لـ«هم». والكاف: تتبع ذلك.

وهذا كله وارد و منتشر بين صفوف المدرسين والموّجهين والمؤلفين والباحثين والدارسين وأهاليهم، بالإضافة إلى ما يتحصل من غموض وتوزع في الفهم المعنوي للعبارة المحللة، إذ غاب عن الميدان ارتباط كل وجه بمعنى يخصه، وتقلىت من الأيدي صلات ما بين الأصول النحوية والإجراءات التحليلية والمعاني المؤداة في الخطاب.

وقد تبدّلت هذه الأحوال - كما ذكرتُ قبلُ - مجتمعة في كتب التفسير وأعاريب القرآن الكريم أو نصوص الشعر والشواهد، مضافاً إليها في الموضوعات القرآنية ما يؤثّر في التوجيه النحوي من تعداد لأسباب النزول والأحكام الشرعية، ولأنماط من قراءات اللفظ الواحد، وأشكال من المعانى الدلالية له. وعلى هذا فقد صارت القضية، في الظاهر، معضلة من المتأهّبات المتشابكة، إذ أصبح أمّام القارئ مجموعات أنفاق وخطوط متداخلة كما ذكرنا قبلُ يتعدّر عليه تفكّيك التداخل والتشابك فيما بينها، ليصل كلّ وجه بما يناسبه من الوجه.

ثم تأثر ذلك وجرى عليه من يُعرّبون النصوص القرآنية والنبوية والشعرية في صفوف المتأخّرين والمحدثين والمعاصرين، فجعلوا الطلّاب في تيّه على مفترق طرق، بل في متأهّبات على مفارق للطرقات، بلا دليل أو صوّى أو معالم تهدي في الشّعب، وتوّجّه إلى الصواب، وهم يظنون أنّهم يقدّمون عملاً كريماً. غالباً ما يكون أحد هؤلاء المعربين عاجزاً عن التحرير للمسائل المطروحة والتنسيق للقنوات المبثوثة المتشابكة، فيكون تعكير الماء إذ ذاك أفسح للصيّد الطائش، والتجوال في المعّمّيات والألغاز.

لقد نسي هؤلاء المعاصرُون لنا أن المصنّفات التراثية التي كانت قبلهم وحصل فيها ذلك التشتّت، قد ألقّها علماء كبار، وهي موضوعة أيضاً لنظرائهم من الذين يمتلكون المهارات الكاشفة للسبيل، والقدرات الجاهزة لإقامة القنوات والعلاقات

المتوصلة، وتعبيد السبل المتمايزة، واعتماد المقاييس والوسائل المعددة لتقويم الاختيار، وتعيين الأوصال المتواشجة، والمعايير المنطقية الدقيقة لتلمس الصحة والاستقامة في التوجّه والاحتكم.

فأولئك العلماء وهم يسلكون في القديم مسارات السبل المتقاطعة والمعالم المتداخلة بوعي وتفهمهم، ويُلقون أو يتلقّون تيه المقولات بأضواء كاشفة وتبصرُ واقتدار، ثم يقرأ عليهم الطلاب ما ذكرنا من المصنفات، فيمسكون بأيديهم في تلك المسالك ويوَجِّهونهم إلى فك الارتباطات، ويُمْلِكُونهم مهارات التفهم والوعي والإدراك. وهذه المَلَكات والمَهارات ليس منها شيء بين أيدي كثير من زملائنا الكرام وطلَّابنا المنكوبين، الذين تضعهم المقولات والمصنفات والأموال في مسارب الظن والتخيّن، لإقامة علاقات وهمية مختلة بين تضاعيف الخطاب.

فاستبعاد هذه الخلافات وتلك المصنفات في التدريس والتوجيه لغير المختصين، وتجنب تقليلها في التعليم والتصنيف، و اختيار أبسط الأساليب التعبيرية، والتزام الصور المعينة المحددة في التحليل، أمور تيسّر السبيل المنطقي لفهم الصلات النحوية، وتكون في الدارس مَلَكات المَهارة الجاهزة للممارسة والاستعمال.

نعم إنما يحسن أو يجب حضور بعض هاتيك الخلافات في السنوات الجامعية للمختصين في اللغة أو الأدب أو العلوم الشرعية، مع توضيح العلاقات بين وجوه الاختلاف والمعاني المقصودة في العبارة، وتحديد الخطوط الواصلة بين كل وجه محتمل للعنصر الواحد ولفاته وأقرانه في العناصر المكوّنة للخطاب، و اختيار ما هو أقرب إلى الصواب بعيداً عن التقحّم بالتقديرات المصطنعة والتمحّل والاعتراض. وبهذا يكون للتبسيط والاستعراض تصليل منطقي بين المحتملات ووظائفها في المقاصد والربط والتوجيه، وتحرير للمسائل المتعاظلة وتدريب على التفهم والاختيار.

ومثل ذلك هو ضرب من «مسائل التمرين» يُعرض على المختصين اختصاصاً عالياً في الميادين النحوية والشرعية، وهم يتقنون أصولها وتفرعاتها والمذاهب المختلفة لعلمائها واللهجات المتعددة للقبائل، ويُحسنون الاستفادة من ذلك لحل المشكلات والتوسيع في تحكيم المعلومات في الظواهر المتداخلة والمتشعبّة، فيتدربون على المَهَارَة في استخدام الذِّخِيرَة المعرفيَّة لممارسة تخصُّصاتهم في ميادين العمل.

ولقد اتسع هذا الأفق بين كبار النحاة والمُعربين منذ القرن الثاني، ولا سيما رجال المذاهب المختلفة من بصرية وكوفية وبغدادية، فكان في مجالسهم وفي اجتماع بعضهم في المساجد وعند الأمراء والخلفاء، تسابق في تشقيق الوجوه للمسألة الواحدة، واختبار بعضهم بعضاً في ذلك، كالذى رأيناه من قبل بين عيسى بن عمر والكسائي. وحسبك أن تتصفح كتاب «مجالس العلماء» للزجاجي، ف فيه نماذج كثيرة من هذه الميادين بين قدماء النحاة<sup>(١)</sup>.

ثم يواجهك ابن هشام الأنباري، في الجهة الخامسة من الباب الخامس لكتابه «معنى الليب»، بحشد كثيف من المسائل يعبّر عن المُعرب فيها «أن يترك ما يحتمله اللفظ من الأوجه الظاهرة»<sup>(٢)</sup>، فييدي ما أغفله بعض النحاة، ويستدرك ما يُحتمل وما لا يُحتمل بافتراضات وتقديرات بعيدة جداً عما يخطر في ذهن المتكلّم أو السامع أو الباحث أو الدارس.

بل لقد ذكر النحاة أن في إعراب «ما» من أول كتاب سيبويه (٥٠) وجهاً، وأن البيت العاشر من الألفية يحتمل (١٤٠) وجهاً للإعراب، وروى السيوطي عن شيخه

(١) انظر منه على سبيل المثال (ص ١ - ٤) و(٤٢ - ٤٣) و(٥٠ - ٥٣) و(٥٦ - ٦٢) و(٨١ - ٨٤) و(٤٠ - ١٠٦) و(١٢٧ - ١٢٨) و(١٤٣ - ١٤٧) و(٢١٨ - ٢٢٧) و(٢٨٨ - ٢٩٣) و(٣٠٠ - ٣٠٢) و(٣٢١ - ٣١٨).

(٢) معنى الليب (ص ٦١٤ - ٦٣٠).

الكافِيَجيُّ أَنْ فِي تَوْجِيهِ «زَيْدُ قَائِمٍ» (١١٣) بِحَثًّا، وَكَانَ قَدْ صَنَعَ ابْنُ الْعَرِيفِ الْأَنْدَلُسِيِّ عَبَارَةً تَحْتَمِلُ بَضْعَةَ وَعِشْرِينَ مَلِيُونًا مِنْ وِجُوهِ الْإِعْرَابِ<sup>(١)</sup>.

وَأَنْتَ مَعِيَ فِي وِجُوبِ حَظْرِ التَّبَسْطِ فِي تَلْكَ الْأَمْرَيْنِ بَيْنِ الدَّارِسِينَ عَامَّةً، وَخَصْرِهِ فِي النَّحْوِ الْعِلْمِيِّ، أَوْ مَا يُعْرَفُ بِتَارِيخِ النَّحْوِ، لِيَرْكَنَ إِلَيْهِ مَنْ ذَكَرْنَا مِنَ الْمُتَخَصِّصِينَ. فَهُؤُلَاءِ عُرْضَةٌ لِمَصَادِفَةِ نَمَادِجِهِ فِيمَا سِيمَارْسُونَهُ مِنْ مَطَالِعَةِ لِلْمَصَادِرِ التَّرَاثِيَّةِ وَبَعْضِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْبَحْثِ وَالْتَّدْرِيسِ؛ بَغْيَةٌ تَقْلِيبِ الْوِجْهَيْنِ وَالْتَّدْقِيقِ فِي التَّحْلِيلِ وَالْفَهْمِ وَالْتَّوْظِيفِ لِمَعَارِفِ عِلْمِ الْعَرَبِ.

أَضَفْ إِلَى مَا مَضِيَ بِيَاهُ وَجُوبَ تَمِيزِ مَصْطَلِحَاتِ الْعِلْمِ الْمُتَعَاوِنَةِ فِي التَّحْلِيلِ، لَئَلَّا يَقْعُدُ اخْتِلاطُهُ فِي اسْتِخْدَامِهِ وَدَلَالَاتِهِ عِنْدَ التَّدْرِيسِ وَالْتَّطْبِيقِ، وَلَا يَكُونَ التَّدَافِعُ وَالتَّقْحِيمُ، مَا يُفْقَدُ التَّعبِيرُ بِهَا قِيمَتُهُ وَبِيَاهُ وَوَظَائِفِ الْعَنْصُرِ فِي الْإِعْرَابِ وَغَيْرِهِ. وَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْكَنْتَ وَمَا زَلتَ تَسْمَعُ أَوْ تَقْرَأُ مَا يَلِي:

لَمْ: حَرْفُ نَفْيِ وَجْزِمِ وَقْلَبِ. وَلَمَّا: نَافِيَةٌ جَازِمَةٌ. وَالْفَاءُ: حَرْفُ دَالِ عَلَى التَّعْلِيلِ. وَلَا: نَاهِيَةٌ جَازِمَةٌ. وَرُبْ: حَرْفُ جَرِ لِلتَّكْثِيرِ. وَإِنْ: حَرْفُ تَوْكِيدِ وَنَصْبِ. وَكَأَنْ: حَرْفُ تَشْبِيهِ وَنَصْبِ. وَلَنْ: حَرْفُ نَفْيِ لِلْمُسْتَقْبَلِ وَنَصْبِ. وَكَيْ: حَرْفُ تَعْلِيلِ وَنَصْبِ. وَأَنْ: حَرْفُ مَصْدَرِيِّ نَاصِبِ. وَلَا: حَرْفُ دَعَاءِ. وَأَلَا: أَدَاءٌ اسْتِفْتَاحٌ وَتَنْبِيَهٌ. وَأَوْ: أَدَاءٌ بِمَعْنَىِ إِلَّا. وَلَا: أَدَاءٌ نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ. وَاللَّامُ: أَدَاءٌ تَعْلِيلٌ. وَلَيْتَ: أَدَاءٌ تَمْنُّ وَنَصْبٌ. وَالْفَاءُ: فَاءُ الْفَصِيحَةِ. وَلَوْ: حَرْفُ امْتِنَاعٍ لِامْتِنَاعِ. وَلَوْلَا: حَرْفُ امْتِنَاعٍ لِوُجُودِ. وَهَلْ: حَرْفُ اسْتِفْهَامٍ بِمَعْنَىِ النَّفْيِ. وَقَدْ: حَرْفُ تَحْقِيقٍ يَقْرَبُ الْمَاضِيِّ إِلَى الْحَاضِرِ.

(١) التَّعْلِيقَةُ عَلَى كِتَابِ سِيبُويِّهِ لِلْفَارَسِيِّ (ص ٢٦) مِنْ مَقْدِمَةِ الْمُحَقِّقِ، وَأَقْسَامِ الْأَخْبَارِ لَهُ (ص ٢١٦)، وَبِغَيْةِ الْوَعَةِ (١/١١٧ - ١١٨ وَ ٣٢١)، وَحَاشِيَةِ الصِّبَانِ (١/٣٩)، وَحَاشِيَةِ الْخَضْرِيِّ (١/١٨)، وَإِتْحَافِ ذَوِيِّ الْاسْتِحْقَاقِ لِابْنِ غَازِيِّ الْمَكْنَاسِيِّ (١/١٧٨)، وَالْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ لِلْسِيُّوطِيِّ (٣/٩٦ - ٩٧)، وَكَتَابِيِّ التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ (ص ٢٠٢ - ٢٠٦).

والكاف: ضمير المخاطب مضاد إليه. وقدِّ اسم بمعنى: كافٍ. ولدى: ظرف بمعنى: عند. وإذا: ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه. والعاليين: خفض بالإضافة، وعلامة خفضه الياء لجريانه مجرى جمع المذكر السالم. والرحمن الرحيم: صفتان مشتقتان من الرحمة، والرحمن: من أبنية المبالغة، وفي الرحيم مبالغة أيضاً، إلا أن فَعْلَانَ أبلغ من فَعِيلَ. والمستقيم: صفة للصراط، وهو معتل وعين الفعل واو، والأصل «مُسْتَقِوم» فاستُقلَّت الكسرة على الواو فنقلت إلى القاف، فانقلبت الواو ياء لأنكسار ما قبلها. وسُجِّداً: حال، وهو جمع ساجد.

وأعوذ: فعل مضارع، وأصله «أَعُوذُ» بضم الواو مثل: أَقْتُلُ وأخْرُجُ أنا. وإنما نقلوا حركة الواو؛ لأن الضمة ثقيلة عليها، إلى الساكن قبلها. ونستعين: فعل مضارع مرفوع، وهو معتل أجوف، والأصل فيه «نَسْتَعِونُ» فاستُقلَّت الكسرة على الواو فُنقلت إلى العين، فانقلبت الواو ياء لأنكسار ما قبلها، فصار: نستعين. وأخر: فعل تعجب على وزن: أَفْعِلُ، فاعله المصدر المسؤول من: أن أتحوّل. وساء: فعل ماض جمِّد للذم، على وزن: فَعُلَ.

ومن هذه النماذج، وأمثالها غفيرة جداً، تلاحظ تداخل أساليب التعبير عن الدلالة المعجمية والإعراب والصرف ومعاني ووظائف الأدوات، بحيث تغيب شخصية كل منها ضمن التمازج والاختلاط، وتضيع لدى المدرس والطالب معالم التميُّز بينها، فلا يستطيعان ردَّ كل عنصر تعبيري إلى حقله الخاص به، أو فهم دلالته ووظيفته في إجراء القواعد النظرية المقررة. وعندما يراد من أحدهما في التحليل النحوي استخدام الدقة، لتوضيح الوظائف والمقاصد والعلاقات، يتعدَّر عليه استحضار المهارة المطلوبة، وتعثر خطواته في التفكير والاختيار والتعبير والأداء.

ثم لو أنك تذكريت ما ألقى عليك من التحليل النحوي، في عهد الطلب المدرسي أو الجامعي، لرجعت إليك أصداء متربدة من التعبير العامي المهلل المصبوغ بالعجبمة<sup>(١)</sup>. ولا شك أنك تعجب الآن: كيف مضت تلك السنوات العجاف بك وبغيرك، تسمعان هذه الترهات والأباطيل دون استغراب أو إنكار؟ العجيب حقاً أنه ما كان يخطر ببالك وجوب الفصاحة في التعبير، مع أن الموضوع إعراب للنصوص العربية في بلاد العرب، ولطلاب من أبناء العروبة.

هذا هو الأسلوب الشائع بلهجات محلية في جمهور التعليم لدينا، منذ عشرات السنوات، تحت مظلة بركات الاستعمار المنصرم، والعلومة المتاخرة، وما تحرّك في ضمير واحد من الأساتذة الكرام تنبئه أو تنبيهه أو توجيهه أو تعديله. فحقك هنا أن تقول بإنكار وتبين وعجب عجب: أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ؟

نعم لَحْقٌ أنه أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ما نتلقاهم من أفواه المعلمين والمدرسين والأساتذة الكبار، في كل مكان وفي بيوت الله والبيع المعمورة للعلم والعرفان. بل هم يقررون علينا أيضاً جميع العلوم ومنها تفسير القرآن الكريم وتعليم التجويد، بالعامية المُغفرقة في المحلية: سوريَّة أو لبنانية أو أردنية أو عراقية أو مصرية أو سودانية أو مغربية أو سعودية أو إماراتية... بل دمشقية وحلبية وقاهرية وإسكندرية وفاسية وطنجية وصنعاوية... غير عابئين باحترام الذات والوطن والأمة والقيمة الكريمة. وإذا نبهتهم لشيء من ذلك واجهوك بالسخرية والتهكم.

(١) أعني نحو: فِعْلٌ ماضٌ مبنيٌ على الفتح إِلَّا هُرْ، فِعْلٌ أَمْرٌ مبنيٌ على حرف حرف إِلَّه، فاعلْ مرفوعٌ وعلامة رفعه إِضْمَنة إِلَّا هُرْ، مفعولٌ بِهِ مَنْسُوبٌ، إِسْمٌ موصلٌ مبنيٌ على السكون في محل رفع خبرٍ، إِسْمٌ إِسْتَفْهَامٌ مبنيٌ على الفتح في محل نسبٌ حالٌ، حرف جرٌ زائدٌ، إِسْمٌ فِعْلٌ أَمْرٌ، الجَارُ والمَجْرُورُ مَتَعْلِقَانْ بِالْخَبْرِ إِلَّا مَحْزُوفٌ، جَمِيلٌ فَعْلِيَّهُ في محل جرٌ مضافٌ إِلَيْهِ...

## التفاعل الصميمي بين عناصر التحليل:

على أنَّ ما ذكرناه من وجوب التمييز بين تلك الحقول النحوية والدقة في استعمال المصطلحات الخاصة لا يعني الفصل الحادٌ خلال التدريس والعمل، بل لابد من مراعاة العلاقة الحميمة بين علوم النحو والتنصيص عليها وتوضيحها بالتعبير القاصد في كل مناسبة إجرائية، من إعراب وصرف ومعاني أدوات.

ذلك لأنَّه يتحَصَّل، من تدريس هذه الحقول متمايزةً في الحياة التعليمية المديدة والقراءات المختلفة المتباudeة، أن تصبح تلك العلاقات غير واضحة الدلالة في نفوس المدرِّسين والطلَّاب، وفيها اختلاط ظاهر أيضًا يُضيّع تميُّز بعضها من بعض. وهذا وذاك شائعان في الكتب النحوية، وفي أساليب التعليم والتطبيق. إذ كثيراً ما يقال: إن الصرف موضوع المفردات، والإعراب موضوع التركيب، والأدوات موضوعها العمل والمعنى.

وبهذا يكون فَهْمُ كُلَّ قَسِيمٍ منها على حِدة، دون توضيح لصلته بقَسِيمِيهِ، ولِتبادل التأثير في النصوص المختلفة بين كل من تعين الصِّيغَةِ والوظائفِ والمعاني النحوية وإقامة العلاقات السياقية. والحقُّ أن التفاعلَ بين تلك العناصر كلها والدلالات المعنوية المذكورة للمفردات هي أمواج كهرباوية حية<sup>(١)</sup>، تتمايز فيها العبارات تبعاً لمقتضيات الحال في المقام والمقال، وتتقمّص العناصرُ فيها شخصيّات متجلّدة فاعلة ومنفعلة، بما حولها من شقائق ونسب وصهر.

فالتركيب النحووي تتساوق فيه العناصر متعاونة، ليأخذ مراميه الكاملة الدقيقة، ويصبح عبارةً ذات شخصية متميزة ودلالة محدّدة الفائدة. وهذا يعني أن تعين معنى الأداة وعملها مثلاً يتحَكَّمُ في تحديد كثير من الوظائف والعلاقات

(١) ينظر كتابي: النهج الإسلامي للتعليم العالي (ص ٢٥٤ - ٢٥٥).

والعلامات الإعرابية، للأفعال والأسماء والجمل والتركيب، ويفرض ألواناً خاصة على صيغ بعض المفردات ومعانيها ووظائفها. ثم إن الصيغة والدلالة والوظيفة للفعل أو الاسم أو الأداة لها الأثر البالغ في توجّه ما حولها من عناصر السياق، وكذلك يكون لتعيين إعراب المفردات والجمل حضور فعال في تحصيص معاني الأدوات وأعمالها، وفي توجيه صيغ المفردات ودلائلها النحوية وتحديد وظائفها الصرفية والإعرابية.

إنها أمواج كهرباوية كما قلنا تردد متعاونة بين حنایا التعبير وتتوارد عليه من الزوايا المختلفة، لتصبح عناصره بطوابع خاصة للمقام والمقال، وتقييم العلاقات والتفاعلات الموحدة لمقاصد الخطاب. وتعليم النحو، وهو قائم على تميز قسماته الثلاثة لتسهيل الإلقاء والتلقى، في حاجة ماسة إلى توضيح هذه الجوانب الحيوية المتماوجة المترادفة، خلال التدريس أو التأليف نظراً وتطبيقاً، لئلا تتكون حجرات ثلاث مستقلة، ومنفصل كل منها انتصاراً تاماً عن قسمياته وظيفة ومعنى وعلاقة وتأثيراً وتأثيراً.

فاهتمام الدرس النحوي بهذه العلاقات الحميمة بين علومه المختلفة كفيل بترسيخ الفهم المنطقي لتلك الموضوعات، والسير في جنباتها بوعي وقدرة واطمئنان. وإنك لترى في إجراء التحليل أن هذه العمليات المنهجية تتعاون فيما بينها، ويؤثر بعضها في تعيين بعض، وتوضيح وظيفته ومعناه وعلاقته، وترى أيضاً أن القيام بشيء من ذلك في إعراب الآيات الكريمة، على الدقة والوفاء والصواب، يتطلّب منك معرفة التفصيات في كثير من علوم القرآن والערבية والبيان.

فأنت مضطّر قبل التقدُّم في هذا الميدان الخطير، من إعراب النظم العظيم، أن تعرّف سبب نزول كل من الآيات ومعاني المفردات في السياق والتركيب،

والمعنى العام لكل عبارة على حدة ولمجموع النص أيضاً، ول揆ولات النها في إعرابه وتوجهات الخلاف بينهم، كي تستخلص ما هو الصواب أو أقرب إليه، في خدمة الفهم والتوظيف للنص الكريم. ولكنه قد يخونك الحظ فيما تقرأ، بكثرة الآراء ومسارب التزاع والاحتجاج والاستدلال، وتوزع الوجوه في خطوط متباعدة متضاربة، فلا تعود بنتيجة مطمئنة، وتضطر أن تبحث عن مخرج من تلك المتأتias، بوجه جديد يقرب من الحقيقة الصائبة. وعلى هذا فأنت مطالب طلاب إلزام أن تتقن علوم اللغة وأساليب القراءة والضبط والكتابة والفهم والوعي والتدبر والتذوق، لتتبصر في أبعاد النص، وتخلص منه يقول محمود في ميادين البحث والاستقصاء.

ثم ليس لك أن تتنطّع لإعراب مفردة أو جملة مقطعة سائبة لا يضمّها نص كامل - إذ متعدّر استخلاص الحقيقة منها قبل عودتها إلى السياق، لتتبدّى وظيفتها فيه وعلاقاتها به ومعناها التركيب المعهود<sup>(١)</sup> - وليس لك قبل تلك العودة أن تتفيق في تشقيق الوجوه المحتملة فيما يُطرح عليك، لأنك مطالب بتعيين المرمى المأمول، قريب المنال، وصحّح الدلالة بالوضوح والبيان. وإلا كنت كمن يضرب أخماماً لأسداس، ويشتّت شمل التفكير والتدبر، ويستعرض ما هبّ ودبّ.

فقد ألف المدرسون والمصنّفون أن يتابعوا إيراد التطبيقات النحوية كما ذكرنا سابقاً، على غير هدى بتخطيط وتنفيذ واصحين، فترى التوجهات المتفاوتة بين أعمالهم مجموعة، كما هي متباعدة في أعمال الفرد منهم، وكان الإجراءات أنفاس ذاتية مزاجية آنية، تتوضّع خداجاً لتأدية مضمون متعدد الجبهات، بما يواتي من المعطيات والمكتسبات.

(١) ينظر (ص ١٢) و(٣٣ - ٣٥، ٣٦، ٣٧) من كتابي: فتاوى في علوم العربية.

## المعادلات الإعرابية:

لقد زرع ذلك التشتتُ في أذهان الدارسين والمتعلّمين أن يصوغوا المقولات التحليلية، من دون محاكمة أو تقدير واعتبار. فالعنصر اللغوي بين أيديهم مبتدأ أو فاعل أو حال، قبل أن يفكروا في وظيفته وموقعه وعلاقاته وظواهر التأثير والتاثير، وفي المعنى العام للنص والمعاني الموقعة لمفرداته، وما يتربّى على ذلك من حاجاتٍ خبرٍ أو فعل أو صاحب حال. وإنك لتفاجأ ب الكثير من عباراتهم تُلقى على غير تدبر واستيعاب لمعطيات النص والتعبير. وعندني أن الإجراءات التطبيقية لقواعد النحو، بعد مرورها بمرحلة الدراسة الابتدائية سريعةً بسيطةً موجزةً، تستطيع أن تأخذ شكل المعادلات الرياضية المنطقية في ساحات الدرس، وأذهان الطلاب.

أعني أن مُعطياتِ النص من دلالاتِ للعنصر التعبيري في معناه وصيغته وموقعه ووظيفته، مع حضور مقتضياتِ المقام للنص، تكون مجموعةً مقولات، ينتج عنها بالفعل تعبير المُحلّل في مجموعاتٍ مُقابلة، فتتوسّع الأولى في جناح أيمين، والتالية في أيسير، وبينهما رمز المساواة ليتحقق أن ما على طففيه متقابلان ومتعادلان، بدقة وحساسية متناهيتين. فإذا تغيّر جزء من تلك المقولات الحاضرة في الطرف الأيمن قابله تغيير موافرٍ، وموافقٍ له في الأيسير، كي تبقى المساواة بين الجناحين قائمة بالقسط. وتحقيقاً للمقال بالمثال، نذكر بعض النماذج من الإعراب ثم معاني الأدوات، لتكون بياناً وتفصيلاً وقدوةً للعاملين، فيما يلي:

كلمة تدل على ذات + مرفوعة + مُخْبَرٌ عنها = مبتدأ + مرفوع + علامة رفعه  
الضمة الظاهرة.

كلمة تدل على حدث + مسندة إلى فاعل + مفتوحة الآخر = فعل ماض + مبني على الفتح الظاهر.

كلمة تدل على ذات + مرفوعة + أُسنـد إـلـيـهـا فـعـلـ تـامـ = فـاعـلـ مـرـفـوعـ + عـلامـةـ . رـفعـهـ الضـمـةـ الـظـاهـرـةـ.

كلمة تدل على جنس + منصوبـةـ + وـقـعـ عـلـيـهـاـ الفـعـلـ = مـفـعـولـ بـهـ مـنـصـوـبـ + عـلامـةـ نـصـبـهـ الـفـتـحةـ الـظـاهـرـةـ.

حرف يفيد الطلب قبل فعل مضارع مجزوم = حرف جازم.

فعل بعد ذلك الحرف = فعل مضارع مجزوم.

اسم منصوب نكرة يبين هيئة معرفة = حال من تلك المعرفة منصوبـةـ.

حرف لفظه «ما» بعد «إذا» الزمانية = حرف زائد.

اسم يصف ما قبله ومطابق له = صفة لذلك الاسم تابع له في الإعراب.

جار ومحرومـ بـعـدـ «كـأـنـ»ـ وـاسـمـهـاـ يـفـيـدـانـ الـخـبـرـ بـجـهـةـ لـالـاسـمـ = مـتـعـلـقـانـ بالـخـبـرـ المـحـذـوفـ.

فعل وفاعل في أول كلام = جملة فعلية ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

فعل وفاعل بعد ظرف مضاف = جملة فعلية في محل جـرـ مـضـافـ إـلـيـهـ.

«كـأـنـ»ـ وـاسـمـهـاـ وـخـبـرـهـاـ لـبـيـانـ هـيـةـ مـعـرـفـةـ قـبـلـ = جـمـلـةـ اـسـمـيـةـ فـيـ محلـ نـصـبـ حالـ مـنـ الـمـعـرـفـةـ.

«إـنـ»ـ قـبـلـ جـمـلـتـيـنـ أـوـلـاـهـمـاـ تـسـبـبـ الثـانـيـةـ = شـرـطـيـةـ لـلـمـسـتـقـبـلـ.

«لو»ـ بـعـدـ فعلـ يـتـضـمـنـ معـنـىـ الرـغـبـةـ = مـصـدـرـيـةـ لـلـتـمنـيـ.

«قد»ـ قـبـلـ فعلـ مـاضـ = حـرـفـيـةـ لـلـتـحـقـيقـ.

«لا»ـ قـبـلـ فعلـ مـاضـ = طـلـبـيـةـ لـلـدـعـاءـ.

«حتـىـ»ـ قـبـلـ فعلـ مـضـارـعـ مـنـصـوـبـ تـفـيـدـ الزـمـانـ = لـاتـهـاءـ الغـاـيـةـ الزـمـانـيـةـ.

ومثل هذه المعادلات يقدم لنا أجنبتها اليمنى سياق المفردات، وأجنبتها اليسرى ما أتقناه من أصول وقواعد نحوية، ويكون التعبير عن ذلك كله بدائياً بسيطاً في المدارس الثانوية، للتقريب والتوضيح، ثم يصبح دقيقاً وافياً في المراحل الجامعية للتخصص في اللغة أو الأدب أو العلوم الشرعية، بمنهج معتمد يناسب مستوى المخاطبين والهدف الموجهين إليه.

### تاريخ الإعراب التحليلي:

من خلال هذا العرض المفصل للمصطلحات والأساليب والتفاعل وتصور المعادلات، يظن القارئ أن ما عُرض عليه من البوادر هو ثمرة بيئة علمية ناضجة التفكير والتقدير والتصوير للعمليات الميدانية، ولا بد أن يكون قد ظهرت نبتاته في العصر العباسي، لِمَا عُرف به من التوسيع الثقافي وتألق المعارف والعلوم. ولكنه حين يتصفح كتب التفسير تستوقفه عبارات كثيرة، يرى فيها مقولات نحوية مختلفة الدلالات والمستويات، فتشعره أن البحث النحوي قد كان قبل ذلك العصر بعشرين سنة.

نعم هذا ما يفاجأ به القارئ لتلك الكتب الكريمة، إذ يتضح لديه أن البحث النحوي قد نشأ في حرم المدرسة القرآنية الأولى ، نشأ واضح القسمات في أذهان عشرات من قدماء المفسّرين، ثم ترعرع وشبّ عوده، واستوى شطّوه، وأنتج ثماراً يانعة بالتطبيقات التحليلية. وهذا القِدَمُ التاريحي يمثل الجهود الأبكار من المعالجة، وتنمية التطورات التي رافقتها مع الأيام خلال القرن الأول من الهجرة، حيث اتضحت أبعاد العلم بأصوله وفروعه، وصدرت عنها الإجراءات التطبيقية المتکاثرة، في المراحل القدمة من تاريخ النحو<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر كتابي: جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية القدمي (ص ٤١ - ٢٢٠).

إن دوران تلك المقولات في ميدان التحليل بشكل خاص يشير قضيّة تاريخية جديدة موجّهة مصّحة ومنبّهة، إذ لا بد أن يكون قبل التطبيق العملي في كل علم تنظير وتأصيل وتفریع وتفسیر واستدلال لا بعده، مع فهم وخبرة ومهارة، ليتسنّى للعالِم الخبير إجراءات التحليل بوعي ونجاح، وإلا كانت العربية أمام الحِصان في تخيلات الصّيّان.

ثم لا شك أنّ وضوح الرؤية النحوية كان حاضراً في أذهان أولئك القدماء، بعد معاناة ومعالجة وملاحظة، يدركونها سليقة وملكة أو تفهّماً ودرایة، ليصدر عنهم ما يطابق أصول العلم وفروعه وضوابطه وقوانينه. ولو لا ذلك لكان الأقوال مضطربة متعاندة متھافتاً، لا بؤرة تجمعها، ولا منطق يتقطّعها، ولا وجّه توحّد المسيرة والدّوافع والأهداف. ولا شك أيضاً أنّ الجمهور المخاطب بتلك الأقوال هو على صلة بموضوعها ومصطلحاته ومفاهيمه وأساليب تناول عناصره ومشكلاته.

والظاهرة اللامعة بجلاءٍ في ميداننا هذا اتفاقٌ عناصر النهج بين جميع المذكورين، وشبةٌ وحدة في المصطلح وأساليب التعبير والتحليل والاستدلال، مع إبراد بعض الأصول الضابطة والقواعد العامة والتفسيرات المنهجية الموضّحة. وقد يختلف هؤلاء أحياناً في توجيه القضية وتحليلها، أو ترد أقوال متباعدة عن الواحد منهم أو الأفراد في المسألة المعينة، وتتوزّع الجزئيات في حنایا البحث، ولكن النهج هو النهج وأساليب والمفردات هي هي، من منبع واحد ورؤى واضحة وقصد جليٌ للبصر وال بصيرة. وإذا كانت تلك المظاهر في بعض الأحيان بغير ما تواضعنا عليه من الأساليب اليوم فلأنها البذرة والجذر، تحمل المضمون والطوابع للشمار والأزهار، ولا تكون مثلها في الشكل الظاهري والإطار التعبيري المؤدّى.

ثم إن الكثرة الكاثرة في هذه النصوص تتوزع في أقدم المدارس القرآنية، بين روّاد المفسرين من الصحابة والتابعين، وتدور في ذلك التطبيق النحوي بفروعه وقنواته، من إعراب للمفردات أو الجمل، وتحليل للصرف ومعاني الأدوات، عباراتٍ واضحة الدلالة أو إشاراتٍ لطيفة أو تفسيراتٍ تتضمّن المقاصد الاصطلاحية. وهذا يعني أنها مما نعالجها نحن اليوم في التطبيق، ونطلق عليه اسم التحليل النحوي، بدأ لديهم لمحات مقتضبة، ثمّثلّ البذور الوعادة في تربة حيوية طيبة، منحتها القوّة والنماء، بما انصبّ عليها من أقوال رّياء، ودغدغها من نظرات ثاقبة، ولفحها من أنوار لاهية، فإذا هي جذور متمكّنة راسخة، تفتّق السوق والجدوّع بكل قدرة ونموّ.

وقد انتقلت هذه المقولات إلى المشهورين بعدُ من النّحاة، وقدّمت لهم زاداً غنيّاً بالعطاء والتدبّر والإنتاج، فاستفادوا منها في كتب التفسير والأعاريّ، ونسبوا بعضها إلى قائلها، ولكنهم لم يُؤْظفوا شيئاً منها في البحث النحوي مما وصل إلينا، فغابت آثارها مع الزّمن. ولو أنّهم أوردوها في مطاوي البحث المتداول لوضعوا بين أيدي الدارسين معالم الحقيقة، ترشد إلى الصواب في تاريخ النحو.

ومع هذا، فقد تجلّرت في ميادينها التطبيقية، فاشرأبتْ منها سوق وجذوّع، وتفتّقت فيها أغصان وفروع وأوراق وأزهار، ثم شمار يانعة، تمثّلتُها العقود الخيرة من القرن الثاني في حقل التحليل النحوي. ولهذا جاء كتاب سيبويه وما عاصره ناضجي الجنّي، يشيران بحدّة وجلاء إلى ما تقدّمُهما ، من بذار وتجذر وتسوق وتجذّع وتغضّن وتورّق وازدهار وإثمار.

فالمفسّرون القدماء كانوا في هموم لتأسيس بنية الأُمّة الرائدة للإيمان والصلاح، وفي أغمار من حروب مع المعتدين على جميع الجبهات، وصراع ونزاع بين النفاق والإيمان والسداد، وفتن بين الطامعين والطامحين والمفسدين، وشعّار أولئك

المفسرين هو التميُّز عن سائر الأمم بالتوجه الرباني الكريم. ومن ثم لم يكن لهم متنفس للإطالة على الثقافات الأجنبية المزعومة، ولا أدوات التفكير فيها أو التلقّي لها بفهم وتأثُّر وتوظيف أو التزام.

والذين تحدّثوا عن هذه المسائل التحليلية الحاضرة، وهم عشرات من العلماء كما ذكرنا، كان لهم مقولات كثيرة تُناظرها، بلا شك أو تردد، في نفس المسائل أو في سوهاها. ومن لم يَرِد لهم ذُكْرٌ - وهو يُعدون بالعشرات أيضاً - بين أولئك العلماء المذكورين كان لهم مشاركات مماثلة كذلك، في تلك المسائل أو في غيرها، تشمل عناصر التحليل، وتعزّز المسيرة، وتتفّق جوانب البحث المتقن والحكم السديد.

بدأت هذه الإجراءات الكثيرة القدَّمَى بتوجيه النبي ﷺ المسلمين إلى متابعة ذلك، مع إشارات توضّح السبيل العلمي، ثم توالت مقولات الصحابة الكرام - وفيهم الإمام عليّ وابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهم - ثم ظهر أبو الأسود الدؤلي (ت: ٦٩هـ) فاتّسع المدى بالتطبيقات العملية، فيما يتعلّق بالأسماء والأفعال والنصب والضمائر والحذف والزيادة وتحديد عناصر العطف.

وقد تابع تلاميذ ابن عباس وأبي الأسود مسيرتهما، في التوسعة والإغناء والتنمية، حتى أدركنا عهد عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وكانت حصيلة ذلك تَعرِضُ لكثير من الواقع الإعرابية، مع المصطلحات المتخصصة والاستدلال بالنصوص والتعليق للأحكام، والتعميم لبعض الضوابط. وكذلك كان إدراك الأمور الصرفية سليقة، وإجراء مقتضياتها ارتجالاً، ثم جاء أبو الأسود يجده ذلك في بعض القواعد، واستمرّت زيادات التابعين حتى وصلت إلى ما عُرف عن أبي عمرو من الضبط الواسع.

لكن الجذور الأولى للعمليات التحليلية من ذلك كانت قد ظهرت ناحلة في الجاهلية، فاشتدّت واتضحت في عهد النبوة، ثم كان لابن عباس ابتكار الوزن الصRFي، ومعالجة للمصدرية والاشتقاق، رسخها من جاء بعده. وكذلك شأن المستعقات، تعرّض الصحابة والتابعون إلى كثير منها، وإلى ما تردد هي فيه ضمن أسماء الذوات والمعاني أو الأسماء الأعلام، وإلى صيغ الأفعال والمفرد والمثنى والجمع، والتصريف المشترك.

وفي هذا الموضوع الأخير وجذنا التعرض للإيدال والإدغام والإملاء والتفخيم. ومحصلة ذلك استيعاب كثير من الإجراءات الصرفية، واستعمال المصطلحات وعبارات التحليل والاستدلال والتعيم للأحكام، ثم ما جرى من تنقل للمصدر بين وظائف المستعقات أو أسماء الذوات. وقد كان هذا التنقل المرصود المتكرر في كثير من الواقع تكذيباً صارخاً لما زعمه المستشركون وتلاميذهم، من عكسية في حركة التفكير العربي وأبناء العروبة.

ولم يخلُ الميدان من تحليل نحوي للجمل والأدوات، حيث انتقل التفكير من ظواهر الإعراب إلى مغبياته، وفي هذا المقام تحمل الجملة المركبة الصمّ مسؤوليات ثانوية، في تكوينها الذاتي، وتنقاضي لإدراك ذلك مراحل كثيفة متراوحة للفهم والتحرير والأداء، وتصوراً ذهنياً للعمل نحووي والتأثر الإعرابي.

ومع ذلك كله، فقد تعرّض رُوّاد المدرسة القرآنية لهذا الموضوع، بقليل من المس، وضرّب ظاهر من غضاضة المصطلح والتعبير، فكان لهم عرض للجملة التفسيرية، وجواب الشرط الظاهر والمقدر، وجواب القسم القريب والبعيد، والجملة التابعة بالعاطف على مثلها من دون ترتيب وبالوصف للنكرة، والاستئنافية مجرّدة من حرفه وبالفاء و«بل»، والاعتراضية بين جزأٍ القول وبين الحال وصاحبها وبين المبدأ وخبره، والحالية من الاسم الظاهر والمضمر.

وكذلك الشأن في معانٍ الأدوات، وهي أكثر تعقيداً وأبعد مناً من مشكلة الجُمل. ولقد اضطرب المتأخرون في مفهوم الأداة، وكان للإمام علي رضي الله عنه قول فيها هو الفصل - وقد ذكرناه ضمن حديثه عن النحو قبل - غَفَلَ عَنْهُ أَوْ تجاهله المنظرون والباحثون. وفي تفصيل المقولات هذه، ترى ما يخص الهمزة الاستفهامية بمعانٍ متعددة، والاستثناء بـ «إلا» أو العطف، ودلالات مختلفة لمثل: إِلَى وَأَنَّى وَأَوْ وَبَاء وَبَلْ وَعَسَى وَعَلَى وَعَنْ وَغَيْرِهِ وَفَاء وَفِي وَكَافْ وَكَيفْ وَلَامْ وَلَوْلَاتْ وَلَعْلَ وَلَمَّا وَلَوْلَا وَمَا وَمَعْ وَمِنْ وَهَلْ وَلَوْا وَيَا.

وقد اتسمت الإجراءات المذكورة بشمولها لعناصر البحث النحوي، مفردات وجملًا وأشباه جمل وإعراباً وصرفًا ومعاني أدوات، ودل ذلك بكل تأكيد أنه مبني على جذورٍ أقدم في المدرسة القرآنية، لدرس النحو نظريًا، إذ لا يكون تحليل قبل تركيبٍ موسع مبسط للمسائل النظرية، وتبصر بالأصول والفرع وكامل الأحكام. فعلى دعوى المُرجفين في تاريخ النحو و شبّهاتهم السلامُ ألف سلام، وعليهم أيضًا أمثال ذلك، بعد هذه الأدلة والتائج العلمية القيمة.

ثم لكأنك ترى معي، بعد هذا، أن كل من تعرّض لتفسير الآيات المباركة هو نحوٍ متقن، يصدر في مقولاته عن وعيٍ للمسائل والأحكام والضوابط، ويمارس استخدام المصطلحات والأساليب الوظيفية بحكمة واقتدار. فأوائل المفسرين هم على استيعاب لذلك العلم، وعلى خبرة ومهارة بتسخيره لفهم النظم الكريم وتحليل عباراته وتوجيهه المقاصد والأبعاد وما آل المراد.

فلقد أصبح لهذا الميدان في العصر الإسلامي الأول حضور عملي فائق النظير. وإنك لتقرأ عن أبي الأسود الدؤلي في وسط القرن الأول أنه يعقد آلاف المجالس

لإعراب القرآن الكريم، كما ذكر السيوطي في «بغية الوعاة»<sup>(١)</sup>، ليُمضي بعض أصحابه معه فيها أربعين سنة متواتلة، ومنهم حُرّ بن عبد الرحمن النحوي. ولا شك أنه كانت في تلك المجالس صور غفيرة من البسط لظواهر النحو ومسائله ومعضلاتها، وقد فُقدت آثارها، فلم يبق منها إلا شذرات لا تقدم نموذجاً مما كان.

ومع مرور الزمن، غابت ظلال هذه التقاليد المعرفية بكل أسف، لتظهر منها عبارات متشرقة بين نصوص التفسير أو الكتب الخاصة بالإعراب، تتوزعها مناهج مختلفة ومشارب متعددة، ولا يمثل واحد منها كاملاً أبعاد الإجراءات. غير أنك إذا تقرّيت تنوع تلك المصنفات واختلاف مناهجها تبيّنت لك معالم متشرقة، وأمكنك أن تجمع منها حصيلة تقرّب إليك مفهوم العمل وأبعاده بين أصحابه من الأعلام.

### مصنفات الإعراب ومناهجها:

الحقُّ أنه كان لذلك التاج الطيب بذور طفيفة وغرَّسات كريمة تأصلت بها جذور راسخة في صدر الإسلام، ثم شبّت واشراقت على أيدي أمثال عبد الله بن عباس وأبي الأسود الدؤلي وجُوَيْة بن عائذ النحوي. غير أن ما نسب إلى الأول في «تنوير المقباس» ليس كله له، وهو مزيج من أقوال المتأخرين بقليل من مقولاته. ثم نشأت مصنفات إعراب القرآن في منتصف القرن الثاني، إذ نرى منها ما أصدره قُطْرُوب وأبو عُبيدة، ثم أبو حاتم السجستاني وعبد الملك بن حبيب القرطبي وابن قُتيبة والمبرّد وثعلب، ونَفْطويه وأبو جعفر النحاس وابن خالويه.

ثم يواجهك أبو بكر بن أشنة الأصفهاني بكتابه «رياضة الألسنة في إعراب القرآن ومعانيه»، وأبو علي الفارسي بـ«المحجة للقراء السبعة»، وابن جنّي بـ«المحتسب في تبيين وجوه شواد القراءات»، وابن فارس بـ«إعراب القرآن»،

(١) في (٤٩٣/١).

وعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة بـ «حجّة القراءات»، والحوفي بـ «البرهان»، ومكيّ بن أبي طالب بكتبه: «مشكل إعراب القرآن»، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، والتبصرة فيما اختلف فيه القراء السبعة في القراءات السبع، وإسماعيل بن خلف الصقلي، والباقولي جامع العلوم بـ «جوهر القرآن»، والخطيب التبريزي، وإسماعيل بن محمد الأصفهاني، وأبو البركات الأنباري، والعكّاري بـ «التبيين في إعراب القرآن»، وحسين بن أبي العزّ الهمذاني بـ «الغريد في إعراب القرآن المجيد»، ومحمد بن محمد الإسفرايني بـ «فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة»، وعبد اللطيف ابن يوسف البغدادي بما ترك من آثار.

وتعقيباً على تلك الجهود الكريمة في المصنفات الخاصة وفي تفاسير القرآن الكريم، يتصدى ابن هشام الأنصاري لمصنفاتها بال النقد والتوجيه والتنسيق، تحت عناوين نحوية منهاجية، فيطالعنا بسفره القيم: «معنى الليب عن كتب الأعاريب»، يتلوه إبراهيم بن محمد الصفاقي بـ «المجيد في إعراب القرآن المجيد»، وأحمد بن يوسف السمين الحلبي بـ «الذر المصور في علوم الكتاب المكنون»، وأحمد بن يوسف الغرناطي بـ «تحفة الأقران فيما قرئ بالتشليث من القرآن»، وإسحاق بن محمود بن حمزة، وأحمد بن محمد نشانجي زاده، ومحمد بن أحمد المرابط<sup>(١)</sup>، ومحمد صديق خان... وأخيراً ما ترى في الأسواق من مصنفات في أعاريب القرآن الكريم ، للإخوة المعاصرين لنا في هذه العقود الحاضرة.

أضف إلى هذا كله أن كتب النحو كثيراً ما ت تعرض لآيات مباركة بالتحليل الإعرابي أو الصRFي ، وأن مؤلفات «معاني القرآن» يكثر فيها الإعراب. حتى إن ما

(١) كشف الظنون (ص ١٢٣).

نشر للفراء منها عنوانه الحقيقى: «تفسير مشكل إعراب القرآن ومعانيه» كما جاء النص في مستهله<sup>(١)</sup>. وقريب من ذلك ما هو للزجاج، إذ عنوانه: «معاني القرآن وإعرابه». وقد نشأ هذا الميدان الجديد في مجالس كثيرة للعلماء، يمزجون التفسير بالإعراب، فكانت مصنفات عرفها التاريخ لأمثال:

واصل بن عطاء، وأبان بن تغلب، وخلف الأحمر، ويونس بن حبيب، وأبي جعفر الرؤاسي، والكسائي، وقطرب، وأبي عبيدة، والأخفش الأوسط، ومؤرج السدوسي، والقاسم بن سلام، والمبرد، وثعلب، وأبي محمد البزيدي، والمفضل ابن سلمة، وابن كيسان، وابن دريد، وعبد الله بن محمد النحوى، وابن الأبارى، والفضل بن خالد النحوى، وعینة بن المنهال، وابن درستويه، وأبي الحسين الخراز، وعلى بن عيسى بن الجراح... وكذلك غالبية كتب التفسير المعروفة اليوم.

وإذا رجعت أنت إلى بعض هذه المصنفات، تلتمس إعراب القرآن، رأيتها تتناول ثُنَاراً من المفردات والعبارات بالتحليل، وتهمل كثيراً من الجمل وأشباهها والأدوات والمصادر المُؤَوَّلة وما بينها من العلاقات، ثم قد تجمع بعض المفردات أو العبارات بين مختلِف المعانى والأعاريب وصور الصرف ومعانى الأدوات القراءات وأسباب التزول والأحكام والظواهر البلاغية، كما ذكرنا قبل، وتورد وجوهاً مختلفة وغير منسقة في كل منها بتعبير موجز واصطلاحات متغيرة أو رموز مقتضبة، فيتعسر على القارئ غير العالم وصل كل وجه بلفقه بين الحقول المختلفة، ويقيم بينها علاقات غير صحيحة، ظنناً منه أن كل شيء جائز، خلافاً لما عليه كبار العلماء الذين يتقنون الاستفادة من ذلك بالاختيار والاقتدار.

(١) معاني القرآن (١/١).

أضف إلى هذا ما يرد من تشتبه في زيد المعرفة الإيجابية تميّعاً، حين يُسطّط في تحليل العبارة الواحدة ما يحتمله كل عنصر منها على أنه وظيفة إعرابية أو صرفية أو دلالية. وبهذا يكون أمام الدارس العزّ وجوه متعددة متفرّقة، لا يستطيع ربط كل منها بقرينه المناسب له، من محتملات العناصر الأخرى، وتصبح لديه العلاقات النحوية والوظائف والمفاهيم اعتباطية سائبة رجراجة، تصلح للتوظيف في أيّ توجيه كان. إذَا فلا حاجة ولا دافع إلى التدقيق والتعيين والرباط المنطقي في الفهم والأداء.

ثم قد تقف أنت فيما بين يديك من كتب النحو والأعراب والتفسير على أساليب ومصطلحات نحوية أنكرها لك بعض الدارسين والمدرّسين. فلا تمعن وتتعجّل بالإعراض عنها قبل معرفة حقيقة الأمر فيها. ومن ذلك مثلاً أن يكون التعليق للجار وال مجرور معًا، أو لأحدهما وحده. وإنما جاز هذا الخلاف، لأن الأول مبني على أن التعلّق المعنوي بالعامل هو لهما معًا، وبالتالي مبني على أن التعلّق للجار أو للمجرور مفرداً. ولكل وجهة هو مولّيها.

وقد رافق هذه المسيرة في الحقل القرآني إجراءات تحليلية لنصوص التعبير الفني من مقولات العرب. كان أقدم ذلك ما رأينا نماذجه في بعض أشعار القدماء، إذ تعرّض النحاة إلى شيء منها ببيان شذرارات من وظائف المفردات والتركيب، واختلفوا في التوجيهات، ثم انتقل هذا وذاك ليشمل شواهد لكتب نحوية مشهورة ولنصوص نبوية شريفة، لا مجال للوقوف عندها الآن.

## النهج العملي للإعراب:

ما ذكرناه حتى الآن من أوضاع الإعراب للنصوص القرآنية يقدّم صوراً كثيرة من الأساليب والتعابير والمصطلحات والمفاهيم، دون أن تتبّع أنت فيها نهجاً واضحاً يسير فيه التحليل والتعبير. فهي جهود متشرّبة تمثّل الاختيار لما هو ظاهر الأهميّة

أو مُشكِّلُ البِيَانِ، يعرِضُ لِمَفْسِرٍ أَو النَّحْوِيِّ لِتَحْدِيدِ وَجْهِهِ فِي الإِعْرَابِ أَو الصِّرْفِ أَو معنى الأداة ووظيفتها في التَّرْكِيبِ، مع التَّعرِضِ لِكَثِيرٍ مِنَ الْخَلَافِ وَالآرَاءِ.

وإِذَا رَصَدْتَ أَنَّ الْخَطُوطَ الَّتِي تُوجَّهُ تَلْكَ الْعَمَلِيَّاتِ الإِجْرَائِيَّةِ أَمْكِنَكَ أَنْ تلحظَ رَوابِطَ تَشَدِّدَ عَنَّاصِرَ التَّفْكِيرِ وَالتَّعْبِيرِ، وَتَساعِدَ عَلَى استِخْلَاصِ هِيَاكلَ عَامَّةٍ تَحرِكُ ضَمِّنَهَا عَبَاراتُ الْعُلَمَاءِ، فِي خَطُوطٍ مُتَوَازِيَّةٍ أَو مُتَقَاطِعَةٍ أَو مُتَدَاخِلَةٍ، فَتَمَثِّلُ حَرَكَاتٍ نَّاشرَةً وَمُخْلِصَةً لِتَقْدِيمِ الْمَعْارِفِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهَا صَوْٰي توْحِيدِ السَّبِيلِ وَتَرْسِمَ النَّهْجَ الْعِلْمِيَّ الْقَوِيِّ.

وَاعْتِمَادًا عَلَى ضَوءِ تَلْكَ الْخَطُوطِ الْعَمَلِيَّةِ الظَّاهِرَةِ، وَعَلَى جَهُودِ أَسْلَافِنَا وَمَعَاصِرِنَا مِنَ النَّحَاةِ الْأَكَارِمِ الَّذِينَ شَقُّوا السَّبِيلَ، وَعَبَّدُوهَا، وَعَمِّرُوهَا بِالنَّتَاجِ الطَّيِّبِ، وَعَلَى الْخِبَرَاتِ الْمُكْتَسِبَةِ فِي تَلْقَيِ الْإِجْرَاءَتِ الْإِعْرَابِيَّةِ أَيَّامِ الْدِرَاسَةِ، وَمَمَارِسَتِهَا فِي التَّدْرِيسِ وَالْبَحْثِ وَالتألِيفِ وَالتَّوْجِيهِ وَتَحْقِيقِ «تَفْسِيرِ الْجَلَالِيِّ الْمَيْسَرِ» وَتَأْلِيفِ «الْمَفْصِلِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» وَالتطبيقاتِ فِي مَجاَلِسِ «إِعْرَابِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» فِي «جَامِعِ ابْنِ عَبَّاسٍ» بِمَدِينَةِ حَلْبِ وَمَجاَلِسِ مُنْزَلِي لِقْرَاءَةِ «مَعْنَى الْلَّبِيبِ» وَغَيْرِهِ مِنْ أَعْمَهَاتِ الْمَصَادِرِ، اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرْسِمَ صُورَةً عَمَلِيَّةً مِيَسِّرَةً وَاضْبَحَةً لِلْإِعْرَابِ، وَأَلْتَزَمَ بَعْضَ حَدُودِهَا فِيمَا ذَكَرْتُ مِنْ مَصْنَفَاتِي، ثُمَّ كَلَّ الْحَدُودُ أَحِيَّانًا.

وَالْأَسَاسُ الْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ فِي مِيدَانِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ بِاختِيَارِ قِرَاءَةِ وَاحِدَةٍ مَعْيَّنةٍ؛ كَيْ يَجْرِيَ التَّطْبِيقُ النَّحْوِيُّ عَلَى مَا هُوَ مَحْدُودٌ بِوَجْهِ دَقِيقِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْتَّرَاكِيبِ. وَعَلَى هَذَا يَبْدُأُ الْانْطَلَاقُ بِسُورَةِ «الْفَاتِحَةِ» فَمَا يَلِيهَا مَتَوَجِّهِيَّنَ مَعَ النَّصِّ الْقَرَآنِيِّ فِي مَفْرَدَاتِهِ وَتَرَاكِيبِهِ بِالْتَّسْلِيسِ التَّوْقِيَّيِّ الْمُعْهُودِ، وَفِي نَهَايَةِ كُلِّ آيَةٍ رَقْمَهَا الْمَحْدُودُ كَمَا جَاءَ فِي الْمَصَاحِفِ الْمَنْشُورَةِ، خَلَافًا لِمَا وَقَعَ فِي الْمُعْرِيْبِونَ وَالْمَفْسِرِونَ الْمُعاصرِونَ وَالنَّاشرِونَ لِكُتُبِ التَّفْسِيرِ بِإِثْبَاتِ الْأَرْقَامِ قَبْلِ الْآيَاتِ.

ثم يتواتي التطبيق النحوي بدءاً بالإعراب<sup>(١)</sup>. فالمرة إذا كانت من الأدوات التي لا إعراب لها يذكر معناها النحوي ببيان وظيفتها في التركيب، وإلا جاء ذكر معناها غالباً بعد إعرابها وبينهما فاصلة للتفرق. وغير ذلك من المفردات يذكر إعرابه ثم ماله من تحليل صرفي بعد نقطه أو فاصلة أيضاً، حتى يتم ما للجملة من مفردات، ثم يكون بيان محل الجملة من الإعراب. غالباً ما يُغفل الحكم على الجمل التي لا محل لها، إذا كانت ابتدائية أو استئنافية أو اعتراضية أو صلة للموصول.

والإعراب في المفردات لا يجوز فيه ذكر لفظ «أداة» حين الكلام على الحرف، لأن الأداة عامة تشمل الحرف والاسم والفعل، فلا بد من التخصيص. ويحسن في إعراب المفردات أن يُغفل النص على ما ليس له محل من الإعراب، إذا كان حرفأً أو فعلأً مبنياً، لأن ذكر ذلك فيه هو من نافل القول. وما دون تلك المفردات غالباً ما يُعین وجهاً، وقد يُحدّد بلفظه أو بعلامته، كالقول عن المبتدأ مثلاً: وعلامة رفعه الضمة، أو مرفوع بالضمة.

وكلا القولين صواب، لأن الأول مرجعه إلى أن الإعراب معنوي ترد الحركات وتتابعها علامات عليه، والثاني مرده إلى أن الإعراب لفظي هو الحركات نفسها. غالباً ما يُغفل بيان علامة الإعراب، وذكر الجمع السالم مذكراً أو مؤثثاً لوضوح شأنه، وذكر «اسم» في الأسماء المعرفية، على حين أن المبني يحدّد وجهه أيضاً بما هو عليه اللفظ، مع بيان المحل الإعرابي لما له محل من ذلك.

وفي كلتا الحالين يكون تحديد ما بعده، من صاحب الخبر والصفة والحال والمستثنى منه والمعطوف عليه والمبدل منه والمؤكّد... لتوضح العلاقات الإعرابية والوظائف النحوية بين المفردات كـ منها على حدة، وبين الجمل كذلك، وبين

(١) التحليل النحوي (ص ١٦٣ - ٢٠٦).

عناصر الفتئين أيضاً. أمّا أشباه الجمل فتُعرّب مفرداتها مع بيان وظائفها، ثم يُعيّن متعلّقها الذي تتصل به وتُقيّد معناه النحوّي، من فعل أو مصدر أو مشتق أو جامد مؤوّل بالمشتق، حاضر في التركيب أو مقدّر.

والتحليل الصرفي يكون بتعيين وزن الكلمة وحدها أو مع ما يتصل بها في الصيغة<sup>(١)</sup>. فالاسم يبيّن جنسه من الجمود أو الاستيقاظ ونوعه في ذلك مع تعيين مصدر الفعل المشتق منه، وما أصاب الكلمة من تصرّف صوتي بإبدال أو إعلال أو إدغام أو حذف أو تسكين أو قلب مكانه، ومن تطّور دلالي وتنقل بين الصيغ الصرافية، والفعل يذكر ما في المزيد منه من معاني الزيادة، وما أصابه من تصرّف صوتي أيضاً. وقد ظهر من خلال هذا التطور الدلالي أنه غالباً ما يكون بالانتقال من المعاني إلى الذوات، كما ذكرنا قبل، بعكس ما زعمه المستشرقون والمستغربون من صحراوية التفكير العربي بالانتقال من المادة إلى المعنى.

ولعلك تستشكل ورود التحليل الصرفي بين جنبات الإعراب، إذ المشهور عند جمهور المعاصرين أنهما حقلان متمايزان، ولكنك إذا استحضرت ما مضى من علاقات صميمية بينهما في التحليل، وما يكون من تبادل التأثير والتأثير بينهما أيضاً، تبدي لك وجه الصواب في ذلك. ولهذا كان بعض القدماء يعبرون عن الظواهر الصرافية بالإعراب، كما عرفت من قبل، وكما تبدي لدى الفارسي وابن جنّي مثلاً<sup>(٢)</sup>. بل إن زميلاً لنا كان يسمّي هذا التحليل للمفردات بالإعراب الصرفي.

(١) المورد النحوّي الكبير (ص ١١ - ١٠)، والاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد (ص ١٥٥ - ٢٦٩)، والتحليل النحوّي (ص ١٢٠ - ١٦٢).

(٢) ينظر كتابنا: وظيفة المصدر في الاستيقاظ والإعراب (ص ١٥٠ - ١٥٢).

ثم لا بد أن يُلتَرَم في جميع ما مضى استعمال المصطلحات النحوية، كُلُّ في ميدانه الخاص به من الإعراب أو الصرف أو معاني الأدوات، ويُختار من الوجوه في مسيرة التحليل ما هو أيسر وأوفق لأصول العلوم المذكورة، على أن يكون انسجام بين المقاصد المعنوية للعبارة والأحكام النحوية ما أمكن. وهو الأمر الذي قد يتضمن تجنب بعض التوجيهات لإفسادها المعنى المراد أو تعقيده ما هو بسيط ميسّر. ومثل هذا ينسحب على التوفيق بين القراءة المختارة وأسباب النزول والأحكام الشرعية والدلالة اللغوية والصيغة الصرفية والوظيفة والعلاقة والعمل الإعرابي ومعاني الأدوات والعبارات بشكل عام.

وهذا يعني اختيار وجه واحد من سجم العناصر من وجوه تلك الميادين المتعددة، والسير معه في جميع المراحل، دون تطلع إلى الاحتمالات الأخرى، ليكون العمل في مسار منتظم قويم الخطوات مترابط بعضه ببعض، وموجه له في تبادل التفاعل بالتأثير والتأثير ضمن سياق التعبير، مما يحقق إظهار المعاني والعلاقات والوظائف لعناصر التركيب، من خلال عبارات مقتنة محددة تتكرر في موقعها الازمة. وبذلك يترسّخ في ذهن الدارس ولسانه وقلمه قنوات مرسومة متمايزة ومهارة مطواع مُواتية يستعين بها في العبور والأداء وقت التفكير والتعبير. وليس في هذا الالتزام ما ينفي تعدد الوجوه في التحليل النحوي والاصطلاح والتعبير عامة. إذ لكل وجهة هو مولّيها، ضمن الخطوط المحددة لإطارها العام، دون التداخل أو الاشتباك أو المماasse للوجهات المعايرة.

وخلال الإجراءات لعمليات الإعراب والصرف والأدوات، يكتفى بما هو حاضر في اللفظ أو التقدير الصناعي المُلزم، ولا يجوز إقحام مقدرات لفظية لترميم توجيهات مصطنعة بعيدة عن مؤدّي عناصر التركيب في التعبير، كما رأينا في مسائل

التمرин، لا يجوز ذلك الإقحام ما دام المعنى ومقتضى التحليل مكتفياً بالدلالة والصياغة والتفاعل واستيعاب حاجات المقام والمقال. مثال ذلك ما تجده فيما تُسند إلى أفعال المدح والذم، وخاصة «ما»<sup>(١)</sup> وهي بالموصولية أولى. وإن كل تقحّم بافتراض تقديرات لأنفاظ ممحوّفة أشبّه بنوع من الربا المرفوض أصلاً وتفرّعاً.

ذلك لأن العبارة تُقدم لك ذاتها بما تحمله من المقتضيات الأساسية المُلزمة، وتحمّك فيها بزيادات مزاجية هو إعادة للعبارة محمّلة بالتحكمات شبيه الرّبوبية القسرية المنكرة. ولا يمنع هذا الوجوب المنهجي أن تورّد بعض الضواهر الإملائية الالزمة لبيان الصيغة، وأن يُلقى نُشار من المعاني البينية الطفيفة لتوضيح الجانب الإعرابي.

ثم لمّا كان المذهب البصري في الإعراب والصرف أقرب إلى الدقة والبيان، وهو الجاري على الألسن والأقلام والأفهام في كثير من تاريخ النحو حتى الآن، فقد وجّب التزام حدوده في الإجراءات ما أمكن، ومتابعة توجّهاته فيما عرضنا، ليكون العمل قريباً من ميادين المعارف والأساليب المستخدمة بين الناس. وقد يُخرج عليه أحياناً، كما في موضوع «نزع الخافض»، لأنّه قول الكوفيين وهو أقرب إلى منطق العربية.

أما معاني الأدوات فقد حَجَرَ البصريون منها واسعاً، وضيّقُوا مجال الأصول الدلالية لكل منها، بلزوم الوضع اللغوي النحوي الأول، ثم كان لل kok في اتجهاداته واقعية وقيمة مفيدة، ولّدت ما يستوعب الحاجات المستجدة في تحليل النصوص القرآنية وغيرها. ولذا كان عليك مجاراة هؤلاء في كثير من تلك المجالات، مع تجنب الخلافات الاصطلاحية والمذهبية والقبيلية على كل حال.

(١) الجندي الداني للمرادي (ص ٣٣٧ - ٣٣٩).

ولمّا كان بعض الأدوات عدّة معانٍ وظيفية وجب أن توزّع هذه المعاني فيذكر منها في الإعراب ما هو أصلق به، ويترك الباقى ليكون له الحضور في حقل المعاني النحوية البيانية. هذا، وقد أضاف المفسرون والنحاة والمعربون واللغويون وعلماء البيان إلى مقولات أصحاب المذهبين في تلك الدلالات تفريعات وتنصيات من المعاني النحوية البلاغية، جمعنا نحن ما انتشر منها في المصنفات المختلفة مضيّفين إليه شذرات متّمة، وألّفنا بين ذلك في عبارات واضحة ليكون فيما نقوله استيعاب وافٍ بعون الله، جل وعلا.

وخلال هذا كله، فإنّ مذهبنا أن الأداة النحوية لها دلالة معنوية خاصة بها متميّزة، خلافاً لما عليه جمهور النحاة، من قولهم عن حروف المعاني: «إنها ترد لمعانٍ في الاسم والفعل والجملة». وهم يريدون أن كلاً منها ليس له معنىً إفرادي، وأنه حين يُقرن بالاسم أو الفعل أو الجملة يضاف إليه المعنى النحوي المعروف، متحصّلاً بما اقترن به لا منه وحده. والحقُّ أن الحرف النحوي ذو دلالة معنوية مستقلة ظاهرة فيه، تتجمّس في الذهن مع ذكره، وقد تكون وحيدة أو ذات عدّة توجّهات محتملة، فإذا انتظم في عبارة تجرّد لمقصود معين وزالت عنه سائر الاحتمالات.

وهذا ما عبرَ عنه الإمام عليٌ رضي الله عنه منذ ألف وأربعينَ سنة حين عرّف الحرف بأنه ذو معنىً، ثم فسرَه بقوله: «ما أبأ عن معنىً ليس باسم ولا فعل». وقد تأثر ذلك بعض العلماء كسيبويه وخلف الأحمر<sup>(١)</sup>، ثم اضطربت مذاهب النحويين في توضيح المفهوم، ساد منها بينهم أن الحرف «ما دلّ على معنىً في غيره» كما ذكرنا منذ قليل، مع تفسيرات مشتّتة متضاربة<sup>(٢)</sup>. على أننا نجد في القرن السابع ابن النحاس محمد بن إبراهيم الحلبي يعيد إلى المسألة وجهاً للأصل بقوله: إن الحرف معناه في نفسه<sup>(٣)</sup>.

(١) الكتاب (١/٣٥٩) وكتابنا: نصوص نحوية (ص ١٢).

(٢) انظر: الجنى الداني (ص ٢٠ - ٢٣).

(٣) العقود العلوية على شرح الأزهري لعلي بن إبراهيم الحلبي (ص ١٤٤ - ١٤٥).

ثم إن حروف المعاني هذه لكل منها معنى خاصٌ أو عدّة معان، كما ذكرنا منذ قليل، وقد يشارك غيره في بعض ذلك أصلًاً، وقد يتقارض وإياه معنىً أو أكثر. ولكن هذا مشروط بما سمع عن العرب وصح حلوله محله في المعنى.

وعلى هذا، فلسوف تصادفك في أعمالنا شذرات اجتهادية قد نخالف بها ما ألفه النحاة والمعربون ، كالذى تراه في «لا» التبرئة، إذ هي في الحقيقة من أخوات «إن»، بدليل أنها تنصب الاسم المطلول وترفع الخبر كتلك الأخوات<sup>(١)</sup>. وكذلك ما تراه في الضمير المتصل للغائب، فهو منتهٍ بواو أو ياء، لا تُرسم في الاصطلاح ويشار إليها برمز دقيق في المصاحف الشريفة، فهو مبنيٌّ أصلًاً على السكون لا على الضم أو الكسر كما يذكر المُعربون، وإذا التقى بساكن قبله أو بعده كان ذلك البناء على الواو أو الياء المحذوفة لفظًا . ولتكنا مع هذا نلتزم ما ألفه المُعربون، وإن كنّا قد نشير إلى الصواب في مكانه المناسب.

وإذا كان للمبتدأ أكثر من خبر، ثم دخل عليه فعل ناسخ يقتضي مفعولين، فإنه يصير المبتدأ مفعولاً به أولاً ، والخبر مفعولاً به ثانياً، وبقيمة الأخبار المتعددة يكون كل منها مفعولاً به ثانياً مكرراً، مهما كان عددها. وحين تخرج شبه الجملة عن وظيفتها الأصلية في تقيد الحدث تصير في محل رفع نائبٍ فاعل، أو تابعةً لما قبلها في موقعه الإعرابي، أي: في محل نصب بالعاطف أو البالية، ولا تحتاج إلى تعليق.

ويحسن منك إغفال عطف البيان ما أمكن والاستعاضة منه بالبدل، لأن ما يردُ منه في الكلام غالباً ما يصح فيه البدل. ويسحب هذا على ما يلي اسم الإشارة للبيان ويكون محلـ بـ «أـلـ» العهدية الحضورية. أمـا إذا كانت «أـلـ» جنسية للمبالغة والكمال أو للتعظيم فالاسم المذكور هو في الغالب خبر.

(١) انظر: الكتاب (٣٤٥ / ١).

ثم إن لام «لقد» هي للابتداء والتوكيد، ولا تكون واقعة في جواب قسم ليس له لفظ حقيقي، إذ جمهور مواقع «لقد» في كلام العرب لم يدخل عليه قسم. فإن وجد ذلك تعينت الجواية. وربما حسُن أن تقدّر القسم المحذوف من كلام الله تعالى - في غير ذلك بالقول: «بي حلفٌ»، استثناساً بما ورد نصّه في أكثر من حديث قدسي مشهور<sup>(۱)</sup>.

والجملة الشرطية هي في الحقيقة قد ترد قيداً في العبارة، فتكون صفة لما تقيده أو في محل نصب حالاً مقارنة أو ماضية أو مقدرة، خلافاً لما أنكره الجمهور واستشكلوه باعتمادهم على أن الشرط يخالف الحالية لأنّه استقبالي<sup>(۲)</sup>. إنهم واهمون في ذلك، لأنّها قد تكون للماضي أو للحاضر أيضاً، فإذا وافقت في الزمن ما تقيده فالحالية مقارنة، وإلاً فهي حكاية للحال الماضية أو حالية مقدرة. وبهذا يكون قد طاح الإشكال.

وهنا تعرّض لنا اللام الموطّنة للقسم، إذ تكون في أذهان المعربين لام جواب، أو حرف اعتراف والجملة الشرطية مع جوابها المحذوف اعترافية بين القسم وجوابه. وبناء على ما قدّمنا في موضوع الشرط، فإن الجملة الشرطية هنا هي قيد لعنصر من جواب القسم وفي محل نصب حال مقدمة، وهي بذلك تمثّل صورة من الاحتباك، وتفيّد العامل فيها ضرباً من التوكيد المعنوي، إضافة إلى ما يفيده تكرار اللفظ أيضاً.

والنهي في مفهوم النهاة هو طلب ترك الفعل أو الكف عنه، ولكن سترى كثيراً من صيغه في الآيات الكريمة مراداً به تجنب الفعل أو عدم القيام به، وربما

(۱) جامع الحديث (۷۱/۷) و(۸۵/۹)، وكتنز العمال (۳/۶۸۸)، وجمع الجماع تحت الرقمين (۶۱۴۲) و(۷۵۳۵).

(۲) إعراب الجمل وأشباه الجمل (ص ۷۳ - ۷۵).

اجتمع فيه المعنيان إذا كان الخطاب لأكثر من واحد. ثم إن النفي غالباً ما يتضمن من باب مفهوم المخالفة حصول عكس المنفي مؤكداً، وإذا كان منصباً على صيغة مبالغة مثل «فعال» تراهم يذهبون فيه إلى خلع معنى المبالغة لئلا تتوهم إجازة وقوع أصل الحدث غير مبالغ فيه. والرأي أن تعالج القضية بالحفظ على الدلالات الحقيقة للصيغ، ليكون نفي المبالغة مبالغة في أصلها وفرعاً، فلا يحصل منه شيء إطلاقاً، وكذلك حال النهي المنصب على المعاني المبالغ فيها أيضاً ليصير المقصود به مبالغة في النهي.

والتنازع بين العوامل حصره جمهور النحاة في الأحداث النصية: الأفعال وأسمائها والمصادر والمشتقّات العاملة. ولما كان العمل الحقيقي هو في الأصل للحدث عامة، كما عرضنا في كتابنا «وظيفة المصدر في الاستدراك والإعراب»<sup>(١)</sup> فقد وجّب أن يشارك في التنازع كُلُّ لفظ يتضمّن معنى الحدث، كالأدوات العاملة من حروف وأسماء. وعلى هذا يكون لعوامل الجزم حضور ومساهمة في الحقل المذكور، وتدخلُ أشباه الجمل أيضاً في المتنازع عليه، ليصير لكل منها أكثر من عامل نحوي في الظاهر أو التقدير.

وإذا كان في العبارة عطف على الحال، أو المفعول المطلق أو المفعول لأجله، فلا بد من النص أن الثنائي منصوبة بالعطف، خلافاً لما جرى في أعمال المعربين، من القول: حالان ومفعولان مطلقاً ومفعولان له. ذلك لأن لكل عنصر وظيفته الإعرابية، وفرق منهجي واضح بين ما جرى عليه المعربون بالتسمّح في ذكر الإعراب الحكمي، وما يجب من البيان بالإعراب الحقيقي، وإلا احتلّت الحابل بالنابل.

(١) في (ص ١٩٠ - ١٩٢).

ثم إن الجمل الإنسانية قد يكون لها موقع الخبر أو الصفة أو الحال، فتسد مسده و تقوم مقامه في الإعراب، مع أن أكثر النحو ينكر عليها ذلك. وهي في شغلها وظيفتها هذه تضيف إلى المعنى العام للعبارة مبالغة و توكيداً، جرياً على ما عُرف في أوساط البليانيين، من أن ما يُنقل من وظيفته المخصصة إلى وظيفة غيره بالقياس الصحيح يكون له توجيهات مؤكدة للمبالغة في المعنى المقصود. وكذلك ما يكون في صيغة المفرد أو الجملة من قلب مكاني أو نقل إلى غير وظيفتها الأصلية.

و حين يجتمع قسم وشرط فالجواب يكون للأول في الغالب، ويُحذف جواب الثاني لدلالة جواب الأول عليه. هذا إذا كان الشرط غير امتناعي، وإذا كان امتناعياً فالجواب له على كل حال. وعندما ترد «أماماً» قبل الشرط مباشرة فالجواب لهم معاً.

### المصطلحات الإجرائية:

كنا قد ذكرنا من قبل ما يجب من تحديد الاصطلاح المستعمل خلال ميادين التحليل، ونضيف الآن أنه يجب التزام المفردات والأساليب التي اشتهرت عن البصريين بالتغليب، لأنها الأشيع والأكثر استخداماً في المصادر التراثية والإجراءات العملية حتى عصرنا هذا، والأقرب إلى الدقة والبيان مما سواها. ثم يضاف إليها ما يسره الله من عناصر ألقاها المفسرون واللغويون والمُعربون والبلغيون والاجتهاد الشخصي، ف تكون زاداً وافراً يستوعب حاجات العمل المنهجي بدقة واستقصاء، ثم ينتشر فيها ما هو بعيد عن قاموس المعاصرين لنا وقد يُفهم على غير مقاصده، فيقتضي ذلك أن نقف مليئاً لتفسير مفاهيمه بشيء من البيان:

فالاحتياط: أن يتداخل تركيبان حُذف من أوّلهما ما ثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما ثبت دليله في الأول. و«إذا» غير الشرطية تكون للمفاجأة والحال، ومثلها «إذ» الفجائية. وتنفرد «إذا» بأنها قد تردد بعد الفاء أو الواو أو «ثم»، وتليها جملة اسمية.

فهذه الجملة معطوفة على التي قبلها بالحرف المذكور لأنّه حرف عطف، خلافاً لما عليه جمهور المعربين من الاضطراب في ذلك. أمّا «إذاً» غير الناصبة فتفيد التوكيد ومباغة المعنى للجملة التي هي فيها، ولا يحتاج ذلك إلى تقدير شرط وما أشبهه في الإعراب. والاسم المُغْرِق في التنكير: يلازم معنى التنكير غالباً ما لا يستفيد تعريفاً من أساليب التعريف. ومن ذلك كلمات: غير ومثل ونظير ونحو. وأفعال الاستعارة: كل فعل مبنيٌ للمعلوم لا يصح أن يقوم به فاعله، فيكون إسناده إليه مجازياً.

و«أَلْ» تكون جنسية للاستغراق العُرْفي إذا دخلت على ما يشمل الأفراد المعاصرين للمذكور معها، وللمبالغة والكمال إذا دخلت على ما يستغرق خصائص الأفراد ويوجّه إلى مصدر الصفة المتضمنة فيه، وحرفيّة موصولة للعاقل أو لغير العاقل إذا دخلت على مشتق مسند إلى بعض من يعقل أو ما لا يعقل وهي حرف لا محل له من الإعراب، وزائدة لازمة للتزيين اللفظي إذا لزمت ما تدخل عليه ولم تُضف إليه معنى نحوياً جديداً، وزائدة للمح الأصل إذا دخلت على اسم علم منقول عن مصدر أو مشتق، وعهدية حضورية إذا دخلت على ما هو حاضر وقت التكلم، وعهدية ذكرية إذا حلّت مع ما دخلت عليه محلَّ ضمير يعود على اسم متقدم لفظاً أو تقديرًا، وعهدية ذهنية إذا دخلت على معهود لدى المخاطب أو على منعوت بصفةٍ معرفة لثلاً يكون دونها في التعريف كما قرر المحققون، ونائية عن الضمير إذا أمكن حذفها ووصل الاسم الداخلة عليه بضمير للمتكلم أو المخاطب أو الغائب.

والألف التي هي حرف زائد في الرسم للتفرق تردد بعد واو الجماعة، إذا لم يكن بعده ضمير متصل، لفرق بين واو الجماعة والواو الأصلية في الفعل. وكثيراً ما يرد في الرسم العثماني خلاف ذلك تبعاً للأصول الإملائية في صدر الإسلام. و«أَلْ» التي بمعنى «هلاً» قد تدخل فاء الاستئناف والسببية بين همزتها واللام فيكون اللفظ:

أفالا. وهذه من نادر التركيب. وإذا وجّهت هي وأمثالها إلى الله سبحانه كانت للتمني والدعا، ولم تُجز لمعانيها المعهودة. و«إلا»: تكون حرف استثناء ملغى إذا وقعت بين البدل والمبدل منه وهي مهملة لا عمل لها. وجعلها للحصر وهم ظاهر. وأو: تكون عاطفة لأحد الشيئين ومنع الخلوي، إذا أمكن أن يُجمع بين ما قبلها وما بعدها وأن يقع أحدهما وحده أيضاً. وقد تكون الواو لمثل هذا. وهو من نادر البيان وأبلغه. وقد تعطف كل منهما شيئاً على نظيريهما أو تعطف أكثر أيضاً.

والباء: حرف جر للإلصاق المعنوي، إذا تعلقت بما هو معنوي غير مادي، وللاستعانة إذا دخلت على آلة الفعل. وبدل التفصيل هو: البدل من مجمل بالمفصل. وبل ولكن: تعطف كل منهما المفردات كما تعطف الجمل، خلافاً لمن منع بعض ذلك. و«ثم» تكون عاطفة للترتيب مع التراخي والارتفاع في الرتبة إذا كان ما بعدها يفيد ارتفاعاً معنويًّا عما قبلها ولم تُنْدِ هي مهلة زمنية بينهما، وقد يجتمع الأمران معاً.

وتاء التأنيث كثيراً ما تفقد معناها اللغوي، وذلك حين تتصل باسم الفاعل أو اسم المفعول للدلالة على المبالغة في ثبوت الوصف، فيصير كل منهما صفة غالبة نحو: راوية وعلامة ونواحة ومصدقة. وهذه المفردات قد تطلق على مذكر أو مؤنث. ثم قد تكون التاء مع المستقى المذكور للنقل إلى الاسمية الخالصة، إذ يصبح اسم ذات أو اسم معنى لا يجوز إجراؤه على موصوف، نحو: الفاتحة من السور، والخاتمة بمعنى: الخيانة، والعافية والعاقبة، وغائية أي: ما يغيب ويختفي مع ثبوت الخفاء، وهدية ومطيبة وذبيحة ورميمية<sup>(١)</sup>.

(١) الكشاف للزمخشي (٣٨٣/٣)، والدر المصنون للسميين الحلبي (٨/٦٤٠)، وروح المعاني للألوسي (٢٠/٢٧).

والتابع في الإعراب لغيره، بالعاطف أو البدلية في المفردات والجمل وأشباهها، لا بد في التعبير عن وظيفته التحوية من النص على ذلك بأن تقول: «بالعاطف أو البدلية»، لدفع توهّم أن وظيفته هي وظيفة متّبعة بالإعراب الحكمي، ولتشبيّط المصطلح الدقيق بالإعراب الحقيقي.

والتنصيص: مبالغة في البيان والإحاطة، ويكون بـ«من» في سياق مخصوص قبل النكرة لاستقصاء عموم النفي، وقبل «أحد» وأمثاله لاستقصاء توكييد العموم، وبـ«لا» المشبهة بالفعل التام لاستقصاء نفي عموم وجود الجنس الداخلة عليه. وأما المشبهة بالفعل الناقص فهي لنفي وجود الجنس أو العدد. والتوكيد اللفظي لا محل له من الإعراب كالحرف الزائد، أكان بالمفرد أو الجملة أو العبارة.

وجملة الشرط غير الظرفي<sup>(١)</sup> هي الواقعة بعد أدلة شرط ليس فيها معنى الظرف، والجملة الشرطية هي: مجموع أدلة الشرط وجملتيه معاً، والجملة الصغرى تكون جزءاً يتّمّم جملة أكبر منها، أي: مبدأ لخبر أو خبراً لمبتدأً أو ناسخ أو فاعلاً لفعل أو مفعولاً ثانياً لفعل ناسخ، والجملة الكبرى هي: المكوّنة من مجموع الصغرى وما تتمّمه. وعلى هذا فقد تكون الجملة كبرى وصغرى في آن واحد.

والحال في معاني الأدوات يراد بها الدلالة المعنوية، أي: الزمن الحاضر أو الوصف اللازم، لا الحال الإعرابية. والحال المقدّرة هي: التي يُتوقع حصولها في المستقبل بالنسبة إلى ما هي قيد له، والحال الماضية هي: التي حصلت قبل ما تقيّده، فتكون لاستحضارها مع وروده كأنها تحصل مع التكلّم.

وحتّى: تكون حرف استئناف لا حرف ابتداء قبل الجملتين الشرطية والاسمية، وكلٌ من هاتين الجملتين: استئنافية. هذا لِمَا هو في نهاية العبارة. أمّا إذا كان بين

(١) إعراب الجمل (ص ٤٤ - ٦٠).

تركيبين من العبارة فحتى: حرف اعتراف، وكل من الجملتين: اعترافية. وقد تكون حرفًا زائدًا للتأكيد. فإذا كانت الجملة بعد «حتى» فعلية وفعلها ماض فحتى: حرف جرًّاً أيضًا مع تقدير «أن» تليها كما هي قبل المضارع عامةً، خلافًا للجمهور. ثم هي قبل المضارع حرف جر إذا كان للمستقبل بالنسبة إلى زمن التكلم، وإلا فالحكم كما في الأسمية والشرطية. وهي قبل الأسماء حرف جر، وقد تكون كذلك قبل: إذا.

وحرف الجر الزائد للتقوية والتوكيد هو: الباء أو اللام، ترد مع الفعل أو المصدر أو المشتق لتقويته على العمل وتأكيد المعنى كأنه ذكر مرتين. وحرف الجر للإضافة هو: الداخل على لفظ الجلالة أو أحد أسمائه الحسني أو إحدى صفاته العظمي، تعبيراً عن الاستعلاء أو الظرفية أو ابتداء الغاية أو انتهاءها، يجعل للإضافة؛ تأديباً مع المولى تعالى، إذ لا يجوز ذكر تلك المعاني له. ويكون حرف الجر للغاية المكانية المعنوية إذا وقع في مثل ذلك السياق أيضاً، دفعاً لتوهم التحيز المكاني. ومن هذا القبيل للتأدّب ألا نذكر لفظ «الله» أو اسم الجلالة في الإعراب بما يكون من الرفع والنصب والجر، ونستعيض من ذلك بـ«لفظ الجلالة». ومن هذا أيضاً الظروف الواردة في نظائر السياق المذكور قبل.

والحرف الزائد في الصرف للإغناط عن المجرد هو: المزيد في صيغة الفعل ومصدره ومشتقاته، إذا لم يكن الفعل المزيد مشاركاً لمجرده في معناه الأصلي. وقد تكون هذه الزيادة حرفين أو ثلاثة. والزائد في الإعراب يكون لمعانٍ مختلفة، وإطلاق مصطلح «صلة» عليه مردود لأن الصلة وظيفتها الوصل بين عناصر الكلام، والزائد بعيد عن ذلك، إذ يكون للتأكيد وغيره من المعاني الخاصة<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر (ص ٥٤ - ١٠٢) من كتابنا: إشكاليات في البحث والنقد النحوين.

والحمل على التصغير في الصرف يكون بقلب الألف وواوً في جمع التكسير كما تقلب في تصغير الاسم نفسه. والحكاية في الإعراب تعني إيراد الجملة أو العبارة أو الكلمة بعد القول وما يقوم مقامه وقبلها مفرد محذوف كال مضارف، مقصوداً لفظها لا معناها، فيكون لها محله الإعرابي دون أن تؤول بمفرد، لأن حذف المضارف قد يجيئ للمضارف إليه أن يحل محله من الإعراب. ولهذا قد نضعها بين علامتي تصيص. ورفع السبيبي يحصل باسم الفاعل أو اسم المفعول ليصير صفة مشبّهة به ويفيد الثبوت والمبالغة في المعنى.

والفاء الرابطة لجواب الشرط إذا لم تُقدِّم ترتُّب الجواب على الشرط دلت على أن الجواب الحقيقي ممحذف، وهو علة باعثة للجواب المذكور، ويقال لها: «جوائية للتعليل»، وتبقى جملة الجواب في الإعراب هي المذكورة لا المقدّرة. والفاء الزائدة: قد تكون لتوكييد تعليق شبه الجملة بالفعل تشبيهاً لها بالشرط في الترتُّب، أو لتوكييد تعليق الخبر بالمبتدأ اسمًا موصولاً أو ما يشبهه، ولتحقيق السبيبية بينهما لما في الاسم الموصول من شبه بمعنى الشرط في العموم والترتُّب أيضاً، أو لربط الخبر بالمبتدأ، أو للنداء بجوابه، أو لما بعدها بما قبل قولٍ، مع الدلالة على السبيبية بينهما وأن ما بعدها مترب على كلام متقدم وليس ابتداء.

والعاطفة للترتيب الذكي: تَرُدُّ بين جملتين متراوحتين أو مشتركتين في المعنى ولا بد من تقديم العامة على الخاصة أو البيانية لتفصيل منها. والفصيحة هي: فإنه التي تدل على ترتيب وتعقيب وسببية بين ما بعدها وما قبلها، فتكون للعطف أو الاعتراض أو زائدة، وقد تدل في المعنى على جملة ممحذفة أو أكثر قبلها.

وال فعل «دخل» تقول منه: «دخلتُ العرَاقَ وأدخلتُكَ المسجداً»، فيتعدى إلى المفعول بنفسه، ومع الهمز الزائدة يتعدى بنفسه إلى مفعولين، كما ذكر الفراء والأخفش والجرمي. وهذا خلاف لِمَا زعمه سيبويه وآخرون في النصب، من أنه

على حذف حرف الجر «في» أو أن النصب على الظرفية أو الاتساع<sup>(١)</sup>، والتقدير: دخلت فيه وأدخلت فيه. نعم قد يرد حرف الجر هذا لتأكيد المعنى إن ضاق المكانحقيقة أو مجازاً، نحو: دخلت في البئر وأدخلت إصبعي في الحلقة. فال فعل إذاً، كما قال السهيلي وأبو حيان، يجوز فيه الوجهان: التعدي بنفسه وبواسطة: في. ويتبّع ذلك بشكل ما في الآية (٢٩) من سورة الفجر.

والفعل «رأى» يقتضي مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر حين يكون للرؤية القلبية، وكذلك حكمه ومفعوله الثاني جملة استفهامية، إن دخلت عليه همزة الاستفهام للأمر بالتفكير والتذير والعلم والإجابة، نحو قول الله تعالى: ﴿فَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشَرُّونَ \* أَنَّمَا أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَرْءِ أَمْ مِنْ الْمَنْزَلَوْنَ﴾؟ [الواقعة: ٦٨، ٦٩] فالماء: مفعوله الأول، وجملة ﴿أَنَّمَا أَنْزَلْتُمُوهُ﴾: في محل نصب مفعوله الثاني. وكثيراً ما تقع بينهما جملة شرطية هي قيد بالحال لما في المفعول الثاني، وقد يحذف جوابها لدلالة المفعول الثاني عليه، أو يحذف أحد المفعولين أو كليهما أيضاً. والخطاب في هذا للمفرد والمؤنث والمثنى والجمع قياسي في حركة تاء، تكون بحسب المخاطب.

لكن عندما تدخل كاف الخطاب عليه، وهي حرف زائد مبالغة في التوكيد، تلزم التاء حركة الفتح أيّاً كان المخاطب نحو: أرأيتَكَ زيداً ما صنع؟<sup>(٢)</sup> تقول: أرأيتَكَ وأرأيتُكُمْ وأرأيتُكُمْ؟ والفعل يقتضي مفعولين أيضاً أصلهما المبتدأ والخبر ثانية جملة استفهامية، نحو: ﴿أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَتَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهَرَةً هَلْ يُهَلَّكُ إِلَّا أَقْوَمُ الظَّالِمُونَ﴾؟ [الأنعام: ٤٧] وفيه حذف المفعول الأول وجواب الشرط،

(١) الكتاب (٢/٢١٦)، وارتفاع الضرب لأبي حيان (٢/٢٥٣)، والهمم للسيوطى (١/٢٠٠).

(٢) معنى الليب لابن هشام (ص ١٩٨). وهذا التركيب يخالف ما يكون فيه الاستفهام لغير الأمر نحو:

أرأيتَكَ صادقاً؟ وأرأيتَكَ صادقة؟

كما ترى<sup>(١)</sup>. وقد يكرر هذا التركيب في عبارة واحدة، ويكون بين جزأيه حذفان كما في القسم مع الشرط، وهو ما عرفناه باسم الاحتباك.

وال فعل «زاد» غالباً ما لا يتعذر إلى مفعولين، لأن ما يرد بعد مفعوله هو نكرة في القرآن الكريم وكثير من كلام العرب، ولا يقدّم على الفعل كما يتقدم المفعول به. وال فعل المعتل هو الذي في أصوله حرف علة، والمعلّ هو الذي جرى فيه إعالل. والمهمّل يراد به في الصرف وجود مصدر أو مشتقات من مصدر كان له فعل مستعمل ولم يرد له ذكر في المعاجم المعروفة وكلام العرب.

أمّا القول الملحق فهو ما يجب أن يرد على لسان المتكلّم تبعاً لما لقنه إياه غيره، وقد يكون بعد لفظ قول صريح أو بدونه. فال الأول لا يحتاج إلى بيان، في حين أن الثاني في حاجة إلى ذلك. وقد يكون التلقين باستثناء المخاطب شيئاً من قول المتكلّم مع تكرار عبارته المتقدمة، فيأتي المتكلّم بذلك الاستثناء أيضاً مع تكرار العبارة، كما في حديث: (إلا الإذخر)<sup>(٢)</sup>.

وأمّا عطف التلقين فيرد فيه حكم للمتكلّم مستندي من جواب المخاطب أو السامع بعطفه على شيء من كلامه هو. وتلقين المخاطب لمن يكلّمه إما أن يمنعه المتكلّم كما ورد في خطاب الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعَلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمَنْ ذُرَّيْتَ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، إذ جاء دعاء إبراهيم عليه السلام بكون أئمّة من ذريته في الحكم، فكان الجواب بأن ذلك لا ينال الظالمين منها، وإما أن يورده المتكلّم بعد معطوفاً على مكرّر في التقدير لشيء من كلامه

(١) انظر المفصل في تفسير القرآن الكريم (ص ٤٦٧ - ٤٧١) و(ص ١٢٢ - ١٢٣) من كتابي قراءة موجهة لمصادر التراث في رحاب المكتبة العربية.

(٢) الحديث (١١٢) في صحيح البخاري.

سابق، استجابة لطلب المخاطب بما فيه نفس التكرار، كما في الحديث الشريف<sup>(١)</sup>:  
**(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلَّقِينَ، قَالُوا: وَلِلْمُقَصِّرِينَ، قَالَ: (وَلِلْمُقَصِّرِينَ) أَيْ قَالُوا: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلَّقِينَ وَلِلْمُقَصِّرِينَ، قَالَ: (اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِلْمُحَلَّقِينَ وَلِلْمُقَصِّرِينَ).**

واللام التي للتفرير ترد بعد «إن» المهملة المخففة من المشددة للفرق بينها وبين النافية، ولتوكيد المعنى وللعيوض من حذف نونها الثانية، والتي للبعد تكون زائدة بعد اسم الإشارة لتوكيد ما في الكاف من البُعد مع دفع توهם الإضافة بينه وبين «ذا»، وقد يرافق ذلك تعظيم المسار إليه أو تقييمه. وفي الحالين هي ساكنة في الأصل تحرّك بالكسر لالتقاءها بسكون الألف قبلها.

والتي للصيغة أو المآل أو الإرادة أو الحِكمة هي حرف جر يشبه لام التعليل ظاهراً، إلا أن ما قبله ليس علة باعثة لما بعده كالسبب الفعال، وإنما تُفتح الحدث الثاني عن الأول في التركيب على غير قصد من الفاعل المتقدم، والحكم فيه شبيه جداً بما يكون في بعض مواقع فاء السبيبة والمفعول لأجله، والتعليق باللام و«حتى ولعل».

و «لَا» الزائدة قد ترد بعد النفي لتوكيده و تعميمه، فيشمل الحكمُ ما قبلها وما بعدها معاً وكلاًّ منها على حِدَةٍ، و ترد بعد الضمير المتصل أو المستتر توظئة للعطف عليه. و «لدَى»: ظرف مكانِي يرى النحاة أنه مُعرَب بالفتحة المقدّرة. والظاهر عندي أنه مبني كالحرفين: إلى وعلى، إذ يكون مثلاهما في التركيب، تُقلب ألفه ياء عندما يتصل بضمير، نحو: لَدَيْنَا و لَدَيْكَ و لَدَيْهِ و لَدَيْكُمْ.

و «لعل» يكون فيها الترجي أو الإشراق تبعاً لما هي فيه من السياق، فيكون من المتكلم أو المخاطب أو الغائب أو لما هو مبني للمجهول، وقد تكون للتحقيق أو التقليل والاستفهام. و غالباً ما تكون جملتها قيداً بالحال لعنصر فيما قبلها، فإذا لم

(١) الحديث (١٦٤٠) في صحيح البخاري.

تسدّ مسدّ المفعول الثاني والثالث لفعل قلبي. وـ«لن» ترد لتوكيده نفي المستقبل. وـ«لو» بعد واو الحال غالباً ما تكون زائدة لازمة للتعتميم أي: جعل الحكم شاملاً لجميع الأحوال مع الانتهاء إلى أرفعها أو أدناها. وكذلك شأن «إن» في الحكم والإعراب والمعنى.

وـ«ما» المتصلة بـ«إنْ وَأَنْ وَكَانْ وَلَيْتَ» هي حرف زائد زيادة لازمة، توطة لدخول الحرف المشبه بالفعل قبلها على الجملة الفعلية، أو الاسمية دون أن يكون له عمل في شيء منها كالذى كان له من قبل. والمفعول به الثاني المكرر هو: ما كان في الأصل خبراً ثانياً أو ثالثاً... قبل دخول الفعل الناسخ على الجملة الاسمية وتصير جزأيها مفعولين، كما ذكرنا فيما مضى. والموطأة في الحال تعني أنها وردت تمهيداً لنعتها تهيء انصباب الحكم عليه لأنّه هو الحال في المعنى وجيء بها للمبالغة والتوكيده، والموطأة في الوصف يعني أن الموصوف تمهيد للنعت بعده يهيئ انصباب الحكم عليه مع المبالغة والتوكيده أيضاً.

والميم هي: حرف لجمع الذكور، وكثيراً ما تكون شاملة لجمع الإناث أيضاً بالتلغيل. وهذا مستغرق لضمير الجماعة أيضاً، وفيه وفيما قبله إشعار بتدخل النساء في ضيائرة الرجال وخصوصياتهم عنوة، وهو ما لا يجوز للرجال اقتحام حرمه عندهن. ثم يقال مع هذا: إنّ العربية قد ظلمت النساء! والميم المشددة بعد لفظ الجلاله: عوض من حرف النداء للمبالغة في التعظيم.

والنصب بنزع الخافض يراد به أن الاسم أو المصدر المؤول حذف قبله حرف الجر، فكان النصب ظاهراً أو مقدّراً. وهذا قول الكوفيين، وأماماً البصريون فيرون أن ذلك منصوب على شبه المفعولية للفعل أو ما ناب عنه، وإن كان لازماً أو لا يتعدّى إلى مثل هذا المفعول به.

و «ها» التنبهية في النداء: حرف زائد بين «أيٌّ» والاسم المبدل منها لتوكيده التنبه و عوضاً من الإضافة لأنّ «أيٌّ» في غالبية استعمالاتها تكون مضافة. وهمة الوصل في أول الفعل الماضي تتحمل على همزة القطع في الحذف، عندما يصاغ منه الفعل المضارع أو المشتقات أو المصدر الميمي. وذلك نحو: احتفلَ يَحتَفِلُ مُحتَفِلٌ و مُحتَفِلٌ، و انحسَرَ يَنْحُسِرُ مُنْحُسِرٌ و مُنْحُسِرٌ، واستعملَ يَسْعَمِلُ مُسْعَمِلٌ و مُسْعَمِلٌ.

و واو الحال، أكانت للاقتران أم لحكاية الحال الماضية أم لحال مقدرة، يقال لها في الإعراب: «حرف ابتداء» كما ذكر مكي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>، تميزاً لها من الواوات الأخرى، ولأن الجملة الحالية هي أصلاً اسمية صدرها مبتدأ.

وتَرْدُ تلك الواو قبل «إن» أو «لو» الزائدين للتعميم وانتهاء الغاية في الارتفاع أو الدناءة، كما ذكرنا قبل. وجعل كل منهما شرطية يقتضي إعراب ست جمل بدلاً من واحدة، وقد يؤدي إلى إحالة أو فساد في المعنى. ذلك لأن مضمون الشرط المفرد غالباً ما يقتضي بمفهوم المخالفة ورود عكسه في المعنى، وهذا مناقض لمدلول الجملة المعنوية كما تحدّده واو الحال هذه.

تلك الخطوط في الصفحات الماضية هي رسم توضيحي مكثف لما يحسن تناوله والمسير معه في عوالم التحليل النحوی للنص القرآني الكريم، لإدراك توارد العلاقات والوظائف والمعاني التحويية على المفردات والتراكيب والعبارات، وما يتولّد عن ذلك من تأثير وتأثير بين عناصر التركيب، وتعزيز للدلائل المعنوية، والله أعلم بالصواب.

(١) ينظر مغني اللبيب (ص ٣٩٨).

## فهرس المصادر والمراجع

- ابن عصفور والتصريف، فخر الدين قباوة، دار الفكر بدمشق، م ٢٠٠٠.
- إتحاف ذوي الاستحقاق ببعض مراد المرادي وأبي إسحاق، ابن غازي المكناسي، مكتبة الرشد بالرياض.
- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت.
- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ١٩٣٧ م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، مكتبة النسر الذهبي، ٤٠٤ هـ.
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، مطبعة هندية بالقاهرة، ١٩٢٣ م.
- الأشباه والنظائر في النحو، السيوطي، مطبعة دائرة المعارف بحيدر أباد.
- إشكاليات في البحث والنقد النحوين، فخر الدين قباوة، دار الملتقى بحلب ١٤٢٤ هـ.
- إعراب الجمل وأشباه الجمل، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي بحلب، ٢٠٠٧ م.
- أقسام الأخبار، أبو علي الفارسي، المجلد (٧) من مجلة المورد ببغداد.
- الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، فخر الدين قباوة، دار لونغمان بالقاهرة، ٢٠٠١ م.
- أمالي الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، مطبعة المدنى بالقاهرة، ١٣٨٢ هـ.
- إنباء الرواية على أنباء النحاة، علي بن يوسف القبطي، دار الكتب المصرية، ١٣٦٩ هـ.
- أنساب حمير وملوكها، الحسن بن أحمد الهمданى، مطبعة بريل، ١٩٥٤ م.
- الإيضاح في علل النحو، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، مطبعة المدنى، ١٣٧٨ هـ.
- إيضاح الوقف والابتداء، ابن الأئباري، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠ هـ.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزيدى، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦هـ.
- التحليل النحوي أصوله وأداته، فخر الدين قباوة، دار لونغمان بالقاهرة، ٢٠٠١م.
- التعليقة على كتاب سيبويه، أبو علي الفارسي، مطبعة الأمانة بالقاهرة، ١٤١٠هـ.
- تفسير روح المعاني، محمود الألوسي، دار الفكر بيروت، ١٤١٤هـ.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الحديث بالقاهرة، ١٤٠٨هـ.
- جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية القدمية، فخر الدين قباوة، دار هارون الرشيد بدمشق ١٤٢٨هـ.
- جمع الجوامع، السيوطي، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٣٢٧هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، دار الملتقى بحلب، ٢٠٠٨م.
- حاشية الخضري على ابن عقيل، محمد الخضري، دار عيسى البابي الحلبي بالقاهرة.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني، محمد بن علي الصبان، دار عيسى البابي الحلبي بالقاهرة.
- الخصائص، ابن جني، دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ.
- دراسات في تاريخ الخط العربي، صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت.
- الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، دار القلم بدمشق، ١٤٠٦هـ.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، مطبعة الهندي، ١٤٠١هـ.

- طبقات النحوين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي، القاهرة، ١٣٧٣ هـ.
- العقود العلوية على شرح الأزهرية، علي بن إبراهيم الحلبي، وزارة الثقافة بدمشق، ١٤٢٨ هـ.
- فتاوى في علوم العربية، فخر الدين قباة، دار الملتقي بحلب، ١٤٢٨ هـ.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث بالقاهرة، ١٤١٣ هـ.
- قراءة موجهة لنصوص التراث في المكتبة العربية، فخر الدين قباة، دار الملتقي بحلب، ١٤٢٤ هـ.
- كتاب سيبويه، سيبويه، المطبعة الكبرى الميرية، ١٣١٦ هـ.
- الكشاف، الرمخشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦ هـ.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦ مـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الحاج خليفة مصطفى بن عبد الله، المطبعة الإسلامية بطهران، ١٣٨٧ هـ.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، المطبعة الكبرى الميرية، ١٣٠٠ هـ.
- مجالس العلماء، عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٢ مـ.
- المحكم في نقط المصاحف، عثمان بن سعيد الداني، المطبعة الهاشمية بدمشق، ١٣٧٩ هـ.
- مختصر شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٣ هـ.

- مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح، الملا علي القاري، المكتبة الشاملة.
- مشكلة العامل النحوی ونظرية الاقتضاء، فخر الدين قباوة، دار الفكر بدمشق، ١٤٣٠ هـ.
- معانی القرآن، يحيی بن زید الفراء، دار الكتب المصرية، ١٣٧٤ هـ.
- مغنى الليب عن كتب الأعaries، ابن هشام الأنصاری، دار الفكر بدمشق، ١٣٨٤ هـ.
- المفصل في تفسير القرآن الكريم، فخر الدين قباوة، مكتبة لونغمان بالقاهرة، ١٤٢٩ هـ.
- الملخص في ضبط قواعد العربية، عبيد الله بن أبي جعفر بن أبي الربيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- المورد النحوی الكبير، فخر الدين قباوة، دار طлас بدمشق، ٢٠٠٨ م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات بن الأنباري، مطبعة المدنی بالقاهرة.
- نصوص نحوية، فخر الدين قباوة، دار الفكر بدمشق، ١٩٩٩ م.
- النهج الإسلامي للتعليم العالي، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي بحلب، ١٤٢٨ هـ.
- همع الهوامع شرح جمع الجواجم، السيوطي، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٣٢٧ هـ.
- وصايا الملوك، دعبد الخزاعي، المكتبة الشاملة.
- وظيفة المصدر في الاستدراك والإعراب، فخر الدين قباوة، دار القلم العربي، بحلب، ١٤٢٨ هـ.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٩٥	ملخص البحث.....
٩٦	تمهيد.....
٩٦	المفاهيم الاصطلاحية للإعراب.....
١٠٢	التحليل النحوي.....
١٠٤	أساليب التحليل ومعادلاته.....
١١٣	التفاعل الصميمي بين عناصر التحليل.....
١١٦	المعادلات الإعرابية.....
١١٨	تاريخ الإعراب التحليلي.....
١٢٤	مصنفات الإعراب ومناهجها.....
١٢٧	النحو العملي للإعراب.....
١٣٧	المصطلحات الإجرائية.....
١٤٨	فهرس المصادر والمراجع.....
١٥٢	فهرس الموضوعات.....

## صلة ذوي القربى من غير المسلمين

في ضوء القرآن الكريم وأئمتنا بتبوئه

د. محسن سعفان المأليدي<sup>(\*)</sup>

ما يحصن البحث

يتحدث هذا البحث عن صلة الرحم الكافرة، ويقصد بالكافرة غير المسلمة، كتابية كانت أو وثنية، وكان من دواعي الكتابة فيه دخول أعداد في الإسلام من أسر غير مسلمة، وإنجاب المسلمين من غير المسلمات، فهو يظهر صورة الإسلام المشرقة حيث إن الرحم توصل وإن كانت كافرة، ومن صور صلتها الوصية لها من التركة، والتلطف معها رجاء إسلامها، و يجب بر الوالدين المشركين وإن كانوا مجاهرين بالكفر، ولا يتعارض بِرُّهما مع الآيات والأحاديث التي تجعل الولاية في الدين فقط؛ وذلك لأن الموالاة غير الصلة، فالصلة تكون للكافر وغيره، أما الموالاة فلا تكون إلا في الدين، وتبيّن من البحث أن صلة الكافر رحمة تنفعه وتنفع ذريته في الدنيا، إذ تقيهم مصارع السوء، ولا يخزون في الدنيا، أما في الآخرة فلا تغنى عنهم الصلة شيئاً.

(\*) أستاذ مشارك في كلية الشريعة - جامعة النجاح الوطنية - فلسطين.

## مقدمة

الحمد لله الذي عم برحمته جميع العباد، وخصّ أهل طاعته بالهدایة إلى سبيل الرشاد، والصلوة والسلام على سيد ولد آدم الشفيع المشفع بنا يوم المعاش، وبعد: فقد يسر الله لي أن أكتب هذا البحث وعنوانه: «صلة ذوي القربي من غير المسلمين»، وهو البحث الثالث في سلسلة الأبحاث المتعلقة بالرَّحْم، فقد سبقه بحث بعنوان: «صلة الرَّحْم المسلمة»<sup>(١)</sup>، وبحث بعنوان: «الرَّحْم والرحمن بين الاشتقاد والتفسير»<sup>(٢)</sup>، وكان من دواعي هذا البحث أننا نشهد في الوقت الحاضر حضوراً كبيراً لأفراد أو جماعات تدخل في الإسلام من أسر غير مسلمة، وفي المقابل هناك عدد من المغتربين - وبخاصة الطلبة - يتزوجون من غير المسلمات، فينجذب إلينا تكُون أرحامهم من جهة الأم غير مسلمة، فما الضابط في تعامل المسلمين مع أرحامهم من غير المسلمين؟

لقد جاء هذا البحث ليظهر جانباً من الصورة المشرقة لهذا الدين، إنه دين الرحمة الذي يأمر بصلة الرَّحْم الكافرة رغم خلافها لنا في العقيدة، فيوجب الصلة لها دون الموالاة، وذلك لأنّ المسلم مستقل بعقيدته وولائه لله رب العالمين.

والمقصود بالرحم الكافرة الرَّحْم غير المسلمة، كتابية كانت، أو مشركة، أو لا دينية. وقصدت في بحثي هذا استقصاء النصوص القرآنية، وقد كنت أتوق إلى جعله دراسة قرآنية فقط، وأن أجعل الأحاديث تابعة للآيات مفسرة لها، إلا أنني رأيت أن من الخير أن أفرد الحديث الشريف في مطالب مستقلة فإنه أفلج للاستدلال، وأقوى في البيان، والله المستعان.

وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

(١) بحث محكم ومنتشر في مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث، مجلد (١٧)، عدد (٢)، سنة ٢٠٠٣ م.

(٢) بحث محكم ومنتشر في مجلة جامعة النجاح الوطنية للأبحاث، مجلد (١٨)، عدد (١)، سنة ٢٠٠٤ م.

**المبحث الأول:** صور صلة الرحم الكافرة في الكتاب والسنة، وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول:** الوصية من التركة للوالدين والأقربين غير المسلمين، وصنع المعروف إليهما.

**المطلب الثاني:** الوصية بالإحسان إلى الوالدين المشركين المجاهرين بالكفر.

**المطلب الثالث:** التلطف بالمعاملة ورجاء الرحمة للرحم الكافرة.

**المطلب الرابع:** تخصيص الأقربين بالإذار، وبالدعوة إلى سبيل الله تعالى.

**المطلب الخامس:** صلة الرحم الكافرة في الحديث والأثر.

وقد تتدخل عنوانين المطالب الثلاثة الأولى في هذا المبحث، وقد يُقال: إنها جميعها تدخل في باب الإحسان، وهذا صحيح، إلا أنني أفردت كل عنوان في مطلب؛ لأن كل منها دليله المستقل المباشر في القرآن الكريم.

**المبحث الثاني:** مشكل القرآن والسنة في صلة الرحم الكافرة، وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** مشكل صلة الرحم الكافرة من القرآن وجوابه.

**المطلب الثاني:** مشكل صلة الرحم الكافرة من السنة وجوابه.

**المبحث الثالث:** جزاء صلة الكافر لرحمه، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** تنفع الكافرين في الدنيا، وتقيهم مصارع السوء.

**المطلب الثاني:** إذا وصل الكافر رحمه ثم أسلم فإن ثواب ذلك يصل إليه.

**المطلب الثالث:** صلة الكافر لرحمه تنفع ذريته وتحميهم من الفقر والخزي في الدنيا.

وختاماً، فقد اجتهدت أن يكون بحثي هذا لائقاً بخدمة الكتاب العزيز والسنة المشرفة، وأنا أعلم تماماً أن البشر محل النقص بلا ريب، فما كان فيه من صواب فيما هداني ربِّي، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي التي أستدرك عليها حيناً بعد حين، راجياً أن يتقبل الله مني، وأن يجعلني مع الصالحين في جنان النعيم، اللهم آمين.

## المبحث الأول

### صور صلة الرحم الكافرة في الكتاب والسنة

تمهيد:

هناك صور متعددة حملتها آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام دعت إلى صلة الرحم وإن كانت كافرة، وقد جاءت بعض النصوص قطعية الدلالة لا خفاء فيها ولا التباس، فكان أمرها بيتاً واضحاً للناس، وخفى المراد في آيات أخرى لاحتمالها وجوهاً مختلفة، وقد اجتهدت أن أورد الآيات التي تطمئن النفس إلى قوة الاستدلال بها على المراد، واستقصيت جميع آيات القرآن ذات العلاقة بالموضوع، فكان كل مطلب حواه هذا المبحث يتكلم على دليل قرآني دعا أو أذن بصلة الرحم الكافرة، أما المطلب السادس فهو خاص بصلة الرحم الكافرة في الحديث والأثر، وإليك بيان هذه المطالب:

#### المطلب الأول: الوصية من التركة للوالدين والأقربين غير المسلمين وصنع المعروف إليهم

تتجلى دعوة صنع المعروف إلى الأولياء غير المسلمين بالوصية والإحسان في آيتين:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿أَلَّا تُؤْلِي بِإِلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَرْجُوْجَهُ وَأَمْهَاتُهُمْ وَأَوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِعَضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْهِمْ أَوْلِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦]. أفادت هذه الآية صلة المسلم غير المسلم؛ وذلك بالإحسان إليه في الحياة والوصية له عند الموت، فقد ذهب عدد من المفسرين إلى أن المعنى في الآية: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيْهِمْ مَعْرُوفًا﴾ يعني إلا أن توصوا لذوي قرابتكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان

والهجرة، وهذا قول الحسن، وفتادة، وعطاء، وعكرمة، ومحمد بن الحنفية<sup>(١)</sup>، والمعنى أن الأقرباء من الكفار لا يرثون المسلمين، ولو أوصى لهم المسلم جاز<sup>(٢)</sup>. أخرج عبد الرزاق في تفسيره عن عطاء أنه قال جواباً عن الآية: «هو إعطاء المسلم الكافر بينهما قرابة ووصيته له»<sup>(٣)</sup>.

وأخرج ابن جرير عن قتادة في الآية: ﴿إِلَّا أَنْ تَقْعُلُوا إِلَيْ أُولَئِكَ مَعْرُوفَةً﴾ أنه قال: «معروفاً أي من أهل الشرك»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية قال: «للقرابة من أهل الشرك وصية ولا ميراث لهم»<sup>(٥)</sup>، وأخرج ابن جرير نحوه عن محمد بن الحنفية<sup>(٦)</sup>.

ويفهم من هذه الأقوال المأثورة أنها خاصة في الأقارب من أهل الشرك، وهو منص عليه بعضهم بقوله: «إلى أوليائكم من أهل الشرك وصية لا ميراث لهم، فأجاز الله عز وجل الوصية، ولا ميراث لهم»<sup>(٧)</sup>.

(١) ابن جرير، أبو جعفر، محمد الطبرى (ت: ٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، دار الفكر، بيروت، ط سنة (١٤٠٥ هـ)، (٢٤ / ٢١)، والنحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨ هـ)، معانى القرآن، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط (١) (١٤٠٦ هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني (٣٢٦ / ٥)، والبغوى، أبو محمد، حسين بن مسعود الفراء (ت: ٥١٦ هـ)، تفسير البغوى الموسوم بـ«معالى التنزيل»، دار المعرفة، دمشق، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك (٣ / ٥٠٨)، والقرطبي، أبو عبد الله بن أحمد الأنباري (ت: ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة (١٤ / ١٤).

(٢) السمعانى، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت: ٤٨٩ هـ)، تفسير السمعانى، دار الوطن، الرياض، ط (١) (١٤١٨ هـ)، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم بن عباس (٤ / ٢٦٠).

(٣) الصناعى، عبد الرزاق بن همام (ت: ٢١١ هـ)، تفسير الصناعى، مكتبة الرشد، الرياض، ط (١) (١٤١٠ هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد (٣ / ١١٣).

(٤) ابن جرير، جامع البيان (١٠ / ٥٣).

(٥) المرجع السابق (٢١ / ١٢٤).

(٦) المرجع السابق (٢١ / ١٢٤).

(٧) فتادة، أبو الخطاب، بن دعامة السدوسي (ت: ١١٧ هـ)، الناسخ والمنسوخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١) (١٤٠٤ هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن (ص: ٤٣)، وابن أبي زمین، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله (ت: ٣٩٩ هـ)، تفسير ابن زمین، دار الفاروق الحديثة، مصر ط (١) (١٤٢٣ هـ)، تحقيق: حسين بن عكاشة، ومحمد الكتر (٣ / ٣٨٨).

وهناك من ذهب إلى أن الآية: ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَاءِكُمْ﴾ خاصة بالأولياء من المؤمنين فقط، ذهب إلى هذا مجاهد، وابن زيد، والرمانى، ويعضد هذا المذهب لفظ الآية<sup>(۱)</sup>، وهذا ما رجحه ابن جرير الطبرى حيث قال: «أولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال معنى ذلك: ﴿إِلَّاَن تَقْعُلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَاءِكُمْ﴾ الذين كان الرسول ﷺ آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار ﴿مَعْرُوفًا﴾ من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم، وما أشبه ذلك؛ لأن كل ذلك من المعروف الذي قد حث الله عليه عباده.

وإنما اخترت هذا القول وقلت هو أولى بالصواب من قيل من قال: عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك لأن القريب من المشرك وإن كان ذا نسب فليس بالمولى، وذلك أن الشرك يقطع ولایة ما بين المؤمن والمشرك، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخدوا منهم ولیاً بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا عَدُوِّي وَعَدُوكُمْ أَوْلِياءَ﴾ [المتحنة: ۱]، وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء ثم يصفهم جل ثناؤه أنهم أولياء... والمعنى: ﴿إِلَّاَن تَقْعُلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَاءِكُمْ﴾ الذين ليسوا بأولي أرحام منكم معروفاً<sup>(۲)</sup>.

**الراجح:** إن لفظ الولي في الآية عام يشمل المؤمنين وغير المؤمنين؛ وذلك لأن ولاية النسب أمر، وولاية الدين أمر آخر، وقد حسن هذا القول ابن عطية، وتابعه عليه القرطبي، قال ابن عطية: «وتعتميم لفظ الولي أيضاً حسن إذ ولاية النسب لا تدفع الكافر، وإنما تدفع أن يلقى إليه بالمودة كولي الإسلام»<sup>(۳)</sup>.

(۱) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي (ت: ۵۴۶ھ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت ط (۱) (۱۴۱۳ھ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى (۴ / ۳۷۰)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (۱۴ / ۱۲).

(۲) ابن جرير، جامع البيان (۲۱ / ۱۲۴ - ۱۲۵).

(۳) ابن عطية، المحرر الوجيز (۴ / ۳۷۰)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (۱۴ / ۱۲).

وهذا القول يفرق بين ولاية النسب وولاية الدين، وهو بذلك يدفع قول ابن جرير؛ إذ إن عماد ترجيح ابن جرير: أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك، ويحاب عنه أن هذا صحيح فيما يتعلق بولاية الدين، ولكن تبقى ولاية النسب، وهي أمر آخر، فقد أخرج عبد الرزاق من طريق قتادة عن الحسن قوله في الآية: ﴿إِلَّا أَنْ تَقْعُدُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ﴾، قال: إلا أن يكون لك ذو قرابة ليس على دينك فتوصي له بالشيء من مالك، هو ولدك في النسب وليس ولدك في الدين<sup>(١)</sup>.

فإن النهي عن اتخاذ الكفار أولياء لا يقتضي النهي عن الإحسان إليهم والبر لهم<sup>(٢)</sup>، إذ الأولى عدم تخصيص قوله: ﴿إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ﴾ بالمؤمنين دون غيرهم، أو بالمسركين دون غيرهم، فإنها تشتمل الأقرباء على اختلاف أصنافهم.

قال أبو حيان: «والظاهر عموم قوله تعالى: ﴿إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ﴾ فيشمل جميع أقسامه من قريب وأجنبي، مؤمن وكافر يحسن إليه، ويصله في حياته، ويوصي له عند الموت»<sup>(٣)</sup>.

الآية الثانية: وهي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَاضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا لِلْوَصِيَّةِ لِلْوَالَّدَيْنِ وَالْأَقْرَبَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] اختلف العلماء في الآية على أقوال، أهمها اثنان:

(١) تفسير الصناعي (١٤٢٢/١)، وأخرجه الجصاص، أبو بكر، أحمد بن علي الرازي (ت: ٣٧٠هـ)، أحکام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت طبعة سنة (١٤٠٥هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي (٢٢٤/٥).

(٢) انظر: الآلوسي، أبا الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٥٣/٢١).

(٣) أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسى (ت: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت

ط (١٤٢٢هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين (٢٠٨/٧).

**الأول:** إن الآية منسوخة بآية المواريث، فلا وصية تجب لأحد على أحد قريباً كان أو بعيداً، وهذا قول جمهور المفسرين، وعزا ابن أبي حاتم، وابن كثير هذا القول لابن عمر، وأبي موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، والحسن، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، ومحمد بن سيرين، وعكرمة، وزيد بن أسلم، والربيع بن أنس، وقتادة، والسدي، ومقاتل بن حيان، وطاوس، وإبراهيم التَّنَخَّعي، وشَرِيك، والضحاك، والزهري<sup>(١)</sup>. وأضاف بعضهم<sup>(٢)</sup> إنها منسوخة أيضاً بحديث النبي عليه الصلاة والسلام: (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث)<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن جرير، جامع البيان (١١٨ - ١١٩)، والمقرئي، هبة الله بن سلامة بن نصر (ت: ٤٠٥هـ)، الناسخ والمنسوخ، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط (١) (١٤٠٤هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنان (ص ٤٠)، والواحدي أبو الحسن، علي بن أحمد (ت: ٤٦٨هـ)، تفسير الواحدي، دار القلم، دمشق ط (١٤١٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي (١٤٩)، وابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)، نواسخ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١٤٠٥هـ) (ص ٥٨).

(٢) انظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازبي (ت: ٣٢٧هـ)، تفسير ابن أبي حاتم، المكتبة العصرية، صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب (١/٢٩٩)، وابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (١٤٠١هـ) (٢١٢/١).

(٣) آخرجه: أحمد، أبو عبد الله، بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مسنن أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، من حديث عمرو بن خارجة رضي الله عنه، برقم (١٧٦٩٩ - ١٨٦/٤) (١٧٧٠٢ - ١٨٧)، ومن حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه برقم (٢٢٣٤٨/٥ - ٢٦٧)، وأخرجه أبو داود، سليمان ابن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، دار الفكر، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، كتاب الوصايا، باب: ما جاء في الوصية للوارث برقم (٢٨٧٠/٣) (١١٤)، وكتاب الإجارة، باب: في تضمين العادية برقم (٣٥٦٥/٣) (٢٩٦)، وابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الوصايا، باب: لا وصية لوارث، برقم (٢٧١٣/٢) (٩٠٥ - ٩٠٦)، والتزمي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، كتاب الوصايا، باب: «ما جاء لا وصية لوارث» برقم (٢١٢٠/٤)، (٤٣٣)، وقال الترمذى: « الحديث حسن صحيح ».

وفي المسألة سجال طويل بين العلماء ليس هذا موضعه، ولكن على الأرجح عند أهل العلم أن النسخ إن كان يقع فإنه بآية المواريث لا بالحديث، يدل على ذلك الحديث ذاته: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حُقْقٍ حَقَّهُ»، ففي هذا إشارة إلى آية المواريث؛ لأنَّ اللَّهَ أَعْطَى فِيهَا كُلَّ ذِي حُقْقٍ حَقَّهُ.

القول الثاني: إنَّ الَّذِي تُسْخَنُ فِي الْآيَةِ الْوَصِيَّةِ لِمَنْ يَرِثُ وَلَمْ يَنْسَخْ الْأَقْرَبُونَ<sup>(١)</sup>، فالآلية منسوخة فيمن يرث، ثابتة فيمن لا يرث، وهو مذهب ابن عباس، والحسن، ومسروق، وطاوس والضحاك، ومسلم بن يسار، والعلاء بن زياد<sup>(٢)</sup>، وسعيد بن جبير، والربيع بن أنس، وقتادة، ومقاتل بن حيان<sup>(٣)</sup>.  
أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نسخ من يرث ولم ينسخ الأقربين الذين لا يرثون»<sup>(٤)</sup>.

وعن الحسن قال: «كانت الوصية للوالدين والأقربين فنسخ ذلك وأثبتت لهما نصيبيهما في سورة النساء، وصارت الوصية للأقربين الذين لا يرثون، ونسخ من الأقربين كل وارث»<sup>(٥)</sup>.

(١) النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت: ٣٣٩هـ)، الناسخ والمنسوخ، مكتبة الفلاح، الكويت (ط١٤٠٨هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام (ص: ٨٩)، وابن الجوزي، نواسخ القرآن (ص: ٦١).

(٢) أورد ابن الجوزي الروايات عن أكثرهم في نواسخ القرآن (ص ٦١)، وكذلك ذكرها الرازبي، فخر الدين محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت ط (١٤٢١هـ) (٥٤/٥).

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم (١/٣٠٠)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/٢١٢).

(٤) ابن جرير، جامع البيان (٢/١١٧).

(٥) ابن الجوزي، نواسخ القرآن (ص ٦١)، والكرمي، مرمي بن يوسف (ت: ١٠٣٣)، الناسخ والمنسوخ الموسوم بـ(قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن)، دار القرآن الكريم، الكويت طبعة سنة ١٤٠٠هـ، تحقيق: سامي عطا حسن (ص ٥٩).

وعلى هذا القول فإن الآية فيها نسخ وفق اصطلاح المتقدمين من العلماء، أما عند المتأخرین فليس فيها نسخ؛ لأن آية المواريث قد رفعت حکم بعض أفراد العام، وهم الوارثون من الأقربين دون غيرهم ممّن لا يرثون، وهذا من قبيل التخصيص.

ولهذا نجد أن بعض العلماء نسب القول بإحکام الآية لمن نقلنا عنهم هذا القول<sup>(١)</sup>.

وقريب من هذا القول ما نقل عن بعض العلماء أن المنسوخ هو الوصية للوالدين فقط دون الأقربين، وهو مروي أيضاً عن ابن عباس، والحسن، وطاوس، وقتادة، والضحاك<sup>(٢)</sup>.

وممن آزر القول الثاني ابن جرير الطبری فقال: «إِنْ قَالَ قَائِلٌ أَوْ فُرْضٌ عَلَى الرَّجُلِ ذِي الْمَالِ أَنْ يُوصِي لِوَالدِّيهِ وَأَقْرَبِيهِ الَّذِينَ لَا يَرثُونَهُ؟، قِيلَ: نَعَمْ، فَإِنْ قَالَ: إِنْ هُوَ فَرْطٌ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يُوصِي لَهُمْ أَيْكُونُ مُضِيًعاً فَرْضًا يَحْرُجُ بِتَضَيِّعِهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ»<sup>(٣)</sup>.

ثم قال ابن جرير: «إِنْ قَالَ: إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنْ جَمَاعَةَ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا: الْوَصِيَّةُ لِلَّوَالِدِينِ وَالْأَقْرَبِينِ مَنْسُوْخَةٌ بِآيَةِ الْمِيرَاثِ، قِيلَ لَهُ: وَخَالِفُهُمْ جَمَاعَةُ غَيْرِهِمْ فَقَالُوا: هِيَ مَحْكُمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوْخَةٍ، وَإِذَا كَانَ فِي نَسْخٍ ذَلِكَ تَنَازٌُّ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ لَمْ يَكُنْ لَنَا الْقَضَاءُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مَنْسُوْخٌ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجُبُ التَّسْلِيمُ لَهَا»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: المقری، الناسخ والمنسوخ (ص ٤٠)، والشوکانی، محمد بن علی بن محمد (ت: ١٢٥٠ھ)، فتح القدیر الجامع بين فنی الروایة والدرایة من علم التفسیر، دار الفکر، بيروت (١٧٨/١).

(٢) ابن جریر، جامع البیان (٢/١١٧)، والسمعاني، تفسیر السمعاني (١٧٥/١)، وابن الجوزي، نواسخ القرآن (ص ٦٠ - ٦١).

(٣) ابن جریر، جامع البیان (٢/١١٥).

(٤) ابن جریر، جامع البیان (٢/١١٦).

ويُفهم من كلام ابن جرير أن الوصية للوالدين والأقربين إن كانوا من غير الوارثين فرض، وقد استدلّ ابن جرير على ذلك بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] فإنه كتبه علينا وفرضه، وهذا عند ابن جرير نظير قوله تعالى في السياق ذاته: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فتارك الصيام وهو قادر عليه مضيع بتركه فرضاً لله عليه، وكذلك تارك الوصية لوالديه وأقربيه وله ما يوصي لهم فيه، مضيع فرض الله عز وجلّ<sup>(١)</sup>.

وقد تابع النحاسُ ابنَ جرير الطبرى على ما ذهب إليه، فقال: «فتنازع العلماء معنى هذه الآية وهي متلوة فالواجب أن لا يُقال: إنها منسوخة لأن حكمها ليس بناف حُكم ما فرضه الله عز وجلّ من الفرائض، فوجب أن يكون: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية... كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وفسر النسفي ﴿كُتِبَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] بمعنى فرض إذا كانت الآية منسوخة، أما على القول الثاني: إنها غير منسوخة فذكر أنها نزلت في حق من ليس بوارث بسبب الكفر، فشرعت الوصية فيما بينهم قضاءً لحق القرابة ندبًا وليس فرضاً، قال: «وعلى هذا لا يُراد بـ﴿كُتِبَ﴾ فرض»<sup>(٣)</sup>.

ولا أدرى هنا ما الذي عوّل عليه الإمام النسفي حين أخرج ﴿كُتِبَ﴾ من دائرة الفرض إلى دائرة (الندب) مع أن دلالتها واضحة على القطع، وواردة في سياق سورة البقرة بين آيات تفيد القطع والفرض، فقد جاء قبلها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾

(١) انظر المرجع السابق (١١٦/٢).

(٢) النحاس، الناسخ والمنسوخ (ص ٩٠).

(٣) النسفي، أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمد (ت: ٧١٠هـ)، تفسير النسفي المسمى مدارك التزيل وحقائق التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ضبط وتحريج: الشيخ زكريا عimirات، ط (١) ١٤١٥هـ (١٢٠/١).

[البقرة: ١٧٨]، وبعدها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]. ومما يؤكد أن الوصية فرض: قوله تعالى في نهاية الآية: ﴿حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] قال الجصاص: «وأما قوله: ﴿حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ ففيه تأكيد لإيجابها؛ لأن على الناس أن يكونوا متقيين، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَوْلَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، ولا خلاف بين المسلمين أن تقوى الله فرض، فلما جعل تنفيذ هذه الوصية من شرائط التقوى فقد أبان عن إيجابها»<sup>(١)</sup>.

ومن الملاحظ خلال استقصاء أقوال العلماء في المسألة اختلاف الرواية عن عدد من العلماء أمثال: ابن عباس، والحسن، وطاوس، وقتادة، ففي إحدى الروايتين عن كل منهما أن جميع ما في الآية منسوخ، وفي الرواية الأخرى أن المنسوخ من يرث دون من لا يرث، أو الوالدان فقط. بل نقل المقري في الناسخ والمنسوخ عن بعض من نسب إليهم القول بأن الآية منسوبة ما يدل على عكس ذلك أمثال: الحسن البصري، وطاوس، وقتادة، فقد نقل عنهم أن الآية كلها مُحَكَّمة<sup>(٢)</sup>، ونقل عنهم السمعاني أن النسخ في الوالدين دون الأقربين<sup>(٣)</sup>، وهذا الاختلاف يدعم ما ذهب إليه ابن جرير، والنحاس، والجصاص من أن الآية مُحَكَّمة غير منسوخة.

ومهما يكن من أمر فسواء أكانت الآية مُحَكَّمة، أم نُسخ منها الوالدان دون غيرهم، أم نُسخ منها من يرث دون من لا يرث، وسواء أكانت الوصية في الآية لغير المسلمين أم لغير الوارثين على الإيجاب والقطع، أم على الاستحباب والندب؛ فإن الآية تدل على صلة الرحم بما في ذلك الرحم الكافرة، حتى الذين قالوا: إن الآية منسوخة، فإن منهم من أبقى الفرضية في الوصية لمن لا يرث، ومثال ذلك ما ذكره

(١) الجصاص، أحكام القرآن (١/٢٠٣).

(٢) المقري، الناسخ والمنسوخ (ص ٤١).

(٣) السمعاني، تفسير السمعاني (١/١٧٥).

التعلبي في تفسيره: «قال قوم: كانت الوصية للوالدين والأقربين فرضاً واجباً على من مات وله ما نزلت آية المواريث في سورة النساء فنسخت الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون، وبقي فرض الوصية للأقرباء الذين لا يرثون والوالدين الذين لا يرثان بکفر أو رق»<sup>(١)</sup>.

**وَخُلاصَةُ القَوْلِ:** إن الله تعالى فرض الوصية بالمعروف في هذه الآية للوالدين والأقربين، ثم جاءت آية المواريث فبيّنت مقدار هذا المعروف في حق الوارثين، فأعفّت من الوصية لهم حين حددت لهم نصيبيهم من الميراث، وبقي الأمر في حق غير الوارثين على حاله، والله تعالى أعلم.

**المطلب الثاني: الوصية بالإحسان إلى الوالدين المشركين المجاهرين بالكفر:**

أكّد القرآن الكريم برّ الوالدين، ووَصَّى بهما، ولو كانا مشركين قد أشهرا شركهما ودعوا إليه، نجد ذلك في موضعين من كتاب الله تعالى، الأول في سورة العنكبوت [آية: ٨]: قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاهُ بِوَلَدِيهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَهَا كَلِتْسِرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا إِلَيْ مَرْجِعُكُمْ فَإِنِّي كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، والثاني في سورة لقمان [١٤، ١٥]: قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا إِلَيْنَاهُ بِوَلَدِيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَّاعَانِ وَهُنْ وَفَصَلُهُ وَفِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرُ لِي وَلَوْلَدِيكَ إِلَيْ الْمَصِيرِ \* وَإِنْ جَاهَهَا كَ عَلَيْنَ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ فَإِنَّهُمْ سَيِّلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيْ شُمَّ إِلَيْ مَرْجِعُكُمْ فَإِنِّي كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) التعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت: ٤٢٧هـ)، تفسير التعلبي، المسمى (الكشف والبيان في تفسير القرآن) دار إحياء التراث العربي، بيروت ط (١) (١٤٢٢هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، تدقّيق: نظير الساعدي (٢/٥٧)، وبنحوه ذكر العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز السلمي الدمشقي (ت: ٦٦٠هـ)، تفسير العز بن عبد السلام، دار ابن حزم، بيروت ط (١) (١٤١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الوهبي (١٨٦/١).

في هذين الموضعين من سورة العنكبوت وسورة لقمان نجد - وبكل وضوح - أن القرآن الكريم قد دعا إلى بــوالدين والإحسان إليهما ولو كانا كافرين وجاهداه على الشرك. ولم أجده أحداً من المفسرين قال: إن حكم هاتين الآيتين منسوخ. قال الرازي: «**وَإِنْ جَاهَدَاكَ**»، يعني أن صدقتهما واجبة وطاعتهما لازمة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله، أما إذا أفضى إليه فلا تطعهما»<sup>(١)</sup>. ومن وصية القرآن الكريم للأبوين الكافرين قوله تعالى: «**وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا**»، قال ابن عطيه: «يعني الأبوين الكافرين أي صلهم بالمال وادعهما برفق»<sup>(٢)</sup>.

والمعنى في الآيات أنه لا يجوز للمسلم أن يتبع الأبوين الكافرين على كفرهما ولا أن يطيعهما في باطل أو معصية، ومع ذلك لا يقطع إحسانه عنهما، وقد لخص الشعالي طاعة الولد لوالديه وإن كانا مشركين بقوله: «وجملة هذا الباب أن طاعة الأبوين لا تراعي في ركوب كبيرة، ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحثات، وتستحسن في ترك الطاعات الندب»<sup>(٣)</sup>.

وشكر الوالدين هو شكر من الولد لوالد أحسن إليه، فرباه وسهر عليه، فإن الإحسان يقابل بالإحسان، وقد قال عليه السلام: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)<sup>(٤)</sup>، ولكن

(١) الرازي، التفسير الكبير (٥/١٢٩).

(٢) ابن عطيه، المحرر الوجيز (٤/٣٤٩).

(٣) الشعالي، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: ٨٧٥هـ)، تفسير الشعالي، المسمى «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، مؤسسة الأعلمي، بيروت (٣/٢٠٨).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٧٤٩٥)، و(٧٩٢٦)، و(٨٠٠٦)، و(٩٠٢٢) رقم (١١٢٩٨) و(١١٧٢١)، و(٣٢/٣)، و(٢٩٥، ٢٥٨/٢)، وهناك غيرها، وأخرجه أحمد في مسنده أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رقم (٤٨١١)، و(٢٥٥/٤)، و(٢١٨٩٦)، و(٢١٨٨٧) وبرقم (٢١١/٥-٢١٢)، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في شكر المعروف برقم (٤٨١١)، والترمذي في سننه، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك برقم (١٩٥٤)، و(٣٣٩/٤)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

الشكر من الولد للوالد قد قيَّدَه هذه الآيات بأنه لا يجوز أن يكون بمعصية الله تعالى، ولهذا نجد كثيراً من الأحاديث تنهى عن الطاعة في معصية، قال ﷺ: (إنما الطاعة في المعروف)<sup>(١)</sup>، وفي رواية: (لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف)<sup>(٢)</sup>.  
 قال الجصاص في فقه آية لقمان: «وَقَالَ أَصْحَابُنَا فِي الْمُسْلِمِ يَمُوتُ أَبُوهُ وَهُمَا كَافِرٌ إِنَّهُ يَغْسِلُهُمَا وَيَتَبعُهُمَا وَيَدْفَنُهُمَا؛ لَأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الصَّحَّةِ بِالْمُعْرُوفِ الَّتِي أَمْرَ اللَّهُ بِهَا»<sup>(٣)</sup>.  
 وقد ذكر المفسرون<sup>(٤)</sup> أن هذه الآيات نزلت في سعد بن أبي وقاص، وهو ما صحت به الرواية.

فقد أخرج مسلم وغيره عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: (حَلَّفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَلَا تَكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرُبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَاحَبَكَ بِالْدِيْكَ وَأَنَا أَمْكَ، وَأَنَا آمْرُكَ بِهَذَا، قَالَ: مَكْثُتَ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهَدِ، فَقَامَ ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ: عُمَارَة، فَسَقَاهَا فَجَعَلَتْ تَدْعُو

(١) أخرجه البخاري أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت ط (١٤٠٧ هـ)، تحقيق: د. مصطفى ذيب البغا، كتاب الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، برقم (٦٧٢٦) / (٦٢٦٢).

(٢) البخاري، كتاب التمني، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلوة، برقم (٦٨٣٠) / (٦٢٤٩)، ومسلم، أبو الحسين، بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، برقم (١٨٣٩) / (١٤٦٩).

(٣) الجصاص، أحكام القرآن (٣/١٥٦).

(٤) انظر: ابن حجر، جامع البيان (٢٠/١٣١)، و(٢١/٧٠)، وابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم (٩/٣٠٣٦)، والزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقات التنزيل وعيون الأقوال في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدى (٣/٤٤٧)، وابن عطية، المحرر الوجيز (٤/٣٠٧)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٨٤)، وأبا السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: ٩٥١ هـ)، تفسير أبي السعود، الموسوم بـ«إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٧/٣١).

على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَصَّيَّنَا إِلِّيْسَنَ بِوَالَّدِيْهِ حُسْنَانًا﴾، وفيها: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾<sup>(۱)</sup>.

### المطلب الثالث: التلطيف بالمعاملة ورجاء الرحمة للرحم الكافرة:

هناك آيات عديدة فيها تلطيف ورجاء الرحمة للرحم الكافرة، ومن ذلك:

أولاً: النداءات الأربع المتالية التي أورتها سورة مريم في مخاطبة إبراهيم عليه السلام لوالده بلفظ (يا أبا)، قال تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا لِّيَّا \* إِذْ قَالَ لِأَيْهِ يَأَبَتِ لَمْ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا \* يَأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَأَتَتِيْعِنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا \* يَأَبَتِ لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلَّهِمَنَ عَصِيًّا \* يَأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابًا مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا \* قَالَ أَرَأَيْتَ أَنَّتَ عَنْهُ أَهْقِيَ يَأَبِرْهِيْلِينَ لَمَّا تَنَاهَ لَأَرْجُمَنَكَ وَلَهْجُرْنِي مَلِيًّا \* قَالَ سَلَمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَّ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم: ۴۱ - ۴۷].

ويُستخلص من هذا النص بـ إبراهيم بوالده من عدة وجوه أهمها:

۱) أنه رتب الكلام معه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والأدب الجميل والخلق الحسن<sup>(۲)</sup>، فقد كانت مخاطبته لوالده فيها بـ واستعطاف<sup>(۳)</sup>.

۲) قوله: ﴿يَأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾، ولم يُسمّ أبا بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه، ولا نفسه بالعلم الفائق، وإن كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رفيق له<sup>(۴)</sup>.

(۱) مسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضل سعد بن أبي وقاص برقم (۱۷۴۸) / ۴، وأحمد في مستنه، برقم (۱۵۶۷) و (۱۶۱۴) / ۱۸۱ - ۱۸۵)، والترمذى، كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة العنكبوت برقم (۳۱۸۹) / ۵ - (۳۴۱).

(۲) انظر: الزمخشري، الكشاف (۲۱ / ۳).

(۳) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (۴ / ۱۸).

(۴) أبو السعود، تفسير أبي السعود (۵ / ۲۶۷).

(٣) قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابًا مِّنَ الْحَمَنِ﴾ فذكر الخوف للمجاملة<sup>(١)</sup>.

(٤) مع أن إبراهيم عليه السلام قد أقبل على والده بمناصحات ولاحظات، إلا أنه قويٌّل من والده بفظاظة الكفر، وغلظة العناد، فناداه والده باسمه: (يا إبراهيم)، ولم يقابل يا أبٍت بـ: (يا بُنِي)، وقدّم الخبر على المبتدأ في قوله: ﴿قَالَ أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنِ الْهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾؛ لأنَّه كان أهْمَّ عنده؛ أي ما ينبغي أن يرغب عنها أحد ﴿لَا رُجْمَتَكُ﴾ إما بالشتم باللسان، وإما الرمي بالحجارة، أو المعنى اتركي قبل أن أثخنك بالضرب<sup>(٢)</sup>، ومع ذلك كله قال له إبراهيم: ﴿سَلَّمْ عَلَيْكُ﴾ والمعنى في قول الجمهور: أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى<sup>(٣)</sup>، فقد قابل جفوته بالإحسان رعاية لحق الأبوة<sup>(٤)</sup>.

قال البيضاوي: ﴿سَلَّمْ عَلَيْكُ﴾: «توديع ومتاركة<sup>(٥)</sup>» ومقابلة للسيئة بالحسنة، أي لا أصييك بمكروه، ولا أقول لك بعد ما يؤذيك، ولكن سأستغفر لك ربِّي لعله يوفّقك للتوبة والإيمان، فإنَّ حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته<sup>(٦)</sup>.

ثانيًا: تَأَطُّفُ نوح عليه السلام في دعوة ابنه للإيمان في اللحظات الأخيرة الفاصلة بين الناجين والمُغرقين، المؤمنين والكافرين، قال تعالى: ﴿وَهَيَّجَرِي بِهِمْ فِي

(١) المرجع السابق، (٥/٢٦٧).

(٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (٣/٢٢).

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز (٤/١٩).

(٤) العز بن عبد السلام في تفسيره (٢/٢٧٩)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/١٢٤).

(٥) وذكر بعضهم أنه سلام إكرام ويرقاب به جفوة والده. انظر: تفسير العز بن عبد السلام (٢/٢٧٩).

(٦) البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٩٢ هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،

دار الفكر، بيروت، (٤/١٩).

مَوْجِ كَالْجَهَالِ وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْتَئِلُ كُمَعَ الْكُفَّارِينَ ﴿٤٢﴾ [هود: ٤٢].  
يلاحظ في هذا النداء من نوح عليه السلام لابنه أنه حريص على إيمانه، فناداه بنداء  
يظهر «شفقة الأبوة»<sup>(١)</sup>، بقوله: (يا بُنِيّ).

**المطلب الرابع: تخصيص الأقربين بالإذنار، وبالدعوة إلى سبيل الله تعالى:**  
يجدر المتذمّر لآيات كتاب الله تعالى أن القرآن الكريم قد خصص الأقربين  
بالدعوة والإذنار، ومن ذلك:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

فالإذنار في الآية هو لعشيرة النبي ﷺ مؤمنهم وكافرهم، روى مسلم من حديث  
أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾)  
دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمّ وخص فقال: يا بني كعب بن لؤي أنقذوا  
أنفسكم من النار، يا بني مُرّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس  
أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف: أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم  
أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذني  
نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً غير أنّ لكم رحمة سأبلّها ببلالها)<sup>(٢)</sup>.  
قال القرطبي: «في هذا الحديث والآية دليل على جواز صلة المؤمن الكافر  
وإرشاده ونصيحته لقوله: إن لكم رحمة سأبلّها ببلالها..»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الرازمي، التفسير الكبير (١٧ / ١٨٥)، وأبا السعود، تفسير أبي السعود (٤ / ٢١٠)، والشوکانی، فتح القدير (٢/٤٩٩).

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ برقم (٤٠٢)، وأخرجه البخاري بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب برقم (٣ / ٢٦٠٢) (٣ / ١٠١٢).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ١٤٤).

وذكر الشوكاني أن في الآية دليلاً على أن الاهتمام بشأن الأقربين أولى، وهدايتهم إلى الحق أقدم<sup>(١)</sup>.

وقد نقل عدد من المفسرين<sup>(٢)</sup> ما وقع عند الطبراني<sup>(٣)</sup> وابن مردوه<sup>(٤)</sup> من رواية أبي أمامة رضي الله عنه قال: (لما نزلت ﴿وَأَنِزَرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله عليه السلام بني هاشم فأجلسهم على الباب، وجمع نساءه وأهله، فأجلسهم في البيت، ثم أطلع عليهم فقال: يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من النار، واسعوا في فكاك رقابكم وافتکوا أنفسكم من الله فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، ثم أقبل على أهل بيته فقال: يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أم سلمة، ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير - عمّة رسول الله عليه السلام - : اشتروا أنفسكم من النار، واسعوا في فكاك رقابكم، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً ولا أغنى، فبكّت عائشة...).

وهذا الحديث مردود روایة ودرایة، أما الروایة فإن الطبراني وابن مردوه قد أخرجاه من طريق علي بن يزيد بن أبي هلال الألهاني عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة، وعلى بن يزيد هذا ضعيف. قال البخاري، والعقيلي: «منكر الحديث»<sup>(٥)</sup>،

(١) انظر: الشوكاني، فتح القدير (٤/١٢٠).

(٢) الرمخشي، الكشاف (٣٤٥/٣)، وأبو السعود، تفسير أبي السعود (٦/٢٦٧)، والسيوطى، الدر المثور (٦/٣٢٧).

(٣) الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، مكتبة الزهراء، الموصل، ط (٢) (١٤٠٤هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي برقم (٧٨٩٠/٨) (٢٢٥).

(٤) عزاه إليه في تفسيره الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦٢هـ)، تخريج الأحاديث والآثار، دار ابن خزيمة، الرياض ط (١) (١٤١٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد (٢/٤٧٧).

(٥) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوى، برقم (٢٤٧٠)، (٣٠١/٦)، والعقيلي، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى (ت: ٣٢٢هـ)، الضعفاء الكبير، دار المكتبة العلمية، بيروت ط (١) (١٤٠٤هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي برقم (١٢٥٩).

وقال ابن حجر عنه في تقرير التهذيب: «ضعيف»<sup>(١)</sup>، وقال ابن حبان: «وإذا اجتمع في إسناده خبر عبيد الله يعني زحر وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبد الرحمن لم يكن ذلك إلا مما عملته أيديهم»<sup>(٢)</sup>.

وأما كون الحديث مردوداً دراية فإنه من المعلوم أن النبي عليه الصلاة والسلام ما تزوج بعائشة، وحفظها، وأم سلمة إلا بعد الهجرة، ثم إن الروايات الصحيحة في صحيحي البخاري ومسلم قد صرحت أن نزول الآية كان بمكة، وأن هذا كان في بداية الدعوة، وأنه عليه الصلاة والسلام صعد الصفا عندما نزلت عليه الآية، ولا أعلم وجود صفا في المدينة.

ثانياً: الآيات التي فيها دعوة الأهل لعبادة الله وتقواه: ومن ذلك: قوله تعالى: **﴿وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَطِرَ عَلَيْهَا﴾** [طه: ١٣٢]. و**﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْمٌ فَأَنْفَسُكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا وَفُودُهُمُ الْتَّاسُ وَالْحَجَّارَةُ﴾** [التحريم: ٦].

وقال تعالى: **﴿وَذُرْنَرِيْكَتِيْ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا \* وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَأَنْذِرُهُمْ مَرْضِيًّا﴾** [مريم: ٥٤ - ٥٥].

«كان يبدأ بأهله في الأمر بالإصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم، ولأنهم أولى من سائر الناس... ألا ترى أنهم أحق بالصدق عليهم؟ فالإحسان الذي يلي أولى»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، تقرير التهذيب، بعناية عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت ط (١) (١٤١٦ هـ) برقم (٤٨١٧) (ص: ٣٤٥).

(٢) الطرا بلاسي، أبو الوفاء، برهان الدين، إبراهيم بن محمد الحلبي (ت: ٨٤١ هـ)، الكشف الحيث عن من رمي بوضع الحديث، مكتبة النهضة العربية، بيروت ط (١) (١٤٠٧ هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي برقم (٥٣١) (ص: ١٩١).

(٣) الزمخشري، الكشاف (٣/ ٢٥)، ونقله أبو حيان في البحر المحيط (٦/ ١٨٨).

## المطلب الخامس: صلة الرحم الكافرة في الحديث والأثر:

نصلت بعض الأحاديث والآثار على صلة الرحم وإن كانت كافرة بصورة صريحة وواضحة، ومن ذلك:

**أولاً:** حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهمما قالت: (قدِّمتْ أمِي وَهِي مُشْرِكَةً - فِي عَهْدِ قُرِيشٍ وَمَدْتَهُمْ إِذْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ - مَعَ [ابنها]<sup>(١)</sup>) فاستفتيت النبي ﷺ فقلت: إنْ أُمِّي قدمتْ وَهِي راغبة<sup>(٢)</sup>، قال: نعم صَلِّي أَمْكَ<sup>(٣)</sup>.

قال الخطابي عند حديث أسماء: «فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستتبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة وإن كان الولد مُسلِّماً»<sup>(٤)</sup>.

(١) في البخاري كتاب الأدب، باب صلة الولد المشرك (أبيها) وهو تصحيف كما ذكر ابن حجر، والمثبت أضبه، وابنها هو الحارث بن مدرك بن عمرو بن مخزوم. قال ابن حجر: «ولم أر له ذكراً في الصحابة، فكأنه مات مشركاً». ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب (٢٨٠ / ٨).

(٢) راغبة في الإسلام، وقيل راغبة في صلتي، وفي رواية: راغمة والمعنى كارهة للإسلام، والمعنى الأول بعيد لأنها لو جاءت راغبة في الإسلام لم تحتاج أسماء أن تستاذن في صيتها لشيوخ التألف على الإسلام من فعل النبي ﷺ وأمره، فلا يحتاج إلى استئذانه في ذلك. انظر: ابن حجر، فتح الباري (٤١٣ / ١٠)، ورجم الخطابي أنها راغمة أي كارهة لإسلامي وهجرتي. انظر: الخطابي، أبو سلمان، حمْدَ بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: ٣٨٨ هـ)، غريب الحديث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة طبعة سنة ١٤٠٢ هـ، تحقيق: عبد الكريم العزياوي (٧٠٣ / ١). وذكر ابن حجر أن الجمهور على أنها راغبة في بر ابتها لها، خائفة في ردتها إليها خائنة، ابن حجر، فتح الباري (٢٣٤ / ٥).

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب: الهبة وفضلها، باب: الهدية للمشركين برقم (٢٤٧٧)، وفي كتاب الأدب أيضاً، باب: صلة الولد المشرك، برقم (٥٦٣٣ / ٥)، (٢٢٣٠ / ٥)، وأخرجه في كتاب الجهاد والسير، باب: إثم من عاهد ثم غدر (٣٠١٢ / ٣)، (١١٦٢ / ٣).

(٤) ابن حجر، فتح الباري (٢٣٤ / ٥).

وقد أفرد البيهقي فصلاً في صلة الرحم وإن كانت كافرة بما ليس فيه معصية<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أخرج الطبراني والحاكم وغيرهما عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقطط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً، يعني أن أم إسماعيل كانت منهم)»<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد هذا الحديث بروايات مختلفة منها ما رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قال النبي ﷺ: إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً)<sup>(٣)</sup>.

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن القبط ليسوا مسلمين، هذا أولاً، ثم إن عامة القبط من الأرحام البعيدة، فإذا كان هذا حال الرحم البعيدة من الكفار فما بالك بذوي القرابات الدانية من ذوي الأرحام منهم؟ فإنه مما لا شك فيه أن صلتهم أولى وألزم، والله تعالى أعلم.

(١) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (ت: ٤٥٨ هـ)، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت ط (١٤١٠ هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول (٦/٢١٠).

(٢) الطبراني، المعجم الكبير برقم (١١١، ١١٢، ١١٣)، (١٩/٦١)، والحاكم، محمد بن عبد الله النسابوري، أبو عبد الله (ت: ٤٠٥ هـ)، المستدرك على الصحاحين، وفي ذيله تلخيص المستدرك للإمام الذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨ هـ)، دار الفكر، بيروت، طبعة سنة (١٣٩٨ هـ)، كتاب التاريخ، باب: ذكر إسماعيل عليه السلام (٢/٥٥٣)، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشیخین ولم يخر جاه»، ووافقه الذهبي.

وهذه الزيادة (يعني أن أم إسماعيل كانت منهم) ذكرها الطبراني من متن الحديث، وعزها الحاكم للزهري، وهو راوي الحديث عن ابن كعب بن مالك عن أبيه، وأورده الهيثمي علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧ هـ)، في مجمع الروائق، دار الريان للتراث، القاهرة، سنة (٤٠٧ هـ)، فضل الأنصار، باب: ما جاء في مصر وأهلها، وقال: «رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح» (١٠/٦٣).

(٣) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستني (ت: ٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢/١٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، باب: إخباره عما يكون في أمته من الفتنة والحوادث، ذكر الأخبار عن فتح الله جل وعلا على المسلمين أرض برب برقم (١٥/٦٦٧٦).

**ثالثاً:** ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه نهى حنظلة بن أبي عامر عن قتل أبيه وكان مشركاً<sup>(١)</sup>، وكذلك نهى رسول الله ﷺ عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول أن يقتل والده وكان زعيم المنافقين في المدينة<sup>(٢)</sup>، وفي رواية عند ابن حبان وغيره أمره عليه الصلاة والسلام أن يبرأه وأن يحسن صحبته<sup>(٣)</sup>.

**رابعاً:** ومما جاء في صلة الرحم الكافرة من الآثار:

(١) ما أخرجه المروزي بإسناد رجاله ثقات عن ميمون بن مهران قال: (ثلاث تؤدي إلى البر والفاجر: الرحم توصل برة كانت أو فاجرة، والأمانة تؤدي إلى البر والفاجر، والعهد يوفى للبر والفاجر)<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقى، (ت: ٣٥١ هـ) معجم الصحابة، مكتبة الغرباء - المدينة المنورة ط (١) (١٤١٨ هـ)، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي (١/٢٠٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق، أبو بكر بن همام الصناعي (ت: ٢١١ هـ)، مصنف عبد الرزاق، المكتب الإسلامي - بيروت ط (٢) (١٤٠٣ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي برقم (٦٦٢٧) (٥٣٨ / ٣)، والنميري، أبو زيد عمر بن شيبة، أخبار المدينة، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة سنة (١٤١٧ هـ)، تحقيق: علي دندل، وياسين سعد الدين، برقم (٧٧٢٠) (ص: ٢١١)، والحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر عبد الله بن عبد الله بن أبي رضي الله عنه، (٥٨٨ / ٣).

(٣) ابن حبان، صحيح ابن حبان، باب: حق الوالدين، ذكر استحباب بر المرء والده وإن كان مشركاً رقم (٤٢٨) (٤٢٨ / ٢)، والطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠ هـ)، المعجم الأوسط، دار الحرمين - القاهرة، طبعة سنة (١٤١٥ هـ)، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، رقم (٢٢٩) (٨٠ / ١). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب المناقب، باب في عبد الله بن عبد الله بن أبي رضي الله عنه (٣١٨ / ٩)، وقال: «رواه البزار، ورجاله ثقات».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت: ٢٢٥ هـ)، مصنف ابن أبي شيبة، مكتبة الرشد الرياض ط (١) (١٤٠٩ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، كتاب السير، باب: ما قالوا في العهد يوفى به للمشركين برقم (٣٢٨٥٥) (٤٥١ / ٦). والمروزي، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن حرب (ت: ٢٤٦ هـ)، البر والصلة، دار الوطن - الرياض، ط (١) (١٤١٩ هـ) تحقيق: د. محمد سعيد بخاري، برقم (١٣١) (ص: ٦٩).

وفي رواية إسناد رجالها ثقات أيضاً عن ميمون بن مهران بلفظ: (ثلاث المسلمين والكافر فيهن سواء...) وفيه: (وَمَنْ كَانَ لَهُ رَحْمٌ فَلِيصلَّهَا مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا) <sup>(١)</sup>.

(٢) وأخرج البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أنه أهدى حُلَّةً لآخر له بمكة كان مشركاً) <sup>(٢)</sup>.

ومما يستفاد من هذه الرواية أن ذوي الأرحام يصلون ولو كانوا حربين بما لا يفضي بمضره للمسلمين؛ لأن عمر رضي الله عنه عندما أرسل بالهدية لأخيه إنما فعل ذلك ليتألف قلبه.

(١) المرزوقي، البر والصلة برقم (١٣٧)، (ص: ٧٢).

(٢) البخاري، كتاب الجمعة، باب: يلبس أحسن ما يجد، برقم (٨٤٦) (١/٣٠٢)، وكتاب الهبة وفضله، باب: هدية ما يكره لبسه برقم (٢٤٧٠) (٢/٩٢).

## المبحث الثاني مشكل القرآن والسنة في صلة الرحم الكافرة

تمهيد:

بعد هذا التطواف في الكتاب والسنة والأثر على أدلة صلة الرحم الكافرة فإنه يتبيّن لنا أن الرحم توصل وإن كانت كافرة، وصلتها واجبة<sup>(١)</sup>، فللوacial دينه وللموصول دينه، وقد جعل الله للقرابة حقاً وإن كانت كافرة، فالكفر لا يسقط كثيراً من حقوقها في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ [النساء: ٣٦].

وكل من ذُكر في هذه الآية حُقه واجب وإن كان كافراً، مما بال ذي القربي وحده يخرج من جملة من وصى الله بالإحسان إليه؟ ورأس الإحسان الذي لا يجوز إخراجه من الآية هو الإنفاق عليه عند ضرورته و حاجته<sup>(٢)</sup>.

وأمام هذه النتيجة فإننا نقف أمام نصوص من الكتاب والسنة قد يفهم منها عكس ذلك وأن الواجب مع الرحم الكافرة أن ينبذ إليها وأن تقطّع. وسأعرض مشكل الكتاب والسنة في صلة الرحم الكافرة في مطلبين:

(١) الزرعبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب، (ت: ٧٥١هـ)، أحكام أهل الذمة، دار ابن حزم - بيروت ط (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، تحقيق: يوسف البكري، وشاكر العاروري (٢/٧٩٢).

(٢) المرجع السابق (٢/٧٩٣).

## المطلب الأول: مشكل صلة الرحم الكافرة من القرآن الكريم وجوابه:

حضرت بعض نصوص القرآن الكريم من صلة الكفار ولو كانوا من الأقربين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤْدَوْنَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَهْمَاءً هُمْ أَوْ إِخْرَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَخَذُوا إِبَاءَكُمْ وَإِخْرَانَكُمْ أُولَئِكَ أَنْ أَسْتَحْجُوُا لِكُفَّارِ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبه: ٢٣].

للجواب عن هذا المشكل يمكن العودة مجددًا إلى كتاب الله تعالى، فقد جاء فيه الجواب الشافي لمن أشكل عليه الأمر في فهم الآيات.

**الجواب الأول:** قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُجْرِحُوكُمْ مِنْ دِيَرِكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَيُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ \* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَرِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَرْجُوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة: ٩ - ٨].

فهاتان الآياتان تقسمان أعداء المسلمين قسمين، ولكلّ منهما حكمة من الصلة:

الأول منها: فريق من المشركين لم يقاتل المسلمين ولم يتآمر على إخراجهم من ديارهم، فهو لاء لا مانع من صلتهم وبرّهم والإحسان إليهم.

والثاني: فريق قاتل المسلمين وأخرجهم من ديارهم وتأمر عليهم، فهو لاء لا تجوز موالاتهم بأي حال، وليس هناك ما يمنع برّهم والإقسام إليهم ضمن ضوابط الحربيين، وينبغي أن ننبه هنا على أمر هام، هو أن الله تعالى نهى المسلمين عن موالاة الفريق الثاني، وثمّ فرق بين الإذن بالبر والقسط، وبين النهي عن المعاولة والمودة، ويشهد لهذا التقسيم ما في الآية الكريمة الأولى من قرائن، وهي عموم الوصف بالكفر، وخصوص الوصف بإخراج الرسول وإياكم، ومعلوم أن إخراج الرسول ﷺ والمسلمين من ديارهم كان نتيجة لقتالهم وإيذائهم، فهذا القسم هو المعنى بالنهي

عن مواليه ل موقفه المعادي؛ لأن المعاادة تنافي الموالة. ولهذا عَقَب عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فأي ظلم أعظم من موالة الفرد لأعداء أمنته وأعداء الله ورسوله!

أما القسم العام، وهم الذين كفروا بما جاءهم من الحق، ولكنهم لم يعادوا المسلمين في دينهم لا بقتال ولا بإخراج ولا بمعاونة غيرهم عليهم، ولا ظاهروا على إخراجهم، فهو لاء من جانب ليسوا محلاً للموالة لكرفهم، وليس ثمة ما يمنع بِرَّهُمْ والإقسام إليهم<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في سبب نزول الآية الأولى أقوال عده منها:

الأول: إن الآية: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ﴾ نزلت في أهل العهد الذين عاهدوا رسول الله ﷺ على ترك القتل والمظاهره في العداوه<sup>(٢)</sup>.

الثاني: قيل: إن الآية نزلت في الذين آمنوا وأقاموا بمكة ولم يهاجروا<sup>(٣)</sup>.

الثالث: نزلت في أسماء بنت أبي بكر حين قدمت عليها أمها وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول، فأمرها النبي ﷺ أن تدخلها، وتقبل منها، وتكرمها

(١) انظر: الشنقطي، محمد الأمين بن محمد الجكنبي (ت: ١٣٩٣هـ)، أصوات البيان، دار الفكر - بيروت طبعة سنة ١٤١٥هـ، تحقيق: مكتب البحث والدراسات (٩١/٨).

(٢) من ذكر هذا: السمرقندى، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت: ٣٧٥هـ)، تفسير السمرقندى الموسوم بـ (بحر العلوم)، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي (٤١٥/٣)، والشعلبي في تفسيره (٩/٢٩٤)، والبغوي، تفسير البغوي، (٤/٣٣١) والزمخشري، الكشاف (٤/٥١٥)، وابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي - بيروت، ط (٣) (١٤٠٤هـ) (٨/٢٣٦).

(٣) انظر: النحاس، الناسخ والمنسوخ (ص: ٧١٢)، وابن زمین في تفسيره (٤/٣٧٨)، والرازي، التفسير الكبير (٢٩/٢٦٣).

وتحسن إليها<sup>(١)</sup>، يشهد لسبب النزول هذا ما أخرجه البخاري في صحيحه عن قصة أسماء مع أمها، وفيه:

(قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾) <sup>(٢)</sup>.

الرابع: وقيل: إن المسلمين استأمروا رسول الله ﷺ في أقربائهم من المشركين أن يصلوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا تكون الآية عامة.

#### مناقشة الأقوال في سبب نزول الآية:

أما القول الأول والثاني، وفيهما أن الآية مخصوصة بمن آمن ولم يهاجر، وبالمعاهدين من بعض القبائل، فمردودان بالسياق والسباق، فمطلع السورة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا أَعْدُوِي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلَيَاءَ﴾ [المتحنة: ١]، والكلام في السورة متصل من أولها، فليس من آمن ولم يهاجر، وعاهد النبي عليه الصلاة والسلام عدواً لله عز وجل وللمؤمنين<sup>(٤)</sup>، ثم إنهم مردودان بالرواية الصحيحة التي أخرجها البخاري وغيره، ولا تعارض بين القول الثالث والرابع، فإن الآية وإن كانت في أم أسماء رضي الله عنها إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهي تشمل أقارب المسلمين كافة، وهذا مفهوم القول الرابع.

وقد اختلف العلماء في الآية الأولى من الآيتين اللتين سبق ذكرهما من سورة المتحنة، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيْرِكُمْ أَن تَبْرُوهُمْ وَقُسْطُولُ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ هل هي منسوخة أم لا؟ على قولين:

(١) التعلبي في تفسيره (٩/٢٩٤)، والبغوي في تفسيره (٤/٣٣١)، والزمخشري، الكشاف (٤/٥١٥)، والرازي في تفسيره (٢٩/٢٦٣).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صلة الوالد المشرك برقم (٥٦٣٣) (٥/٤٢٣٠).

(٣) التعلبي في تفسيره (٩/٢٩٤)، والرازي في تفسيره (٢٩/٢٦٣)، وابن الجوزي، زاد المسير (٨/٢٣٧).

(٤) انظر النحاس: الناسخ والمنسوخ (ص: ٧١٤).

**الأول:** ذهب قتادة وابن زيد إلى أن الآية منسوخة بما في سورة براءة<sup>(١)</sup> ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُّوكُمْ﴾ [التوبه: ٥].

وذكر المقربي في الناسخ والمنسوخ أن الآية: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ﴾ نسخها الله تعالى بما بعدها وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم﴾ ونسخ معنى الآيتين بآية السيف<sup>(٢)</sup>.

**الثاني:** إن الآية مُحكمة، حكاه القرطبي عن أكثر أهل التأويل<sup>(٣)</sup>.  
والقول الثاني هو الراجح - والله تعالى أعلم - قال النحاس رداً على قول قتادة: إنها منسوخة بقوله: «إن مثل هذا ليس بمحظور، وإن قوله جل وعز: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُّوكُمْ﴾ [التوبه: ٥] ليس بعام لجميع المشركين، ولا هو على ظاهره فيكون كما قال قتادة، وإنما هو مثل قوله عز وجل: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطِعُوا أَيْدِيهِمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

ثم ثبت عن النبي ﷺ القطع في ربع دينار فصاعداً، فصارت الآية لبعض السراق لأن النبي ﷺ هو المبين عن الله عز وجل، فكذا: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُّوكُمْ﴾.  
قد خرج منه أهل الكتاب إذا أدوا الجزية، وخرج منه الرسول [أي رسول المشركين] بسنة النبي ﷺ...، ونهى رسول الله ﷺ عن قتل العسيف، فهذا كله خارج من الآية، فقد علم أن المعنى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدُّوكُمْ﴾ على ما أمرتم، فلا يمتنع أن يكون ما أمر به من الإقساط إليهم، وهو العدل فيهم، ومن بِرْهُم أي الإحسان إليهم بوعظهم أو غير ذلك من الإحسان ثابتة<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه عنهم ابن جرير، جامع البيان (٢٨/٦٦)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (ص: ٧١١) وأورده عنهم ابن عطية، المحرر الوجيز (٢/٩١)، وابن الجوزي، زاد المسير (٨/٢٣٧)، والكرمي، الناسخ والمنسوخ (ص: ٢٠٦).

(٢) المقربي، الناسخ والمنسوخ (ص: ١٧٧).

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٨/٥٩).

(٤) النحاس، الناسخ والمنسوخ (ص: ٧١٢-٧١٣).

قال الشافعي رحمة الله: «وكانت الصلة بالمال والبر والإقساط ولين الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نهوا عنه من الولاية لمن نهوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين، وذلك أنه أباح بر من لم يُظاهر عليهم من المشركين والإقساط إليهم ولم يحرم ذلك إلى من أظهر عليهم، بل ذكر الذين ظاهروا عليهم فنهاهم عن ولايتهم وكان الولاية غير البر والإقساط»<sup>(١)</sup>.

ومن ناصر هذا القول ابن جرير فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك ﴿لَا يَنْهَاكُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم إن الله عز وجل عم بقوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِن دِيْرِكُم﴾ جميع من كان ذلك صفتة، فلم يخصص به بعضاً دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأن بر المؤمن من أهل الحرب من بينه وبينه قرابة نسب أو ممّن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محروم ولا منهى عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بکراع أو سلاح، قد بين صحة ما قلنا في ذلك الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها»<sup>(٢)</sup>.

وإليه ذهب النحاس أيضاً، فقد صلح القول إن الآية عامة ممحكمه بقوله: «وفيه من الحجة أن بر المؤمن من بينه وبينه نسب أو قرابة من أهل الحرب غير منهى عنه ولا محروم؛ لأنه ليس في ذلك تقوية له ولا لأهل دينه بسلاح أو كراع، ولا فيه إظهار عورة المسلمين»<sup>(٣)</sup>.

(١) الشافعي، أبو عبد الله، محمد بن إدريس (ت: ٤٢٠ هـ)، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت طبعة سنة (١٤٠٠ هـ)، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق (٢/١٩٣).

(٢) ابن جرير، جامع البيان (٢٨/٦٦).

(٣) النحاس، الناسخ والمنسوخ (ص: ٧١٤).

وذكر النحاس أن هذا القول جاء عن صحابي فلا يسع أحد مخالفته خاصة إذا كان مع قوله توقيف بسبب نزول الآية<sup>(١)</sup>.

**الجواب الثاني:** وما يجحب به على مشكل صلة الرحم الكافرة.

إن الآيات التي أظهرت ملاطفة الأنبياء لأرحامهم فيها قول فصل بوجوب التبرؤ من شركهم وباطلهم، فمع أن إبراهيم عليه السلام تلطّف مع والده رجاء إيمانه ووعده بالاستغفار له، لأن ما جاء به من الهدى والتور حقيق به أن ينير به قلوب الأقربين قبل غيرهم، إلا أنه في نهاية المطاف قد تبرأ منه بعد أن مات على الكفر، أو بعد أن تبيّن له من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافراً<sup>(٢)</sup>.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَسْتَغْفِرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيِّهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ وَعَدُوا لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُهُ حَلِيمٌ﴾ [التوبه: ١١٤].

وقد وقى إبراهيم بهذا الوعد الذي قطعه على نفسه فاستغفر لوالده، وروى لنا القرآن الكريم ذلك عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَا أَعْفِرْلِي وَلَوْلَدَيْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، وكذلك في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أيضاً: ﴿وَأَعْفِرْلِي إِلَيْهِ وَكَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]، وينبغي أن نشير هنا إلى أن الاستغفار للأرحام الذين ماتوا على الكفر حرام شرعاً بنص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِشَيْءٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُسْرِكِينَ وَلَوْكَانُوا أُولَئِنَّ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبه: ١١٣].

فالنهي عن الاستغفار لأولي القربى بعد أن ماتوا على شركهم، وتبيّن لذويهم أنهم من أهل النار، لأن الله تعالى قد قضى ألا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا

(١) انظر: المرجع السابق (ص: ٧١٤).

(٢) انظر: ابن جرير، جامع البيان (١١/ ٤٥ - ٤٦)، والزمخشري، الكشاف (٢/ ٣٠٢).

ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله<sup>(١)</sup>. وقد ذكر المفسرون في استغفار إبراهيم لأبيه أقوالاً عدّة مجملها: أن استغفار إبراهيم لأبيه لأنّه كان يرجو منه الإيمان، فلما علم بالوحى أنه لن يؤمن توقف عن ذلك، ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام لعممه: (لأستغفرن لك ما لم أنت عنك)<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن أبو إبراهيم وعد إبراهيم بالإسلام فاستغفر له لذلك<sup>(٣)</sup>.

وفي قصة نوح عليه السلام مع ابنه نلاحظ أن القرآن الكريم لم ينكر على نوح عليه السلام دعوته لابنه في آخر اللحظات بقوله تعالى: ﴿يَبْيَعِي أَرْكَ مَعَنَا﴾ [هود: ٤٢]، ولكن القرآن أنكر على نوح عليه السلام عندما سأله الله أن ينجيه معتبراً إياه من أهله ولما يكن من أهل الإيمان.

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحَقُّ الْحَكَمَيْنَ﴾ [هود: ٤٥]، فأجيب: ﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيَسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ وَعَمِلَ عَيْرَ صَالِحٍ فَلَا شَكَلَنِ مَا لَيَسَ لَكَ بِهِ عَلِمْ إِنِّي أَعْطَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِيْتَ﴾ [هود: ٤٦] «أي ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم لأنّه كافر»<sup>(٤)</sup>.

وقد كان الجواب من نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْكَلَكَ مَا لَيَسَ لِي بِهِ عَلِلٌ وَلَا تَغْفِرُ لِي وَتَرْحَمُّي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِيْتَ﴾ [هود: ٤٧].

(١) انظر: ابن جرير، جامع البيان (١١ / ٤٠).

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله، برقم (١٢٩٤) (٤٥٧/١)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع برقم (٢٤) (٥٤/١).

(٣) انظر: السمعاني، تفسير السمعاني (٢ / ٣٥٤)، والزمخشري، الكشاف (٢ / ٣٠١)، وابن الجوزي، زاد المسير (٣ / ٥٠٩).

(٤) ابن جرير، جامع البيان (١٢ / ٥٠)، وابن عطية، المحرر الوجيز (٣ / ١٧٧)، وابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي (ت: ٧٤١ هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي - لبنان ط (٤) (١٤٠٣ هـ) (٢ / ١٠٦).

ومن الملاحظ هنا أن مواقف الأنبياء متحدة، فقد سلم نوح لأمر الله تعالى حيال ولده، وكذلك كان الحال مع إبراهيم عليه السلام تجاه والده.

إذن صلة الأرحام تقطع حيال من تبين كفره بوجي من الله لنبي من أنبيائه، أو بموت القريب على راية الكفر.

**الجواب الثالث:** ويمكن أن يُحاجب عن مشكل صلة الرحم الكافرة بقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ أَكْفَارِينَ أَوْ لِاءً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِلَّا كُنَّ مِنَ الظَّالِمِينَ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْدَةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

فقد ذهب جماعة من المفسرين إلى أن المعنى: إلا أن تكون بينك وبينه قرابة، فقد أخرج ابن جرير عن قتادة قوله عن هذه الآية: «نهى الله المؤمنين أن يوادُوا الكفار أو يتولُّهم دون المؤمنين، وقال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْدَةً﴾ الرحمن من المشركين من غير أن يتولاهم في دينهم إلا أن يصل رحماً له في المشركين»<sup>(١)</sup>.

وهذا الذي ذكره قتادة كما قال ابن جرير: «له وجه، وليس بالوجه الذي يدل عليه ظاهر الآية... فالأخغل من معاني الكلام إلا أن تخافوا منهم مخافة، فالتقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية الكفار لا من غيرهم، ووجهه قتادة إلى أن تأويله: إلا أن تتقووا الله من أجل القرابة التي بينكم وبينهم تقاة، فتصلون رحمها»<sup>(٢)</sup>، وهذا التأويل فيه تكليف.

**المطلب الثاني:** مشكل صلة الرحم الكافرة من السنة النبوية وجوابه: ذهب بعضهم إلى أن صلة الرحم الكافرة غير واجبة ولا يلحق الوعيد قاطعها لأنَّه قطع ما أمر الله بقطعه، وإليه ذهب ابن بطال<sup>(٣)</sup> وغيره<sup>(٤)</sup> واستدلوا بحديث رسول

(١) ابن جرير، جامع البيان (٣/٢٢٩)، وأخرج ابن جرير قريباً منه عن الحسن.

(٢) المرجع السابق (٣/٢٢٩).

(٣) عزاه إلى ابن حجر في فتح الباري (١٠/٤٢١).

(٤) انظر: المناوي، محمد عبد الرؤوف الحدادي (ت: ١٠٣١ هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، =

الله ﷺ: أن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ - جهاراً غير سر - يقول: (إن آن أبي ليسوا بأوليائي، إنما وليلي الله وصالح المؤمنين) <sup>(١)</sup>.

ووجه الدلالة كما قال ابن بطال: إنه أوجب في هذا الحديث الولاية بالدين، ونفها عن أهل رحمه إن لم يكونوا من أهل دينه، فدلّ على أن النسب يحتاج إلى الولاية التي يقع بها الموارثة بين المتناسبين، وأن الأقارب إذا لم يكونوا على دين واحد لم يكن بينهم توارث ولا ولالية، وقال ابن بطال: «ويستفاد من هذا أن الرحم المأمور يصلّتها والمتوعد على قطعها هي التي شرع لها ذلك، فأما من أمر بقطعه من أجل الدين فيُستثنى من ذلك، ولا يلحق بالوعيد من قطعه لأنّه قطع من أمر الله بقطعه، لكن لو وصلوا بما يباح من أمر الدنيا لكان فضلاً» <sup>(٢)</sup>.

وتعقبه ابن حجر في موضعين:

أحدهما: قصره النفي على من ليس على الدين، وظاهر الحديث أن من كان غير صالح في أعمال الدنيا دخل في النفي أيضاً لتقييده الولاية بقوله: «وصالح المؤمنين». الثاني: أن صلة الرحم الكافرة ينبغي تقييدها بما إذا [أنس] <sup>(٣)</sup> منه رجوعاً عن الكفر، أو رجاً أن يخرج من صلبه مسلم... فيحتاج من يتخصص في صلة رحمه الكافر أن يقصد إلى شيء من ذلك.

قلت: وأيضاً قياس صلة الرحم على الولاية التي يقع بها الميراث قياس غير صحيح، فإذا كان الميراث مبناه على النصرة والموالاة - كما ذكر ابن بطال - فإن

= المكتبة التجارية - مصر، ط (١) (٢٣٤ هـ / ١٣٥٦ هـ)، والمباركفورى أبا العلاء، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم الأحوذى (ت: ١٣٥٣ هـ)، تحفة الأحوذى في شرح جامع الترمذى، دار الكتب العلمية - بيروت (٦ / ٣٠).

(١) البخارى، صحيح البخارى، كتاب الأدب، باب: تبل الرحم بيلها، برقم (٥٦٤٤) (٥ / ٢٢٣٣).

(٢) فتح البارى (١ / ٤٢١).

(٣) في فتح البارى (١٠ / ٤٢١) (أيس)، والمثبت هو الذي يستقيم مع المعنى المراد.

هذا خلاف النفق، والزيارة، ونحوهما، فإنهما صلة ومواساة من حقوق القرابة، فلا تقع بها موالاة.

وذهب بعضهم إلى أن صلة الرحم الكافرة مقصورة على الوالدين فقط دون بقية الأقارب.

قال الكاساني: «ولا تجب صلة رحم غير الوالدين عند اختلاف الدين، وتجب صلة رحم الوالدين مع اختلاف الدين بدليل أنه يجوز للمسلم أن يبتدئ بقتل أخيه الحربي، ولا يجوز له أن يبتدئ بقتل أخيه الحربي، وقد قال سبحانه في الوالدين الكافرين: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الْدُّنْيَا مَأْرُوفٌ﴾ [لقمان: ١٥]، ولم يرد مثله في غير الوالدين»<sup>(١)</sup>.

قلت: ما ذكره الكاساني من صلة الوالدين جيد غير أن قصر الصلة عليهم دون غيرهما لا دليل عليه، بل إن صلتهم **تفهم** من عموم الآيات التي أشارت إلى صلة ذوي القربي، وصلة ذوي الأرحام، وقد أفرد البخاري في كتاب الهبة باباً في: قبول الهدية من المشركين<sup>(٢)</sup>، وآخر في الهدية للمشركين<sup>(٣)</sup>، فليرجع إليه من شاء.

وبينجي التنبيه هنا على أن الصلة بالمال أو السلاح ونحوه تكون حال كون ذوي الأرحام من غير الحربيين، أما إذا كانوا من الحربيين فلا تجوز صلتهم بالمال أو السلاح، أو المشورة التي تضر المسلمين؛ لأن إمدادهم بالمال ونحوه إمداداً لأعدائهم، وقوية لعدوهم على أنفسهم وإخوانهم، فالصلة جائزة ما لم تكن خطراً على المسلمين. قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوكُمْ فِي الْلَّهِ إِنَّمَا يُنْهَاكُمْ مِنْ دِيْرَكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَقُسْطُولُ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحدة: ٨].

(١) الكاساني، علاء الدين (ت: ٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع، دار الكتاب العربي - بيروت، ط (٢) ١٩٨٢م (٤/٣٦).

(٢) صحيح البخاري (٩٢٢/٢).

(٣) صحيح البخاري (٩٢٢/٢).

### وخلاصة الأمر أقول:

إن صلة الرحم واجبة وإن كانت لكافر بدليل عموم الآيات التي حلت على الإحسان لذوي القربي، والأحاديث والآثار التي سبق ذكرها.

على أن المسلم يجب أن يقوم بواجبه من النصح لهم ووعظهم ودعوتهم إلى دين الله، وأن يحرص على إسلامهم أو إسلام من يخرج من أصلابهم، ويشرط في هذه الصلة أن يتبع المسلم عن باطلهم، وينكر منكرهم، وأن يبرأ من عقائدهم، أما إذا كانوا حربين فصلتهم تكون بما فيه نفع للمسلمين كأن يكونوا عيوناً له... ولا يسقط مع ذلك صلتهم بأن يدعوهם لدين الله، ويدعوا الله أن يردهم إلى دينه ويهديهم سواء السبيل في حال حياتهم، وليس له ذلك بعد مماتهم.

### المبحث الثالث

#### جزاء صلة الكافر لرحمه

إن صلة الرحم تُعدُّ من الأعمال المحمودة التي يقوم بها الكفَّار، ومن المعلوم أنَّ أعمال الكفَّار تذهب هباءً مثُوراً لأنَّها لا تصدر عن عقيدة صحيحة إلا أنَّ صلة الرحم لها ثمار إيجابية تعود على الكافر الواثل لرحمه، ومن ذلك:

#### المطلب الأول: تنفع الكافرين في الدنيا، وتقيمهم مصارع السوء:

فعن زيد بن أسلم لما خرج رسول الله ﷺ من مكة عرض له رجل فقال: (إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببني مدلج)، فقال: إنَّ الله منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم)<sup>(١)</sup>.

**المطلب الثاني: إذا وصل الكافر رحمه ثم أسلم فإن ثواب ذلك يصل إليه:**  
 نقل ابن حجر عن النووي: «إن الصواب الذي عليه المحققون، بل نقل بعضهم فيه الإجماع أنَّ الكافر إذا فعل أفعالاً جميلة كالصدقة وصلة الرحم ثم أسلم ومات على الإسلام فإن ثواب ذلك يُكتَب له»<sup>(٢)</sup>.

(١) آخر جهـ الخـراطيـ، أـبـو بـكـرـ مـحـمـدـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ سـهـلـ (تـ: ٣٢٧ـهـ)، المـنـتـقـىـ مـنـ كـتـابـ مـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ وـمـعـالـيـهـ، دـارـ الفـكـرـ - دـمـشـقـ طـبـعـةـ سـنـةـ (١٩٨٦ـمـ)، تـسـقـيقـ: أـبـو طـاهـرـ أـحـمـدـ الـأـصـبهـانـيـ بـرـقـ (١١٤ـ٦٣ـهـ). وأـورـدـهـ العـرـاقـيـ، أـبـوـ الفـضـلـ (تـ: ٥٨٠ـهـ)، الـمـعـنـيـ عـنـ حـمـلـ الـأـسـفـارـ، مـكـتـبـةـ طـبـرـيـةـ - الـرـيـاضـ طـ (١٤١٥ـهـ)، تـحـقـيقـ: أـشـرـفـ عـبـدـ الـمـقـصـودـ بـرـقـ (٢٠٣٩ـ٥٢٦ـهـ)، وـقـالـ: «مـرـسـلـ صـحـيـحـ الـإـسـنـادـ».

(٢) ابن حجر، فتح الباري (٩٩/١)، ولم أجده في كلام النووي في شرح صحيح مسلم باللفظ المذكور نفسه، وقريبٌ من ذلك ما ذكره النووي عند شرحه لباب: بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، كتاب الإيمان، انظر: النووي: أبا زكريا يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦ـهـ)، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط (٢) (٢٠٣٩ـ٥٢٦ـهـ)، (١٤١٢ـهـ).

### المطلب الثالث: صلة الكافر لرحمه تنفع ذريته وتحميهم من الفقر والحزى

في الدنيا:

دليل ذلك أن سلمان بن عامر الصبي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبي كان يصل الرحم ويقرى الضيف وفيه بالذمة، ولم يدرك الإسلام، فهل له في ذلك من أجر؟ قال: لا، فلما وليت قال: على بالشيخ، فقال لي: يكون ذلك في عقبك، فلن يذلّوا أبداً، ولن يخزروا أبداً، ولن يفترروا أبداً<sup>(١)</sup>.

وقد يكون ذلك في ذرية الكافر الواصل لرحمه إن كانت ذريته مسلمة كما هو الشأن في سلمان بن عامر، إذ يلاحظ أنه قال له: «يكون ذلك في عقبك»، ولم يقل له: يكون ذلك في عقبه، أي عقب أبيك، ولكن الأولى حمل الحديث على العموم، يشهد لهذا ما سيأتي في المطلب الرابع.

ومن المعلوم أن الكافر لا ينتفع بشيء من ذلك في آخرته، لا هو ولا ذريته، فقد وردت روایات كثيرة تبين أن من قام بأعمال البر ومات على الشرك فهو في النار<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير برقم (٦٢١٣) / (٦٢٧٦)، والحاكم، كتاب معرفة الصحابة - ذكر سلمان بن عامر الصبي (٣/٦١٠)، وسكت عنه الحاكم في المستدرك والذهبي في التلخيص، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير مختصراً من غير ذكر (فلما وليت)، البخاري، التاريخ الكبير، برقم (٤/٢٢٣٦) (١٣٦)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد عن سلمة بن عامر، وهو تحريف، وال الصحيح أنه سلمان بن عامر، له صحبة كما ذكر الحاكم والبخاري، وعزاه الهيثمي للطبراني في الكبير وقال: «رجاله موثقون». الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، باب في أهل الجاهلية (١١٩).

(٢) انظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تزاله شفاعة، ولا تنفعه قربة المقربين (١/١٩١)، وانظر الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، باب في أهل الجاهلية (١/١١٦-١١٩).

ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني عن عمران بن الحصين أن أباه الحصين أتى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً كان يقرى الضيف ويصل الرحم ومات قبلك، وهو أبوك، فقال: إن أبي وأباك وأنت في النار، فمات حصين مشركاً<sup>(١)</sup>.

#### المطلب الرابع: زيادة المال والبركة في العيال:

قال ﷺ: (إن أعدل الطاعة ثواباً صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون)<sup>(٢)</sup>. هذا إن كان لفظ الفجار يوازي الكفار، والله تعالى أعلم.

(١) ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الصحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ)، الأحاديث المثناني، دار الرأية-الرياض (ط١ / ١٤١١-)، تحقيق: د. باسم الجوابرة، برقم (٢٣٥٦ / ٤)، والطبراني، المعجم الكبير برقم (٣٥٥٢ / ٤)، ويرقم (٥٤٨ / ١٨)، وأورده الهشمي في مجمع الزوائد، كتاب الإيمان، باب: في أهل الجاهلية (١١٦ / ١)، وقال: « رجاله رجال الصحيح ».

(٢) أخرجه ابن حبان من حديث أبي بكرة ، صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب، صلة الرحم وقطعها، برقم (٤٤٠ / ٢)، والطبراني من حديث أبي هريرة ، المعجم الأوسط، برقم (١٠٩٢ / ٢). والبيهقي، شعب الإيمان، من حديث عبد الرحمن (الباب السادس والخمسون في شعب الإيمان) برقم (٧٩٧١ / ٦). وأورده في الألباني، محمد ناصر الدين، في صحيح وضعيف الجامع الصغير، المكتب الإسلامي - بيروت، برقم (١٠٦٤٢) (ص: ١٠٦٥)، وقال: « صحيح ».

## الخاتمة:

وفيها أهم النتائج:

أولاًً: الرحيم توصل برة كانت، أو فاجرة، أو كافرة، وصلتها واجبة، فلنواصل دينه وللموصول دينه، فحق الرحيم ثابت وإن كانت كافرة، إذ الكفر لا يسقط كثيراً من حقوقها في الدنيا.

ثانياً: الراجح في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعُلُوا إِلَى أَوْلَيَّ أَكْمَمٍ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦]، أنه في الإحسان لذوي الرحيم الكافرة، والوصية لهم، وليس كما ذكر بعض المفسرين أن الأولياء لا يكونون إلا من المؤمنين فقط.

ثالثاً: ثم فرق بين ولاية النسب وولاية الدين، إذ ولاية النسب لا تدفع في الكافر، وإنما يدفع أن يلقى إليه بالمودة كولي الإسلام، أما ولاية الدين فلا تكون إلا للمسلمين.

رابعاً: الأصح أن قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمُؤْمِنُ إِنْ تَرَكَ حَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدِينِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] غير منسوخ، ويفهم منه وجوب الوصية للوالدين إن كانوا غير مسلمين، أو غير وارثين.

خامساً: أكدت نصوص القرآن الكريم والسنة المشرفة صلة الرحيم للوالدين على وجه الخصوص، وإن كانا مشركين مجاهرين بالكفر، ودعت إلى برهما والإحسان إليهما، على أن طاعة الأولياء لا تراعي في ركوب كبيرة، ولا في ترك فريضة على الأعيان، وتلزم طاعتهما في المباحثات.

سادساً: أظهر منهج الأنبياء مع أرحامهم تلطفهم بهم رجاء هدايتهم، وقد ظهر هذا جلياً في نداء إبراهيم عليه السلام لوالده بقوله: (يا أبا)، ونداء نوح عليه السلام لابنه بقوله: (يابني)، غير أنهما قد تبرأا منهما بعد أن تبين لهما إصرارهما على الكفر.

**سابعاً:** الراجح في إنذار النبي عليه السلام لعشيرته الأقربين أنها كانت في مكة، وليس كما وقع في رواية الطبراني وغيره من أنها كانت بعد زواجه عليه السلام من عائشة وحفصة وأم سلمة رضي الله عنهن.

**ثامناً:** إن مفهوم الرحمة الكافرة يشمل الوالدين وغيرهما من الأقارب، لأن النبي عليه السلام أوصى بالقبط خيراً بقوله: «إِن لَهُمْ ذَمَّةٌ وَرَحْمًا»، فإذا كان هذا حال الرحمن بعيد من الكفار، فما بالك بذوي القرابات الدانية من ذوي الأرحام من الكفار؟ فإنه مما لا شك فيه أن صلتهم أولى وألزم والله تعالى أعلم.

**تاسعاً:** يقف القارئ لكتاب الله وللسنة المطهرة أمام نصوص من الكتاب العزيز والسنّة حذرت من صلة الكفار ولو كانوا من ذوي الأرحام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا كَانُوا إِلَّا بَأْءَاهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِحْوَانَهُمْ أَوْ عَيْشَرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

والظاهر أن هذه النصوص لمن قاتل المسلمين وأخرجهم من ديارهم وتأمر عليهم، فهو لاء لا تجوز مواتتهم بأي حال، وليس هناك ما يمنع برهم والإقسام إليهم.

**عاشرأً:** نهى الله تعالى عن الاستغفار لأولي القربي الذين ماتوا على شركهم وتبيّن لذويهم أنهم من أهل النار؛ لأن الله تعالى قد قضى ألا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يستجاب لهم فيه.

**حادي عشر:** على المسلم أن يقوم بواجبه تجاه ذوي الرحمة من الكفار بالنصح لهم، ووعظهم، ودعوتهم إلى دين الله، وأن يحرض على إسلامهم، أو إسلام من يخرج من أصلابهم، ويشترط في هذه الصلة أن يتبع المسلم عن باطلهم، وينكر منكرهم، وأن يبرأ من عقائدهم.

ثاني عشر: صلة الكافر لأرحامه تنفعه في الدنيا، ولا تنفعه في الآخرة، ومن منافع صلة الكافر لرحمه أن صلته إياهم تقيه مصارع السوء، وتمنع ذريته، وتحميهم من الفقر، والخزي في الدنيا.

وختاماً: أسأل الله العظيم أن يتقبل مني، وأن يغفر عن زللي وخطئي، والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات.

## مسرد المراجع

- ١) الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الصحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ)، دار الرأي - الرياض (ط١) (١٤١١هـ)، تحقيق: د. باسم الجوابرة.
- ٢) أحكام القرآن، الجصاص، أبو بكر، أحمد بن علي الرازى (ت: ٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت طبعة سنة (١٤٠٥هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوى.
- ٣) أحكام القرآن، الشافعى، أبو عبد الله، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت طبعة سنة (١٤٠٠هـ)، تحقيق: عبد الغنى عبد الخالق.
- ٤) أحكام أهل الذمة، الزرعى، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب، (ت: ٧٥١هـ)، دار ابن حزم - بيروت (ط١) (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، تحقيق: يوسف البكري، وشاكر العاروري.
- ٥) أخبار المدينة، النميري، أبو زيد عمر بن شيبة، (ت: ٢٦٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة سنة (١٤١٧هـ)، تحقيق: علي دندل، وياسين سعد الدين.
- ٦) أضواء البيان، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الجكنى (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر - بيروت طبعة سنة (١٤١٥هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- ٧) البحر المحيط، أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسى (ت: ٧٤٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت (ط١) (١٤٢٢هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين.
- ٨) بدائع الصنائع، الكاسانى، علاء الدين (ت: ٥٨٧هـ)، دار الكتاب العربى - بيروت، (ط٢) (١٩٨٢م).
- ٩) البر والصلة، المروزى، الحسين بن حرب أبو عبد الله (ت: ٢٤٦هـ)، دار الوطن - الرياض، (ط١) (١٤١٩هـ) تحقيق: د. محمد سعيد بخارى.

- ١٠) **التاريخ الكبير، البخاري أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل الجعفي** (ت: ٢٥٦هـ)، دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوبي.
- ١١) **تحفة الأحوذى في شرح جامع الترمذى، المباركفورى أبو العلاء، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم الأحوذى** (ت: ١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٢) **تخریج الأحادیث والآثار، الزیلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف** (ت: ٧٦٢هـ)، دار ابن خزيمة - الرياض (ط١) (١٤١٤هـ)، تحقيق: عبد الله ابن عبد الرحمن السعد.
- ١٣) **التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي** (ت: ٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي - لبنان (ط٤) (١٤٠٣هـ).
- ١٤) **تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازى** (ت: ٣٢٧هـ)، المكتبة العصرية - صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.
- ١٥) **تفسير ابن زمين، ابن أبي زمين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله** (ت: ٣٩٩هـ)، دار الفاروق الحديثة - مصر (ط١) (١٤٢٣هـ)، تحقيق: حسين بن عكاشه، ومحمد الكنتر.
- ١٦) **تفسير أبي السعود، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي** (ت: ٩٥١هـ)، الموسوم بـ(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٧) **تفسير البغوي الموسوم بـ «معالم التنزيل»، البغوي، أبو محمد، حسين بن مسعود الفراء** (ت: ٥١٦هـ)، دار المعرفة - دمشق، تحقيق: خالد عبد الرحمن العاك.
- ١٨) **تفسير البيضاوى الموسوم بـ «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، البيضاوى، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي** (ت: ٦٩٢هـ)، دار الفكر - بيروت، بلا طبعة ولا دار نشر.

- (١٩) تفسير الشعابي، الشعابي، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: ٨٧٥هـ)، المسمى «الجواهر الحسان في تفسير القرآن»، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
- (٢٠) تفسير الشعابي، المسمى «الكشف والبيان في تفسير القرآن»، الشعابي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت: ٤٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت (ط١) (١٤٢٢هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، تدقيق: نظير الساعدي.
- (٢١) تفسير السمرقندى، السمرقندى، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت: ٣٧٥هـ)، الموسوم بـ(بحر العلوم)، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي.
- (٢٢) تفسير السمعانى، السمعانى، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت: ٤٨٩هـ)، دار الوطن - الرياض، (ط١) (١٤١٨هـ)، تحقيق: ياسر إبراهيم، وغنيم بن عباس.
- (٢٣) تفسير الصناعي، الصناعي، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت: ٢١١هـ)، مكتبة الرشد - الرياض، (ط١) (١٤١٠هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد.
- (٢٤) تفسير العز بن عبد السلام، العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز السلمي الدمشقي (ت: ٦٦٠هـ)، دار ابن حزم - بيروت (ط١) (١٤١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الوهبي.
- (٢٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (١٤٠١هـ).
- (٢٦) التفسير الكبير، الرازى، فخر الدين محمد بن عمر (ت: ٦٠٦هـ)، المسمى (مفاتيح الغيب) دار الكتب العلمية - بيروت (ط١) (١٤٢١هـ).

- (٢٧) تفسير النسفي، المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، النسفي، أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: ٧١٠ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ضبط وتحريج: الشيخ زكريا عميرات، (ط١) (١٤١٥ هـ).
- (٢٨) تفسير الواحدي، الواحدي أبو الحسن، علي بن أحمد (ت: ٤٦٨ هـ)، دار القلم - دمشق (ط١) (١٤١٥ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي.
- (٢٩) تقريب التهذيب، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، بعناية عادل مرشد، مؤسسة الرسالة - بيروت (ط١) (١٤١٦ هـ).
- (٣٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير، أبو جعفر، محمد الطبرى (ت: ٣١٠ هـ)، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (١٤٠٥ هـ).
- (٣١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١ هـ)، دار الشعب، القاهرة.
- (٣٢) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى، الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود بن عبد الله البغدادي (ت: ١٢٧٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٣٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧ هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، (ط٣) (١٤٠٤ هـ).
- (٣٤) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥ هـ)، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- (٣٥) سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥ هـ)، دار الفكر، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد.
- (٣٦) سنن الترمذى، الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين.

- (٣٧) شرح النووي على صحيح مسلم، النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ط٢) (١٣٩٢ هـ).
- (٣٨) شعب الإيمان، البهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (ت: ٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت (ط١) (١٤١٠ هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
- (٣٩) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت: ٣٥٤ هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت (ط٢) (١٤١٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- (٤٠) صحيح البخاري، البخاري أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦ هـ)، دار ابن كثير - بيروت (ط٣) (١٤٠٧ هـ)، تحقيق: د. مصطفى ذيب البغا.
- (٤١) صحيح مسلم، مسلم، أبو الحسين، بن الحاج القشيري (ت: ٢٦١ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- (٤٢) صحيح وضعيف الجامع الصغير، الألباني، محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي - بيروت.
- (٤٣) الضعفاء الكبير، العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى (ت: ٣٢٢ هـ)، دار المكتبة العلمية - بيروت (ط١) (١٤٠٤ هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعي.
- (٤٤) غريب الحديث، الخطابي، أبو سلمان، حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: ٣٨٨ هـ)، جامعة أم القرى - مكة المكرمة طبعة سنة (١٤٠٢ هـ)، تحقيق: عبد الكريم العزياوي.
- (٤٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، (ت: ٨٥٢ هـ)، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- (٤٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدرایة من علم التفسير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت: ١٢٥٠ هـ)، دار الفكر - بيروت.
- (٤٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، محمد عبد الرؤوف الحدادي (ت: ١٠٣١ هـ)، المكتبة التجارية - مصر، (ط١) (١٣٥٦ هـ).

- (٤٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوایل في وجوه التأویل، الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت: ٥٣٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدى.
- (٤٩) الكشف الحيث عن رمي بوضع الحديث، الطراولسي، أبو الوفاء، برهان الدين، إبراهيم بن محمد الحلبي (ت: ٨٤١ هـ)، مكتبة النهضة العربية - بيروت (ط١) (١٤٠٧ هـ)، تحقيق: صبحي السامرائي.
- (٥٠) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسى (ت: ٤٦٥ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت (ط١) (١٤١٣ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى.
- (٥١) المستدرک على الصحيحين، الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، أبو عبد الله (ت: ٤٠٥ هـ)، وفي ذيله تلخيص المستدرک للإمام الذهبي أبي عبد الله محمد بن أَحْمَد (ت: ٧٤٨ هـ)، دار الفكر - بيروت، طبعة سنة (١٣٩٨ هـ).
- (٥٢) مسنن أَحْمَد، أَحْمَد، أبو عبد الله بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١ هـ)، مؤسسة قرطبة - مصر.
- (٥٣) مصنف ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥ هـ)، مكتبة الرشد - الرياض (ط١) (١٤٠٩ هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- (٥٤) مصنف عبد الرزاق، الصناعي، أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت: ٢١١ هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت (ط٢) (١٤٠٣ هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- (٥٥) معاني القرآن، النحاس، أبو جعفر، أَحْمَد بن محمد (ت: ٣٣٨ هـ)، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، (ط١) (١٤٠٦ هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني.
- (٥٦) المعجم الأوسط، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أَحْمَد (ت: ٣٦٠ هـ)، دار الحرمين - القاهرة، طبعة سنة (١٤١٥ هـ)، تحقيق: طارق عوض الله، وعبد المحسن الحسيني.

- (٥٧) معجم الصحابة، ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقى (ت: ١٤٣٥ هـ)، مكتبة الغرباء - المدينة المنورة (ط١) (١٤١٨ هـ)، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي.
- (٥٨) المعجم الكبير، الطبراني، أبو القاسم، سليمان بن أحمد (ت: ١٤٣٦ هـ)، مكتبة الزهراء - الموصل، (ط٢) (١٤٠٤ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.
- (٥٩) المغني عن حمل الأسفار، العراقي، أبو الفضل (ت: ١٤٨٠ هـ)، مكتبة طبرية - الرياض (ط١) (١٤١٥ هـ)، تحقيق: أشرف عبد المقصود.
- (٦٠) مجمع الروائد ومنبع الفوائد، الهيثمي علي بن أبي بكر (ت: ١٤٨٠ هـ)، دار الريان للتراث - القاهرة، سنة (١٤٠٧ هـ).
- (٦١) المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها، الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل (ت: ١٤٣٢ هـ)، دار الفكر - دمشق طبعة سنة (١٩٨٦ م)، تحقيق: أبي طاهر أحمد الأصبهاني.
- (٦٢) الناسخ والمنسوخ، قنادة، أبو الخطاب بن دعامة السدوسي (ت: ١١٧ هـ)، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ط١) (١٤٠٤ هـ)، تحقيق: د. حاتم الضامن.
- (٦٣) الناسخ والمنسوخ الموسوم بـ (قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن)، الكرمي، مرجعي بن يوسف (ت: ١٤٣٣ هـ)، دار القرآن الكريم - الكويت طبعة سنة (١٤٠٠ هـ)، تحقيق: سامي عطا حسن.
- (٦٤) الناسخ والمنسوخ، المقرى، هبة الله بن سلامة بن نصر (ت: ١٤٤١ هـ)، المكتب الإسلامي - بيروت، (ط١) (١٤٠٤ هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كتعان.
- (٦٥) الناسخ والمنسوخ، النحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت: ١٤٣٩ هـ)، مكتبة الفلاح - الكويت (ط١) (١٤٠٨ هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام.
- (٦٦) نواسخ القرآن، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ١٤٥٩ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط١) (١٤٠٥ هـ).

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٥٣	ملخص البحث.....
١٥٤	مقدمة.....
١٥٦	المبحث الأول: صور صلة الرحم الكافرة في الكتاب والسنة.....
١٥٦	تمهيد.....
١٥٦	المطلب الأول: الوصية من التركة للوالدين والأقربين غير المسلمين وصنع المعروف إليهم.....
١٦٥	المطلب الثاني: الوصية بالإحسان إلى الوالدين المشركين المجاهرين بالكفر.....
١٦٨	المطلب الثالث: التلطف بالمعاملة ورجاء الرحمة للرحم الكافرة.....
١٧٠	المطلب الرابع: تخصيص الأقربين بالإذار، وبالدعوة إلى سبيل الله تعالى....
١٧٣	المطلب الخامس: صلة الرحم الكافرة في الحديث والأثر.....
١٧٧	المبحث الثاني: مشكل القرآن والسنة في صلة الرحم الكافرة.....
١٧٧	تمهيد.....
١٧٨	المطلب الأول: مشكل صلة الرحم الكافرة من القرآن الكريم وجوابه.....
١٨٥	المطلب الثاني: مشكل صلة الرحم الكافرة من السنة النبوية وجوابه.....
١٨٩	المبحث الثالث: جزاء صلة الكافر لرحمه.....
١٨٩	المطلب الأول: تنفع الكافرين في الدنيا، وتقيمهم مصارع السوء.....
١٨٩	المطلب الثاني: إذا وصل الكافر رحمه ثم أسلم فإن ثواب ذلك يصل إليه....
١٩٠	المطلب الثالث: صلة الكافر لرحمه تنفع ذريته وتحميهم من الفقر والحزى في الدنيا.....
١٩١	المطلب الرابع: زيادة المال والبركة في العيال.....
١٩٢	الخاتمة.....
١٩٥	مسرد المراجع.....
٢٠٢	فهرس الموضوعات.....

## صياغة القرآن الكريم

من العبيدين والآباء

د. محمد بن عبد العزيز الحمد<sup>(\*)</sup>

ما يحصل بالبحث

اشتملت الدراسة على مباحثين، ومقدمة، وتمهيد.

تناول المبحث الأول صوراً من الامتحان المتعتمد، وشببه المتعتمد للنص القرآني، وجاء هذا في ست صور، اشتمل عليها المبحث الأول.

أما المبحث الثاني فقد ورد فيه صور الامتحان غير المتعتمد للنص القرآني، واحتوى على مطلبين، ذكر في المطلب الأول صور الامتحان المتعلقة بالنص ذاته، وفيه تسع صور، وذكر في المطلب الثاني صور الامتحان المتعلقة بكتابته ورسمه، وفيه إحدى عشرة صورة، وأما المطلب الثالث فقد تضمن صور الامتحان المتعلقة بالوعاء الذي يكتب فيه، واحتوى على عشر صور، ثم تأتي بعد ذلك الخاتمة والتوصيات.

(\*) عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود بالرياض.

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، أمّا بعد:

فإنَّ المسلمين جميعاً لا يختلفون على قداسة النص القرآني وكماله، وأنه كما قال منزله سبحانه: ﴿لَا يَكُتُبُهُ الْبَطُولُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزَرِّعُ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ولما كان الأمر كذلك؛ وجوب احترام هذا النص، وتقديسه، وصيانته عن كلٍ ما يشينه وينقص من قدره، إنْ بجهلٍ وحسْنٍ قصدٍ كما هو حال بعض العامة، وإن بغير ذلك من مقاصد السوء، مما قد يصدر من أهل الزندقة والتفاق من المتنسبين إلى الإسلام، ومن أغترَ بهم من الشباب الأغرار، بأساليب ماكرة وخفية قد تخفي على كثير من عامة المسلمين. وإذا كان احترام هذا النص وتقديسه واجباً على المسلمين جميعاً، فإنَّ الواجب على الخاصة - وهم أهل العلم - أن يتغافلوا في الذود عن هذا النص، وكشف طرق أهل الباطل وأساليبهم للنيل منه ومحاولته إسقاطه، أو تفريغه من محتواه؛ ليبقى مجرد نص مقدس جامد، لا حياة فيه، ولا تأثير له في حياة الناس. وهذا ما دفعني لكتابه هذا البحث، مستقتصياً فيه ما ظهر لي من صور الابتذال والامتهان والعبث التي شاعت في هذا العصر، ليكون المسلمين منها على حذر. وقد اقتصرت على ما يصدر من المتنسبين إلى الإسلام - كما سبق -، لأنَّ ما يصدر من الكفار الصُّرَحاءُ أمر واضح وجلي، وليس بعد الكفر ذنب، ولهذا جاء النهي عن السفر بالمصحف إلى بلاد العدو خشية امتهانه حسياً، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ (لا تسافروا بالقرآن، فإنَّى لا آمن أن يناله العدو) <sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب النهي أن يسافر بالصحف إلى أرض الكفار إذا خيف وقوعه بأيديهم: (ص ٤٩٢)، برقم: (١٨٦٩).

## أهمية هذا الموضوع وأسباب اختياره:

تكمّن أهميّة هذا الموضوع فيما يلي:

- ١) علاقته الوثيقة بالقرآن الكريم الذي هو كلام الله - عز وجل -.
  - ٢) ندرة الدراسات الشاملة فيه، إذ لم أطلع على دراسة مستقلة تُعنى بجميع جوانبه.
  - ٣) جرأة الكثرين على هذا النص، إما عمداً، وإما جهلاً كما سبق.
  - ٤) جهل كثير من العامة وبعض طلبة العلم بالكثير من أساليب الأعداء من المتسبّبين إلى الإسلام، ومحاولاتهم المشبوهة للنيل من هذا النص الكريم.
- ولهذا كلّه رأيت أن أكتب في هذا الموضوع ميناً ما تيسّر لي جمعه من أساليب ووجوه الابتذال والامتهان والعبث والعدوان على هذا النص المقدس.

## الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث لم أعثر على دراسة تُعنى بصيانة النص القرآني عن الابتذال والامتهان بشكل عام، وإنّما وجدت بعض الدراسات التي تتحدث عن الاقتباس من القرآن وحكمه، وليس هذا موضوع بحثي، وإن كنت سأشير إلى موضوع الاقتباس إشارة عابرة بإذن الله.

## خطّة البحث:

وقد قسّمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ومحبّحين وخاتمة.  
فأمّا المقدمة فهي التي بين يديك.  
وأمّا التمهيد فقد جعلته في مطلبين، المطلب الأوّل بيّنت فيه المراد بالنص القرآني. والمطلب الثاني ذكرت فيه دلائل قدسيته وتعظيمه.

وأمّا المبحثان، فالأول: بيّنت فيه صور الامتحان المتعمّد أو شبه المتعمّد الذي يصدر غالباً من أصحاب التوجّهات المشبوهة. والمبحث الثاني: بيّنت فيه صور الامتحان العفوّي (غير المتعمّد) والذي يصدر غالباً من العامة المعظّمين لهذا النصّ.

وأمّا الخاتمة فذكرت فيها أهمّ النتائج والتوصيات.

وفيما يلي خطة البحث الأساسية مفصّلة:

التمهيد، ويشتمل على مطليين:

المطلب الأول: المراد بالنّص القرآني.

المطلب الثاني: دلائل قدسيّة هذا النصّ.

المبحث الأول: صور الامتحان المتعمّد أو شبه المتعمّد:

الصورة الأولى: إقحام النص القرآني أو محاكاته في أشعارهم بما يشبه الاقتباس أو التضمين، على سبيل السخرية والاستهزاء.

الصورة الثانية: الدعوة إلى تفسير النص وفهمه فهماً «عصرياً»! منقطعاً تماماً عن فهم السلف!

الصورة الثالثة: الاستشهاد بالنص القرآني أو إقحامه في الكلام التثري بطريقة هي أقرب إلى الهذيان والاستخفاف والسخرية.

الصورة الرابعة: إزالة النصوص الواردة في الكفار والمنافقين على المؤمنين من أهل العلم والدعوة والدين.

الصورة الخامسة: الاستشهاد الخاطئ بالنّص، أو ذكره بالمعنى استخفافاً، مع سهولة الوصول إليه، ولا سيما مع التطور التقني والفنّي.

الصورة السادسة: التشكيك في النص القرآني، بادعاء نقصه أو بتحريفه لفظاً أو معنى.

المبحث الثاني: صور الامتهان غير المعتمد:

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: صور الامتهان المتعلقة بالنص ذاته، وهي:

الصورة الأولى: التكلّم به.

الصورة الثانية: جعله نغمة للهاتف النقال.

الصورة الثالثة: جعله مادة للنكت والطرائف.

الصورة الرابعة: التكّسب وسؤال الناس بتلاوته وترتيله.

الصورة الخامسة: جعله شعاراً في المنافسات الرياضية.

الصورة السادسة: خلط شيء معه.

الصورة السابعة: تحميشه ما لا يتحمل.

الصورة الثامنة: الزعم بأنّ فيه كلّ شيء.

الصورة التاسعة: تلاوته بالمقامات الموسيقية.

المطلب الثاني: صور الامتهان المتعلقة بكتابته ورسمه، وهي:

الصورة الأولى: كتابته بغیر الرسم العثماني.

الصورة الثانية: كتابته في لوحات للتعليق في البيوت والمكاتب والمدارس.

الصورة الثالثة: كتابته في حروز للتعليق على الرقبة وغيرها تماثم.

الصورة الرابعة: كتابته على جسد المريض للاستشفاء.

الصورة الخامسة: كتابته في إناء ليشرب منه المريض.

الصورة السادسة: كتابته على السيارات.

الصورة السابعة: كتابته على الملابس الداخلية.

الصورة الثامنة: كتابته بشكل متقطع.

الصورة التاسعة: كتابته على شكل صورة إنسان أو حيوان.

الصورة العاشرة: كتابته على الدرارهم ونحوها.

الصورة الحادية عشرة: كتابة بالذهب.

**المطلب الثالث:** صور الامتهان المتعلقة بالوعاء الذي يُكتب فيه كالمصحف ونحوه:

الصورة الأولى: السفر به إلى بلاد العدوّ.

الصورة الثانية: تصغير لفظه وحجمه.

الصورة الثالثة: مسّه بغير طهارة.

الصورة الرابعة: الدخول به إلى أماكن قضاء الحاجة.

الصورة الخامسة: توسّده والاتكاء عليه.

الصورة السادسة: مدّ الرجلين إليه.

الصورة السابعة: وضع شيء عليه.

الصورة الثامنة: وضعه على الأرض.

الصورة التاسعة: وضعه في السيارة.

الصورة العاشرة: تمكين الصبيان والسفهاء من مسّه.

وهذا وأسائل الله التوفيق والسداد.

## التمهيد

### المطلب الأول: المراد بالنص القرآني:

النص القرآني المراد به النص الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ لفظاً ومعنى، وهو القرآن الكريم، ابتداء من سورة الفاتحة، وانتهاء بسورة الناس، فهو ما بين دفتير المصحف العثماني المعروف عند أهل السنة والجماعة، والذي أجمع عليه الصحابة الكرام في زمن عثمان - رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين - دون زيادة أو نقصان، وهو الذي تلقته الأمة بالتواتر جيلاً عن جيل إلى زمننا هذا، وإلى أن يأتي أمر الله تعالى، والذي تكفل الله بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ قَوْمًا لَّهُوَ حَفَظُونَ﴾ [الحجر: 9].

ويدخل في ذلك تبعاً: الوعاء الذي يكتب فيه هذا النص، كالمصحف ونحوه، مما عظمه الله ورسوله كما سيأتي تفصيله بإذن الله تعالى، إذ هو بمنزلة الحمى للنص. فكما أنّ النص محفوظ في الصدور؛ فهو محفوظ في السطور والصحف، ولذا سمّاه الله كتاباً كما سمّاه قرآنًا<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: دلائل قدسيّة هذا النص:

أجمع المسلمون من أهل السنة - كما سبق - على قدسيّة النص القرآني وسلامته من التبديل والتحريف، ودلائل قدسيّته كثيرة جداً، أذكر منها:

- ١) أنه كلام الله تعالى لفظاً ومعنى، أنزله على رسوله.
- ٢) أنه معجز بكل سورة منه، وقد تحدى الله المشركين أن يأتوا بمثله، ثم عشر سور مثله، ثم بسورة واحدة، فعجزوا عن ذلك، ولا يزال التحدي قائماً إلى يوم القيمة.

(١) ينظر: لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لابن قدامة المقدسي: (ص ٩٩).

- (٣) أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ بِحَفْظِهِ، بِخَلَافِ الْكِتَابِ الْأُخْرَى الَّتِي أَوْكَلَ حَفْظَهَا إِلَى الْبَشَرِ، فَدَخَلَهَا التَّحْرِيفُ وَالتَّبْدِيلُ، وَذَهَبَتْ قَدْسِيَّتُهَا بِذَلِكَ.
- (٤) تَقْدِيسُ النَّبِيِّ ﷺ لِهَذَا النَّصِّ، وَمِنْ ذَلِكَ: مَا كَانَ يَعْانِيهِ مِنَ الشَّدَّةِ عِنْدَ نَزْوَلِهِ، وَالْخُوفُ مِنْ نَسْيَانِهِ، حَتَّى طَمَانَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا تُخْرِكُهُ إِلَيْكُنَّكَ تَعْجَلُ بِهِ﴾ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿الْقِيَامَةُ: ١٦، ١٧﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿سَنُفَرِّثُكُمْ فَلَا تَسْتَئِنُونَ﴾ [الأعلى: ٦]. وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًاً: نَهْيُ أَصْحَابِهِ عَنْ كِتَابَةِ شَيْءٍ غَيْرِ الْقُرْآنِ لَثَلَاثَ يَخْتَلِطُ بِالْقُرْآنِ، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا تَكْتُبُوا عَنِّي)، وَمِنْ كِتَابِ عَنِّي غَيْرِ الْقُرْآنِ فَلِيمَحِهِ)١). وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي أَوْلَ الْأَمْرِ، ثُمَّ أَذْنَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا أَمِنَ الْالْتِبَاسِ)٢).
- (٥) أَنَّهُ لَا يُتَعَبَّدُ بِنَصِّ سُوَاهٍ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا.
- (٦) تَحْرِيمُ روَايَتِهِ بِالْمَعْنَى.
- (٧) أَنَّهُ لَا يَمْسِّهِ إِلَّا ظَاهِرٌ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ)٣).
- (٨) تَحْرِيمُ قِرَاءَتِهِ عَلَى الْجَنْبِ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَيْضًاً)٤).
- 
- (١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الزَّهْدِ وَالرِّقَاقِ، بَابُ التَّشْتِيَّ فِي الْحَدِيثِ، (ص: ٧٥٧)، بِرَقْمِ: (٣٠٠٤).
- (٢) يَنْظُرُ: مَنَاهِلُ الْعِرْفَانِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ لِلزَّرْقَانِيِّ: (١١/٢٠٣).
- (٣) يَنْظُرُ: إِظْهَارُ الْحَقِّ الْمَبِينِ بِتَأْيِيدِ إِجْمَاعِ الْأُمَّةِ الْأَرْبَعَةِ عَلَى تَحْرِيمِ مَسَّ وَحْمَلِ الْقُرْآنِ لِغَيْرِ الْمَتَطَهِّرِينَ لَابْنِ عَابِدِ الْمَالِكِيِّ. وَقَدْ أَفْتَى بِذَلِكَ جَمِيعُ كَبِيرِ مَنْ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ الْمُتَقْدِمِينَ وَالْمُتَأْخِرِينَ.
- (٤) يَنْظُرُ: الْمَغْنِيُّ لَابْنِ قَدَّامَةَ: (١/١٦٥).

## المبحث الأول

### (صور الامتهان المتعمم وشبه المتعمم)

وهي لا تصدر في الغالب إلا من أعداء الدين المستخفين من أهل النفاق والزندة، ومن سلك سبيلهم من الأغار المخدوعين. وإن زعموا أنهم ما قصدوا ذلك كما سيأتي، ومن هذه الصور:

**الصورة الأولى: إقحام النص القرآني أو محاكاته بما يشبه الاقتباس أو التضمين، على سبيل السخرية والاستهزاء،** كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا عَمِّلُوكُمْ مِّنْ عَيْنَاتِنَا شَيْئاً أَخْذَهَا هُزُولاً﴾ [الجاثية: ٩]. ويكثر ذلك في هذينهم الذي يسمونه «شعر الحداثة»<sup>(١)</sup>، ولهم في ذلك سلف من زنادقة العصر القديم كما سيأتي بيانه، فلكل قوم وارث، لكنهم أعادوا تلك الزندة بوجه جديد يتسترون خلفه باسم الحداثة والتتجديد والأدب، وتبعهم بعض الأغار المخدوعين. واشترطوا للهذينهم الذي يسمونه شرعاً شرطاً، وهو الغموض أو الرمز!، فقالوا: إن كل شعر واضح مبين ليس بشعر، ومرادهم - كما يدل على ذلك هذينهم - تمرير ما يريدونه من معانٍ رديئة وسخرية واستهزاء من خلال هذا الغموض والرمز ليكونوا في مأمنٍ من المحاسبة والمؤاخذة، إذ أدلى ما سيجيرون به المعترض أن يقولوا: إننا لم نقصد ذلك، فأنت لم تفهم مرادنا!! وقد قالوا ذلك مراراً. فقد سئلت إحداهن في لقاء معها في إحدى الصحف عن الرمزية، ولمماذا يلجم إليها المبدع!! فأجابت: «يلجم المبدع! إلى الرمز لأسباب عديدة..» فذكرت سببين ثانويين ثم قالت: «وأخيراً فيمكن للمبدع! أن يلجم للرمز إذا حاصرته ظروف اجتماعية

(١) ليس كل شعر الحداثة مذموماً، لكن الغالب هو ما ذكرته، إذ لأجله ابتدع هذا النوع من الشعر. ينظر في التعريف بهذا النوع من الشعر: الحداثة في ميزان الإسلام لغوص الفريني، وظاهرة الاعتداء على المقدس لمحمد محمود يوسف، موقع باب الإلكترون.

أو سياسية خاصة تفرض عليه أن يتخفّى وراء الرمز، ليعبّر عن وجهه نظره<sup>(١)</sup>. كما نقلت إحدى الكاتبات مقوله أحد شعراء المغرب: «إِنَّ عَدَمَ فَهْمِ قَصِيدَتِي حِمَايَةٌ لَهَا»<sup>(٢)</sup>. وهذا هو مرتب الفرس عند هذه الفتاة على وجه الخصوص. ولذا يقول أحد كبارهم: «إِنَّ الوضُوحَ جُرْيَةً»<sup>(٣)</sup>.

ثم ابتدعوا ما أَسْمَوه بـ«موت المؤلّف»، ومعناه: «أَنَّ السُّلْطَةَ الْبَشَرِيَّةَ التَّقْليديَّةَ التي كان يتمتع بها المؤلّف سابقاً قد سُلِّبتَ منه، أي إِنَّ المؤلّف والكاتب لا يملك الحقّ في تفسير ما كتبه من نصوص، لأنَّه بمجرد أن يخرج النص إلى الآخرين فهو كائن مستقلّ بذاته يتمتع بحرية مطلقة يكون القارئ لهذا النص حراً في تفسير ما يقرؤه، بشرط أن يعتمد في تفسيره على معطيات النص، كما أَنَّ معنى أو تفسير هذا النص يتعدد ويتنوع باختلاف القراء، واختلاف تفسيراتهم لهذا النص، هذه الفكرة البنوية أصبحت مخرجاً ذكيًّا ودبلوماسيًّا للكتاب والمؤلفين حين يطلب منهم أن يبيّنوا ما قصدواه من كتابتهم ونصوصهم»<sup>(٤)</sup>.

وقد تتبع الصغار الأغرار على تقرير هذا المبدأ، فهذا أحدهم يقول في مقال له بعنوان: (لا تحاول أن تفهم): «العلاقة مع النص الحديث لا تقوم على الفهم... فهم النص الحديث هو قتل له(!)»<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيفة البلاد، العدد: (١٦٠٥٧)، بتاريخ: ١٤٢١ / ٤ / ١٣.

(٢) صحيفة الرياض، العدد: (١١٥٥٦)، بتاريخ: ١٤٢٠ / ١١ / ٧ من مقال بعنوان: (النص والامتزاج باللغة) لنجوى هاشم.

(٣) هو محمود درويش، نقلت ذلك عنه الكاتبة أميرة الزهراني: مجلة اليمامة، العدد: (١٧١٠)، بتاريخ: ٤ / ٤ / ١٤٢٣ هـ (ص ١٧).

(٤) من مقال بعنوان (اغتيال القارئ) للكاتب: خالد عوض: صحيفة الجزيرة، العدد: (٩٤٦٤)، بتاريخ: ١٤١٩ / ١١ / ٩ هـ (ص ٢٢).

(٥) صحيفة المدينة، ملحق الأربعاء، بتاريخ: ١٤٢٥ / ٩ / ٢٦ هـ، (ص ١٦).

وإمعاناً منهم في المكر؛ أضافوا إلى الغموض والرمزيّة شرطاً آخر، وهو التقليل من شأن الوزن والقافية، بل الدعوة إلى إلغائهما وتجاوزها، ليتّبعوا المجال لكلّ من حمل قلماً أن يكتب ما يسمونه شعراً، وهو أقرب إلى الهذيان وكلام الكهان منه إلى الشعر والبيان، ذلك أنّ الشعر المففي والموزون لا يقدر عليه إلا القلائل من الموهوبين، وذلك يعوق غرضهم الذي يطمحون إليه.

والعجب أنّ هذه «الحداثة» التي ظهرت أول ما ظهرت في الغرب مع بداية القرن العشرين الميلادي، وازدهرت ما بين عامي ١٩٤٠ - ٣٥ م؛ قد ماتت بموت دعاتها الأوائل. والذين عاشوا من بعدهم تخلّوا عن أفكارهم الحداثية مع بداية الخمسينيات من القرن الماضي، ومنهم الشاعر الأميركي الكبير «أزرا باوند»، وهو الأب الروحي لما عُرف فيما بعد بقصيدة التشر<sup>(١)</sup>، ثم جاء هؤلاء في القرن العشرين لينقلوها إلينا لغرض في نفوسهم. بل إنّ بعضهم يرى أنّ نقطة البدء الحقيقة لما يسمونه زوراً بالتنوير كامنة في هذا الخطاب - خطاب الحداثة - الذي تَوَهَّج - حسب زعمهم - في ثمانينيات القرن الميلادي المنصرم<sup>(٢)</sup>.

يقول المستشرق البرتغالي «أرنولد شوبرت»: «تكاد أوروبا أن تكون نسيت هذه الفلسفة منذ نصف قرن من الزمان، بعدها فشلت ولاقت هجوماً من دعاة الأصالة، وإذا بالمثقفين العرب لا يزالون ينظرون لها، ويتمثلونها في رؤاهم وإبداعاتهم، وسرت فيهم إلى حدّ غير معقول! مع أنّ أوروبا اعترفت بأنّها موجة خاطئة، مليئة بالغوصى والعبث، وظهرت ردود فعل عنيفة من المفكرين والأدباء

(١) ينظر مقال بعنوان (الحداثيون العرب يسبحون في الرمال) للأديب ثروت أباطة، صحيفة الندوة، العدد: ١١٨٠)، بتاريخ: ١٤١٦/٤/١ هـ، (ص ٧).

(٢) ينظر مقال بعنوان (هل يتقدّم خطاب التنوير)، لمحمد محمود، صحيفة الرياض، العدد: (١٥٤٢)، بتاريخ: ١٤٣١/٤/٢ هـ.

الغربيين لمواجهة هذه الظاهرة التي رأوا أنها تسبّب الإضطراب في صفوف الأمة، وتفسد ذوقها، وتشوه إحساسها بالجمال، فضلاً عن نشر التفكّك في الألفاظ واللغة. ولذا عجبت أشدّ العجب عندما رأيت أحد المحاضرين في المؤتمر يدافع بشدة عما تخلّى عنه الغربيون أنفسهم وتنكّروا له، وقلت في نفسي: كيف وجدت هذه الدعوى الع比ّية صدى واسعاً عند العرب سدنة الأدب، والشعر خاصة. ولذا تعمدت قبل أن أرحل عن الوطن العربي أن أحذّر هؤلاء الأدباء من هذه الكارثة (الحداثة)، فما هي سوى (وباء أدبي) يمكن أن يقضي على كل شيء لو أتيح له الانتشار».

إلى أن قال: «ومن باب حبِّي للأدب والثقافة العربية والإسلامية؛ حذَّرت من هذه الموجة العبيضة التي تريد هدم الوجдан العربي وتدميره، وقتل روح الجمال التي هي سمة الأدب العربي والإسلامي على مرِّ العصور، وأنا أدعوكم جميعاً، رجالاً ونساءً، أن تقفوا صفاً واحداً في وجه التيارات والمذاهب التي تهَبُّ عليكم من كُلِّ جانب، من أجل الحفاظ على شخصيَّتكم الأصيلة التي شهد لها الشرق والغرب معاً»<sup>(١)</sup>.

وقد تبَّعَتْ رَدِحًاً مِنَ الزَّمْنِ مَا يَكْتُبُهُ هُؤُلَاءِ الْمُفْتُونُونَ مَمَّا يَسْمُونُهُ شِعْرًا حَدَائِيًّا، فللحظة ظاهرة لا تكاد تخطئها العين الباقرة فيما يهدون به، ألا وهي إفحام بعض النصوص الشرعية - ولا سيما نصوص القرآن - في هذينهم، بطريقة تدلّ على الاستخفاف والامتهان والسخرية، مما يدلّ على اتفاقهم على مثل هذا المنهج، لا سيما وأنَّهُم يحومون حول نصوص معينة من القرآن، وحتى لا أقع فيما أردت التحذير منه؛ فإني سأذكر أمثلة يسيرة على مثل هذا العبث والامتهان لنصوص القرآن لعلَّها تغنى عن غيرها، ولهم في ذلك مسالك، فمنها:

(١) مجلة الدعوة السعودية، العدد: (١٧١٧)، بتاريخ: ١٤٢٠/٨/٣ هـ (ص ٢٣).

- إيراد نصّ قرآنِي كامل، يقول أحدهم: «والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الممحزون. لقد رأيت يومها سفائن الإفرنج تغوص تحت الموج...» إلى آخر ما ذكر<sup>(١)</sup>. ويقول آخر: «التين والزيتون.. والسرور الدوالي.. المريمية في ظلال البرقال.. وريحة الليمون..» إلى آخر هذيانه<sup>(٢)</sup>.
- إيراد جزء من النصّ بدون مناسبة، وهذا كثير جداً في هذيانهم، يقول أحدهم تحت عنوان (إيقاعات): «إيقاع (١) كقلب طازج نتهيأً لبعض هواء، الهواء مرتش أحياناً...» إلى أن قال: «إيقاع (٤) وغلقت الأبواب وقالت..... إذن تعدّي أيتها القصيدة»<sup>(٣)</sup> إلخ.
- محاكاة النصّ مع تغيير جزء منه على سبيل السخرية، وهذا كثير أيضاً، يقول أحدهم - وهو غُرّ صغير - في هراء له بعنوان (وصيغ للحالمين!): «بيضاء بيضاء مثل قدوم تضفره أنفاس بجعة تأتين.. تثقبين صمت الشراف ودقًا..» إلى أن قال: «أعيد لخفقتي اللثغة.. قبل عشر.. لا تلثغ بالعنبر.. لا تمسلك بعصم الفواكه..»، إلى أن يقول: «وأدعك أحشائي بقرنفلة.. تنبت بالحب وصيغ للحالمين..»<sup>(٤)</sup>، وهو بذلك يحاكي قول الله - عزّ وجلّ - : ﴿وَلَا تُمْسِكُوُعَصِيمَ الْكَوَافِر﴾ [المتحنة: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءٍ تَبَتُّ بِالدُّهْنِ وَصَبَغَ لِلْكَلِيلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، عليهم من الله ما يستحقّون.
- التلميح إلى بعض نصوص القرآن بطريقة ساخرة، مع دمجها بلغة عامية سوقية، ومن ذلك قول أحدهم: «هل نسيت الذي جاء من آخر الرمل.. يحمل ساقية

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأمل دنقـل، (ص ٣١٩).

(٢) صحيفة الجزيرة، العدد: (٩٧٢٦)، بتاريخ: ١٤٢٠/٢/١، (ص ٢١).

(٣) مجلة اليمامة، العدد: (١٤٧٢)، بتاريخ: ١٤١٨/٥/١٢، (ص ٦٥).

(٤) صحيفة الجزيرة، العدد: (٨٧٠٤)، بتاريخ: ١٤١٧/٣/١٣، (ص ١٨).

تتصور من غربة..» إلى أن يقول: «كأن ليس في كلّ نخل الرياض، عصا كيديك.. لكي يتوكأ هذا الغريب عليها» وفي هذا إشارة إلى قصّة موسى - عليه السلام - ثم يواصل: «ويفضي إلى بقعة للبياض.. والذى كلّما طنّ في طبلة الأذن بعض الواقع.. أو نفح العصفور في الصور!» [يلاحظ التعریض بإسرائيل عليه السلام]، ويواصل: «أو رفت العين رفتها.. فتح القلب لك.. والذى هم - لولا تداركه...» وهنا إشارة إلى قصّة يونس - عليه السلام -، ثم يواصل هذيانه: «في غسق الماء أن يقتلك.. وقلبّتما تربة الأغنيات معاً.. حين أغفى محمداً..» هل هذه إشارة إلى نبينا محمد ﷺ؟ ثم يتبع ذلك بنصّ عامي سوقي: «يا محمداً.. يا مقمط.. يا عروق البيدجابة.. قالت أمه ليه.. ليه.. قال أبوه ..... عليه»، ومكان الفراغ كلمة ساقطة لا تليق إلا بأمثال هذا الكاتب العفن، فهل يليقربط اسم نبينا محمد ﷺ بمثل هذه الترهات؟. ثم يواصل هذيانه العفن: «أفما زلت في الجب.. ..... يطوفون بحثاً عن الذئب..»<sup>(١)</sup>، وفي هذا إشارة إلى قصّة يوسف - عليه السلام -. ففي هذا النص (الهذيان) مع دمجه بكلام عامي ساقط تعریض وسخرية بنصوص القرآن وقصصه التي قال عنها الحكيم العليم: «نَحْنُ نَقْصُ عَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ» [يوسف: ٣].

وقد كتب آخر قريباً من هذا الهذيان في نصف صفحة تقريباً، وببدأه بحرف من حروف الهجاء، وكأنه يحاكي القرآن في البدء في بعض السور بالحروف المقطّعة - وهذا كثير في أشعارهم -، ثم أورد أجزاءً من نصوص قرآنية في كلام أشبه بكلام الكهان، ثم ختم ذلك بقوله: «يلتحف الجريدة.. وينظم المعارف.. ويعزل الخيوط من ورق.. ودونما قلق يوزع الأرقام، ويسمع الزفير من بعيد..

(١) صحيفة الجزيرة، العدد: (٨٨٧٢٩)، بتاريخ: ١٤١٧/٩ هـ، (ص ٢١).

(حادي بادي.. سيدى محمد البغدادي.. شاله وحشه.. كلهم فـ هادى)»<sup>(١)</sup>.

وهكذا يمتهنون النصوص الشرعية، ويخلطونها بكلام عامي لا معنى له، سوى التنبيس عمما في صدورهم.

• محاكاة قصص القرآن ولا سيما قصة مريم - عليها السلام -، وقصة موسى - عليه السلام -، وهذا كثير في هذينهما.

أما قصة مريم فيرددونها كثيراً بتحويرها إلى معشوقهم ومن يخاطبون، ومن ذلك قول أحدهم: «وهزّي إليك بجذع السنين.. عليك يُساقط من رطب الأغانيات.. سلام عليك.. علي سلام..»<sup>(٢)</sup>. ويقول آخر: «وهزّي على غصون الأماني.. تساقط زهراً ندياً.. ففي مهد عشقك أولد.. أخرج نشا سوياً.. أحبك ما دمت حياً»<sup>(٣)</sup>. ويقول ثالث: «وهزّي جذع أشواقي.. ليسقط تمر أشعاري»<sup>(٤)</sup>. واضح اتفاقهم على محاكاة هذه القصة.

وأما قصة موسى - عليه السلام -، فيقول أحدهم: «تعبت من اتكائي في المسير.. على عصا شعر أهش بها على أحلامنا»<sup>(٥)</sup>. وتقول أخرى: «أمسك عصا العزوف.. أ.. ه.. ش.. [هكذا] بها على ألمي»<sup>(٦)</sup>.

والتركيز على هاتين القصتين، قصة مريم أم عيسى - عليه السلام -، وقصة موسى - عليه السلام - وعصاه وطور سيناء حيث كلامه الله، مع التعرض باسم محمد بالفاظ عامية؛ يشكّل بوجود علاقة بين هذا الهذيان الذين يسمونه إبداعاً، وبين كفرة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فليتأمل ذلك، والله تعالى أعلم.

(١) صحيفة الرياض، العدد: (١٠٦٩٢)، بتاريخ: ٦/١٤١٨هـ، (ص ٣٧).

(٢) صحيفة الرياض، العدد: (١٠٣٧٨)، بتاريخ: ١١/١٤١٧هـ، (ص ٩).

(٣) صحيفة الجزيرة، العدد (٨٧٤٤)، بتاريخ: ٤/٢٢١٤١٧هـ.

(٤) صحيفة الجزيرة، العدد: (٨٦٤٨)، بتاريخ: ١٦/١٤١٧هـ، (ص ٢٤).

(٥) صحيفة الرياض، العدد: (١٠٤٤٠)، بتاريخ: ١٤/١٤١٧هـ، (ص ٣٠).

(٦) صحيفة الرياض، العدد: (١١٣٢٣)، بتاريخ: ١١/٣١٤٢٠هـ، (ص ١١).

هذا ولم يكتفوا بانتهاك حرمة النص القرآني المقدّس، وابتذاله وامتهانه؛ بل أضافوا إلى ذلك النص النبوي، الشريف، يقول إحداهم: «نشرت الحب.. نشرت الحب.. وعن كثب.. تأملت طيورك والحمائم..» إلى أن يقول: «الحب.. والحب.. ثم تأتيك خمامساً.. فتعود بطاناً.. تعود متأملة مجيء الصبح.. أليس الصبح بقريب..»<sup>(١)</sup>. فهذه قد جمعت بين الكتاب والسنة!

وقد سبق أن هذه هي طريقة الملاحدة قديماً، لكنّهم كانوا أصرّح من هؤلاء، وأقوم ألسنة<sup>(٢)</sup>، أمّا هؤلاء فقد جمعوا بين الركاكة والواقحة والجرأة على انتهاك النصوص، وبين النفاق والتستر خلف الغموض والرمزيّة المغفرة، للإفلات من المحاسبة.

وقد سئل شيخ الإسلام - رحمه الله - عن قوم فيهم شبه من هؤلاء، فأجاب بوجهه، منها: «أن هذا الكلام.. كلام فاسد مفرداً أو مرکباً لأنّهم غيرروا فيه كلام العرب، وبدّلوه بما تمجّه القلوب والأسماع، وتنفر عنه العقول والطبع. وأمّا مرکباته فإنّه ليس من أوزان العرب، ولا هو من جنس الشعر، ولا من أبحره الستة عشر، ولا من جنس الأشعار والرسائل والخطب. ومعلوم أنّ تعلّم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤذبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي، ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابها، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصاً وعيّاً، فكيف إذا جاء قوم إلى الألسنة العربية المستقيمة والأوزان القوية فأفسدوها بمثل هذه المفردات والأوزان المفسدة للسان، الناقلة عن العربية العرباء إلى نوع الهذيان الذي لا يهذى به الأقوم من الأعاجم الطماطم الصميّان».

(١) مجلة اليمامة السعودية، العدد: (١٤٥١)، بتاريخ: ١٤١٧/٥/١٢هـ، (ص ٢٠).

(٢) من أشعارهم في ذلك قول أحدّهم محاكيًّا سورة الشمس:

قَسْماً بِشَمْسِ جَبِينِهِ وَضَحَاهَا      وَنَهَارٌ مَبْسَمٌ إِذَا جَلَاهَا  
إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ مَحَاكيًّا سُورَةَ الشَّمْسِ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ مَا يَسْتَحِقُ.

ثم ذكر وجهاً آخر، وهو: «أنَّ غالبَ هُؤلاءِ إِمَّا زنديقٌ منافقٌ، وَإِمَّا فاجرٌ فاسقٌ، وَلَا يكادُ يوجدُ فيهم مؤمنٌ بِرَبِّهِ، بلْ وُجُدَ حاذقُهُم مُنسلخًا من دينِ الإسلامِ، مضيئًا للصلواتِ، متبعًا للشهواتِ، لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرِّم ما حرمَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يدين دينَ المسلمينِ. وإنْ كانَ مسلماً كَانَ فاسقاً، مُرتكباً لِلمحْرَماتِ، تاركاً لِلواجباتِ، وإنْ كانَ الغالبُ عَلَيْهِمْ إِمَّا النفاقُ، وَإِمَّا الفسقُ...»<sup>(١)</sup>.

وصدق رحمة الله تعالى، فتأمل ذلك في حال حاذق هؤلاء وإمامهم، فقد كان نصيراً فتنّصّر.

بقي أن أشير إلى شبهة يتمسّك بها هؤلاء المفتونون، وهي أنَّ ما يقومون به لا يعدو أن يكون ضرباً من الاقتباس والتضمين، وذلك معروض في اللغة وأشعار العرب. والجواب عن ذلك أنَّ ما يفعلونه ليس من الاقتباس والتضمين في شيء، إذ إنَّ ذلك لا يكون إلا في كلامٍ بلينٍ مفهومٍ، وارتباطه بالكلام الذي أدمج فيه واضحٍ بينَ، كيف وقد اعترف مُنظّرونٌ لهم بمقدّسهم من هذا الغموض والرمز كما سبق.

ولهذا ذكر صفي الدين الحلبي<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - في شرح الكافية أنَّ الاقتباس من القرآن ينقسم ثلاثة أقسام:

- ١) محمود مقبول، وهو ما يكون في الخطب والمواعظ ونحو ذلك.
- ٢) مباح مبذول، وهو ما يكون في القصص ونحوها.
- ٣) مردود مذوب، وهو مثل ما يفعله هؤلاء<sup>(٣)</sup>.

(١) معجم الفتاوى: (٣٢/٢٥٣) بتصرف يسير.

(٢) هو عبد العزيز بن سرايابا بن علي بن أبي القاسم البلوي المفهوم صفي الدين الحلبي الطائي، توفي سنة تسع وأربعين وسبعينه. ينظر: الوافي بالوفيات للصفدي: (٦/١٧٢).

(٣) ينظر: شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: (ص ١٤٢).

وسئل ابن عقيل<sup>(١)</sup> - رحمه الله - عن وضع كلمات وأيات من القرآن في آخر فصول خطبة وعظية؟ فقال: «تضمين القرآن لمقاصد تصاهي مقصود القرآن؛ لا بأس به تحسيناً للكلام، كما يُضمن في الرسائل إلى المشركين آيات تقتضي الدعاية إلى الإسلام . فأما تضمين كلام فاسد فلا يجوز، ككتب المبدعة»<sup>(٢)</sup>.

وقد تنبه مجتمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر بمصر لمثل هذا العبث والهذيان، فأقرّ مجموعة جديدة من الضوابط الصارمة للاقباس من القرآن الكريم في الأعمال الأدبية لمنع حالة الفوضى في عمليات الاقتباس، والتي يضطرّ الأزهر حالها إلى منع هذه الأعمال من التداول، ويوصي بمصادرتها. حيث اشترط عدم اقتباس أجزاء من القرآن الكريم منسوبة إلى الأديب نفسه، وعدم اجتناء الآيات من سياقها، وعدم استخدامها في مواضع أو مواقف لا تليق بجلال القرآن وقدسيته، وأن يكون العمل الذي يستخدم فيه هذه الاقتباسات عملاً ذا قيمة أخلاقية، وبعيداً عن الإسفاف والامتهان<sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة الاقتباس المقبول من القرآن في الموعظة: قول أبي منصور عبد القاهر البغدادي<sup>(٤)</sup> - رحمه الله -:

يَا مَنْ عَدَا ثُمَّ اعْتَدَى ثُمَّ اقْتَرَفَ  
ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ ارْعَوَى ثُمَّ اعْتَرَفَ  
أَبْشِرْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ  
(إِنْ يَنْتَهُوا يَغْفِرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)

(١) هو علي بن عقيل بن محمد أبو الوفاء الظفري الحنبلي، أحد الأعلام، علمًاً ونقلًاً وذكاءً وفتناً، له كتاب الفنون في أزيد من أربعين إماماً مجلداً، مات سنة ثلث عشرة وخمسين هـ. ينظر: لسان الميزان لابن حجر: (٢٤٣ / ٤).

(٢) الآداب الشرعية والمنحو المرعية لابن مفلح: (٣٠٠ / ٢).

(٣) صحيفة الوطن السعودية، العدد: (٩٤٤)، بتاريخ: ٢٩ / ٢ / ١٤٢٤ هـ. وينظر: موقع إسلام أون لاين نت.

(٤) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي الإمام الكبير أبو منصور البغدادي الشافعي الفقيه الأصولي الأديب الشاعر النحوي، مات سنة تسعة وعشرين وأربعين هـ. ينظر: طبقات المفسرين للأدنوبي: (ص ١٠٩).

قال السبكي<sup>(١)</sup> - رحمه الله - بعد أن ذكر هذين البيتين: «في استعمال مثل الأستاذ أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره فائدة؛ فإنه جليل القدر، والناس ينهون عن هذا، وربما أدى بحث بعضهم إلى أنه لا يجوز، وقيل: إنما ذلك يفعله الشعراء الذين هم في كلّ وادٍ يهيمون، ويثنون على الألفاظ وثبة من لا يبالي، وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين، وقد فعل هذا»<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلته من الشعر الحديث - شعر التفعيلة - قول أحد الشعراء الإسلاميين: (سماء «جروزني» غضب!! .. وأيامها مثل قلبك موارة باللهمب!!.. ووحدك تأثر للكبراء.. بدنيا مشاعرها من خشب..) إلى أن يقول: (فتبت يدا كلّ قلب جبان.. وتبت يدا كلّ باع وتب)<sup>(٣)</sup>، وهو اقتباس في غاية الروعة.

ومن الاقتباس الجائز: ما يكون في علم القراءات، مثل قول صاحب الشاطبية:

ومالك يوم الدين (ر) او يه (ن) ااصر      وعند سراط والسراط ل قبلاء<sup>(٤)</sup>

وكذلك في منظومات المتشابه اللغطي للقرآن، مثل قول الناظم:

وجاء إيليس أبي واستكيرَ فيها وفي ص (أبي) ما ذُكِرا<sup>(٥)</sup>

فمثل هذا ليس فيه امتهان للنص القرآنى، بل فيه فائدة جليلة تتنوّع بتنوّع غرض الناظم، والله تعالى أعلم.

(١) علي بن عبد الكافي بن تمام بن حامد بن يحيى بن عثمان بن علي بن مسواري الشافعى السبكي العلامة تقى الدين أبو الحسن الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولي النحوى، توفي سنة ثلاط وثمانين وستمائة. ينظر: المصدر السابق: (ص ٢٨٦).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (١٣٩ / ٥).

(٣) للشاعر د. سعيد شوارب، نشرت في المجلة العربية، عدد شهر ذي القعدة ١٤٢٠ هـ (ص ٨٢).

(٤) متن الشاطبية: (ص ١٨).

(٥) التوضيحات الجلية شرح المنظومة السخاوية في متشابهات الآيات القرآنية: (ص ٧).

إن النص القرآني - كما يقول أحد الباحثين<sup>(١)</sup> - «نص استثنائي ينبغي التعامل معه بحیطة وحذر، وإلا سوف نسيء إلى قدسيته ونراحته وتعاليه، ولا سيما أنه كلام الله - عز وجل - الذي لا يضاهيه أية كلام كيما كان قائله أو قيمته الدلالية والجمالية، وما أكثر الشعراء الذين وقعوا في مأزق الإساءة إلى ما هو قرآن، إما عن وعي منهم، أو عن لا وعي».

**الصورة الثانية:** الدعوة إلى تفسير النص وفهمه فهماً «عصرياً»! منقطعاً تماماً عن فهم السلف! وهو ما يدعون إليه من يدعون - زوراً - العقلانية والتنوير،<sup>(٢)</sup> وهؤلاء مشكلتهم أصلاً ليست مع فهم النص وتفسيره، وإنما مشكلتهم مع النص نفسه، فهم لا يريدون للنص الشرعي - كتاباً وسنة - أن يكون له سلطان حقيقي على الحياة بناء على فكرهم العلماني التغريبي، ولذا يقول أحدهم في مقال له بعنوان (معركة النصوص)<sup>(٣)</sup>: «احترام النص وتقديسه لا يعني بأي حال من الأحوال إقحامه في كل سياق، والتشدد به في كل مقال، وحشده في كل قضية، والمناداة به في كل خصام. بل قد يكون مثل هذا أقرب إلى العبث منه إلى الاستدلال والتحقيق...».

وهكذا تقلب الحقائق، ويصبح الاستدلال بالنصوص الشرعية في كل قضية عبثاً، أو أقرب إلى العبث عند هؤلاء، والله - عز وجل - يقول: ﴿فَإِن تَتَّرَعَّثُ فِي شَيْءٍ فَرَدُودُهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ مُّنْوَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فيا للعجب!

(١) هو التجاني بولعواي في مقال له بعنوان: (مزالق التناقض مع النص القرآني)، مجلة الفوانيس الإلكترونية.

(٢) ليس المقصود الأساس هنا مناقشة أصحاب هذه القراءات بالتفصيل والرد عليهم وتنفيذ شبهم ودعواهم، فقد تولى ذلك الكثير من العلماء والباحثين. (ينظر: القراءات المعاصرة للقرآن الكريم لمحمد كاللو: (ص ٣٩)، فقد ذكر الكثير منهم)، ولكن المقصود هنا بيان أن مثل هذه القراءات تعدّ امتهاناً متعمداً للقرآن أو شبه متعمد.

(٣) صحيفة الرياض، العدد: ١٣٤٢٩، بتاريخ: ٢١/٦/١٤٢٦هـ.

ثم يختتم مقاله الطويل بتقرير مذهبه الفاسد فيقول: «أخيراً، لا بد من التأكيد على أن كل هذه المواقف التي يمكن أن يتسامح فيها مع المعركة النصوصية، لا بد أن يتزامن معها في السياق الاستدلالي نفسه قدر من التغيير النوعي في آلية القراءة للنصوص محل البحث؛ كشرط ضروري للتقليل - قدر المستطاع - من سلبية هذه المعركة التقليدية . لا بد أن تكون معركة في النصوص، ومعركة في العقل في وقت واحد، ويبقى الهدف الاستراتيجي بعيد المدى خلق آليات قراءة حديثة، نابعة من تصور عقلاني حديث»، فهي دعوة إلى إعادة قراءة النصوص قراءة حديثة كما يزعم، قراءة حديثة علمانية تخدم توجّهاتهم المشبوهة، نابعة من تصوّرات عقولهم، التي ترى تهميش النصوص الشرعية بقدر الإمكان، وعند تعذر ذلك، فلا مانع من تأويل هذه النصوص تأويلاً منكراً تذرّعاً بقراءة حديثة عقلانية!.. ولعمر الله إن هذا لهو العبث بالنصوص وامتهانها، وتغريغها من محتواها ومعانيها الشرعية الصحيحة، وسيأتي الحديث بإذن الله عن حقيقة تصوّرهم العقلاني الحديث.

يقول أحد الباحثين<sup>(١)</sup>: «إن القراءة الحديثة تسعى إلى تقديم قراءة تختلف عن القراءة المتوارثة إلى حد إعلان القطيعة مع تفاسير المتقدّمين، مما جعل أصحابها يستعملون في عملية القراءة مناهج منقولة عن الحضارة الغربية، هي عين المناهج التي تستعمل في تحليل النصوص أيّاً كانت، وعلى رأسها النظريات الغربية في تحليل النصوص ونقدّها، ونظريات التأويل والقراءة دون اعتبار لخصوصية النص القرآني باعتباره وحيّاً».

(١) عمر أهمو الباحث في القراءات المعاصرة من حوار بعنوان: (النص القرآني يواجه التهميش بتاويلات البشر)، موقع إسلام أون لاين. وينظر: القراءة الجديدة للنص الديني (الباطنيون الجدد والقراءة المتهافتة للنص الديني) للدكتور عبد المجيد النجار.

وانتطلاقاً من فكرتهم هذه - وهي تقديم فهم عصريّ جديد للنصوص كما يزعمون - طالب أحدهم<sup>(١)</sup> بالكفّ عن الاحتجاج بالتفاسير المعروفة عند أهل السنة، إذ يرى أنها جنت جنابة عظمى على القرآن - حسب زعمه - لأنّها صرفت الناس عن مطالعة النصّ والاستماع إليه، وما يجديه ذلك من هداية.

أمّا الحلّ في نظره فيكون كما يقول في: «إعادته إلى طبيعته الثورية التحرّرية الأولى!، والخطوة الأولى - بزعمه - هي إزالة هذه الغشاوات، كلّ الغشاوات التي أضيفت عليه بالتفسير والمفاهيم اللاهوتية، بحيث يعود القرآن كما أنزل على محمد».

والغشاوات التي يقصدها هي ما كتبه الأئمّة الأعلام في تفسير القرآن، إذ يقول: «وهذه التفاسير التي تحمل أسماء مقدّسة، إن لم تكن موثّنة! مثل ابن جرير الطبرى، وابن كثير، والقرطبي.. تعدد قدس الأقدس، وهناك عشرات الآلوف من الشباب السذج! المتحمّس الذي يفضل الموت الزؤام على المساس بها، ووراءهم الأئمّة الأعلام الذين لا يتردّدون في الإفتاء بتکفير من يريد الخلاص من هذه التفاسير، أو يرون في هذا مؤامرة على الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

ويقول آخر: «إنّ تحرير التجديد من أبعاده الماضوية! شرط أولى لممارسة العملية التجددية في الدينى! والمدنى! على حدّ سواء..»<sup>(٣)</sup>.

فهم إذاً يريدون التخلّص من تفاسير السلف (الماضوية)، ليفسّروا القرآن بما يتوافق مع أهوائهم وتوجّهاتهم، وهيهات أن تفرّط الأمة في تراثها استجابة لهؤلاء الشذّاذ. نعم؛ نحن لا ندعوا إلى تقديس تلك الكتب والتفاسير، ولا نرى العصمة

(١) هو جمال البنا في كتابه ثوير القرآن.

(٢) ثوير القرآن: (ص ٢٠٦).

(٣) من مقال بعنوان: (معركة النصوص)، صحيفة الرياض، العدد: ١٣٤٢٩، تاريخ: ٢١/٢/١٤٢٦هـ.

لأصحابها، ولا نمانع كذلك من نقد بعض ما فيها بالدليل الشرعي إذا صدر ذلك من أهل التخصص، أمّا أن نتخلص منها، ونلغيها فهذا ضرب من ضروب الإقصاء والتطرف، وهو لا يقل عن التطرف الذي أشاروا إليه من تقديس تلك الكتب وتوثيقها إن وجد.

أمّا ما تهدف إليه هذه القراءة الجديدة فهي – كما يقول أحد الباحثين<sup>(١)</sup> – تهدف أساساً إلى نزع القدسية عن القرآن الكريم حتى تتحرر من أيّ ضوابط وقيود في عملية القراءة، وقد سلكوا في ذلك ثلاث خطط:

**الأولى:** خطة «الأنسنة»، والغاية منها رفع عائق القدسية عن القرآن الكريم بالتسوية بينه وبين الكلام الإنساني. وفي هذا يقول أحدهم نافياً إلهية النص القرآني<sup>(٢)</sup>: «إنَّ القول بإلهية النصوص والإصرار على طبيعتها الإلهية تلك يستلزم أنَّ البشر عاجزون بمناهجهم عن فهمها ما لم تتدخل العناية الإلهية بوهب البشر طاقات خاصة تمكّنهم من الفهم». وهو كلام في غاية الخطورة، وهو يفضي إلى جعل القرآن نصاً لغويَاً لا يختلف عن النصوص البشرية الأخرى. بل إنَّهم تجرؤوا إلى التشكيك في الوحي ذاته، للتوصّل إلى نفيه، وربطه بالشعر والكهانة، كما يقول هذا الكاتب نفسه: «لقد كان ارتباط ظاهري (الشعر والkehane) بالجنّ في العقل العربي وما ارتبط بهما من اعتقاد العربي بإمكانية الاتصال بين البشر والجنّ هو الأساس الثقافي لظاهرة الوحي الديني ذاتها»<sup>(٣)</sup>. وهذا الارتباط الذي يتحدث عنه، وينسبه إلى ما أسماه بـ«العقل

(١) هو البروفيسور طه عبد الرحمن من مقال له بعنوان: (الآيات القرآنية والقراءات الحداثية) منتدى الحكمة للتفكير والباحثين. وينظر: (النص القرآني يواجه التهميش بتاويلات البشر) حوار مع عمر أهemo (مراجع سابق). وقد ذكر البروفيسور طه هذه الخطط الثلاث مختصرة، وتوسّعُ فيها.

(٢) هو ناصر أبو زيد في كتابه نقد الخطاب الديني: (ص ١٩٧).

(٣) مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن: (ص ٣٤).

العربي» قد ورد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَنْتُ كُوْكُعَالَ مَنْ تَنَزَّلُ الْتَّشَيْطِينَ \* تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَاكِ أَثِيمٍ \* يُلْقُوْنَ السَّمَعَ وَأَكَتْرُهُمْ كَذِبُونَ \* وَالشُّعَرَاءَ يَتَعَاهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٤]، وهكذا يربط بين الخرافية والوحى.

وبعضهم لم يتجرأ على نفي الوحي صراحة أو التشكيك فيه، لكنه شكك - بأسلوب ماكر لا يخلو من تقية - في سلامه النص القرآني من النقص والتحريف، وأنه «من الجائز أن تحدث أخطاء حين جمعه زمان أو قبل ذلك»، وأن الآيات الواردة في إثبات النسخ: «جملتها تؤكّد حصول التغيير في القرآن»<sup>(١)</sup> هكذا يزعم مشككاً في إجماع الصحابة - رضي الله عنهم -، ومناقضاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

الثانية: خطّة «التعقيل» أو «العقلنة»، والغاية منها تجاهل الجانب الغيبي في أي قراءة، واستعمال المناهج الغربية الحديثة في القراءة، وما يرافق ذلك من إطلاق سلطة العقل في التأويل والقراءة، وقد أدى ذلك إلى إنكار المعجزات الواردة في الكتاب والسنة، وتفسيرها تفسيراً مادياً منكراً، فمعجزة انسقاق القمر التي جاءت في القرآن الكريم فسرّها أحدهم بظاهرة الخسوف المعروفة، وكأنّ مشركي قريش لا يعرفون الخسوف، ولا يفرقون بين المعجزة الخارقة، والظاهرة الكونية المعتادة!!<sup>(٢)</sup> فأي عقل وأي منطق يقبل مثل هذا التفسير المتهافت؟!. وهكذا يؤولون سائر المعجزات بحجّة (العقلنة)!. بل إنّ هذه العقلنة أدّت عند بعضهم إلى إنكار الكثير من المسلمات القرآنية والشرعية والعقدية، وعدّها «تصورات أسطورية» حيث

(١) مدخل إلى القرآن الكريم لمحمد عابد الجابري: (٢٣٢ / ١).

(٢) ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم للجابري: (ص ١٨٩)، وقد حاول إيهام القارئ بطريقة ماكرة أنّ هذا القول اختياره ابن عاشور رحمة الله، وابن عاشور قد نصّ على أنها معجزة، ينظر: التحرير والتنوير:

.(٤٢١٨ / ١)

يتحدث أحدهم<sup>(١)</sup> ساخراً عن تمسك الكثيرين «بصورة الإله الملك بعرشه وكرسيه وصولجانه (!) ومملكته وجنوده الملائكة، وكذلك الشياطين والجن والسجلات التي تدوّن فيها الأعمال...». والأخطر من ذلك - كما يقول - «التمسك بحرفية صور العقاب والثواب وعذاب القبر ونعيمه ومشاهد القيامة والسير على الصراط...» إلى آخر ما ذكر. فماذا أبقيت عقولهم بعد هذا من الثواب والمسلمات؟!.

الثالثة: خطة «الأرخنة»، (تاريخية النص)، والغاية منها ربط النص القرآني بالمكان والزمان اللذين نزل فيهما، ورفض القول بأنّ في القرآن الكريم أحكاماً ثابتة وأزلية، أي لا ترتبط صلاحيتها بزمان ومكان. فهذه التاريخية تهدف إلى «ربط النصوص ببيئة الجغرافية والطبيعية والبشرية والقبائلية لشبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، مما كان ممكناً خلال القرن السادس والقرن السابع، غير معقول بالنسبة للقرن الحادي والعشرين، فتصبح دلالات الألفاظ مرتبطة بعهد التنزيل، فيتنفي مفهوم الحقيقة الثابتة والمعنى الصواب، ليُفتح المجال لتعدد المعاني وتتجددها بحسب ما يميله تجدد المعايير والقيم»<sup>(٢)</sup>. ويضربون لذلك مثلاً بالحدود الشرعية، كالجلد والصلب والقتل والرجم، فيرون أنّها ليست أحكاماً قرآنية؛ أي لم ينشئها القرآن، وإنما هي أحكام مستعارة من الثقافات والتقاليد السابقة، من اليهودية والقانون الروماني، وربما من تقاليد أقدم. ويزعمون أنّ هذه العقوبات ليست أهدافاً مرادة لذاتها؛ لأنها تنتهي - كما يقول أحدهم<sup>(٣)</sup> - إلى زمن لم يكن يمكن التمييز فيه بين المجرم والإنسان

(١) هو نصر أبو زيد في كتابه النص، السلطة، الحقيقة: (ص ١٣٥).

(٢) ينظر: قضايا في نقد العقل الديني لمحمد أركون: (ص ٢١٠)، ومقال بعنوان (القراءات الحديثة للنص القرآني) للصباحي عتيق، شبكة الحوار نت الإعلامية.

(٣) هو نصر حامد أبو زيد في حوار مع إذاعة هولندا العالمية بعنوان: (أزمة الإسلام الحداثي) بتاريخ: ٢٠٠٦/١٠/٢، ترجمة: محمد عبد الرءوف.

العادى؛ إلا بإحداث هذه الآثار والعلامات فى الجسم، أمّا في زماننا هذا فيوضع المجرم خلف أسوار السجون».

ثم يقول: «على المسلمين أن يميزوا بين هذه العقوبات (التاريخية)، وبين (العدل)؛ الذي هو الهدف والغاية، وهو مبدأ جوهري سار في القرآن كله».

وتطرّف بعضهم فوصف هذه العقوبات بالوحشية البغيضة! <sup>(١)</sup>.

وبشكل عام يصف أحدهم هذه القراءة بأنّها: «تنزع إلى قراءة القرآن بلغة حديثة (علممنة)! انتزعت من قاموسها غلاف التقديس والتعالي» <sup>(٢)</sup>. وهو ما يعبّرون عنه بـ«علمنة المعرفة»، حيث إنّ أصحاب هذه القراءات يعتمدون العلمانية منطلقاً فكريّاً لهذه «الحفيّيات المعرفية» كما يسمّونها. والعلمانية عندهم مسار لازم للمرور إلى مرحلة العقلنة. فالعلمنة التي جاءت بها الوضعيّة الماديّة - كما يقول أحد الباحثين <sup>(٣)</sup> - «هي الخطوة الأولى عندهم لتأسيس المرحلة الحديثة للتاريخ البشري كما يزعمون، وتحريره من بعد الغيبي. والعلمانية تشمل جوانب التفكير، والثقافة، وإلغاء سلطة المؤسسة الدينية، والحليلة دون تدخلها في توجيه الحياة السياسيّة، ليتحول المجتمع إلى مصدر أعلى للقيم والأخلاق».

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، حين صرّح <sup>(٤)</sup> بما يحمل به، فقال إنّه «يحلّ بقراءة حرّة! إلى درجة (التشرد)! و(التسكّع)! في كل الاتجاهات، لأنّها قراءة تجد فيها كلّ ذات بشرية نفسها سواء أكانت مسلمة أو غير مسلمة!!».

(١) ينظر: الإسلام والحرية، الالتباس التاريخي لمحمد الشرفي: (ص ٨٩).

(٢) إلياس قويسم من مقال له بعنوان: (تشتّت النّص القرآني بين الثقافة التقليدية والحداثة العلمية!), موقع الملتقى الفكري للإبداع!.

(٣) هو الكاتب والباحث التونسي الصبحي عتيق، ينظر: القراءات الحديثة للنص القرآني.

(٤) هو محمد أركون في كتابه: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: (ص ٧٦).

وأقول: إن كان هذا ما يحلمون به ويهدفون إليه، فماذا بقي للقرآن الكريم من قيمة وقداسة! .

والحقيقة أن هذه القراءة الحداثية ليست جديدة، وإنما هي قديمة وجدت أصولها في كتابات المستشرقين الأوائل أمثال «أرنست رينان»، و«جاك بيرك»، و«وسيلفر ساسي»، و«ريجس بلاشير»، وغيرهم، بدءاً من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وحتى الثلث الأخير من القرن العشرين، وكانوا قد وضعوا منهاجاً تم تطويره لنقد ما يسمى بالكتاب المقدس عندهم (التوراة والإنجيل وكتب أخرى تلحق بهما)، وقد حقّقوا في ذلك نتائج باهرة، مما جعلهم يظنون أنّهم بوسعيهم تطبيق هذا المنهج على القرآن الكريم لتحقيق نتائج مماثلة<sup>(١)</sup>، وهذا هم شرعوا في ذلك، وقد سهل عليهم أن يتهموا بهذه المحرمات أكثر مما يسهل علينا اليوم - كما يقول أحد الباحثين العرب<sup>(٢)</sup>، ويعزو ذلك إلى «أنّ العقل العلمي آنذاك كان في أوج انتصاره في أوروبا، إضافة إلى دعمه من قبل الهيمنة الاستعمارية التي رافقته».

ثم يقول: «ولكنّ هؤلاء المستشرقون [هكذا] أخذوا فيما بعد بالتراخي والتراجع كرّ فعل لصعود الأصولية الإسلامية المتشدّدة، ومن مبدأ أنّ هذه المعركة يجب أن يخوضها المسلمون أنفسهم، ولن نقوم بخوضها عنهم بالوكالة».

إذاً فالمسألة لا تعود أن تكون حرّياً بالوكالة يقوم بها بعض أبناء المسلمين ممّن أسماؤهم تبدأ بـمحمد وأحمد وجمال... نيابة عن المستشرقين الحاقدين الذين فشلوا في مشروعهم لإسقاط النص القرآني المبين. لكنّ هؤلاء الأبناء العاقّين وإن كانوا أكثر حذراً وأقل صراحة، إلا أنّهم أكثر مكرًا ودهاءً وتلوّناً كونهم يعيشون في

(١) ينظر: ندوة عنية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، المحور الخامس: دفع الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم: (ص ٥١٢).

(٢) هو حمزة رستناوي من مقال له بعنوان: (أرغون والقراءة التاريخية للنص القرآني)، مجلة الحوار المتمدن، العدد: (١٢٥٨).

أوساط المسلمين، ويقيسون ردود الأفعال الصادرة من حولهم، ويعزفون على بعض الأوتار الحساسة. ولعل هذا هو السر في انخداع بعض الأغراط بهم.

وعلى الرغم من كثرة الجهود التي بذلوها من كتب وبحوث ودراسات ومحاضرات وندوات... إلّا أنّهم واجهوا ما واجهه أساتذتهم من المستشرقين الغربيين، من الفشل الذريع في تحقيق أهدافهم، حيث تصدّى لهم نخب من الباحثين الأحرار الذين لم تتلوّث فطرهم ولم تتشبّع بالأفكار الغربية المادية «العلمانية»، فكشفوا زيف ما يدعون إليه. وهذا ما صرّح به أحدّهم<sup>(١)</sup>، فقد ذكر أنّ جهودهم قد وصلت إلى «حائط مسدود»، وأنّ أمر غالبيتهم قد انتهى إلى التعامل مع القرآن بطريقة انتقائية؛ فهم يستحضرون فقط الآيات التي تلائم مقاصدهم، ويتجاهلون تلك التي لا تلائم مع هذه المقاصد، حيث إنّ القرآن - كما يقول - يحتوي على العديد من الآيات التي يصعب أن تتفق مع المعايير الدولية للديمقراطية الحديثة وحقوق الإنسان. فالقرآن يجيز الرق، ويجيز عقوبات قروسطية<sup>(٢)</sup> مثل قطع يد السارق، وفرض الجزية على غير المسلمين، كما يمارس التفرقة ضد المرأة في عدة مواضع، مثل منحها نصف ما يحصل عليه الرجل في الميراث! ويتجاهل هذه الآيات «غير الديمقراطية» بالقرآن، فإن الإصلاحيين - كما يسمّيهم - حرموا أنفسهم من فرصة الرد على الأصوليين السلفيين الذين يصرّون على تطبيقها، وهذا هو مكمن الفشل الإصلاحي حالياً حسب رأيه.

ثم يوضح ذلك قائلاً: «أعتقد أنّ حركة الإصلاح قد وصلت لطريق مسدود. فطالما ظلّ القرآن بمعزل عن النقاش (!)؛ فليس هناك من طريق للخروج». وهذا هو مربط الفرس عندهم.

(١) هو نصر أبو زيد في حوار له مع إذاعة هولندا العالمية (مرجع سابق).

(٢) نسبة إلى القرون الوسطى المظلمة في الغرب، وهي رمز للتخلّف والانحطاط عندهم.

وقد صدر قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورته السادسة عشرة بدبي من ٣٠ صفر إلى ٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، في الحكم على هذه القراءة الجديدة، فرأها: «بدعة منكرة، وخطراً جسيماً على المجتمعات الإسلامية وثقافتها وقيمها»<sup>(١)</sup>.

وإنه لمن المؤسف أن يكون بعض كفار قريش وصناديدهم أعقل من هؤلاء وأكثر إنصافاً للقرآن الكريم على الرغم من كفرهم ومعاداتهم للدعوة، ويحضرني في هذا المقام قول أحد صناديد المشركين - وهو الوليد بن المغيرة - لما سمع بعض آيات القرآن، فقال قوله المشهورة: «والله إنّ له لحلوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمعدق، وإنّ يعلو ولا يعلى عليه، وإنّ ليحطم ما تحته، وما يقول هذا بشر»<sup>(٢)</sup>.

فتتأمل قول هذا المشرك: «وإنّ يعلو ولا يعلى عليه، وإنّ ليحطم ما تحته»، ثم تأمل تشكيك هؤلاء المفتونين بقدسية النص القرآني وسلامته من التحريف. والدعاة إلى التعامل معه كمنتج ثقافي، أنتجه واقع بشري تاريخي، أي أنه قابل للنقد والتحليل، عندها ستدرك الفرق.

بل إنّ بعض كبار أساتذتهم من المستشرقين الغربيين قد شهدوا - على مضض - بسلامة النص القرآني وتعاليه.

يقول المستشرق الألماني «نولدكه» في كتابه تاريخ القرآن: «لقد جاء النص القرآني على أحسن صورة من الكمال والمطابقة».

ويقول المستشرق الإنجليزي «لين بول» أستاذ الدراسات العربية بجامعة دبلن: «إنّ أكبر ما يمتاز به القرآن أنه لم يتطرق شئ إلى أصالته؛ إنّ كل حرف فيه نقوءه اليوم نستطيع أن نثق بأنه لم يقبل أيّ تغيير».

(١) ينظر كامل القرار في: القراءات المعاصرة للقرآن الكريم لمحمد كالو: (ص ٣٠٦).

(٢) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير: (٣/٦١)، وتاريخ الإسلام للذهبي: (١/٣٧).

ويقول «وليم ميور» - وهو من أشد المתחاملين على الإسلام - في كتابه «حياة محمد»: «فعلّه - أي القرآن الكريم - هو الكتاب الوحيد في الدنيا الذي بقي نصّه محفوظاً من التحريف».

ويقول «هانس كونج» مدير معهد أبحاث تطوير الكنائس المسيحية التابع لجامعة «توبنجن» بجنوب غرب ألمانيا الاتحادية: «إن القرآن قد استطاع أن يحتفظ بمحتواه عبر تطورات التاريخ والبلاد والأجيال بشكل يثير الإعجاب، ولم يتغير فيه شيء عن الأصل»<sup>(١)</sup>.

هذه هي بعض اعترافاتهم وشهاداتهم، وهي لم تصدر إلا بعد جهود مضنية للبحث عن ثغرة ينفذون منها للتشكيك في صحة هذا النص المقدس، لكنهم لم يجدوا شيئاً. فللهم الحمد والمنة.

**الصورة الثالثة: الاستشهاد بالنص القرآني أو إقحامه في الكلام التشيكي بطريقة هي أقرب إلى الهذيان والاستخفاف والسخرية، مع ما في ذلك من تحويل النص ما لا يحتمل، ومن الأمثلة على ذلك:**

يقول أحدهم في مقال ساخر له بعنوان (هل انتحر فعلاً): «كان الشاب صيداً ثميناً لمخابرات الرفاق.. فهو خائن من جهة، ومستودع معلومات للطرف الآخر، وعندما قام بزيارة أهله أطلع والده على ما حصل، فارتजّ الوالد رعباً وقال: يابني لقد جئت شيئاً إداً، تقاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الرجال هداً، ولقد أوقعتنا في ورطة كبيرة...»<sup>(٢)</sup> إلى آخر ما ذكر، فهو في هذا المقال الساخر قد أقحم نصاً قرآنياً عظيماً من كتاب الله، جاء في سياق تعظيم الرّب سبحانه وتعزيزه

(١) ينظر مقال بعنوان (القرآن الكريم ودعوى تحريفه) للدكتور جمال الحسيني أبو فرحة، موقع:

محمد ﷺ.

(٢) صحيفة الوطن السعودية، العدد: ١١١٢، بتاريخ: ٢٠/٨/١٤٢٤هـ.

عن الولد، ومطلع هذا النص قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِتَحْذِّرَ الَّرَّحْمَنَ وَلَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِرَبِّكَ أَنْ يَتَحَذَّرَ لَدَّا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٢]؛ وهو نص ترتجف من هوله القلوب، وتقشعر لجلاله الأبدان، وهذا الكاتب قد أقحمه بلا مسوغ سوى الامتنان والابتذال، وإن ادعى حسن القصد.

وفي مقال له آخر بعنوان: (قصة الغراب والشعبان وابن آوى) ساق قصة طويلة صدرها بقوله (يُحكى)، ولا أدرى من أين أتى بها، ثم ختم القصة بقوله: «وكان الغراب ينتظر هذه اللحظة الرائعة، فألقى القلادة الذهبية فوق رأس الشعبان البارز، فرأه الناس فأقبلوا إليه يزفون ضرباً بالعصي والأحذية، حتى أهلكوه، فأصبح أثراً بعد عين، وارتاح الغراب ونجحت خطة ابن آوى، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون»<sup>(١)</sup>. الشاهد قوله ﴿وَتَلَكَ الْأَمْثَلُ نَضَرَ بِهَا النَّاسِ ۚ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا عَالَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]! فهو نص قرآنی مبين، فهذا الكاتب قد أنزل نفسه منزلة الخالق سبحانه، وأنزل قصته التي لم يذكر مصدرها منزلة أمثال الله تعالى التي يضربها في القرآن، فأي امتنان لآيات الله أعظم من هذا الامتنان!، وأي استخفاف أعظم من هذا الاستخفاف!

وأشنع منه؛ ما ذكره في مقال له بعنوان (المتعة العقلية) بعد أن أقحم عدداً من النصوص القرآنية في مقاله شبه الساخر، إلى أن قال: «وبوذا<sup>(٢)</sup> لم يصل إلى النرفانا لولا مجاهدة النفس» ثم ساق الآية: ﴿وَالَّذِي تَجَهَّدُوا فِي نَهَارِيْنَهُمْ سُبْلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحَسِّنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]! فما علاقة هذه النص الكريم ببودا المعبد من دون الله!! أليس هذا من العبث بالنصوص وامتنانها؟!

(١) صحيفة الوطن السعودية، العدد: (١١١٣)، بتاريخ: ٢١/٨/١٤٢٤هـ.

(٢) بودا صنم (إله) يعبد الروشنيون في شرق آسيا وغيرها.

ويبدو أنّ هذا الكاتب - وهو يُعدّ، بل يُعدّ نفسه من نخبة النخبة - قد اعتاد هذا الأسلوب، فلا يكاد يخلو مقال له من إفحام نصّ قرآنی أو أكثر بمثل هذه الطريقة الساخرة وهذا الامتهان السافر، والأدھى من ذلك أنّه اتهم من أسمائهم بالمتدينين بأنهم لا يحسنون الاستشهاد بالآيات القرآنية في «وجه جماعة الحداثة» كما يقول، وأنّها «تدخل النقاش نفقاً مسدوداً»، ثم دعا في خاتمة مقاله إلى «استنقاذ النصّ من أيدي الجهلة!!»<sup>(١)</sup>.

وسُئلَ أديبٌ آخر من أهل الحداثة: هل سبقك السياّب؟ (وهو أحد روّاد الحداثة الأوائل). فأجاب: «السابقون السابقون.. أولئك المقربون(!!)»<sup>(٢)</sup>. وهذا نصّ قرآنی كريم من سورة الواقعة، يراد به المؤمنون السابقون إلى الخيرات، وهم أعلى أصنف الجنّة كما جاء في مطلع سورة الواقعة، وإفحامه في مثل هذا الكلام عن الأدب، وأدب الحداثة على وجه الخصوص (!) يشي بالامتهان إن لم يكن المقصود السخرية والاستهزاء.

والأمثلة على هذا النوع من الامتهان للنصّ القرآنی كثيرة في كتابات بعض الكُتاب والإعلاميين، ولا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل.

**الصورة الرابعة: إِنْزَال النَّصْوصِ الْوَارِدَةِ فِي الْكُفَّارِ وَالْمَنَافِقِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالدُّعَوَةِ وَالدِّينِ.** وهذا من أعجب الأمور، وهو كما قالت العرب: (رمتني بدائها وانسللت)<sup>(٣)</sup>، وهذا في الأصل من صفات الخوارج، فقد روى البخاري في صحيحه تعليقاً عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنّه قال في الخوارج: (إنهم انطلقوا

(١) ينظر مقال له بعنوان: (استعصاءات عقلية)، صحيفة الوطن السعودية، العدد: (٣٦٥٦)، بتاريخ: ٢٤/١٠/١٤٣١هـ، (ص ٣٤).

(٢) مجلة اليمامة السعودية، العدد: (١٤٠٩)، بتاريخ: ٢٩/١/١٤١٧هـ، زاوية ٥٠ × ٥٠.

(٣) هذا مثل يضرب لمن يعيّر أحداً بشيء هو فيه، أو هو يعمله. ينظر: معجم الأمثال العربية القديمة لغفيف عبد الرحمن: (٢/٥٣٤).

إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين<sup>(١)</sup>، وقد سلك هذا المسلك الإمامية (الرافضة) مع صحابة رسول الله ﷺ فوضعوا لهم قاعدة نسبوها إلى أحد أئمة آل البيت حيث يقول: «ما من آية نزلت تقود إلى الجنة، ولا تذكر أهلها بخير، إلا وهي فيما وفي شيعتنا. وما من آية نزلت تذكر أهلها بشرّ، ولا تسوق إلى النار، إلا وهي في عدوّنا ومن خالفنا..»<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك - على سبيل التمثيل لا الحصر - ما روى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد<sup>(٣)</sup> - رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَاتُلُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦]، قال: «نزلت والله فيهما وفي أتباعهما، وهو قول الله - عز وجل - الذي نزل به جبرائيل على محمد ﷺ: (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا من نزل الله في علي سنتكم في بعض الأمر)...» إلى أن قال: «وكان معهم أبو عبيدة، وكان كاتبهم، فأنزل الله: ﴿أَفَأَبْرَأُ مِنْ أَمْرًا فِي إِنَّا مُبِرْمُونَ \* أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سَرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠، ٧٩]<sup>(٤)</sup>.

وقد سلك هذا المسلك أيضاً بعض متطرفي الحداثة التي تمثل الوجه الآخر والمقابل للفكر الغالي المتطرف، ففي مقال لأحدهم بعنوان: (التفكير وإشكالية الوصاية)<sup>(٥)</sup>، عرض فيه بالسلفية التي يسمّيها (التقليدية)، يقول: «إن ما نراه في الخطاب التقليدي - السائد ثقافياً على المستوى الشعبي (!) خاصة

(١) ذكره البخاري في كتاب استتابة المرتد़ين، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجّة عليهم.. (ص ١٤٥٤). ووصله الطبرى في تهذيب الآثار بسنده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (إن ٢٨٦ / ١٢).

(٢) الكافي، كتاب الروضة: (٣١٩٥٥)، الرواية برقم: (٦). وعدوّهم كما هو ظاهر من روایاتهم. الخلفاء الثلاثة الأول ومن اعتقاد خلافتهم وترضى عنهم.

(٣) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو عبد الله المدنى الصادق الإمام المعروف، مات سنة ثمان وأربعين ومائة. ينظر: تهذيب الكمال للمزري: (٥ / ٥، ٧٤، ٧٥).

(٤) الكافي، كتاب الحجّة، باب فيه نكت ونحو من التنزيل في الولاية: (١، ٣١٧، ٣١٨) الرواية برقم: (٤٣).

(٥) صحيفة الرياض: العدد: (١٣٠٦٥)، بتاريخ: ١١ / ٢ / ١٤٢٥ هـ.

- من محاولة التقليدية البهاء - المتلبسة بصيانة الأعراف والتقاليد و.. إلخ - فرض الوصاية على أعين الناس، وعلى آذانهم، وألسنتهم وأقلامهم ليس بدعاً في سلوك المنظومة التقليدية أيًّاً كانت طبيعتها، فهي - دائمًا - تسعى لتعطيل هذه الحواس التي هي نوافذ العقل، ومنها يستمد العقل مادته وتجتهد لتنقيتها في أتباعها بفرض الوصاية عليها ليصبح الناس - إذا تعطلت لديهم فاعلية هذه الحواس ومن ثم تعطل العقل - كالأئمَّةِ بل هم أضلُّ وهذه الحال شعر الأيديولوجي التقليدي أو لم يشعر متهى الأماني لديه». فهو يرى أن تحصين الناس من الأفكار المضللة، وحمايتهم منها، ضرب من ضروب الوصاية، ويرى أن ترك الناس بلا تحصين كافٍ ليعتنقوا مثل أفكاره المنحرفة التي يدعو إليها، ويدافع عنها، لذا فهو يرى أنّ: «مفردات من نوع (الإرشاد/ التوجيه/ الرعاية الفكرية/الأمن الفكري/ التحصين ضد الأفكار الهدامة/ مروجي الشبهات/ التغريب/ البرامج الهاابطة/ العهر الفضائي)»<sup>(١)</sup> مفردات تستخدمها الثقافة التقليدية (السلفية) في وقوفها ضد الفكر الحديث (يعني فكره الحداثة) وصدق والله، فهو تحصين ضد الأفكار الهدامة ومرجعي الشبهات من أمثاله، وهذا هو سرّ عدائهم للسلفية.

والشاهد هنا من مقاله تنزيل الآية التي وردت في الكفار وهي قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ دَرَأَنَا لِلْجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانَ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَقْعَدُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبَصِّرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذْنَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

أنزلها في الناس السلفيين الذين يفرض عليهم السلفي (التقليدي) - كما يزعم هذا الكاتب - وصايتها.

(١) المصدر السابق.

وفي مقال له بعنوان: (من صور التطرف والاعتدال)<sup>(١)</sup>، سخر فيه من بعض ناصحيه من أهل العلم، وأثنى فيه على بعض رموز التغريب؛ لم يكتف بآية واحدة، بل ثَنَّى بآيتين، إحداهما قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهِرُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ هُوَ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٥]، اقتصر على آخرها، وقد أنزل لها فيمن يراهم ضحايا للمدرسة السلفية، وأطلق عليهم (الأبرياء المذنبون) إذ يجري - بزعمه - توظيفهم من حيث لا يشعرون(!)، يقول: «في الغالب لا يكون التوظيف مباشراً ومقصوداً، بل تفعل المنظومة التي يجري الترويج لها فعلها بقوة الدفع الذاتي فيها، دون أن يشعر بنوها أنهم في طغيانهم يعمهون»(!).

ثم يختتم مقاله باتهام الناصح له بأنه تكفيري، وأنزل عليه آية نزلت في المنافقين، يقول: «أَتَذَكَّرُ كُلُّ هَذَا وَأَقُولُ: صدق الله العظيم القائل: ﴿لَوْ يَجِدُونَ رَبَّهُمْ مُّدَخَّلًا لَّوْلَآءِ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبه: ٥٧]، وهكذا يرمي كل من اختلف معه تارة بالآيات التي نزلت في الكفار، وتارة بالآيات التي نزلت في المنافقين، ثم يرميهما بتهم التكفير والإرهاب!!!!، فأي إرهاب فكري أعظم من هذا الإرهاب؟!، مع امتهان النصوص القرآنية بإنزالها على غير من نزلت فيه.

وفي مقال له بعنوان: (الاتصال والانفصال بين الدين والمدنى)<sup>(٢)</sup>، يذكر فيه إشكالية العلاقة بين الدين والمدنى عنده هو، وعلى عادته في التعريض بخصوصه من أهل العلم، وتنزيل الآيات التي في الكفار عليهم، يقول: «حل الإشكال يتم من خلال الوعي بدرجة تعقيده، لا بتبسيطه أو تجاهله في سبيل الأدلة الماكرة ب أصحابها قبل أن تمكر بغيرهم، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال» وهذه آية من سورة إبراهيم نزلت في المشركين، فجعلها في خصومه المؤمنين!!!.

(١) صحيفة الرياض: العدد: (١٣٢٨٢)، بتاريخ: ٢١/٩/١٤٢٥هـ.

(٢) صحيفة الرياض: العدد: (١٣٣٢٤)، بتاريخ: ٤/١١/١٤٢٥هـ.

والعجب أن كاتبًا آخر من كتابهم كتب مقالاً في الصحيفة نفسها بعنوان: (الشيخ السعدي وميافيز قيا اللغة)<sup>(١)</sup>، اتهم فيه الشيخ العلامة المفسّر عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - بإذلال الآيات الواردة في أذى المشركين والكافر للمؤمنين الصالحين، على قومه الذين ثاروا عليه وأذوه، وعد الكاتب ذلك معضلة، وأن الشيخ - رحمه الله - أخطأ طريق الإصلاح (!).. أمّا عنوان كتاب الشيخ السعدي الذي انتقده هذا الكاتب النكرة فهو: (الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات الوثنية المتشرّة في قضاء الظفير)، ويلاحظ من خلال هذا العنوان أنّ القوم الذين أنزل الشیخ السعدي عليهم الآيات ذوو خرافات وثنية، أي أنّهم أهل شرك وخرافة، ولو أنّ هذا الكاتب بدلاً من التنقيب في كتب الأئمة الأعلام، واتهامهم بما هم منه براء؛ نظر إلى كتابات زميله في الصحيفة الذي نقلت بعض مقالاته آنفًا، وهو يقوم بتنزيل الآيات التي نزلت في الكفار والمنافقين في هذا الزمن على المختلفين معه من أصحاب العقيدة السلفية؛ لو أنّه نظر إلى هذه الكتابات، لوجد فيها ضالته التي أراد إنكارها، إن كان هذا هو مراده حقًا، لكنه عمّي عن الجذع في عينه وعين زميله، وأبصر الذرّة في عين غيره، بل أبصر الوهم، فيا الله العجب كيف يفكّر هؤلاء، وكيف يحكمون!!.

والأعجب من ذلك أنّ الكاتب الأول نفسه الذي تولّى كيّر هذه الخطيئة كتب مقالاً بعنوان (الوحدة الاستراتيجية في التحالف الإرهابي)<sup>(٢)</sup>، اتهم فيه بعض علمائنا الأجلاء بأنّهم ينزلون الآيات التي نزلت في المنافقين على أساس يعترفون بأنّهم أبناء مجتمعنا (!!). ثم يقول: «نسمع ونقرأ مثل هذا، ثم نسأل من أين يأتي التكفير..؟» وهو الذي ما فتئ في مقالات كثيرة ينزل الآيات التي نزلت في المشركين واليهود والمنافقين على هؤلاء العلماء الأجلاء وغيرهم من عامة السلفيين<sup>(٣)</sup>، فالحمد لله الذي جعله يحكم

(١) صحيفة الرياض، العدد: (١٣٠٥٨)، بتاريخ: ٤/٢/١٤٢٥هـ.

(٢) صحيفة الرياض، العدد: (١٣٨٥٦)، بتاريخ: ٥/٥/١٤٢٧هـ.

(٣) حقيقة الأمر أنّ أحد طلبة العلم قام ب النقد هذا الكاتب والتنبيه على خططيته هذه، وأرسل إليه نسخة من

على نفسه بأنه تكفيري جلد، بل خارجي كما ذكر في مقال له بعنوان (بيانات التطرف وبيان الاعتدال)<sup>(١)</sup>، بأن هذه الصفة من صفات الخوارج المارقين، ولا شك بأن هذه الفئة الليبرالية الاعتزالية الضالة، خارجة مارقة عن جماعة المسلمين في هذا البلد السلفي الأمين، وهي الوجه الآخر للخوارج المارقين من الدين.

**الصورة الخامسة: الاستشهاد الخاطئ بالنص، أو ذكره بالمعنى استخفافاً، مع سهولة الوصول إليه، لا سيما مع التطوير التقني والفنى، وقد يلتمس العذر لمن يرتجل الكلمة في محفل أو محاضرة أو درس، لكن ما عذر غير المرتجل كالكتاب وأمثالهم ممن لديهم الفرصة للوصول إلى النص كاملاً بلا زيادة ولا نقصان ولا تحريف، ولو بسؤال بعض الحفاظ؟!.. فلا تفسير لذلك إلا التساهل والاستخفاف بالنص، مما يعرضه للامتهان والتحريف.**

وقد نصّ العلماء على تحريم روايته بالمعنى مثل أن يقول القائل: قال الله .. ثم يذكر الآية بالمعنى، أو يسوقها أثناء حديثه مستشهدًا ولو لم يقل قال الله، وهذه المسألة يذكرها العلماء في التفريق بين القرآن والحديث القدسي، فيقولون: إنَّ الحديث القدسي تجوز روايته بالمعنى أَمَّا القرآن فلا تجوز.

قال الزرقاني - رحمه الله - : «وصفوة القول في هذا المقام أنَّ القرآن أُوحِيتُ ألفاظه من الله اتفاقاً، وأنَّ الحديث القدسي أُوحِيتُ ألفاظه من الله على المشهور، والحديث النبوى أُوحِيتُ معانِيه في غير ما اجتهد فيه الرسول والألفاظ من الرسول، بيد أنَّ القرآن له خصائصه من الإعجاز، والتَّعبُّدُ به، ووجوب المحافظة على أدائه بلغظه ونحو ذلك، وليس للحديث القدسي والنبوى شيء من هذه الخصائص. والحكمة في هذا التفريق: أنَّ

النقد، فلما رأَاهَا قلبُ الأَمر على خصوصِه من العلماء والدعاة، لكنَّه لم يزدَد إلَّا فضيحة، فقد حكم على نفسه كما أشرت دون أن يشعر.

(١) صحيفة الرياض، العدد: (١٢٨٦٣)، بتاريخ: ١٤٢٧ / ٥ / ١٢ هـ.

الإعجاز منوط بـألفاظ القرآن، فلو أبىح أداؤه بالمعنى لذهب إعجازه، وكان مظنة للتغيير والتبديل واختلاف الناس في أصل التشريع والتنزيل، أمّا الحديث القدسي والحديث النبوي فليست ألفاظهما مناط إعجاز، ولهذا أباح الله روایتهما بالمعنى ولم يمنحهما تلك الخصائص والقداسة الممتازة التي منحها القرآن الكريم تخفيفاً على الأمة، ورعاية لمصالح الخلق في الحالين من منح ومنع، إن الله بالناس لرعوف رحيم»<sup>(١)</sup>.

وفيما يلي أمثلة من الواقع:

تقول إحدى الكاتبات في مقال لها بعنوان (جُرْبْ أن تكون الآخر)<sup>(٢)</sup> – وقد خلّطت بعض النصوص ببعضها الآخر –: «يريدون التمسّك بمقولة أنّ الكافر هو مصطلح جاء في القرآن من دون النظر لأي مناسبة جاءت، وتتجاهل آيات السلم والسلام والمحبة، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولا ينهاكم الله أن تبروا الذين لم يقاتلوكم!». هكذا خلّطت النصوص وحرّقتها دون تمييز، وهي تريّد قوله تعالى: ﴿وَوَسَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، وقوله تعالى: ﴿لَا يَنَهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيْرِكُمْ وَلَا قَسْطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]. فذكرتهما بالمعنى بهذا الأسلوب الغريب الذي ينمّ عن الاستخفاف والتعالي.

وكاتب آخر كتب يتحدّث عن اليهود، وعدم قدرتهم على المواجهة العسكرية في مقال له بعنوان: (ههنا قاعدون)<sup>(٣)</sup>، وهو مقال جيد في الجملة، لكنّه وقع في خطأين فادحين، أحدهما: تحريف النّص القرآني! . والثاني: الخطأ في الاستشهاد به، مع وضوح المعنى من السياق.

(١) مناهل العرفان: (٣٨ / ١).

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، العدد: (٩٧١٦)، بتاريخ: ٥ / ٧ / ٢٠٠٥ م.

(٣) صحيفة الرياض، العدد: (١١٠٨٦)، بتاريخ: ١١ / ٧ / ١٤١٩ هـ.

يقول: «وإحدى القدرات الأخاذة: قدرتهم على المراوغة التفاوضية (ادع ربك يبین لنا ما لونها) وكأنهم غير قادرين على دعاء الله بأنفسهم. (إنا نريد أن نأكل منها) و(نعلم أن قد صدقنا وعده)»، هذا نصّ كلامه.

فأماماً تحريفه للنص القرآني، فهو قد ذكر الآية الأولى وأسقط منها كلمة، وتماماً **﴿أَدْعُ لِنَارَبِكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا لَوْنَهَا﴾** [البقرة: ٦٩]. ثم زاد في الجزء الأول من الآية الثانية ما ليس منها، وفصل بينها وبين الجزء الثالث منها، مع تحريفه، وإهمال الجزء الثاني من النص. وتماماً النص وصوابه بلا زيادة ولا تحريف: **﴿قَالُواْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** [المائدة: ١١٣]. فقارن بين النص الصحيح، وما ذكره هذا الكاتب.

وأماماً الخطأ الواضح في الاستشهاد، فهو قد خلط بين قوم موسى وقوم عيسى عليهما السلام، مع أن حديثه عن قوم موسى، فالنص الثاني يتحدث عن قوم عيسى وطلبهم من نبيهم أن ينزل عليهم مائدة من السماء، ولا علاقة لها بقصة موسى، والقصة واضحة لا تستدعي هذا الخلط من كاتب مسلم مثقف.

وكاتبة أخرى «أعيتها» الوصول إلى النص القرآني، فساقته بالمعنى منبهة لذلك!!، قالت: «لذا قال الله تعالى بما معناه في كتابه الكريم: (ولن تعدلوا).. وإن لم تعدلوا فواحدة!!<sup>(١)</sup>. فالنص الأول صوابه: **﴿وَلَنْ تَسْتَطِعُو أَنْ تَعْدِلُو﴾** [النساء: ١٢٩]، وصواب النص الثاني: **﴿فَإِنْ خَفْتُمْ أَلَا تَعْدِلُو فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَكُنْهُ﴾** [النساء: ٣]، واستدلالها بهذين النصين في مقام واحد فيه تناقض لا يخفى، فإن مفهوم العدل في الآيتين مختلف كما فرر ذلك أهل التحقيق من المفسّرين<sup>(٢)</sup>.. وكان في وسع الكاتبة أن ترجع إلى المصحف وإلى أقوال المفسّرين، ولكن..

(١) صحيفة الرياض، العدد: (٨١٧٠)، تاريخ: ١٩ / ٤ / ١٤١١ هـ.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: (٨٨٧ / ١).

والمقصود أن النص القرآني ليس كغيره من النصوص، فلا تجوز روایته بالمعنى لجلاله وقدسيته كما سبق. وكثير من هؤلاء «المفكرين» والكتاب يحفظون أقوال بعض فلاسفة الغرب ومفكريهم، ويستشهدون بها نصاً دون أن يخرموا منها شيئاً، فإذا أرادوا الاستشهاد بالنص القرآني - مع قلة استشهادهم به، وأحياناً عدم اعترافهم به إلا فيما يخدم توجّهاتهم - أعيادهم ذلك، فيلجئون إلى مثل هذه الطرق في الاستشهاد دون مراعاة لجلال النص القرآني وقدسيته، أو إدراك لخطورة ما يقومون به.

**الصورة السادسة: التشكيك في النص القرآني، بادعاء نقصه أو بتحريفه لفظاً أو معنى، وهذا إنما صدر من طائفتين تتسبّبان إلى الإسلام، الأولى سبق الحديث عنها مفصلاً، وهي التي تدعى الحداثة و«العقلانية». والثانية: هي الطائفة الإمامية الاثنا عشرية، لا سيما الغلاة منهم، وفيما يلي بعض الأحاديث والأثار والأخبار التي ينسبونها إلى أئمة أهل البيت - رضي الله عنهم - مما فيه زيادة أو نقص أو تحريف أو تشكيك، وسائل تصر على ما جاء في كتاب الكافي للكليني الذي هو أصح الكتب عندهم<sup>(١)</sup>:**

- فاما التشكيك، فقد أخرج الكليني عن حمّاد بن عثمان قال: تلوت عند أبي عبد الله (ع): ﴿دَوَّا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، فقال: «(ذو عدل منكم)، هذا مما أخطأ فيه الكتاب»<sup>(٢)</sup>.

وهذه القراءة من القراءات الشاذة، بل إنّ معنى الآية يختلّ بها، إذ إنّ العدد هنا مراد، ولذا لم يذكرها عامّة مفسّري أهل السنة. والمنكر في هذه الرواية ادعّاء خطأ الكتاب على القراءة الصحيحة!!.

(١) لا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ هناك طائفة من الإمامية لا يعتقدون صحة كلّ ما جاء في كتاب الكافي وغيره من كتبهم، وطائفة أخرى يعتقدون صحة كلّ ما جاء فيها، وهم المقصودون هنا. (ينظر: العقل عند الشيعة الإمامية لرشدي محمد عرسان، وينظر: الفروق بين الشيعة الأصولية والشيعة الإخبارية، موقع شبكة الدفاع عن السنة).

(٢) الكافي، كتاب الروضة: (٣/٦٢٠)، الرواية برقم: (٤٧٤).

- وأئمَّا الزيادة، فقد أخرج الكليني، عن ابن فضال، عن الرضا (ع): (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِيْتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودِ لَمْ تَرُوهَا) قلت: هكذا؟ قال: «هكذا نقرؤها، وهكذا تنزيلها»<sup>(١)</sup>.

والقراءة المعروفة في هذا الموضع والتي في مصاحف المسلمين: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِيْتَهُ وَعَلَيْهِ﴾ [التوبه: ٤٠]. ولم يقرأ أحد من المسلمين بهذه القراءة التي ذكروها، بل هي مخالفة لرسم المصحف. وعامة المفسرين من أهل السنة ذكروا في مرجع الضمير في قوله (عليه) قولين، أحدهما: أنه عائد إلى النبي ﷺ، وهو قول جمهور المفسرين، وجمع من المحققين. والثاني: أنه عائد إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، وهو مروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -<sup>(٢)</sup>، واختاره جماعة من المفسرين<sup>(٣)</sup>.

وكم من الشيعة الإمامية يشكّون في صحبة أبي بكر - رضي الله عنه - للنبي ﷺ في الهجرة وفي الغار، وأعجب من ذلك أن بعضهم - ممن أثبتتها - يرى أن استصحاب النبي له في الهجرة، حذراً منه لثلا يُظهر أمره!!! وقد أجاب عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله: «وأيضاً فمعلوم أن أضعف الناس عقلاً لا يخفى عليه حال من يصحبه في مثل هذا السفر الذي يعاديه فيه الملايين هم بين أظهرهم ويطلبون قتلهم. وأولياً لهم هناك لا يستطيعون نصره، فكيف يصحب واحداً من يظهر له مواليه دون غيره! وقد أظهر له مع هذا حزنه، وهو مع ذلك عدو له في الباطن! والمصحوب يعتقد أنه وليه! وهذا لا يفعله إلا أحمق الناس وأجهلهم، فقبّح الله من نسب رسوله الذي هو أكمل الخلق عقلاً وعلمًا

(١) المصدر السابق: (٢١٦٢ / ٣)، الرواية برقم: (٥٧١).

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٢٦٣ / ٧)، والرواية معلولة الإسناد، في سندها راوٍ متهم بالكذب.

(٣) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي: (ص ٤٦٤)، وأنوار التنزيل للبيضاوي: (ص ١٤٦)، وأحكام القرآن لابن العربي: (٢ / ٩٥١)، ومعاني القرآن الكريم للنحاس: (٣ / ٢١٠).

وخبرة إلى مثل هذه الجهالة والغباء. ولقد بلغني عن ملك المغول (خدا بنده) الذي صنف له هذا الرافضي كتابه هذا في الإمامة، أنّ الرافضة لما صارت تقول له مثل هذا الكلام: إنّ أبا بكر كان يبغض النبي ﷺ، وكان عدوّه، ويقولون مع هذا إنّه صحبه في سفر الهجرة الذي هو أعظم الأسفار خوفاً؛ قال كلمة تلزم عن قولهم الخبيث وقد برأ الله رسوله منها... فقال: (كان قليل العقل)، ولا ريب أنّ من فعل ما قالته الرافضة فهو قليل العقل، وقد برأ الله رسوله وصديقه من كذبهم، وتبين أنّ قولهم يستلزم القدر في الرسول»<sup>(١)</sup>.

قلت: ولعل هذا ما حملهم على وضع هذه القراءة المخالفة لمصاحف المسلمين، لاحتمال عود الضمير في (عليه) إلى أبي بكر - رضي الله عنه -، فثبتت له الفضيلة، ولا سيما أن هذا القول مروي عن علي وابن عباس - رضي الله عنهمَا -، وهما من أئمّة أهل البيت، والله تعالى أعلم.

وأخرج الكليني أيضاً عن محمد بن مروان قال: تلا أبو عبد الله (ع): (وتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ (الحسنى) صِدْقاً وَعَدْلًا) فقلت: جعلت فداك، إنما نقرؤها: ﴿وَتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلًا﴾؟ [الأنعام: ١١٥] فقال: «إن فيها الحسنى»!<sup>(٢)</sup>. وهذه زيادة لا توجد في مصايف المسلمين.

وأخرج الكليني أيضاً عن أبي بصير في قصة طويلة أنَّ رسول الله - صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - قرأ: {سَأْلَ سَائِلٍ بَعْذَابٍ وَاقِعٍ لِكَافِرِينَ (بِولَايَةِ عَلِيٍّ) لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ}. قال: قلت: جعلت فداك إِنَّا لَا نَقْرُؤُهَا هكذا. فقال: «هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمدٍ، وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة ع»<sup>(٣)</sup>.

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشععة والقدرية: (٤/٢٥٥، ٢٥٦)، باختصار يسمى.

(٢) الكافي، كتاب الروضة: (٣/٦١٢٠)، الرواية برقم: (٩٤٦).

<sup>٣)</sup> المصدر السابق: (١٩٦٩/٣)، الرواية برقم: (١٨).

• وأما التحريف في المعنى، فقد أخرج الكليني، عن فيض بن المختار قال: أبي عبد الله، كيف تقرأ: ﴿وَعَلَى الْثَلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبه: ١١٨]؟ قال: «لو كان (خلفوا) لكانوا في حال طاعة، ولكنهم خالفوا: عثمان و أصحابه. أما والله ما سمعوا صوت حافر، ولا قعقة حجر، إلا قالوا: أوتينا. فسلط الله عليهم الخوف حتى أصبحوا»<sup>(١)</sup>.

وهذا التفسير الذي نسبوه زوراً إلى أبي عبد الله - رضي الله عنه - هو في غاية الغرابة، من جهة الغموض في قوله (و أصحابه)، ومن جهة إقحام عثمان - رضي الله عنه - في هذه الآية، وهي باتفاق أهل السنة إنما نزلت في الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومراة بن الربيع - رضي الله عنهم - وكلهم من الأنصار.

وقد صرّح الإمامي «علي أكبر» في تعليقه على هذه الرواية أن المراد بصحابيه: أبو بكر و عمر، فقال ما نصّه: «يدلّ هذا الخبر على أنّ أبي بكر و عمر و عثمان كان قد وقع منهم أيضاً تخلف عند خروج النبي - صلى الله عليه وآله - إلى تبوك، فسلط الله عليهم الخوف في تلك الليلة حتى إذا ضاقت عليهم الأرض برحبها وسعتها، وضاقت عليهم أنفسهم لكثره خوفهم وحزنهم، حتى أصبحوا ولحقوا بالنبي - صلى الله عليه وآله -، واعتذروا إليه»<sup>(٢)</sup>. وما ذكره هذا المعلق من جملة مفتريات الشيعة الإمامية على سادات الصحابة وعلى الأئمة.

وأما القراءة المذكورة (خلفوا) فقد ذكرها بعض مفسّري أهل السنة، وهي مروية عن بعض السلف<sup>(٣)</sup>. لكنّهم لم يقولوا إنّ المراد بها عثمان و أصحابه.

(١) المصدر السابق: (٣/٢٦١)، الرواية برقم: (٥٦٨).

(٢) الروضة من الكافي، تصحیح علي أكبر الغفاری: (١/٣٧٧).

(٣)قرأ بها: علي بن الحسين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق كما في هذه الرواية، وأبو زرين، وأبو مجلز، والشعبي، وابن يعمر، ينظر: روح المعاني للألوسي: (٤١/١١)، وزاد المسير لابن الجوزي: (ص ٦١٠).

والقراءة المشهورة عند أهل السنة كما في المصحف (خلفوا) أي خلفوا عن التوبة كما فسر ذلك أحد الثلاثة الذين خلفوا وهو كعب بن مالك، ففي حديثه الطويل في الصحيحين قال في آخره: «وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا؛ بتخليفنا عن الغزو، وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه، فقبل منه». وإن كان فعلهم يعد مخالفة لأمر النبي ﷺ. فلا تعارض بين القراءتين. لكن المنكر في هذه الرواية - رواية الكافي - إigham عثمان رضي الله عنه، وصاحبيه أبي بكر وعمر، ووصفهم بالجبن والخوف، وهذا من تحريف المعنى !!

هذه بعض الروايات التي وردت في كتابهم الكافي عن المعصومين عندهم، وفي الكتاب أضعاف مثل هذه الروايات<sup>(١)</sup>، وهذا على سبيل التفصيل، أمّا على سبيل الإجمال، فهم يرون أنّ هذا القرآن الذي بين أيدينا لا يمثل سوى ثلث القرآن الذي أنزله الله - بزعمهم -، فقد أخرج الكليني عن أبي عبد الله (ع) قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل (ع) إلى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية»<sup>(٢)</sup>. والذي بين أيدينا اليوم لا يتجاوز الستة آلاف ومائتي آية إلا قليلاً! ومع ذلك لم يسلم هذا الثلث من طعنهم وتشكيكهم.

فإن قيل: فأين ذهب الباقي؟ فالجواب عندهم أنّ علياً - رضي الله عنه - قد أخفاه!!، فقد أخرج الكليني عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله (ع) وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأها الناس، فقال أبو عبد الله (ع): «كف عن هذه القراءة. اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام القائم

(١) ينظر في نقد متون هذا الكتاب وبيان تناقضاته: هذا هو الكافي لطه الدليمي، وفي نقد أسانيده ومتونه: كسر الصنم لآية الله أبي الفضل البرقعي.

(٢) الكافي: (١/٨٢٦)، برقم: ٢٩.

قرأ كتاب الله - عزّ وجلّ - على حده». وأخرج المصحف الذي كتبه علي (ع) وقال: أخرجه علي (ع) إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: «هذا كتاب الله - عزّ وجلّ - أنزله الله على محمد ﷺ، وقد جمعته من اللوحين». فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه. فقال: «أما والله ما ترونـه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه»<sup>(١)</sup>. لهذا السبب - المزعوم - أخفى عليّ - رضي الله عنه - حسب زعمهم القرآن الحقيقـي، وكتمه عن الناس حتى يقوم قائمـهم المنتظر القابـع في سرداب سامراء. ولكن هل يجوز لعليّ - رضي الله عنه - أن يفعل ذلك مع ما جاء من الوعيد الشديد فيما نـكتـمـ ما أنـزلـ الله؟ هذا ما افترـوهـ عليهـ، وـهـمـ يـظـنـونـ آنـهـمـ أـحـسـنـواـ إـلـيـهـ. بلـ هـذـاـ ماـ اـفـتـرـوهـ عـلـىـ اللهـ - عـزـ وـجـلـ -، فـإـنـ اللهـ إـنـمـاـ أـنـزلـ الـكـتـابـ لـيـهـتـدـيـ بـهـ النـاسـ إـلـىـ قـيـامـ السـاعـةـ، فـيـ جـمـيـعـ الـعـصـورـ، لـأـيـخـفـيـ عـنـهـمـ، فـلـاـ يـطـلـعـ عـلـيـهـ إـلـاـ جـيلـ أـوـ جـيـلـ، فـأـيـ اـفـتـرـاءـ عـلـىـ اللهـ أـعـظـمـ مـنـ هـذـاـ الـافـتـرـاءـ؟ـ!ـ.

هـذـاـ مـاـ تـيـسـرـ لـيـ جـمـعـهـ مـنـ صـورـ الـامـتـهـانـ الـمـتـعـمـدـ أوـ شـبـهـ الـمـتـعـمـدـ، وـأـوـدـ أـنـ أـشـيـرـ إـلـىـ أـمـرـ مـهـمـ، وـهـوـ أـنـ مـنـ تـصـدـرـ مـنـهـ مـثـلـ هـذـهـ الصـورـ لـيـسـ بـالـضـرـوـرـةـ أـنـ يـكـونـ كـافـرـاـ، فـإـنـهـ قـدـ يـكـونـ جـاهـلاـ أـوـ مـتـأـوـلـاـ فـلـاـ يـحـكـمـ عـلـيـهـ بـالـكـفـرـ حـتـىـ تـقـوـمـ عـلـيـهـ حـجـّـةـ اللهـ.

(١) المصـدرـ السـابـقـ: (١/٨٢٥)، بـرـقمـ: (٤٢).

## المبحث الثاني

### (صور الامتحان غير المتعبد)

إن تعظيم النص القرآني وإجلاله واحترامه - وما يتبع ذلك من احترام الوعاء الذي كتب فيه هذا النص -، وصيانته والعناية به، أمر واجب على كل مسلم. قال إبراهيم النخعي - رحمه الله - «كان يقال: عظموا القرآن»<sup>(١)</sup>. وقال النووي - رحمه الله -: «أجمع المسلمين على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق، وتزييه وصيانته»<sup>(٢)</sup>. وقال في موضع آخر: «أجمع المسلمين على وجوب صيانة المصحف واحترامه»<sup>(٣)</sup>.

وقال القاضي عياض<sup>(٤)</sup> - رحمه الله -: «من استخف بالقرآن، أو بالمصحف، أو بشيء منه... فهو كافر بإجماع المسلمين»<sup>(٥)</sup>. ومراده تعمد ذلك.

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يرى أن حرمة المصحف أعظم من حرمة المسجد، وعلل ذلك بأن المسجد يدخله المحدث، ويدخله الكافر، بخلاف المصحف فلا يحل للكافر ولا المحدث أن يمسه<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: (٨٥٣).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن: (ص ٩٨).

(٣) المصدر السابق: (ص ١١٢).

(٤) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو القاضي العلامة المعروف عالم المغرب، أبو الفضل اليخصي السبتي، اشتهر اسمه وذاع صيته، وله العديد من المصنفات المشهورة، مات سنة أربع وأربعين وخمسماة. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: (٤/ ١٣٠٤).

(٥) الآداب الشرعية: (٢/ ٢٩٧).

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى: (١١/ ٢٨٨).

وعلى الرغم من تعظيم عامة المسلمين لهذا القرآن العظيم وتكريمه؛ إلا أنّ هذا التعظيم والتكرير قد يفضي أحياناً إلى شيء من الامتنان والابتذال، من غير قصد، ولذلك صور عدّة خصّصت لها هذا البحث، منها ما هو متعلق بالنصّ ذاته، ومنها ما هو متعلق بكتابته ورسمه، ومنها ما هو متعلق بالوعاء الذي يكتب فيه.

### المطلب الأول: (صور الامتنان المتعلقة بالنّص ذاته):

وهي بإجمال:

الصورة الأولى: التكلّم به.

الصورة الثانية: جعله نغمة للجواب.

الصورة الثالثة: جعله مادة للنكت والطرائف.

الصورة الرابعة: التكسيب وسؤال الناس بتلاوته وترتيله.

الصورة الخامسة: جعله شعاراً في المنافسات الرياضية.

الصورة السادسة: خلط شيء معه.

الصورة السابعة: تحميله ما لا يتحمل.

الصورة الثامنة: الزعم بأنّ فيه كلّ شيء.

الصورة التاسعة: تلاوته بالمقامات الموسيقية.

التفصيل:

الصورة الأولى: التكلّم به:

وصورتها أن تكلّم شخصاً فلا يرد عليك إلا بنصّ قرآنٍ يناسب ما تكلّمت به، أو يشاكّه. وقد اشتهر في كتب اللغة والأدب قصة المرأة التي لا تتكلّم إلا بالقرآن، فقد رُوي عن عبد الله بن المبارك - رحمة الله تعالى - أنه خرج حاجاً إلى بيت الله الحرام، قال: «فَيَنِمَا أَنَا فِي بَعْضِ الْطَّرِيقِ إِذَا أَنَا بِسَوَادِ عَلَى الْطَّرِيقِ، فَتَمْيِيزُ ذَاكَ فِيَذَا

هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقالت: ﴿سَلَّمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَّحْمَةٍ﴾ [يس: ٥٨]. قال: فقلت لها: يرحمك الله، ما تصنعين في هذا المكان؟ قالت: ﴿مَنْ يُضْبِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦]. فعلمت أنها ضالة عن الطريق، فقلت لها: أين تريدين؟ قالت: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيَلَامِنَ الْمَسِيْدَ الْحَرَامَ إِلَى الْمَسِيْدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: ١]. فعلمت أنها قد قضت حجّها وهي تريد بيت المقدس..» إلى آخر القصة، وهي طويلة وفي آخرها ذكر أنها منذ أربعين سنة لم تتكلّم إلا بالقرآن مخافة أن تزلّ فيسخط عليها الرحمن! <sup>(١)</sup> .. واضح أنّ هذه القصة مختلفة على عبد الله بن المبارك - رحمه الله -، فهو أجل من أن يروي مثل هذا، وممّا يدلّ على اختلاقها أنّهم ذكروا في أول القصة أنّ ابن المبارك خرج حاجّاً، فلقيَ هذه المرأة في الطريق، ثم ذكروا أنّه قال: فعلمت أنها قد قضت حجّها..! فكيف تكون قد قضت حجّها وابن المبارك قد خرج حاجّاً!.. هذا من جهة المتن، أمّا من جهة السنّد، فإنّه إسنادها واه جدّاً ففيه رجل متهم بالوضع! <sup>(٢)</sup> والمقصود أنّ جعل النص القرآني مادة للحديث مع الناس لا يخفى ما فيه من التكليف وامتهان القرآن بحمل آياته على غير ما أنزلت من أجله، وتعریضه للتحرير والزيادة والنقص، فما كل أحد يحسن استحضار الآيات بنصّها.

وأقبح من قصّة هذه المرأة المختلفة: ما انتشر في بعض المنتديات من حوار دار بين رجل وامرأة بنصوص القرآن الكريم، فقد ذكروا أنّ امرأة فاقفة الجمال مرّت بـرجل معدّم، فنظر إليها معبجاً(!)، ثم دار بينهما الحوار التالي:

(١) أخرج هذه القصة ابن حبان في كتابه روضة العقلاء: (ص ٤٩). وذكرها الأ بشيبي في كتابه المستطرف في كل فن مستطرف: (١٣٨ / ١) بدون إسناد. وذكرها غيره من أهل الأدب.

(٢) هو محمد بن زكريا الغلاياني قال عنه الحافظ ابن حجر؛ ضعيف (لسان الميزان: ٥ / ١٦٨)، وقال الدارقطني: يضع الحديث (الكشف الحيث عمن رمي بوضع الحديث للحلبي: ص ٢٢٩).

- الرجل: ﴿وَزَيَّنَهَا لِلنَّظَرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

- المرأة: ﴿وَحَفِظَنَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَنٍ رَّجِيمٍ﴾ [الحجر: ١٧].

إلى آخر ما ذكروه.. وهذه القصّة لا تقل شناعة عن الأولى من حيث ابتذال القرآن بهذه الطريقة المتكلفة، ولهذا حذر علماء الإسلام قديماً وحديثاً من هذا المسلك.

قال المرداوي<sup>(١)</sup> - رحمه الله -: «لا يجوز أن يجعل القرآن بدلاً عن الكلام. ذكره ابن عقيل، وتبعه غيره. وجزم في التلخيص والرعاية: أنه يكره ولا يحرم. وقال الشيخ تقي الدين: إن قرأ عند الحكم الذي أنزل له أو ما يناسبه فحسن، كقوله لمن دعاه لذنب تاب منه: (ما يكون لنا أن نتكلّم بهذا سبحانك)، وقوله عند ما أهمه: (إنما أشكوبثي وحزني إلى الله)»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن قدامة - رحمه الله -: «ولا يجوز أن يجعل القرآن بدلاً من الكلام، لأنَّه استعمال له في غير ما هو له، أشبه استعمال المصحف في التوسد ونحوه. وقد جاء: (لا تناظروا بكتاب الله) قيل: معناه لا تتكلّم به عنه الشيء تراه كأن ترى رجلاً قد جاء وفته فتقول: (ثمْ جئت على قدر يا موسى) أو نحوه»<sup>(٣)</sup>.

وقد سئل شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله -؛ هل يجوز التكلّم بالقرآن، فمثلاً إذا سلم بعض الناس أجيبي بقوله: (سلام قوله من رب رحيم)، كما فعلت المرأة في القصّة التي حكها عبد الله بن المبارك؟.

(١) هو علي بن سليمان بن أحمد المرداوي الدمشقي، فقيه حنبلية معروف، له العديد من المصنفات منها التنبيح وشرح التجاير.. مات سنة خمس وثمانين وثمانمائة. ينظر: الأعلام للزركلي: (٤/٢٩٢).

(٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: (٣/٣٨٣).

(٣) المغني: (٣/١٤٨).

فأجاب الشيخ: «المعروف عند أهل العلم أنه لا ينبغي اتخاذ القرآن بدلاً من الكلام، بل الكلام له شأن، والقرآن له شأن. وأقل أحواله الكراهة..»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: «قال أهل العلم: يحرم جعل القرآن بدلاً من الكلام، وأنا رأيت زمن الطلب قصة في جواهر الأدب عن امرأة لا تتكلّم إلا بالقرآن، وتعجب الناس الذين يخاطبونها، وقالوا: لها أربعون سنة لم تتكلّم إلا بالقرآن، مخافة أن تزلّ فيغضب عليها الرحمن!، نقول: هي زلت الآن، فالقرآن لا يجعل بدلاً من الكلام لكن لا بأس أن يستشهد الإنسان بالأية على قضية وقعت، كما يذكر عن النبي ﷺ أنه كان يخطب، فيخرج الحسن والحسين يغتران بثيابهما، فنزل فأخذهما، وقال «صدق الله: إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» [التغابن: ١٥]<sup>(٢)</sup>، فالاستشهاد بالأيات على الواقع إذا كانت مطابقة تماماً لا بأس به»<sup>(٣)</sup>.

### الصورة الثانية: جعله نغمة للهاتف النقال:

يعمد كثير من الناس إلى تغيير نغمة الهاتف النقال من الرنين المعتاد ليظهر صوت القرآن، وكذا في الانتظار في الهاتف النقال والثابت، وهم يفعلون ذلك طلباً للخير فيما يظهر، ليسمعوا ويسمعوا غيرهم آيات القرآن، ولكن ربّ مريد للخير لم ينله، فإنّهم بفعلهم هذا قد عرّضوا القرآن للامتحان من حيث لم يشعروا، فإنّ الإنسان قد يتلقى اتصالاً في مكان غير لائق كالحمام، أو في وقت غير مناسب كأوقات الصلوات، فيظهر صوت القرآن في ذلك المكان أو الزمان، فإنّ تركه كان

(١) فتاوى إسلامية جمع وترتيب محمد المسند: (٤/٣٨).

(٢) الحديث أخرجه أبو داود: (٣٥٨/٣)، برقم: (١١٠٩)، والنسائي (١٠٨/٣)، برقم: (١٤١٣).

وصحّحه الألباني كما في مشكاة المصايب: (٣٤٤/٣)، برقم: (٦١٥٩).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع: (٦/٥٣١، ٥٣٢).

ذلك امتهاناً له وتشويشاً على الآخرين، وإن قطعه كان ذلك امتهاناً له أيضاً، وقد بحث المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي مسألة تعظيم كتاب الله - عز وجل -، وكان مما ورد في قراره ما يلي: «لا يجوز استخدام آيات القرآن الكريم للتنبيه والانتظار في الهواتف الجوالة وما في حكمها؛ وذلك لما في هذا الاستعمال من تعريض القرآن للابتذال والامتهان بقطع التلاوة وإهمالها، ولأنه قد تتلّى الآيات في مواطن لا تليق بها»<sup>(١)</sup>.

### الصورة الثالثة: جعله مادة للنكت والطرائف:

يعمد بعض الناس - عن حسن قصد - إلى الإساءة إلى النص القرآني وامتهانه بإدخاله في بعض النكت والطرائف لإضحاكه الناس، ومن ذلك: ما يحكى أن رجلاً اشتري لحمة، فعدت هرّة على اللحمة فأكلتها فقتلها، فلما ذهب لصلاة المغرب، ووقف في الصّفّ، كان الإمام يقرأ ﴿يَأَيُّ ذَبِّئْ قُتِلَتْ﴾ [التوكير: ٩]، فصرخ قائلاً: «لأنّها أكلت لحمتي».

ومثل هذه النكت والطرائف كثير، ومتداول بين الناس، بل موجود مثله في بعض كتب الأقدمين، ولا سيما كتب الأدب والحقائق والمغفلين، ولعلّ أول من ابتدأها من الزنادقة، ثم راجت بين العامة عن حسن نية، ثم أضافوا إليها غيرها، ومهما حسنت النية، فإن ذلك لا يسُوغ العبث بالنصوص وامتهانها بهذه الطريقة، وخطورتها تكمن في ارتباط النص القرآني في ذهن الرواية أو السامع بألفاظ تلك النكت والطرائف أو بعضها، مما يسبّب له تشويشاً عند قراءتها للتعمّد، وربما سبق لسانه إلى التلفظ بعض تلك الألفاظ مع النص، ولا يخفى ما في ذلك من الإخلال بقدسية القرآن وجلاله.

(١) ينظر: موقع بحوث ودراسات.

#### الصورة الرابعة: التكسب وسؤال الناس بتلاوته وترتيبه:

هذه الصورة رأيتها بنفسي في الحرمين الشريفين وغيرهما؛ يجلس أحدهم في مكان بارز، ويرتل القرآن بصوت رخيم متطرضاً ما تجود به أيدي الناس، وربما كان هذا القارئ كفيفاً أو به عاهة، فيجعل القرآن وسيلة للتكتسب وسؤال الناس وجامع المال في أقدس البقاع، وما لهذا أنزل القرآن، ولا لهذا بنيت المساجد، والمسلم مطالب بالعمل والتكتسب بالطرق المشروعة، لا أن يكون عالة على غيره عاطلاً بطالاً من غير عمل. وقد جاء في الحديث عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - أنه مر على قاصٍ يقرأ ثم يسأل، فاسترجع، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قرأ القرآن فليسأل الله به، فإنه سيجيء أقواماً يقرؤون القرآن يسألون به الناس) <sup>(١)</sup>.

قال الحسن البصري - رحمه الله -: «أنزل القرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملاً» <sup>(٢)</sup>. قال ابن الجوزي - رحمه الله - معلقاً على كلام الحسن: «يعني أنهم اقتصروا على التلاوة، وتركوا العمل به» <sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك: قراءته في المآتم وأوقات العزاء بأجرة، وهذا من البدع المحدثة، والأجر المكتسب منه حرام، وفيه امتحان للقرآن بحيث يجعل وسيلة للتكتسب، وقد ورد إلى اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية هذا السؤال: حافظ القرآن يصلّي بالناس أو يقرأ للميت بأجرة، يستوفيها قبل القراءة، فهل يجوز ذلك؟

(١) أخرجه الترمذى في سننه: (٢٩١٧/٥)، برقم: (٢٩١٧). وصحح إسناده الألبانى في السلسلة الصحيحة: (٥١٧/١)، برقم: (٢٥٧).

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: (٢٣٣).

(٣) تلبيس إيليس: (١٣٧).

فأجاب اللجنة: «تلاوة القرآن من أفضل العبادات، والأصل في العبادات أن تكون خالصة لوجه الله لا يقصد بها سواه، من دنيا يصيّها أو وجاهة يحظى بها، إنما يرجى بها الله، ويخشى عذابه، قال الله تعالى: ﴿فَاعْبُدُ اللَّهَ مُحْلِصًا إِلَيْهِ إِنَّ الَّلَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَالِصَ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، وقال: ﴿وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا يَعْبُدُوا إِلَهًا مُحْلِصِينَ لَهُ إِلَيْهِ حُنْفَاءَ﴾ [البيت: ٥]، وفي الحديث عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيّها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) رواه البخاري ومسلم<sup>(١)</sup>. فلا يجوز لقارئ القرآن أن يأخذ على قراءته أجراً يستوفيه قبل القراءة أو بعدها، سواء أكانت هذه القراءة في الصلاة أم على الميت. ولذا لم يرخص أحد من العلماء في الاستئجار على تلاوة القرآن..»<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخنا العلامة ابن جبرين - رحمه الله -: «لا يجوز استئجار من يقرأ القرآن وبهديه إلى روح الميت، فإنّ من قرأ بأجرة فقد تعجل ثوابه، وبطل أجراه، فلم يبق به شيء يهديه إلى الميت. ثم إنّ هذا العمل غير مشروع، وهو الاجتماع بعد الموت للقراءة والإهداء، ولو كان خيراً لفعله السلف»<sup>(٣)</sup>.

#### الصورة الخامسة: جعله شعاراً في المنافسات الرياضية:

يعمد كثير من الناس في المنافسات الرياضية إلى رفع شعارات يشجّعون بها فرقهم، وقد تجرأ بعضهم - بحسن نية كما هو الظاهر - فجعل بعض نصوص القرآن

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، (ص ١)، برقم: (١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات..)، (ص ٥٠٠)، برقم: (١٩٠٧).

(٢) فتاوى إسلامية: (٤ / ٥٠).

(٣) المصدر السابق: (٤ / ٤٤).

مادة لهذه الشعارات، كقوله تعالى: «وَمَا أَلْصَرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» [آل عمران: ١٢٦]، وما شابه ذلك من النصوص، ولا سيما أن بعض ألفاظ النص تواافق أسماء بعض الأندية الرياضية، فيجعلون ذلك كالرابط بينهما، وقد رأيت مثل هذا بعيني، ولا شك أن هذا ضرب من ضروب امتهان النص القرآني، واستخدامه في غير ما أنزل من أجله، لا سيما في مثل تلك الأماكن الصاحبة التي يكثر فيها اللغو واللغط، فالواجب صون نصوص القرآن عن مثل هذا العبث والامتهان.

#### الصورة السادسة: خلط شيء معه:

فلا يضاف إليه شيء غيره من كلام البشر، وهو الذي يسميه السلف: (التجريد)، وقد روی عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: «جردوا القرآن، ولا تخلطوه به ما ليس فيه»<sup>(١)</sup>. وذلك لأن خلط شيء معه يعرضه للامتهان، وإدخال ما ليس منه فيه، وقد جاء في التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية أن اللجنة المؤلفة لذلك «درست المعلومات التي جرت العادة بإضافتها إلى المصحف دراسة دقيقة وافية، نوقشت فيها سائر الآراء والاتجاهات، فتوصلت إلى أنها تنقسم إلى قسمين: (قسم) يضاف عادة أثناء النص القرآني وفي نطاقه، وهو: أسماء السور، وعدد آياتها، والمكي والمدني، وما يُشتمل من الآيات من ذلك. وبعضهم يزيد: وقت نزول السورة، كل ذلك في فواتح السور، ورموز الوقوف، وذلك في النص. و(قسم) يضاف في حواشى الصفحات، إما في أعلى الصفحة كاسم السورة، ورقم الجزء، أو في جانب الصفحة كرموز الأجزاء والأحزاب والأرباع والأعشار والأخمس، ورموز السجادات، والسكنات. وبعضهم يذكر خلاف الفقهاء في بعض السجادات.

(١) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف: (٥١٤ / ٢) بأسناد لا بأس به. ينظر: مجمع الزوائد: (٧٠ / ٧٠).

أمّا القسم الأول: فلم نتردّ في حذفه واستبعاده من المصحف ما عدا أسماء السور، لأنّه يُذكر في موضع خطير وهو محل تحذير السلف، وهو نطاق النص القرآني، ولأنّ هذه المعلومات محل ذكرها كتب التفسير وعلوم القرآن، ولا يحتمل هذا النص القطعي المتواتر أن ثبت خالله ما يحتمل الخطأ والصواب..».

إلى أن قالوا: «وهذا ينطبق على أسماء السور أيضاً، إلا أننا لم نتجاسر على حذفها لشدة الحاجة إليها، ولأنّه لا خلاف فيها، فأبقينا عليها مع أنّ النفس تميل إلى حذفها جرياً على قاعدة (التجريد)».

«أمّا القسم الثاني: وهو المعلومات التي تذكر خارج نطاق النص القرآني في حواشي الصفحات من أعلى أو من جانبها؛ فإنّ المحذور فيها أهون، والخوف منها أقلّ، لبعدها عن مجال النص، فأثبتنا أكثرها مع تصريف في الإخراج الطباعي يجعل التمييز بينها وبين النص واضحًا - قدر الإمكان - إلا ما يشار إليه عادة من خلاف الفقهاء في بعض السجادات؛ فلم نتردّ في حذفه لما فيه من التمادي في إثقال صفحات المصحف بما هو أجنبٍ عنه، ولما فيه من جرأة على كتاب الله بحشر خلاف البشر في صفحاته، وإن كان هذا الخلاف معتبراً، لكن مع ذلك لا ينبغي ذكره في المصحف»<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك - مما لم يُذكر - : كتابة تفسير بعض كلمات النص بين الأسطر، وقد ذكر السيوطي عن الجرجاني أنّه قال: «من المذموم كتابة تفسير كلمات القرآن بين أسطره»<sup>(٢)</sup>.

(١) التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية: (ص ٣٥) وما بعدها.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: (٦/٢٢٤٩).

### الصورة السابعة: تحميله ما لا يحتمل:

ومن ذلك: بعض ما يسمى بالإعجاز العلمي في القرآن.

والإعجاز العلمي يراد به: «الإخبار عن حقائق في الكون والإنسان، لم تتحقق معالمها إلا في قرون متأخرة بعد توافر وسائل الكشف والبحث»<sup>(١)</sup>.

والناس في هذا النوع من الإعجاز طرفان ووسط، فطرف غالى في إثباته، وتكتفى بذلك النصوص، وحملها ما لا يحتمل. وهو المقصود في هذه الصورة. وطرف آخر بالغ في نفيه وإنكاره، مع ثبوت بعضه ثبوتاً لا يقبل النقض والإبطال. وإنما حملهم على ذلك رد الفعل في مقابل الطرف الأول، وغالب ردود الأفعال تكون متطرفة.

وإنّ من أسباب المغالاة في الإثبات: خوض غير المتخصصين في علوم الشريعة في هذا النوع من الإعجاز، مما أدى إلى تحويل بعض النصوص ما لا يحتمل، والواجب في مثل هذه القضايا أن يجتمع لها ثلاثة من أهل التخصص الشرعي، مع ثلاثة من أصحاب التخصصات الأخرى المتعلقة بنوع الإعجاز، حتى يصدروا عن رأي راجح رشيد، صوناً للنص القرآني عن العبث والامتهان.

### الصورة الثامنة: الزعم بأنّ فيه كلّ شيء:

وقد شاع ذلك عن طائفة من أهل التصوف، مستدلين بقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطَنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ففسّروا الكتاب بالقرآن، وحملوا قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ على العموم المطلق، فزعموا أنّ القرآن مشتمل على جميع أنواع العلوم الدينية، والدنيوية، بل أعجب من ذلك: زعم بعضهم اشتتماله على الحوادث الفردية!! وقد ذكر الألوسي في تفسيره خبراً غريباً، تبرّأ فيه من عهده، قال - رحمه الله -: «وقد

(١) الإعجاز البشري في ضوء القراءات القرآنية المتواترة للخراط: (ص ٣٣).

سمعت من بعضهم - والعهدة عليه - أنّ الشّيخ الأكابر محبّي الدين بن العربي<sup>(١)</sup> وقع يوماً عن حماره، فرضت رجله، فجاءوا ليحملوه، فقال: أمّهلوه يسيراً، ثمّ أذن لهم فحملوه، فقيل له في ذلك، فقال: راجعت كتاب الله تعالى، فوجدت فيه خبر هذه الحادثة قد ذكرت في الفاتحة، وهذا أمر لا تصله عقولنا»<sup>(٢)</sup>.

ومثل هذا، تمّجّه العقول السليمة، والفتور المستقيمة، لاسيما مع ما عرف عن هؤلاء المشايخ من الضلال والإلحاد، والعجب أن تضمن كتب التفسير مثل هذه الخزعبلات التي يأبها الشرع والعقل والمنطق.

وقد أنكر الأئمّة المحقّقون القول بأنّ القرآن مشتمل على جميع العلوم، الدينية والدنيوية، ومن هؤلاء الأئمّة: الإمام الشاطبي<sup>(٣)</sup> - رحمه الله - فإنه ذكر «أنّ كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدّ، فأضافوا إليه كل علم يُذكر للمتقدّمين والمتّاخرين، من علوم الطبيعيات، والرياضيات، من الهندسة وغيرها، والمنطق.. إلخ، وهذا لا يصحّ، فإنّ السلف الصالح - من الصحابة والتّابعين ومن يليهم - كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه، وما أودع فيه، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تكلّم في شيء من هذه العلوم، سوى ما ثبت من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، ونحو ذلك، فدلّ ذلك على أنّ القرآن لم يقصد فيه تقرير شيء مما زعموا».

(١) هو محمد بن عليّ بن محمد بن العربي الحاتمي الطائي، المعروف بمحبّي الدين بن عربي، من أئمّة المتكلّمين والمتصوّفة، أنكر عليه أهل الديار المصرية شطحات بل طامات، فعمل بعضهم على إراقة دمه، وهو قدوة القائلين بوحدة الوجود. ينظر: الأعلام للزرکلي: (٦/٢٨١).

(٢) روح المعاني: (٧/١٤٤). وقد ذكر هذه القصة محمد رشيد رضا في تفسيره (المنار)، وأنكرها أشد الإنكار. ينظر: تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار (٧/٣٩٥).

(٣) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أئمّة المالكيّة، من أشهر مصنّفاته: (الاعتصام) في أصول الفقه مات سنة تسعين وسبعيناً. ينظر: الأعلام: (١/٧٥).

ثم قال: «وربما استدلوا على دعواهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَتِ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، و قوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، و نحو ذلك، وهذه الآيات المراد بها عند المفسرين: ما يتعلّق بحال التكليف، والعبد. أو المراد بالكتاب في قوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾: اللوح المحفوظ. ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمّنه لجميع العلوم النقلية والعقلية»<sup>(١)</sup>.

والأرجح في معنى الكتاب في الآية هو اللوح المحفوظ، وذلك لوجهين:

- أحدهما: أن هذه الآية شبيهة بآية هود: ﴿وَمَا مِنْ دَآبَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، فهي كالتفسير لها. وقد اتفق المفسرون جميعاً على أن المراد بالكتاب المبين في هذه الآية: اللوح المحفوظ.
- الثاني: دلالة السياق؛ فإنه لما ذكر الدواب والطيور، وأنها أمم أمثالنا، قال: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ثم ختم الآية بقوله: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحَشَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فدلّ على أن المقصود بقوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: أحوال المخلوقات، من الدواب والطيير، وأنها معلومة عنده - سبحانه - ومقدّرة، بما أودع فيها من الحكم والآيات<sup>(٢)</sup>، فلا يكون لهم في هذه الآية مستمسك، والله تعالى أعلم.

#### الصورة التاسعة: تلاوته بالمقامات الموسيقية:

انتشر مؤخراً عن طريق بعض القنوات الفضائية وغيرها الترويج لقراءة القرآن بما يُعرف بالمقامات الموسيقية(!)، مما أثار بلبلة في أوساط أهل القرآن من الحفاظ وغيرهم، ولا يخفى ما في هذا العمل من تشبيه للقرآن بالغناء المحرّم، مما يؤدي إلى امتهانه وابتداله، وذلك أمر يُنذر عنه القرآن العظيم، وقد قام المجلس العلمي للهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم والمعقد في مدينة جدة بتاريخ ١٤٣١/٢/١٣ هـ.

(١) المواقفات في أصول الشريعة: (٢/٧٩ - ٨١) (باختصار).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٦/٩٠).

قام بدراسة هذه المسألة، وأصدر فيها بياناً مطولاً ومفصلاً بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف انتهي فيه إلى التحذير من هذه الظاهرة، فقد جاء في آخر البيان: «هذا، وإنّ المجلس العلمي ليحدّر الناشئة من أبنائنا وبيناتنا - وبخاصة طلاب الحلقات القرآنية - من الافتتان بأمر المقامات، والسعى لتعلمها وتطبيقها في تلاوة القرآن، فهذا خروج عن الجادة، وابتعاد عمّا كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتبعين وتابعهم إلى عصرنا هذا»<sup>(١)</sup>.

### **المطلب الثاني: (صور الامتحان المتعلقة بكتابته ورسمه):**

وهي بإجمال:

**الصورة الأولى:** كتابته بغیر الرسم العثماني.

**الصورة الثانية:** كتابته في لوحات للتعليق في البيوت والمكاتب والمدارس.

**الصورة الثالثة:** كتابته في حروز للتعليق على الرقبة وغيرها كتمائم.

**الصورة الرابعة:** كتابته على جسد المريض للاستشفاء.

**الصورة الخامسة:** كتابته في إناء ليسرب منه المريض.

**الصورة السادسة:** كتابته على السيارات.

**الصورة السابعة:** كتابته على الملابس الداخلية.

**الصورة الثامنة:** كتابته بشكل متقطع.

**الصورة التاسعة:** كتابته على شكل صورة إنسان أو حيوان.

**الصورة العاشرة:** كتابته على الدرهم ونحوها.

**الصورة الحادية عشرة:** كتابته بالذهب.

التفصيل:

(١) مجلة هدى القرآن، العدد: (١٥)، (ص ١٧).

## الصورة الأولى: كتابته بغير الرسم العثماني:

كتابة النص القرآني يمكن تصنيفها في هذا الزمن إلى ثلاثة أضرب:

- **الضرب الأول:** كتابته كاملاً ليكون مصحفاً يقرأ فيه المسلمين.
- **الضرب الثاني:** كتابته في البحوث والرسائل العلمية ونحوها للاستشهاد به.
- **الضرب الثالث:** كتابته في سائر المجالات الأخرى كالمقالات الصحفية، والرسائل الشخصية، وفي مجال التعليم وغير ذلك مما يتعلّق بعامة الناس.

فأمّا الضرب الأوّل، فالقول الصحيح من أقوال أهل العلم: وجوب التزام الرسم العثماني، وتحريم مخالفته، وهو مذهب جمهور أهل العلم من السلف والخلف. فقد سئل مالك - رحمه الله - : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: «لا، إلا على الكتبة الأولى»<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : «تحرم مخالفة خطّ مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري في تفسيره: «خطّ المصحف سنة لا تتغيّر»<sup>(٣)</sup>.

وقد صدرت فتوى من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية برقم ٧١، وتاريخ: ٢١ / ١٠ / ١٣٩٩هـ، تؤكّد التزام الرسم العثماني اقتداءً بعثمان وعلى وسائل الصحابة، وعملاً بإجماعهم - رضوان الله عليهم أجمعين -، وأيد هذه الفتوى: مجلس المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، والمنعقد بمكة المكرّمة، برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - وعضوية العديد من

(١) آخرجه أبو عمرو الداني في المحكم في نقط المصاحف: (ص ١١).

(٢) ينظر: البرهان للزرκشي: (١/٣٧٩).

(٣) الكشاف: (٣/٨٢).

علماء العالم الإسلامي<sup>(١)</sup>، كما أيدتها دار الإفتاء بجمهورية مصر العربية<sup>(٢)</sup>.

ومن الوجوه التي ذكرها أعضاء هيئة كبار العلماء في تأييد هذا القول:

(١) أن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإمامي الموجود حالياً بقصد تسهيل القراءة؛ يفضي إلى تغيير آخر إذا تغيّر الاصطلاح في الكتابة؛ لأن الرسم الإمامي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر، وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن بتبدل بعض الحروف أو زياتها أو نقصها، فيقع الاختلاف بين المصاحف على مر السنين، ويجد أعداء الإسلام مجالاً للطعن في القرآن الكريم، وقد جاء الإسلام بسدّ ذرائع الشر ومنع أسباب الفتنة.

(٢) ما يخشى من أنه إذا لم يلتزم الرسم العثماني في كتابة القرآن أن يصير كتاب الله ألوعبة بأيدي الناس، كلما عنت لإنسان فكرة في كتابته اقترح تطبيقها، فيقترح بعضهم كتابته باللاتينية أو غيرها، وفي هذا ما فيه من الخطر. ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح.

وأما الضرب الثاني، وهو كتابته في البحوث والرسائل العلمية ونحوها للاستشهاد به، فالذي يظهر - والله تعالى أعلم - أن ذلك مطلوب ومستحب، بل هو متتأكد مع القدرة عليه؛ صيانة للنص القرآني واحتراماً له، مع سهولة الالتزام بذلك بفضل التقنية الحديثة لمن يملكها. لكن ذلك لا يصل إلى درجة الوجوب لوجهين:

- أحدهما: أن هذه البحوث والرسائل ليس لها حكم المصحف باتفاق.
- الثاني: أن بعض الباحثين قد لا يتيسر له ذلك لسبب أو آخر، ولا سيما في بعض البلاد الفقيرة التي لا يملك بعضهم فيها جهاز حاسوب!.

(١) ينظر: فتاوى إسلامية: (٤ / ٣٤، ٣٥).

(٢) ينظر: دراسات في علوم القرآن للشيخ فهد الرومي: (ص ٤٩٠، ٤٩١). وقد رجح الشيخ هذا القول، وأيده بعشر وجوه.

أما الضرب الثالث، وهو ما يتعلّق بالمجالات الأخرى المختلفة غير ما سبق، فإنّ الزام الناس بالرسم العثماني فيه مشقة لا تخفي، مما ينفر من الاستشهاد بالقرآن، فضلاً عن جهل الكثير من الكُتاب بكيفية كتابة هذا الرسم، فلا أرى الأمر يصل إلى الاستحباب فضلاً عن الوجوب، والله تعالى أعلم.

**الصورة الثانية:** كتابته في لوحات التعليق في البيوت والمكاتب والمدارس وغيرها:

وهو ضربان:

- **الضرب الأول:** أن يكون الدافع لتعليقها اعتقاد دفع العين ونحو ذلك، فهذا لا يجوز، إذ هو في حكم الحروز والتمائم كما سيأتي، مع ما في التعليق ذاته من خلاف.
- **الضرب الثاني:** أن يكون الدافع لتعليق التذكير والاعتبار، فهذا فيه خلاف عند علمائنا، فمنهم من أجازه كشيخنا العلامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله<sup>(١)</sup> -، ومنهم من منعه، كشيخنا العلامة ابن عثيمين - رحمه الله<sup>(٢)</sup>. وقد أجازه بضوابط: المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته التاسعة عشرة المنعقدة في مكة المكرمة بتاريخ: ١١ / ٧ / ٢٠٠٧ م، عند بحثه لمسألة تعظيم كتاب الله - عز وجل -، وكان مما ورد في قراره:

«جواز كتابة الآيات القرآنية وزخرفتها، واستخدامها لمقصد مشروع، كأن تكون وسائل إيضاح لتعلم القرآن وتعليمه، وللقراءة والتذكير والاعظام، وفق الضوابط الآتية:

- ١) أن تعامل اللوحات المكتوب فيها القرآن من حيث الصناعة والنقل معاملة طباعة المصحف، وهذا يوجب اتخاذ الإجراءات التي تضمن احترام الآيات المكتوبة، وصيانتها عن الامتهان.

(١) ينظر: فتاوى إسلامية: (٤/٢٩).

(٢) ينظر: لقاء الباب المفتوح: (٢٣/٢٩).

- (٢) عدم التهاون بـألفاظ القرآن ومعانيه، فلا تصرف عن مدلولها الشرعي، ولا تبت عن سياقها.
- (٣) ألا تُصنع بـمواد نجسة أو يحرم استعمالها.
- (٤) ألا تدخل في باب العبث، كقطع الحروف، وإدخال بعض الكلمات في بعض، وأن لا يبالغ في زخرفتها بحيث تصعب قراءتها.
- (٥) ألا تجعل على صورة ذات الأرواح، كما لو جعلت اللوحة القرآنية على شكل إنسان، أو على شكل طائر أو حيوان؛ ونحو ذلك من الأشكال التي لا يليق وضعها قالباً لآيات القرآن الكريم.
- (٦) ألا تُصنع للتعاويذ المبتدعة، وسائر المعتقدات الباطلة، وللصناعات المبتذلة، ولا لترويج البضائع وإغراء الناس بالشراء».

وفي ختام قراره أوصى المجتمع الجهات المسؤولة في الدولة الإسلامية بضرورة مراقبة صناعة اللوحات القرآنية بما يكفل عدم حدوث تجاوزات فيها، ومنع استيراد اللوحات القرآنية وما شابهها من الجهات والدول التي لا تحترم ما في اللوحات من آيات كريمة. والله أعلم<sup>(١)</sup>.

**الصورة الثالثة:** كتابته في حروز للتعليق على الرقبة وغيرها كتمائمه:  
وقد اختلف السلف في ذلك، فرّخص فيه بعضهم، ومنعه آخرون<sup>(٢)</sup>، وهذا هو الصحيح لما يترتب على تعليقه من الامتحان. قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمة الله - بعد أن ذكر الخلاف في ذلك: «قلت: وهذا هو الصحيح [أي القول

(١) مجلة المجتمع الفقهي الإسلامي، العدد: (٢٣)، (ص ٣٤٥).

(٢) ينظر: كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمة الله - (ص ٢١).

بالمعنى] لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل: الأول: عموم النهي ولا مخصوص له. الثاني: سد الذريعة، فإنّه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك. الثالث: أنه إذا عُلق فلا بد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

والمتأنّل في هذه الوجوه يجد أنها في غاية القوّة والوجاهة، والواقع يشهد بذلك كما في البلاد التي يجاز علماؤها تعليق مثل تلك التمامات.

وقد سئل شيخنا العلامة ابن باز - رحمه الله - عن مريض يكتب له رجل صالح القرآن ليعالجـه من أي مرض؛ فهل يجوز ذلك، وهـل يجوز تعليـق هذه الآيات في الرقبـة؟ فأجاب - رحمـه الله - : «كتابة الآيات لـعلاج المـريض غير مـشروع، ولا تـعلق عليهـ، ولا تـكتب علىـ جـسدهـ، كـلـ هـذا غـير مـشروعـ، إنـما المـشروعـ أـن يـقراـ علىـهـ، وـأـن يـنفـث علىـهـ، وـيـدعـى لـهـ بالـشفـاءـ وـالـعـافـيـةـ، يـقـرـأـ بـعـضـ الـآـيـاتـ عـلـى جـزـءـ مـنـ جـسـدـهـ، عـلـى صـدـرـهـ أـو عـلـى يـدـهـ أـو عـلـى رـأـسـهـ، وـيـدـعـو لـهـ فـهـذـا لـا بـأـسـ بـهـ، وـهـوـ مـنـ الرـقـيـةـ المـشـروـعـةـ، يـرـقـيـ الرـاقـيـ المـرـيـضـ وـيـدـعـوـ لـهـ وـيـقـرـأـ عـلـيـهـ الـقـرـآنـ حـتـى يـشـفـيـهـ اللهـ». فالنبي عليه الصلاة والسلام قد روى وقال: (لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً)<sup>(٢)</sup>

رواه أبو داود. أمّا أن يكتب آيات تعلق في رقبته، أو في عضده؛ فهذا ليس من الشرع، أو يكتب له أحاديث، أو كلمات أخرى، أو دعوات أو مسامير أو طلاسم - حروف مقطعة -، أو أشباه ذلك؛ فكل هذا لا يجوز، حتى القرآن لا يعلق، والنبي ﷺ قال: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)<sup>(٣)</sup> رواه أحمد، فالحجب والحروز والجوارب التي يعلقها بعض الناس على المرضى في

(١) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد: (ص ١٤٩).

(٢) آخرجه مسلم في كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك: (ص ٥٧١)، برقم: (٢٢٠٠).

ولفظه: «لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك».

(٣) آخرجه أحمد في المسند: (٤/١٥٤)، برقم: (١٧٤٤٠)، وحسن إسناده الأرناؤوط في تعليقه على المسند.

أعناقهم أو يعلقونها في أعضادهم أو في غير ذلك؛ فهذا لا يجوز، ولكن الرقية لا بأس بها. وكذلك إذا قرأ في ماء ثم شرب الماء فهذا أيضاً لا بأس به، فقد ورد عن النبي ﷺ بعض هذا، كما في سنن أبي داود عن النبي ﷺ أنه قرأ في ماء لثابت بن قيس<sup>(١)</sup>، فهذا لا بأس به، رواه أبو داود. وأمّا التعليق فلا يعلق لا القرآن ولا غيره. لا في الرقبة، ولا في اليد، كلّ هذا ليس بعلاج وليس مشروعًا، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>(٢)</sup>.

**الصورة الرابعة: كتابته على جسد المريض للاستشفاء:**

اختلاف علماؤنا الأجلاء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

- أحدها: المنع مطلقاً، وهو اختيار شيخنا العلامة ابن باز - رحمه الله - كما سبق قريباً في فتواه في الصورة السابقة.
- الثاني: الجواز مطلقاً، وهو اختيار جمع من أهل العلم منهم الشيخ عبد الله بن جبرين - رحمه الله -<sup>(٣)</sup>، ومستندهم في ذلك قول بعض أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - عليهما رحمة الله -.
- الثالث: الجواز بضوابط، وهو اختيار الشيخ عبد الرحمن البراك - حفظه الله -، فقد سئل عما انتشر في بعض المنتديات في مسألة كتابة بعض الآيات على جسم المريض لإخراج الجن من الجسم، وقول أحد الرفقاء: اكتب على بطنك: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّين﴾ [الحجر: ٣٤، ٣٥]، ويستشهدون بأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.. فما حكم هذا العمل؟

(١) آخر جهه أبو داود في سننه: (٤٠٣/٢)، برقم: (٣٨٨٥)، وضعف إسناده الألباني في ضعيف سنن أبي داود: (ص ٣٨٤)، برقم: (٣٣٨٧).

(٢) فتاوى نور على الدرب: (١/٣٢٦).

(٣) ينظر موقع الشيخ رحمه الله: [www.ibn-jebreen.vom](http://www.ibn-jebreen.vom)

فأجاب الشيخ - حفظه الله - : «الحمد لله، لا أعلم في العلاج بكتابه الآيات أو الأدعية على بعض بدن المريض أصلاً من فعل السلف؛ أعني الصحابة والتابعين. ومن يفعل ذلك يعتمد على ما ذكرت عن ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحهما الله - ، ولا أذكر مستنداً لهما من النقل في العلاج بهذه الطريقة. والذي يظهر أنّ تعويذهما على التجربة، وعلم الطب أساسه التجربة. فإذا ثبت بالتجربة أنّ كتابة بعض الآيات تنفع في حالات؛ فلا أعلم مانعاً يمنع من كتابتها، وهو يشبه الرقية بالآيات التي تناسب المقام مما لم يرد تخصيصه. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله: ﴿وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضُرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٧]، إلى غير ذلك. أما الرقية بالفاتحة وآية الكرسي وسورة الإخلاص والمعوذتين، فقد دلت السنة على الاستشفاء بها. وممّا يدلّ على التوسيعة في الرقية قوله ﷺ: (اعرضوا علي رقاكم. لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً)<sup>(١)</sup>، ويمكن أن يستدلّ لذلك أيضاً بالإطلاق في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شَفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ولكن يجب ألا يتربّط على كتابة الآيات على بدن المريض محظوظ، كالامتهان بكتابه الآيات في مواضع غير لائقة كالقبل والدبر والأباط وأسفل القدم، ومن الامتهان: كتابتها على الظهر إن كان يستلقي عليه. وينبغي أن يراعي عند غسل الكتابة أن تكون في موضع طاهر. وكذا ترك سبب الجناة إذا كانت الكتابة باقية، والمبادرة لغسلها إذا حصلت، فإنّ بقاء الآيات مع الجناة يتضمّن نوعاً من الامتهان، هذا والله أعلم»<sup>(٢)</sup>.

والذي تطمئن إليه النفس: المنع مطلقاً، صيانة للقرآن عن الامتهان، ولأنّ فتح الباب يؤدي إلى توسيع الناس - ولا سيما العامة - في مسألة الكتابة، والخروج بها عن مقصودها، وربّما تعمّد امتهان القرآن كحال بعض الدجاللة والمشعوذين، والله تعالى أعلم.

(١) سبق تخرّجه قريباً.

(٢) نُشرت هذا الفتوى في موقع الشيخ بتاريخ: ٢٩ / ٣ / ١٤٣٠ هـ.

ويُلْحِقُ بِذَلِكَ: كِتَابَةُ بَعْضِ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي أُوراقٍ وَإِصَاقَهَا بِالْبَدْنِ، وَقَدْ سُئِلَتْ اللَّجْنَةُ الدَّائِمَةُ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالْإِفْتَاءِ فِي الْمُمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْسَّعُودِيَّةِ عَنْ حُكْمِ كِتَابَةِ أُوراقٍ فِيهَا الْقُرْآنُ وَالذِّكْرُ وَإِصَاقَهَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَسَدِ، كَالصَّدْرِ وَنَحْوِهِ، أَوْ طَيْهَا وَوَضْعُهَا عَلَى الْضَّرْسِ، أَوْ كِتَابَةُ بَعْضِ الْحَرْوَزِ مِنَ الْأَدْعِيَّةِ الشَّرِعِيَّةِ وَشَدَّهَا بِجَلْدٍ وَتَوْضِيعُهَا تَحْتَ الْفَرَاشِ أَوْ فِي أَمَانَةِ أُخْرَى؟

فَأَجَابَتِ اللَّجْنَةُ: «إِصَاقُ الْأُوراقِ الْمُكْتَوِبُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ أَوِ الْأَدْعِيَّةِ عَلَى الْجَسَدِ، أَوْ عَلَى مَوْضِعٍ مِنْهُ، أَوْ وَضْعُهَا تَحْتَ الْفَرَاشِ وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ لَا يَجُوزُ لِأَنَّهُ مِنْ تَعْلِيقِ التَّمَائِمِ الْمُنْهَى عَنْهَا بِقَوْلِهِ: «مَنْ تَعْلَقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ»<sup>(١)</sup>، وَقَوْلِهِ: «إِنَّ الرَّقَى وَالْتَّمَائِمَ وَالْتَّوْلَةَ شَرٌّ»<sup>(٢)</sup>.

**الصورة الخامسة:** كِتَابَتِهِ فِي إِنَاءٍ لِيُشَرِّبَ مِنْهُ الْمَرِيضُ:

فَيُكْتَبُ بِالْزَعْفَرَانِ وَنَحْوِهِ فِي إِنَاءٍ، أَوْ فِي أُوراقٍ ثُمَّ يُغَسَّلُ فِي شَرْبِهِ الْمَرِيضِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ عَلِمَاؤُنَا فِي ذَلِكَ فَأَجَازَهُ بَعْضُهُمْ كَشِيخُنَا إِبْنُ بَازَ - رَحْمَهُ اللَّهُ -، وَاشْتَرَطَ أَنْ يَكُونَ الْقَائِمُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْخَيْرِ وَالْاسْتِقَامَةِ<sup>(٤)</sup>. وَهُوَ قَوْلُ جَمَاعَةِ مِنِ الْسَّلْفِ<sup>(٥)</sup>، وَمَنْعِهِ آخَرُونَ<sup>(٦)</sup>.

وَالَّذِي تَطمِئِنُ إِلَيْهِ النَّفْسُ: الْمَنْعُ مُطْلَقاً، صِيَانَةً لِلنَّصِّ الْقُرَآنِيِّ مِنَ الْاِمْتِهَانِ لَا سِيمَاهُ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْذِي كَثُرَ فِيهِ الدُّجَالُونَ وَتَجَارُ الرَّقَى، وَلَا إِنَّ كِتَابَتِهِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ

(١) سبق تخریجه قریباً.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدُ فِي سَنَتِهِ: (٤٠٢/٢)، بِرَقْمِ: (٣٨٨٣)، وَصَحَّحَ إِسْنَادُهُ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحةِ: (٦٤٨/١)، بِرَقْمِ: (٣٣١).

(٣) يَنْظَرُ: فَتاوىُ اللَّجْنَةِ الدَّائِمَةِ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالْإِفْتَاءِ جَمْعُ وَتَرْتِيبُ أَحْمَدُ الدَّوِيْشِ: (١/٢٤٤).

(٤) يَنْظَرُ: فَتاوىُ إِسْلَامِيَّةٍ: (١/٣٠).

(٥) مِنْهُمْ: الْحَسَنُ وَمُجَاهِدُ أَبُو قَلَّابَةِ وَالْأَوْزَاعِيُّ. يَنْظَرُ: الإِتقَانُ لِلسَّيِّدِ طَهِ: (٦/٢١٩٥).

(٦) مِنْهُمْ: التَّخْعِيُّ وَالْعَزْ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَغَيْرُهُمَا. يَنْظَرُ: الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

ثم غسله قد يعرضه للتلوث والتجرثم، مع كثرة الملوثات البيئية في هذا الزمن. وفي الرقية الشرعية المعروفة غنى عن مثل هذه الطريقة، والله تعالى أعلم.

#### الصورة السادسة: كتابته على السيارات:

يعمد بعض الناس إلى كتابة نصّ من القرآن على الهيكل الخارجي لسيارته، وهم يفعلون ذلك لأغراض، منها: تزيين السيارة بذلك. ومنها: التكسب ودعوة الناس إلى الركوب، فيكتب قوله تعالى: ﴿يَبْتُرُ أُرْبَكَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكُفَّارِ﴾ [هود: ٤٢]، وهذا يفعله بعض أصحاب سيارات النقل والأجرة. ومنها: دفع العين وجلب الرزق كالتمائم ونحوها. إلى غير ذلك من الأغراض. وكل ذلك محرم شرعاً لاشتماله على مفاسد كثيرة منها:

- ١) امتهان النص القرآني بكتابته في غير محله اللائق به، وقد روي أنّ عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - رأى ابناً له يكتب آية في حائط فضربه<sup>(١)</sup>.
- ٢) تعريضه للتلوث بالغبار والأترية والطين وغير ذلك من القاذورات.
- ٣) تعريضه للتلف والتمزق والسقوط على الأرض إن كان مكتوباً في ملصق ونحوه، وهذا يتنافى مع وجوب صيانة النص القرآني الكريم والمحافظة عليه. إلى غير ذلك من المفاسد التي سبقت الإشارة إليها.

#### الصورة السابعة: كتابته على الملابس الداخلية للاستقاء به:

وما كنت أظنّ أنّ الأمر يصل عند بعض الناس إلى هذا الحدّ، حتى اطلعت على استفتاء ورد إلى لجنة الفتوى بالأزهر يقول فيه السائل: ما حكم الدين في كتابة آيات من القرآن الكريم على الملابس الداخلية للمرأة بغرض الرقية والعلاج؟ فأفتلت اللجنة بأنّ هذا العمل لا يحلّ شرعاً لأنّ به إهانة للقرآن الكريم.

فهل وصل الجهل ببعض الناس إلى هذا الحدّ!

(١) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف: (٢/٦٥٠)، وفي سنده ضعف كما أفاد المحقق.

### الصورة الثامنة: كتابته بشكل متقطع:

وقد شاع مثل ذلك في بعض المنتديات، فيكتبوه بهذه الطريقة: (إن الله هـ لا يغير ما بـ أنفسهـ مـ)، وهذه طريقة محدثة ليس لها ما يسوّغها سوى معاملة النص القرآني معاملة غيره مما يكتبه البشر، دون مراعاة لقدسية هذا النص وجلاله، ويخشى مع مرور الزمن أن يؤدي ذلك إلى خلل في النص القرآني، أو تحريف أو زيادة أو نقص، لذا وجب سد هذا الباب، وكتابة النص متصلةً غير متقطعة صيانة له عن التحريف والامتهان، والله تعالى أعلم.

### الصورة التاسعة: كتابته على شكل صورة إنسان أو حيوان:

يعمد بعض الرسامين والخطاطين إلى التفنن في كتابة النص القرآني، فيجعله على شكل صورة إنسان أو حيوان، ولا يخفى ما في ذلك من امتهان النص والاستخفاف به، مع ما في رسم صور ذوات الأرواح من المحظور الشرعي عند جمع من أهل العلم، وقد ناقش المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي هذه المسألة، وصدر عنه القرار التالي: «الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أمّا بعد: فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الثانية عشرة، المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من يوم السبت ١٥ رجب ١٤١٠ هـ الموافق ١٠ فبراير ١٩٩٠ م إلى يوم السبت ٢٢ رجب ١٤١٠ هـ الموافق ١٧ فبراير ١٩٩٠ م قد نظر في موضوع كتابة آية أو آيات القرآن الكريم على صورة طائر، وقرر بالإجماع: عدم جواز هذا العمل، لما في ذلك من العبث، والاستخفاف بكلام الله سبحانه وتعالى والاستهانة به. والله ولي التوفيق... وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين»<sup>(١)</sup>.

(١) مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد: (٢٣)، (ص ٣٤٥).

### الصورة العاشرة: كتابته على الدرارم ونحوها:

وقد كره ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، وذكر أن ذلك «يفضي إلى ابتذال القرآن وامتهانه ووقوعه في الموضع التي ينزع القرآن عنها»، وقال إن: «الدرارم والدينار ونحو ذلك هو في معرض الابتذال والامتهان، وإن كان من العلماء من رخص في حمل الدرارم المكتوب عليها القرآن فذلك للحاجة، ولم يرخص في كتابة القرآن عليها، والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

### الصورة الحادية عشرة: كتابته بالذهب:

وقد كره ذلك بعض السلف، فقد أخرج ابن أبي داود بسنده عن إبراهيم النخعي - رحمه الله - أنه كان يكره أن يكتب المصحف بالذهب<sup>(٢)</sup>. بل ذهب بعضهم إلى التحرير، وقالوا يؤمر بحکمه<sup>(٣)</sup>.

وأجازه آخرون، منهم الإمام الغزالى - رحمه الله - فإنه قال: «ومن كتب المصحف بذهب فقد أحسن، ولا زكاة عليه»<sup>(٤)</sup>.

ولعل سبب التحرير أو الكراهة - عند من قال بهما -: ما في ذلك من إضاعة المال، وقد ورد النهي عن ذلك، أو لأنّه من الزخرفة المنهي عنها. وقيل: لئلا يشغل الناس بمثل هذه الأمور الشكلية الظاهرة عن الغرض الأساس من القرآن وهو تدبره وفهمه والعمل به، والله تعالى أعلم.

ومن ذلك تحليته بالذهب أي تزيينه به، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه

(١) مجموع الفتاوى: (٦٦ / ٢٥). وممّن كره ذلك أيضاً: عطاء والقاسم والشعبي. ينظر: المغني: (١٦٩ / ١).

(٢) كتاب المصاصف: (٥٤٢ / ٢).

(٣) ينظر: الفروع لابن مقلح: (١٩٣ / ١).

(٤) مغني المحتاج للشريبي: (٣٩٢ / ١).

قال: «إذا حلّيت مصاحفكم، وزوّقتم<sup>(١)</sup> مساجدكم؛ فعليكم الدبار»<sup>(٢)</sup>.

وعن برد بن سنان - رحمه الله - قال: «ما أساءت أمّة العمل إلا زينت مصاحفها ومساجدها»<sup>(٣)</sup>. ولعل المقصود المبالغة في ذلك، أمّا تزيينه بمعنى العناية به وإجادته علاقته حتى لا يتعرّض للتلف، فلا حرج فيه، ولهذا كان عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يُسأل عن تحلية المصحف فيقول: لا أعلم به بأَسْأَأ، وكان يحب أن يزين المصحف، وتُجاد علاقته وصنعته، وكل شيء من أمره<sup>(٤)</sup>.

**المطلب الثالث: (صور الامتحان المتعلقة بالوعاء الذي يُكتب فيه كالمصحف ونحوه):**

وهي بإجمال:

الصورة الأولى: السفر به إلى بلاد العدو.

الصورة الثانية: تصغير لفظه وحجمه.

الصورة الثالثة: مسنه بغير طهارة.

الصورة الرابعة: الدخول به إلى أماكن قضاء الحاجة.

الصورة الخامسة: توسيده والاتكاء عليه.

الصورة السادسة: مدد الرجلين إليه.

الصورة السابعة: وضع شيء عليه.

(١) أي: بالغتم في تزيينها ونقشها وزخرفتها. وإنما كرّه تزويق المساجد لما فيه من الترغيب في الدنيا وزينتها، أو لشغلها المصلى. ينظر: لسان العرب: (١٥٠ / ١٠)، وتابع العروس: (٦٣٦٥ / ١)، مادة (زوق).

(٢) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف: (٥٤٣ / ٢). بإسناد لا يأس به كما قال ابن الملقن، ينظر: البدر المنير: (٥ / ٥٧٧). والدبار بالفتح: الهلاك. (لسان العرب: ٤ / ٢٦٨، مادة دبر).

(٣) كتاب المصاحف: (٥٤٤ / ٢).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب المصاحف: (٥٤٧ / ٢). وروجاه ثقات كما قال المحقق.

الصورة الثامنة: وضعه على الأرض.

الصورة التاسعة: وضعه في السيارة.

الصورة العاشرة: تمكين السفهاء من مسنه.

التفصيل:

**الصورة الأولى: السفر به إلى بلاد العدو:**

وقد ورد في ذلك نصّ نبوّي شريف، وهو قوله ﷺ: (لا تساوروا بالقرآن، فإنّي لا آمن أن يناله العدو<sup>(١)</sup>).

والمقصود: السفر به إلى البلاد التي يُخشى عليه من أهلها أن يتمتهنوه، إما لجهلهم بقدسيته، وإما نكایة بال المسلمين وتشفيًا، كالبلاد الشيوعية والاشراكية وما شابهها، وقد حدث ذلك من قبل بعض الأعداء في هذا الزمان، وتناقلته بعض وسائل الإعلام، فوجب على المسلمين الحذر، وصيانة كتاب الله أن تمسه أيدي الأعداء. لكن إن أمنهم عليه، إما بعهد، أو بعرف سائد، فلا بأس، قال الغنيمي<sup>(٢)</sup> - رحمة الله - في اللباب: «ولو دخل مسلم إليهم بأمان لا بأس بأن يحمل معه المصحف إذا كانوا قوماً يوفون بالعهد؛ لأنّ الظاهر عدم التعرّض»<sup>(٣)</sup>.

أمّا الكتابة إلى الكفار بالأية والآيتين ونحوهما في أثناء كتاب للدعوة وما شابه ذلك فلا بأس، بل حكى النووي الإجماع على جوازه<sup>(٤)</sup>، بخلاف المصحف كاملاً.

(١) سبق تحريرجه (ص ٢٠٤).

(٢) هو عبد الغني بن طالب بن حمادة الغنيمي الدمشقي الشهير بالميداني، من فقهاء الحنفية، له شروح ورسائل في الصرف والتوحيد. ينظر: موسوعة الأعلام، موقع وزارة الأوقاف المصرية، حرف الميم.

(٣) اللباب في شرح الكتاب: (ص ١١٠).

(٤) ينظر: التبيان في آداب حملة القرآن: (ص ١١٣)، وفتح الباري: (٦/ ١٣٤).

### الصورة الثانية: تصغير لفظه وحجمه:

وقد كره ذلك السلف، فأماماً تصغير لفظه، فقد أخرج ابن أبي داود أنّ ابن المسيب - رحمة الله - كان يقول: «لا يقول أحدكم مصيحف ولا مسيجد، ما كان الله فهو عظيم حسن جميل»<sup>(١)</sup>. وهو مروي عن مجاهد وإبراهيم النخعي عليهم جميعاً رحمة الله<sup>(٢)</sup>.

وأماماً تصغير خطّه وحجمه، فقد أخرج ابن أبي داود عن إبراهيم النخعي قال: «كانوا يكرهون أن يكتبوا المصاحف في الشيء الصغير، يقول: عظموا القرآن». وفي رواية: «كانوا يكرهون تصغير المصحف»<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من كراهيّة السلف لذلك ونهيّهم عنه؛ إلا أنّ أقواماً لم يتّهوا عنه، فقد رأيت في هذا الزمان مصاحف صغاراً لا يتجاوز حجمها علبة الكبريت!، وهي أصغر مما قصده السلف! إذ يتعدّر كتابتها باليد، والظاهر أنّها لم توضع للقراءة لاستحالة ذلك، وإنّما وضعت للتبرّك ونحوه، وقد سبق الحديث عن هذه المسألة<sup>(٤)</sup>.

### الصورة الثالثة: مسّه بغير طهارة:

وقد سبق أنّ ذلك قول جمهور أهل العلم من الأئمّة الأربعـة وغيرـهم، ودليلـهم في ذلك الحديث المشهور: (لا يمسّ القرآن إلا طاهر)، وهذا الحديث وإن كان في سنته مقال، إلا إنّ الأئمّة تلقّته بالقبول لشهرـته، وعملـوا به<sup>(٥)</sup>، وهو جزءـ من كتاب طويـل كتبـه رسول الله ﷺ، لعمـرو بن حـزم - رضـي الله عنه -، وقد روـاه مـالـك

(١) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف: (٢/٥٥١)، ياسنـاد رـجالـه ثـقـاتـ كما قالـ المـحققـ.

(٢) ينظر: كتاب المصاحف: (٢/٥٥٠، ٥٥١).

(٣) المصدر السابق: (٢/٥٠٧).

(٤) ينظر: (صـ ٢٦٧).

(٥) ينظر كلامـ الحافظـ ابنـ حـجرـ رـحـمةـ اللهـ حولـ هـذاـ الحـديثـ فيـ تـلـخـيـصـ الحـبـيرـ: (٤/١٧ـ ١٨ـ).

في الموطأ<sup>(١)</sup>، ولهذا رُوي عنـه التـشـديـد في مـسـ المـصـحـف وـحملـه لـغـيرـ المـتوـضـعـ حيثـ قالـ رـحـمـهـ اللهـ -ـ : «أـحـسـنـ ماـ سـمعـتـ آـنـهـ لاـ يـحـمـلـ المـصـحـفـ بـعـلاـقـتـهـ،ـ وـلاـ فيـ غـلـافـهـ،ـ إـلـاـ وـهـوـ طـاهـرـ،ـ وـلـيـسـ ذـلـكـ لـآـنـهـ يـدـنـسـهـ،ـ وـلـكـ تـعـظـيمـاـ لـلـقـرـآنـ»<sup>(٢)</sup>.

وقد سـئـلـ شـيـخـ الإـسـلـامـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ -ـ رـحـمـهـ اللهـ -ـ : هلـ يـجـوزـ مـسـ المـصـحـفـ بـغـيرـ وـضـوءـ أـمـ لـ؟ـ فـأـجـابـ : «مـذـهـبـ الـأـئـمـةـ الـأـرـبـعـةـ آـنـهـ لاـ يـمـسـ المـصـحـفـ إـلـاـ طـاهـرـ كـمـاـ قـالـ فـيـ الـكـتـابـ الـذـيـ كـتـبـهـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ لـعـمـرـوـ بـنـ حـزـمـ آـنـ لـيـمـسـ الـقـرـآنـ إـلـاـ طـاهـرـ.ـ قـالـ إـلـيـمـ أـحـمـدـ : لـاـ شـكـ آـنـ النـبـيـ ﷺـ كـتـبـهـ لـهـ.ـ وـهـوـ أـيـضاـ قـوـلـ سـلـمـانـ الـفـارـسـيـ وـعـبـدـ اللهـ بـنـ عـمـرـ وـغـيرـهـمـاـ،ـ وـلـاـ يـعـلـمـ لـهـمـاـ مـنـ الصـحـابـةـ مـخـالـفـ»<sup>(٣)</sup>.

وـقـالـ شـيـخـنـاـ الـعـلـمـاءـ اـبـنـ باـزـ -ـ رـحـمـهـ اللهـ -ـ : «مـسـ المـصـحـفـ عـلـىـ غـيرـ وـضـوءـ لـاـ يـجـوزـ عـنـدـ جـمـهـورـ أـهـلـ الـعـلـمـ،ـ وـالـذـيـ عـلـيـهـ الـأـئـمـةـ الـأـرـبـعـةـ -ـ رـحـمـةـ اللهـ عـلـيـهـمـ -ـ،ـ وـهـوـ الذـيـ كـانـ يـفـتـيـ بـهـ أـصـحـابـ النـبـيـ ﷺـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ،ـ آـنـهـ لـاـ يـمـسـ الـقـرـآنـ إـلـاـ طـاهـرـ،ـ وـقـدـ وـرـدـ فـيـ ذـلـكـ حـدـيـثـ صـحـيـحـ لـاـ بـأـسـ بـهـ مـنـ حـدـيـثـ عـمـرـوـ بـنـ حـزـمـ -ـ رـضـيـ اللهـ عـنـهـ -ـ (أـنـ النـبـيـ ﷺـ كـتـبـ إـلـىـ أـهـلـ الـيـمـنـ آـنـ لـاـ يـمـسـ الـقـرـآنـ إـلـاـ طـاهـرـ)،ـ وـهـوـ حـدـيـثـ جـيـدـ لـهـ طـرـقـ يـشـدـ بـعـضـهـاـ بـعـضـاـ،ـ هـذـاـ هـوـ الـوـاجـبـ،ـ وـكـذـلـكـ نـقـلـ المـصـحـفـ أـوـ تـحـريـكـهـ مـنـ مـكـانـ إـلـىـ مـكـانـ لـاـ يـنـقـلـهـ إـلـاـ مـنـ كـانـ طـاهـرـاـ،ـ أـوـ إـذـاـ تـمـ ذـلـكـ بـوـاسـطـةـ،ـ كـأنـ يـأـخـذـهـ فـيـ لـفـافـةـ،ـ أـوـ يـكـونـ المـصـحـفـ فـيـ لـفـافـةـ فـيـأـخـذـهـ بـالـعـلـاقـةـ،ـ أـمـاـ أـخـذـهـ مـبـاـشـرـةـ بـيـدـيـهـ وـهـوـ عـلـىـ غـيرـ طـهـارـةـ،ـ فـلـاـ يـجـوزـ عـلـىـ الصـحـيـحـ الـذـيـ عـلـيـهـ جـمـهـورـ أـهـلـ الـعـلـمـ»<sup>(٤)</sup>.

(١) (٧٣/٢)، برقم: (٣٩٦).

(٢) يـنـظـرـ؛ـ الـجـامـعـ لـأـحـكـامـ الـقـرـآنـ لـلـقـرـطـبـيـ (١٧/٢٢٧).

(٣) مـجـمـوعـ الـفـتاـوىـ (٢١/٢٦٦).

(٤) فـتاـوىـ إـسـلـامـيـةـ (٤/٢٣، ٢٤).

ومن ذلك: تمكين الكافر من مسنه، ولو لغرض دعوته إلى الإسلام، للحديث السابق، فإنّه إذا كان المسلم المحدث لا يجوز له مسّ المصحف؛ فإنّ الكافر من باب أولى، لأنّه نجس، ولأنّه لا يعرف قدر المصحف؛ فقد يعرّضه للامتهان بقصد أو بغير قصد. ولا بأس بتمكينه من مسّ تفسير القرآن، أو ترجمة له بلغة أخرى إن كان أعمجياً، إذ إنّ هذا ليس له حكم المصحف، والله تعالى أعلم.

#### الصورة الرابعة: الدخول به إلى أماكن قضاء الحاجة:

يجب تنزيه المصحف عن الدخول به إلى أماكن قضاء الحاجة لما في ذلك من الامتهان الواضح، مع ما قد يتعرّض له من السقوط في موضع النجاسة، فإنّ كثيراً من الناس قد تسقط منه بعض أغراضه التي في جيده عند رفع ثوبه لقضاء الحاجة، فإذا كان المصحف في جيده، فقد يسقط ويترعرّض للبلل أو النجاسة، فوجب صيانته عن تلك الأماكن.

وقد حرم ذلك بعض السلف. قال الأذرعي<sup>(١)</sup> - رحمه الله -: «والمتّجه تحرّم إدخال المصحف ونحوه الخلاء من غير ضرورة؛ إجلالاً له وتكريراً»<sup>(٢)</sup>.

وقد سئل شيخنا العلامة ابن عثيمين - رحمه الله -: ما حكم الدخول بالمصحف إلى الحمام؟ فأجاب: «أهل العلم يقولون: لا يجوز للإنسان أن يدخل به إلى الحمام؛ لأنّ المصحف - كما هو معلوم - له من الكرامة والتعظيم ما لا يليق به أن يدخل به إلى هذا المكان»<sup>(٣)</sup>.

(١) هو أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد أبو العباس شهاب الدين الأذرعي، فقيه شافعي، مات سنة ثلاث وثمانين وسبعين. ينظر: الأعلام: (١١٩/١).

(٢) ينظر: مغني المحتاج: (٤٠/١)، وسبل السلام للصنعاني: (١٦/١).

(٣) فتاوى إسلامية: (٤/٥٣).

### الصورة الخامسة: توسيده والاتكاء عليه:

وقد نصّ على ذلك كثير من الأئمّة. قال النووي - رحمه الله - : «قال القاضي حسين<sup>(١)</sup> وغيره: لا يجوز توسيّد المصحف، ولا غيره من كتب العلم»<sup>(٢)</sup>.

وقال الزركشي - رحمه الله - : «ويحرم توسيّد المصحف، لأنّ فيه إذلاًًا وامتهاناً، وكذلك مدُّ الرجلين إلى شيء من القرآن»<sup>(٣)</sup>. وكذلك قال البهوتى - رحمه الله - في شرح منتهى الآداب<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عبد القوي - رحمه الله - : «يحرّم الاتكاء على المصحف، وعلى كتب الحديث، وما فيه شيء من القرآن اتفاقاً»<sup>(٥)</sup>.

ومن ذلك: ما يفعله بعض الجهلة والسفهاء في بعض المساجد من جعل المصحف وسادة ينام عليها، وقد سئل شيخنا ابن جبرين - رحمه الله - عن هذا العمل، فأجاب منكراً: «لا شكّ أنّ توسيّد القرآن حرام وذنب كبير، فيلزم المسلمين صيانة المصاحف عن الابتذال، وحفظها عن عبث العابثين، كما يلزم حفظ المساجد عن هؤلاء المفسدين بإغلاقها أو حراستها أو حفظ المصاحف ورفعها في مكان بعيد عن هؤلاء الجهلة العاصين»<sup>(٦)</sup>.

### الصورة السادسة: مدّ الرجلين إليه:

إنّ من احترام المصحف وما يحتويه من كلام الله تعالى: ألا تُمدّ الأرجل إليه، كما يفعله بعض الناس في المساجد وغيرها، لا سيما في هذه الأزمان، حيث تتوضع

(١) هو الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي المروزي الشافعي، فقيه خراسان في عصره، كان يقال له: حبر الأمة، مات سنة اثنين وستين وأربعين. ينظر: الوافي بالوفيات: (٤/٢٨٣).

(٢) المجموع: (٢/٨٨).

(٣) البرهان في علوم القرآن: (١/٤٧٨).

(٤) (١/٧٨).

(٥) الآداب الشرعية لابن مفلح: (٢/٢٩٧).

(٦) فتاوى إسلامية: (٤/٤٤).

المصاحف في رفوف صغيرة على الأرض، أو على حاملات المصاحف. ولو أن أحداً من الناس مدّ رجليه إلى شخص أمامه، لغضب، وعد ذلك من سوء الأدب، فكتاب الله أولى بالإجلال والتعظيم والاحترام.

وقد كان الناس في الماضي يضعون المصاحف في رفوف عالية لا يطالها إلا الرجال، فكانت بعيدة عن مثل هذا الامتهان، ثم تخلّى الناس عن هذه العادة، فياليت القائمين على المساجد يعيدون هذه العادة الحميدة؛ صيانة للمصاحف عن الامتهان.

وقد سبق قريباً قول الزركشي - رحمه الله - في تحرير مدد الأرجل إلى القرآن أو شيء منه.

#### الصورة السابعة: وضع شيء عليه:

فكتاب الله - عز وجل - يعلو ولا يعلى عليه، حسياً ومعنوياً، فلا يجوز وضع شيء عليه، لما في ذلك من الامتهان والتنتقد. أما وضع المصحف بعضها فوق بعض، فقد أجازه أهل العلم للحاجة إليه، ولأن ذلك لا يعد امتهاناً عرفاً، إذ جرى عليه عمل الناس عبر الأزمنة بلا نكير.

#### الصورة الثامنة: وضعه على الأرض:

إن وضع المصحف على الأرض ربما يكون دليلاً على الاستخفاف به وبما فيه من آيات الله، ولأن ذلك قد يعرضه للتلوث بالغبار ونحوه، أو الوطء بالأقدام لا سيما في بعض أماكن الازدحام، ولذا أجازه طائفة من أهل العلم بشروط، ولم يجزه آخرون بشروط.

وممن ذهب إلى عدم الجواز: شيخنا عبد الله بن جبرين - رحمه الله - فإنه قال: «القرآن الكريم المكتوب في هذه المصاحف له مكانته وفضله، فلا يجوز وضعه على مستوى الأرض، ولا يعرض للامتهان، ولا يوطأ بالأقدام، ولا يجلس عليه، ودليل

ذلك قول الله تعالى: ﴿فِي صُحْفٍ مُّكَرَّمَةٍ \* مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عيسى: ١٣، ١٤]، والرفع يعم الرفع الحقيقى بأن توضع المصاحف على مكان مرتفع حسأً ككرسى أو طاولة أو جدار أو رف أو نحو ذلك، والرفع المعنى وهو تنزيهها عن الامتحان والابتذال وعن التعرض للتراب والغبار والنجاسات. ولذلك يتأكّد على من رأى ورقة من المصحف أو فيها ذكر الله وقد أقيمت في الأرض وتعرضت لامتحان والوطء بالأقدام؛ أن يرفعها ويتنزّهها عمما تتعرّض له، فقد ورد في ذلك أجرٌ كبير لمن فعل ذلك. والله أعلم»<sup>(١)</sup>.

وممّن أجازه من المتقدمين: العلامة ابن مفلح - رحمه الله - فإنه قال بعد أن ذكر كراهية استدباره: «وفي معنى ذلك: التخطي ورميه إلى الأرض بلا وضع»<sup>(٢)</sup>، ومن المتأخّرين: شيخنا العلامة ابن باز - رحمه الله - لكنه اشترط أن يكون ذلك للحاجة وأن يكون على أرض طيبة. قال - رحمه الله -: «وضع المصحف في الأرض إذا دعت الحاجة إلى ذلك في الأرض الطيبة لا بأس، وإذا تيسّر مكان رفيع مثل كرسى أو دولاب أو غير ذلك؛ فهذا أولى وأفضل. فإن لم يتيسّر ذلك فبدها له وضعه على الأرض أو على الحصير لأسباب دعت إلى ذلك؛ فلا حرج في ذلك، لكن لا يوضع إلا على أرض طيبة عند الحاجة»<sup>(٣)</sup>.

ولا شكّ أنّ الأكمل والأفضل لا يوضع على الأرض مطلقاً تعظيمًا لشعائر الله، وتربية للأجيال على ذلك، والله تعالى أعلم.

#### الصورة التاسعة: وضعه في السيارة:

يعد بعض الناس إلى وضع المصحف في سيارته على المنضدة الأمامية، أو الخلفية تبرّكاً به ودفعاً للعين - بزعمهم - أو تهاوناً به، ولا يخفى ما في ذلك

(١) هذه الفتوى نشرت في موقع الشيخ رحمه الله.

(٢) الفروع: (١٩٢/١).

(٣) نشرت هذه الفتوى في الموقع الرسمي للشيخ رحمه الله.

من الامتهان، حيث إن المصحف يتعرض للشمس الحارقة، فيتغير لونه، وربما تمزق غلافه من شدة الحرارة، وبعضاً لهم لا يتورع عن وضع أشرطة غنائية محترمة بجانب المصحف، وقد رأيت مثل ذلك بعيني في بعض السيارات، مما يدل على الاستخفاف بالمصحف وما فيه من كلام الله، والجهل بحقه من الاحترام والإجلال. أما من وضعه في مكان آمن محترم ليقرأ فيه الركاب فلا بأس، وقد سئل شيخنا العلامة ابن باز عن هذه المسألة فأجاب: «وضع المصحف في السيارة للتبرك بذلك ليس له أصل، وليس بمشروع. أما وضعه في السيارة ليقرأ فيه بعض الأحيان، أو ليقرأ فيه بعض الركاب؛ فهذا طيب ولا بأس، والله ولي التوفيق»<sup>(١)</sup>.

وقد سبق بيان حكم اتخاذ المصحف أو بعض الآيات المكتوبة للتبرك ودفع العين بما يغني عن الإعادة<sup>(٢)</sup>.

#### الصورة العاشرة: تمكين السفهاء من مسّه:

المراد بالسفهاء هنا من لا يعرف قدر القرآن وقدسيته كالصبيان غير المميزين، والمعتوهين، ومن باب أولى المجانين، قال الإمام النووي - رحمه الله -: «ويمنع المجنون والصبي الذي لا يميز من مس المصحف مخافة من انتهاك حرمه، وهذا المنع واجب على الولي وغيره ممن رأه يتعرض لحمله»<sup>(٣)</sup>.

أما الصبيان المميزون، فلم أقف على أحد قال بحرمة تمكينهم منه مطلقاً، وإنما الخلاف في مسّهم له بلا طهارة، فرأى بعضهم الجواز للحاجة كما يقولون، ولأنّنا لو اشتربطنا الطهارة أدى ذلك إلى تنفيتهم عن حفظه، وفي الأمر بالتطهير حرج عليهم، قال صاحب الهدایة: «ولا بأس بدفع المصحف إلى الصبيان لأنّ في المنع تضييع

(١) فتاوى إسلامية: (٤/٢٩).

(٢) ينظر (ص ٢٦٧)، وما بعدها.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن: (ص ١١٠).

حفظ القرآن، وفي الأمر بالتطهير حرجاً بهم<sup>(١)</sup>. وحکى ابن قدامة - رحمه الله - في هذه المسألة قولين، قال: «وفي مسّ صبيان الكتائب الواحهم التي فيها القرآن وجهاً، أحدهما: الجواز لأنّه موضع حاجة، فلو اشتربنا الطهارة أدى إلى تنفيرهم عن حفظه. والثاني: المنع لدخولهم في عموم الآية»<sup>(٢)</sup>.

والذى أراه أن يُشجّعوا على الطهارة ليترتبوا على تعظيم هذا القرآن، لكن لا يشدّد عليهم فيه فينفروا، مع عدم تمكينهم من مس المصاحف العامة - ولا سيما عند الحفظ - وإنما يخصّص لهم أجزاء من المصحف كـ«ربع يس»، وـ«قد سمع»، وجزء عمّ، وهذه وإن كان ينطبق عليها حكم المصحف الشريف، إلا أن تداولها بأيدي الصبيان أهون من تداول المصحف الكامل عملاً بقاعدة ارتکاب أخفّ الضررين لدفع أعلاهما.

والمؤسف أنّ امتهان المصاحف لم يقتصر على الصبيان، بل تعدّى ذلك إلى بعض البالغين من طلاب المدارس والجامعات، حيث إنّ بعضهم يأخذون المصاحف من الأماكن العامة كال POSSIBILITY أو غيره، فإذا فرغوا منها تركوها في القاعات أو في الممرات ليعلوها الغبار!، وهذا يراه كلّ من له صلة بالتعليم، وتعليم القرآن على وجه الخصوص، والحلُّ يكمن في حفظ المصاحف العامة عن هؤلاء السفهاء، فلا يمكنون من الوصول إليها، مع إلزامهم بإحضار مصاحف خاصة بهم يتحملون هم مسؤولية المحافظة عليها وحفظها، وبهذا تخفي هذه الظاهرة المقلقة.

هذا ما ظهر لي من صور الامتهان، والله تعالى أعلم.

(١) الهدایة شرح بداية المبتدی للمرغینانی: (٣١/١).

(٢) المعني: (١٦٩/١).

## الخاتمة

وبعد هذا التفصيل في صور الامتهان المتعمّد وغير المتعمّد للنصّ القرآني؛

أخلص إلى ما يلي:

### أوّلاً: أهمّ التائج:

- ١) أنّ النصّ القرآني نصّ مقدّس، وقد ثبتت قداسته بأدلة كثيرة جداً.
- ٢) وجوب صيانة هذا النصّ القرآني من جميع وجوه العبث والامتهان وسائر وجوه الابتذال، وأنّ ذلك من تعظيم شعائر الله.
- ٣) أنّ هذا النصّ القرآني المقدّس لا يشبهه شيء من نصوص البشر أياً كانت، ولا يُعامل معاملتها، إلا فيما لا يخلُ بقداسته وجلاله.
- ٤) أنّ هذا النصّ القرآني بما يحمله من قداسة وإعجاز هو أكبر عائق أمام كلّ جهد يبذله خصوم هذا الدين لرّد المسلمين عن دينهم، وتحقيق أهدافهم المشبوهة.
- ٥) أنّ جهود خصوم الدين في النيل من هذا النصّ وإن كانت قديمة، إلا أنها شهدت في هذا الزّمن تطويراً في الأساليب من أخطرها: الدّعوة إلى قراءة جديدة معاصرة للنصّ من أجل تفريغه من محتواه، مع إبقاء قداسته، بل حتى مع التشكيك في قداسته بأساليب ماكرة.
- ٦) أنّ تعمّد امتهان القرآن وإن كان في ظاهره كفراً صريحاً؛ إلا أنّ فاعله ليس بالضّرورة أن يكون كافراً، فقد يكون جاهلاً أو متاؤلاً أو معذوراً بأيّ عذر من الأعذار حتى تقوم عليه الحجّة، كما قرر ذلك علماء الإسلام.
- ٧) أنّ تعظيم النصّ القرآني وإجلاله مع الإفراط في ذلك، قد يحمل بعض المسلمين على امتهانه وابتذاله بغير قصد.

٨) جهل كثير من المسلمين أو تساهلهم بحق هذا القرآن الكريم، وتغريتهم في ذلك، مما قد يؤدي إلى امتهانه بصور متعددة.

### ثانياً: التوصيات:

١) أوصي أهل العلم وطلابه والباحثين الجادين المتميزين بالعناية بهذا النص القرآني الكريم، حفظاً وفهمـاً وتدبراً، والعمل به، والوقوف بقوة وحزم في وجه كل مشكـك، وفضح أساليبـهم وخططـهم للنيل من هذا النصـ ومحاـولة إسـقاطـه.

٢) كما أوصي أهل العلم وطلابـه بتعريف عامة المسلمين بهذا النصـ التعـريف الصحيحـ، وحثـهم على العـناية به وإجلـالـه دون إفراـطـ ولا تغـريـطـ، فـكـلا طـرـفيـ قـصدـ الأمـورـ ذـمـيمـ. وـذـلـكـ حـفـظـاـ لهـ منـ الـامـتـهـانـ.

وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ، وـصـلـىـ اللـهـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ.

## فهرس المراجع والمصادر

- ٠ القرآن الكريم.
- ١) الإتقان في علوم القرآن لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، من مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية، ١٤٢٦هـ، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية.
- ٢) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: علي الbagawi.
- ٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، من توزيع إدارات البحث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض.
- ٤) الإسلام والحرية، الالتباس التاريخي لمحمد الشرفي، دار الفنك - الدار البيضاء، ٢٠٠٢م.
- ٥) إظهار الحق المبين بتأييد إجماع الأئمة الأربع على تحريم مس وحمل القرآن لغير المتظاهرين لعلي بن حسين بن عابد المالكي، الناشر: المحقق، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ، تحقيق ودراسة: بسام اليوسف.
- ٦) الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة (دراسة بيانية تشتمل على ٨١ آية من الذكر الحكيم) للأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الخراط، من مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية، ١٤٢٦هـ.
- ٧) الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة السادسة: ١٩٨٤م.
- ٨) الأعمال الشعرية الكاملة لأمل نقل، مكتبة مدبولي - القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٩٨٧م.

- ٩) الإنفاق في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الحسن علاء الدين علي بن سليمان المرداوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- ١٠) أنوار التنزيل وأسرار التأويل لعبد الله بن عمر البيضاوي، بيروت؛ دار الفكر، ١٤١٦هـ، تحقيق: عبد القادر عرفات.
- ١١) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتدولة بين الفقهاء لقاسم بن عبد الله ابن أمير علي القونوي، دار الوفاء - جدة، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ، تحقيق: د. أحمد بن عبد الرزاق الكبيسي.
- ١٢) البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، بيروت: مكتبة المعارف.
- ١٣) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعه في الشرح الكبير لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري المعروف بابن الملقن، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.
- ١٤) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ١٥) تاج العروس من جواهر القاموس لأبي الفيض مرتضى الزبيدي، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤هـ.
- ١٦) تاريخ الإسلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الفكر - بيروت.
- ١٧) تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، المكتبة العلمية - المدينة المنورة، الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ.
- ١٨) البيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووى، دار المعرفة، مكتبة الغزالى.

- (١٩) تثوير القرآن لجمال البنا، دار الفكر الإسلامي الطبعة الأولى: ٢٠٠٠ م.
- (٢٠) تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه) لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري التوسي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ، تحقيق: عبد الغني الدقر.
- (٢١) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.
- (٢٢) تذكرة الحفاظ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الفكر العربي - بيروت.
- (٢٣) تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحملي وجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى.
- (٢٤) تفسير القرآن الحكيم الشهير بالمنار لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية.
- (٢٥) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير الدمشقي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٠٣ هـ.
- (٢٦) تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي.
- (٢٧) التقرير العلمي عن مصحف المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة: ١٤٠٦ هـ.
- (٢٨) تلبيس إبليس لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ هـ، تحقيق: د. السيد الجميلي.
- (٢٩) تلخيص الحبير في تحرير أحاديث الرافعي الكبير للحافظ ابن حجر العسقلاني، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، تحقيق وتعليق: شعبان محمد إسماعيل.
- (٣٠) تهذيب الكمال لأبي الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٠ هـ، تحقيق: د. بشّار عواد معروف.

- ٣١) التوضيحات الجلية شرح المنظومة السخاوية في متشابهات الآيات القرآنية - محمد سالم محسن وشعبان محمد إسماعيل، المكتبة المحمودية - القاهرة، الطبعة الأولى.
- ٣٢) جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى: الطبعة الأولى؛ بيروت: دار الكتب العلمية: ١٤١٢ هـ.
- ٣٣) الجامع الصحيح سنن الترمذى، لأبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى السلمى، دار إحياء التراث العربى - بيروت، تحقيق؛ أحمى محمد شاكر وآخرون.
- ٣٤) الحداثة في ميزان الإسلام د. عوض بن محمد القرنى، هجر للطباعة والنشر - الجizah، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ، تقديم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز.
- ٣٥) دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد بن عبد الرحمن الرومي، الناشر: المؤلف، الطبعة الثانية عشرة: ١٤٢٥ هـ.
- ٣٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الفضل محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربى - بيروت.
- ٣٧) روضة العقلاء ونرفة الفضلاء لأبى حاتم محمد بن حبان البستى.
- ٣٨) الروضة من الكافى للكلبى، تصحيح وتعليق على أكبر الغفارى، عني بنشره الشيخ محمد الآخوندى مؤسس دار الكتب الإسلامية - طهران - بازار سلطانى، الطبعة الثانية: ١٣٨٩ هـ.
- ٣٩) زاد المسير في علم التفسير لأبى الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن الجوزيّ، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ.
- ٤٠) سبل السلام شرح بلوغ المرام لمحمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، ١٣٩٧ هـ، صحّحه وعلّق عليه: خليل إبراهيم ومحمد محرز.

- (٤١) السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعرف - الرياض.
- (٤٢) سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، ومع الكتاب: تعليلات كمال يوسف الحوت.
- (٤٣) سنن النسائي الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن.
- (٤٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع لأبي عبد الله محمد بن صالح بن عثيمين، مؤسسة آسام للنشر - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ، اعنى به: د. سليمان أبا الخيل، و د. خالد المشيقح.
- (٤٥) صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ، باهتمام: عبد المالك مجاهد.
- (٤٦) صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.
- (٤٧) صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري: الرياض: مكتبة الرشد: ١٤٢٢هـ.
- (٤٨) ضعيف سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت.
- (٤٩) طبقات الشافعية الكبرى لتأج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار هجر، الطبعة الثانية: ١٤٣١هـ، تحقيق: د. محمود الطناحي و د. عبد الفتاح الحلول.
- (٥٠) طبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنوي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.
- (٥١) العقل عند الشيعة الإمامية د. رشدي محمد عرسان سليمان، مطبعة دار السلام - بغداد، الطبعة الأولى: ١٣٩٣هـ.

- ٥٢) فتاوى إسلامية لأصحاب الفضيلة العلماء: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، إضافة إلى اللجنة الدائمة وقرارات المجمع الفقهى، جمع وترتيب: محمد بن عبد العزيز المسند، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ.
- ٥٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء جمع وترتيب أحمد الدويس، من منشورات رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، الطبعة الثالثة: ١٤١٩ هـ.
- ٥٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعى، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- ٥٥) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة: ١٤١٩ هـ.
- ٥٦) الفروع لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥ هـ.
- ٥٧) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل لمحمد أركون، دار الساقى - بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٩ م، ترجمة وتعليق: هاشم صالح.
- ٥٨) القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير لمحمد محمود كالو، دار اليمان - حلب، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ، تقديم: الأستاذ الدكتور أبو لبابا الطاهر، والدكتور عبد العزيز الحربي.
- ٥٩) القراءة الجديدة للنص الديني (الباطنيون الجدد والقراءة المتهافة للنص الديني) للدكتور عبد المجيد النجار، إصدار مركز الرأي للتنمية الفكرية، ٢٠٠٦ م.

- ٦٠) قضايا في نقد العقل الديني لمحمد أركون، دار الطليعة - بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٩ م، ترجمة وتعليق: هاشم صالح.
- ٦١) قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية للدكتور حسين الحربي، دار القاسم - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ.
- ٦٢) قواعد التفسير، جمعاً ودراسة للدكتور خالد السبت، الخبر، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ.
- ٦٣) الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني، دار المرتضى - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ.
- ٦٤) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للإمام محمد بن عبد الوهاب، دار السليب - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ، مع تعليقات مختصرة أعدّها: محمد المسند.
- ٦٥) كتاب المصاحف لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث المعروف بـ «ابن أبي داود»، دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٢٣ هـ، دراسة وتحقيق ونقد: الدكتور محب الدين عبد السبّحان واعظ.
- ٦٦) كسر الصنم (نقض كتاب أصول الكافي) لآية الله أبي الفضل البرقعي، دار البيارق - الأردن، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ، ترجمة: عبد الرحيم ملا زاده البلوشي، راجعه وعلق عليه: عمر بن محمود أبو عمر.
- ٦٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوایل في وجوه التأویل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، بيروت، دار المعرفة.
- ٦٨) الكشف الحيث عَمِّن رمى بوضع الحديث لأبي الوفا إبراهيم بن محمد بن سبط بن العجمي الحلبي الطرابلسي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧ هـ، تحقيق: صبحي السامرائي.

- ٦٩) اللباب في شرح الكتاب لعبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي، حققه وضبيطه وعلق حواشيه: محمود أمين النواوي.
- ٧٠) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
- ٧١) لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٦ هـ، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند.
- ٧٢) لقاء الباب المفتوح، لأبي عبد الله محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ.
- ٧٣) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الدار السلفية - الكويت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر.
- ٧٤) متن الشاطبية في حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، للقاسم ابن فيرة الشاطبي، مكتبة جمهورية مصر - القاهرة، ضبط وتحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل.
- ٧٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر، دار الفكر - بيروت، ١٤١٢ هـ.
- ٧٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن قاسم.
- ٧٧) المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني، مديرية إحياء التراث القديم - دمشق، ١٩٦٠ م، تحقيق: د. عزّة حسن.
- ٧٨) مدخل إلى القرآن الكريم لمحمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، الطبعة الثانية: ٢٠٠٧ م.

- ٧٩) المستطرف في كل فن مستظرف لأبي الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد الأ بشيهي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٦ م، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة.
- ٨٠) المسند للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- ٨١) مشكاة المصايب لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزى، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى.
- ٨٢) المصنف في الأحاديث والآثار لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٩ هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- ٨٣) معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٠٩ هـ، تحقيق: محمد علي الصابوني.
- ٨٤) معجم الأمثال العربية القديمة، للدكتور عفيف عبد الرحمن، دار العلوم - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ هـ.
- ٨٥) المعجم الكبير لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، الطبعة الثانية: ١٤٠٤ هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- ٨٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٨٧) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ هـ.
- ٨٨) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لمحمد الخطيب الشربيني، دار الفكر - بيروت.

- ٨٩) مفهوم النّصّ، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء، الطبعة السادسة: ٢٠٠٥ م.
- ٩٠) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- ٩١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٩٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري التنووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢ هـ.
- ٩٣) المواقفات في أصول الشريعة لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، دار المعرفة - بيروت، شرح: عبد الله دراز.
- ٩٤) الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصحابي، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٩٥) ندوة عنية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- ٩٦) النّصّ، السلطة، الحقيقة لنصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي - بيروت والدار البيضاء، الطبعة الثالثة: ١٩٩٧ م.
- ٩٧) نقد الخطاب الديني لنصر حامد أبو زيد، دار سينا - القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٩٢ م.
- ٩٨) الهدایة شرح بداية المبتدی لأبی الحسن علی بن أبی بکر بن عبد الجلیل الرشدانی المرغیانی، المکتبة الإسلامية.
- ٩٩) هذا هو الكافي للدكتور طه حامد الدليمي، الطبعة الأولى.
- ١٠٠) الوافي بالوفيات للصفدي.
- ١٠١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبی الحسن علی بن احمد الواحدی. ط١؛ دمشق: دار القلم: ١٤١٥ هـ. تحقيق: صفوان عدنان داودي.

• الصحف والمجلات الورقية:

أولاً: الصحف:

صحيفة البلاد السعودية، العدد: ١٦٠٥٧.

صحيفة الندوة السعودية، العدد: ١١١٨٠.

صحيفة الجزيرة السعودية، الأعداد: ٨٦٤٨ - ٨٧٠٤ - ٩٤٦٤ - ٩٥٨٩ -

. ٩٧٢٦ - ٩٨٧٣

صحيفة الرياض السعودية، الأعداد: ١٠٣٧٨ - ٨١٧٠ - ١٠٤٤٠ - ١٠٦٩٢ -

- ١١٠٨٦ - ١١٣٢٣ - ١٢٨٦٣ - ١٣٢٨٢ - ١٣٠٦٥ - ١٣٠٥٨ - ١٣٣٢٤ -

. ١٣٤٢٩ - ١٣٨٥٦ - ١٥٢٤٢

ملحق الأربعاء، بتاريخ: ٩/٢٦ هـ ١٤٢٥.

صحيفة الوطن السعودية، الأعداد: ٩٤٤ - ١١١٢ - ١١١٣ .

صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، العدد: ٩٧١٦ .

ثانياً: المجلات:

مجلة الدعوة السعودية، العدد: ١٧١٧ .

مجلة الإمامية السعودية، الأعداد: ١٤٠٩ - ١٤٥١ - ١٤١٠ .

المجلة العربية، عدد شهر ذي القعدة ١٤٢٠ هـ .

مجلة الحوادث اللبنانية، العدد: ١٦٠٤ .

مجلة المجمع الفقهى الإسلامى، العدد: ٢٣ .

مجلة هدى القرآن، العدد: ١٥ .

• المجلات والموقع والمنتديات الإلكترونية:

أولاً: المجلات الإلكترونية:

مجلة الحوار المتمدن .

مجلة الفوانيس .

ثانيًاً: المواقع الإلكترونية:

موقع إسلام أون لاين. نت.

موقع باب.

موقع بحوث ودراسات.

موقع بوابة الأوان.

موقع شبكة الدفاع عن السنة.

موقع فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك.

موقع فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

موقع محمد صلى الله عليه وسلم.

موقع الملتقى الفكري للإبداع.

موقع وزارة الأوقاف المصرية.

ثالثًاً: المنتديات الإلكترونية:

منتدى الحكمة للفكر والباحثين.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٠٣	ملخص البحث.
٢٠٤	المقدمة.....
٢٠٩	التمهيد.....
٢١١	<b>المبحث الأول:</b> (صور الامتهان المتعمد وشبه المتعمد).....
	الصورة الأولى: إفحام النص القرآني أو محاكاته بما يشبه الاقباس أو التضمين،
٢١١	على سبيل السخرية والاستهزاء.....
	الصورة الثانية: الدعوة إلى تفسير النص وفهمه فهمًا «عصريًا» منقطعًا تماماً عن
٢٢٢	فهم السلف.....
	الصورة الثالثة: الاستشهاد بالنص القرآني أو إفحامه في الكلام الشري بطريقة هي
٢٣٢	أقرب إلى المديان والاستخفاف والسخرية.....
	الصورة الرابعة: إنزال النصوص الواردة في الكفار والمنافقين على المؤمنين من أهل
٢٣٤	العلم والدعوة والدين.....
	الصورة الخامسة: الاستشهاد الخاطئ بالنص، أو ذكره بالمعنى استخفافاً، مع سهولة
٢٣٩	الوصول إليه، لا سيما مع التطور التقني والفتى.....
	الصورة السادسة: التشكيك في النص القرآني، بادعاء نقصه أو بتحريفه لفظاً
٢٤٢	أو معنى.....
٢٤٨	<b>المبحث الثاني:</b> (صور الامتهان غير المتعمد).....
٢٤٩	<b>المطلب الأول:</b> صور الامتهان المتعلقة بالنص ذاته.....
٢٤٩	الصورة الأولى: التكلم به.....
٢٥٢	الصورة الثانية: جعله نغمة للهاتف النقال.....
٢٥٣	الصورة الثالثة: جعله مادة للنكت والطرائف.....
٢٥٤	الصورة الرابعة: التكسب وسؤال الناس بتلاوته وترتيله.....
٢٥٥	الصورة الخامسة: جعله شعاراً في المنافسات الرياضية.....
٢٥٦	الصورة السادسة: خلط شيء معه.....
٢٥٨	الصورة السابعة: تحويله ما لا يحتمل.....
٢٥٨	الصورة الثامنة: الزعم بأنّ فيه كل شيء.....

الصفحة	الموضوع
٢٦٠	الصورة التاسعة: تلاوته بالمقامات الموسيقية.....
٢٦١	المطلب الثاني: صور الامتحان المتعلقة بكتابته ورسمه.....
٢٦٢	الصورة الأولى: كتابته بغير الرسم العثماني.....
٢٦٤	الصورة الثانية: كتابته في لوحات للتعليق في البيوت والمكاتب وغيرها.....
٢٦٥	الصورة الثالثة: كتابته في حروز للتعليق على الرقبة وغيرها اكتئام.....
٢٦٧	الصورة الرابعة: كتابته على جسد المريض للاستشفاء.....
٢٦٩	الصورة الخامسة: كتابته في إماء ليشرب منه المريض.....
٢٧٠	الصورة السادسة: كتابته على السيارات.....
٢٧١	الصورة السابعة: كتابته على الملابس الداخلية للاسترقاء به.....
٢٧١	الصورة الثامنة: كتابته بشكل متقطع.....
٢٧١	الصورة التاسعة: كتابته على شكل صورة إنسان أو حيوان.....
٢٧٢	الصورة العاشرة: كتابته على الدرارهم ونحوها.....
٢٧٢	الصورة الحادية عشرة: كتابته بالذهب.....
٢٧٣	المطلب الثالث: صور الامتحان المتعلقة بالوعاء الذي يُكتب فيه.....
٢٧٤	الصورة الأولى: السفر به إلى بلاد العدو.....
٢٧٥	الصورة الثانية: تصغير لفظه وحجمه.....
٢٧٥	الصورة الثالثة: مسنه بغير طهارة.....
٢٧٧	الصورة الرابعة: الدخول به إلى أماكن قضاء الحاجة.....
٢٧٨	الصورة الخامسة: توسيده والاتكاء عليه.....
٢٧٨	الصورة السادسة: مد الرجلين إليه.....
٢٧٩	الصورة السابعة: وضع شيء عليه.....
٢٧٩	الصورة الثامنة: وضعه على الأرض.....
٢٨٠	الصورة التاسعة: وضعه في السيارة.....
٢٨١	الصورة العاشرة: تكين السفهاء من مسه.....
٢٨٣	الخاتمة.....
٢٨٥	فهرس المراجع والمصادر.....
٢٩٧	فهرس الموضوعات.....

# أثر القرآن الكريم في المذهب العربي

كمال عبد جبار الصالح الجيابي<sup>(١)</sup>

## مُلْكُ الْبَحْثِ

القرآن الكريم، كتاب الله تعالى أنزله لعباده ليضع لهم منهجاً يعيشون به بطمأنينة وسلام، على اختلاف ألوانهم، وأجناسهم، وأذواقهم. هذا الكتاب المقدس نزل بالحرف العربي، ومنذ ذلك اليوم بدأ الاهتمام بالكتابة كما دعا إليها القرآن، ودعا إلى العلم، وحثّ عليه، ودعا إلى تجويد كلام الله تعالى تلاوةً ليقبل الناس عليه، فاهتم المسلمون بتجويد كلام الله تعالى بغية الأجر والتوثيق والدعوة إلى الله تعالى.

وتطور نظام التجويد في الكتابة منذ القرن الأول لنزول القرآن الكريم حتى وضعوا له قواعد ونظمًا في القرن الثالث الهجري ليكون علماً مستقلاً في نظام الكتابة، وهو علم «الخط العربي» حتى تطور، وتعدّدت أنواعه، ووصل إلى غاية الجمال والروعة ليجمع بين دقة التوثيق، وروعة الجمال، وإبداع التصميم، إضافة إلى قداسة القرآن. فأصبح خطًا يمتاز جمالاً ودقةً، ويتميز على باقي الخطوط في العالم قديمها وحديثها. ولو لا القرآن الكريم لم يصل الحرف العربي إلى هذه المنزلة الرفيعة. وهذا من فضل القرآن على الأمة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرٌ كُلُّ أَفْلَامَ تَعْقِلُونَ﴾

[الأنباء: ١٠]

(١) باحث في قسم الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية، بغداد.

## المقدمة

عندما نتأمل أي لوحٍ فنيةً متقدمةً بخطٍّ عربيٍّ أصيلٍ نشعر بقوة جذب تشدُّنا نحوها، هذه القوة ليست قوة التأثير بالمعنى أو الجمال الفني، بل هو تأثير أعمق من الوصف، حروف هادئة ناطقة كأنها تخاطبنا ببلاغة وتهمس في آذاننا همساً يؤثر في أعماق نفوسنا، حروفٌ ساكنةٌ وكأنها تتحرك بروح حيةٍ، وكل متذوقٍ لهذا الفن يقف أمام هذه العبارات الصامتة البليغة إجلالاً وإكباراً ومهابةً.

قوه الجذب في الخط تشد الناظرين إليها من العرب والعجم المسلمين وغيرهم، جاءت هذه القوة من القرآن الكريم، الولي الخالد الذي أعزَ الله به هذه الأمة، ورفع شأنها بين الأمم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسَعَّدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، والذُّكرُ هو الشرف والذكرى والموعظة.

ومن فضل الله على العرب أن جعل القرآن بلغتهم، ومن ذلك اليوم ولدت قداسة الحرف العربيّ - حروف القرآن - وببدأ تأثير القرآن في الخط، فكان هذا الموضوع عنوان بحثنا «أثر القرآن الكريم في الخط العربي».

## الفصل الأول

### الكتابة والخط

تعريفهما - أهميتهما - الفرق بينهما

الكتاب لغة له معانٍ عديدة، منها الفرض والحكم والقدر.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبٌ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْفَتْنَى﴾ [البقرة: ١٧٨] أي

فرض <sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِعَضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأనفال: ٧٥]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ أَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [التوبه: ٣٦] أي في حكمه <sup>(٢)</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿فُلَّ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيَسْ تَوَكِّلُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبه: ٥١] أي بقضاء الله وقدره <sup>(٣)</sup>.

وتأتي بمعنى الجمع، والكتيبة ما جمع فلم ينشر، ومنها كتبة الجيش <sup>(٤)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَئْبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أَوْ لِتِيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ أَلَا يَكُنْ﴾ [المجادلة: ٢٢] أي: جمعه وثبته <sup>(٥)</sup>.

(١) لسان العرب (ج ٥) مادة: كتب (ص ٣٨٦).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٦٩٩).

(٣) المصدر نفسه (ص ٦٩٩).

(٤) لسان العرب (ج ٥) مادة: كتب (ص ٣٨١٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، (٢٦١/١٧).

ومن معاني خطٍّ فكرٍ يقال: فلان يخطٌّ في الأرض، إذا كان يفكّر في أمره ويدبره<sup>(١)</sup>.

والأخطٌ الدقيق المحسن، ورجلٌ مخططٌ أي: جميل.

ويعبر عن الكتابة بالقلم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَشْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ  
وَلَا تَخْطُلُهُ وَيَسِّينِكَ إِذَا لَأْرَاتَابَ الْمُبَطِّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]<sup>(٢)</sup>.

وعُرِّفَ الخط اصطلاحاً بتعريفات كثيرة منها:

- «رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس»<sup>(٣)</sup>.
- «ما تعرف به صور الحروف المفردة، وأوضاعها، وكيفية تركيبها خطًا»<sup>(٤)</sup>.
- «آلية جسمانية تضعف بالترك وتقوى بالإدمان»<sup>(٥)</sup>.
- «هندسة روحانية وإن ظهرت بالآلية جسمانية»<sup>(٦)</sup>.
- «ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة»<sup>(٧)</sup>.
- والأخير أقرب التعريفات للخط وأوضحها له، اختاره الشيخ محمد طاهر الكريدي الخطاط. والذي نراه أن هذا التعريف الجليل قيد بقيد لا أجد مسوغاً له، إذ إنه ربط الخط بحركة الأنامل، والخط بغير الأنامل يخرجه من هذا القيد، وقد شمل الخط بالعربيّة وغيرها.

(١) لسان العرب، مادة خطوط (١١٩٨، ١١٩٩).

(٢) ينظر مفردات ألفاظ القرآن (ص ٢٨٦)، ولسان العرب المصدر السابق.

(٣) مقدمة ابن خلدون (ص ٤١٧).

(٤) صبح الأعشى (٣/٨)، ونبه إلى شمس الدين الأ肯اني.

(٥) تاريخ الخط وأدابه (٧، ٨).

(٦) الفهرست (ص ١٣)، وتاريخ الخط وأدابه (ص ٧، ٨)، وهذا التعريف لإقلیدس، وهو من الفلاسفة الرياضيين أبدع في الهندسة، ووضع فيها كتاباً.

(٧) المصدر السابق (ص ٨).

### والذي نختاره لتعريف الخط:

«فُنْ كِتَابَةُ الْحُرُوفِ بِقَوَاعِدِ خَاصَّةٍ تَزِيدُهَا وضوحاً وجمالاً وجذباً».

فقولي: (فُنْ) أعني به الإبداع والابتكار والتجديـ، وهذه من خصائص الفنون، وقولي: (كتابة) آخر جته عن الفنون الأخرى كالرسم والنحت وغيرها، و(قواعد خاصة) أعني قواعد الخط التي وضع أسسها علماء هذا الفن، و(وضوحاً وجمالاً وجذباً)، لأميـ هذا الفن عن الإملاء، ورسم المصحف، والخط الطباعي.

### أهمية الكتابة والخط:

يقول القلقشندي<sup>(١)</sup> متحدثاً عن الكتابة: «أعظم شاهد لجليل قدرها، وأقوى دليل على رفعة شأنها، أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه واعتده من وافر كرمه وأفضاله فقال عز اسمه: ﴿أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَمِ﴾ [العلق: ٤، ٣] وهذه الآية والتي قبلها مفتاح الوحي وأول التنزيل على أشرف نبي وأكرم مرسـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وفي ذلك من الاهتمام بشأنها ورفة مَحَلُّها ما لا خفاء فيه، ووصف بها الحفظة الكرام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَيْكُمْ لَحَفِظِينَ \* كَرَامًا كَتَبِينَ﴾ [الأنفطار: ١٠، ١١] وأقسم بالقلم الذي هو آلة الكتابة، قال تعالى: ﴿تَ وَالْقَلْمَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

فالكتابة هي الوسيلة التي تنقل بها العلوم والأفكار والثقافات بين الحضارات المختلفة، وتُدوـن عبر الأجيال، وبها يطلب العلم ويتطور، وبها يتم تدوين الحقوق والوثائق والمعاهدات والعقود، وبها تحفظ أصناف العلوم وتنشر.

ومن العلماء من عـ أشرف العـ منزلـة، وأعمـ نفعـ بقولـه: «وـ جميع العـ تـعرف بالـ دلـلة عـلـيـها أو الـ لـفـظ أو الـ خطـ، فـالـ إـشـارة تـوقـف عـلـى المشـاهـدـ».

(١) هو صاحب كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنسـ (١١ / ٣٥).

واللّفظ يتوقف على حضور المخاطب والسماع، أما الخط فلا يتوقف على شيءٍ من ذلك، فهو أعمّها نفعاً وأشرفها»<sup>(١)</sup>.

والخط وسيلة تناهُطُ الحاضر والغائب ويترجم إلى كل اللغات، ويبقى على مدى الأزمان، كما رُوي عن المأمون عندما وصف الخط بقوله: «لو فاخَرْتُنا العلوم والأعلام بأمثالها لفخرنا بما لدينا من أنواع الخط: يقرأ بكل مكان ويترجم بكل لسان ويوجد في كل زمان»<sup>(٢)</sup>.

فالخط يأخذ أهمية الكتابة بل يفوقها؛ لأنَّه بِلَاغْتَهَا وَكَمَالَهَا وَجَمَالَهَا، وهو الصورة الناصعة لها.

والخط يحقق أغراض الكتابة فيزيد إقبال ناظريها لتدبر معانيها؛ لأنَّ روعة جمال الحروف وتناسقها تلبِّس جمال المعاني ثواباً يزيدُها جاذبيةً، فيتفاعل هذا الجمال مع جمال المعاني، فيتعانق الذوق والحس، فيؤثُّر في العقول والآنفوس، فيمتع النظر، ويطَّيب النفس، وينمي الذوق.

### الفرق بين الخط والكتابة:

الخط كما مرَّ بنا وَفَقَ قواعد مخصوصة تزيد الكتابة وضوحاً وجمالاً وجذباً، وهو أنواع منها: الثالث، والنَّسخ، والكوفي، والتعليق، والديواني، وغيرها، وكل نوع له قواعده الخاصة التي تختلف عن غيره، والمقصود بالقواعد مقياس الحروف بعرض القلم المكتوب، وكل كتابة لا تلتزم بهذه القواعد لا تُسمَّى خطًا بل كتابة.

(١) الكلام للشيخ شمس الدين الأكفاني، وهو طبيب باحث بالحكمة والرياضيات، توفي بالقاهرة عام ٧٤٩هـ. المصدر نفسه: (٣/٧).

(٢) الخط العربي وتطوره في العصور العباسية (ص٣).

والكتابة مستخدمة على نحو واسع بين الطلبة والمعلمين والموظفين والمثقفين وفي مختلف العلوم، وهي تكتب بسرعة آنية غرضها القراءة فقط، ولا تهتم بنسبة الجمال والفن، وتكتب بقلم رأسه مدبب، والخط يكتب بقلم رأسه عريض يمتد بزاوية عرضها (٤٥) درجة تقريباً، وأغراه مع القراءة الجمال والإبداع والتفنن وشد انتباه الناظرين.

فالفرق بين الخط والكتابة جلي واضح، فالكتابة أعم من الخط، فكل خط كتابة ولا عكس، فالتمييز بينهما واضح كالتمييز بين الكلام الموزون عن الكلام العادي، والصوت الجميل المرتّل عن الكلام الدارج.

والخط العربي يقصد به ما قدمناه (كتابة العربية بقواعد مخصوصة) ولا يعني الإملاء اصطلاحاً وإن عَتَّها لغةً، فالتمييز بين التعبير الاصطلاحي واللغوي ظاهر في كل فن.

وهناك كتابة تستعمل بالمطبوعات وأجهزة الحاسوب والصحافة والمؤلفات ليست موضوع بحثنا، وهي (كتابة طباعية) انضبطة بآلية طباعية.

### الكتابة في صدر الإسلام:

كان القرآن يتزل على النبي ﷺ فيحفظه، ويُبلغه للناس، ويأمر كتاب الوحي بكتابته، ولم ينقض عهد الرسول ﷺ إلا والقرآن كله مكتوب، ولم يكن مجموعاً في مكان واحد ولا مرتب <sup>(١)</sup>، ولقد بلغ كتاب الوحي ثلاثة وأربعين كاتباً<sup>(٢)</sup>، وكان بعضهم منقطعاً لكتابه الوحي، وفي عهد الصديق رضي الله عنه جمع القرآن

(١) تاريخ المصحف الشريف: (ص ٩ - ١٠)، وتاريخ القرآن: (ص ٤٣) للزنجماني.

(٢) رسم المصحف: (ص ١٠٣)، وتاريخ القرآن: (ص ٤٢).

في مكان واحد بعد ما كان متفرقًا في العسب واللّخاف<sup>(١)</sup>، وقد أثني علي رضي الله عنه على هذا العمل بقوله: «رحمة الله على أبي بكر، كان أعظم الناس أجرًا في جمع المصاحف، وهو أول من جمع القرآن بين اللوحين»<sup>(٢)</sup>.

أما في خلافة عمر رضي الله عنه، فإن كتابة القرآن أخذت تتسع استجابة إلى حاجة الناس إلى تعليمه، ولا سيما أن الفتوح قد امتدت، وكثير الداخلون في الإسلام وازدادت حاجتهم إلى معرفة تعاليم الدين، فظهرت المصاحف في الأ MCSAR من إملاء كبار الصحابة الذين كانوا يعلمون القرآن، وهناك نشأ عن ذلك اختلاف القراءات، مما أظهر الحاجة إلى مصحف يكون إماماً للمسلمين، وهذا ما تم في خلافة عثمان رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

إن حركة تدوين المصحف تدلنا على نقطة انتشار الكتابة والاهتمام بها خلاف ما كانت عليه في العصر الجاهلي الذي يفصل بينهما مدة قصيرة، إذ كان العرب في ذلك العصر أقرب للأمية منهم إلى الكتابة، وكانت نسبة المتعلمين منهم ضئيلة جداً، حتى إن بعض المصادر أشارت إلى أن بضعة عشر رجلاً كانوا يجيدون القراءة والكتابة<sup>(٤)</sup>. وحتى المتعلمون منهم كانوا يأنفون من الكتابة، ويعتمدون على الحفظ، ويرونه أسلماً وأضبط، وبقي هذا الأثر حتى صدر الإسلام، إذ كان العلماء يميلون إلى الحفظ دون التدوين<sup>(٥)</sup>.

وقد سجل القرآن تلك الأمية بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتَوَعَّدُهُمْ بِآيَاتِهِ وَرَزَّكَهُمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِفْيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

(١) اللّخاف: الحجارة الرقيقة. ينظر: رسم المصحف (ص ١٠٣). والعسيب: جريد النخل. ينظر: تاج العروس (٣٦٩/٣).

(٢) رسم المصحف: (ص ١٠٤).

(٣) انظر: المصدر السابق: (ص ١٠٦).

(٤) صبح الأعشى: (١٥/٣).

(٥) تراجم خطاطي بغداد لأستاذنا الأعظمي: (ص ٢٠).

والرسول ﷺ اهتم بالكتابة اهتماماً بالغاً، ويظهر ذلك من ملازمة كتاب الوحي له، وحضر على تعلمها وتعليمها، ويدلنا على ذلك أنه لما انتصر على قريش في بدر وأسر منهم سبعين رجلاً من صناديد قريش وغيرهم، جعل على كل واحد من الأسرى لفكاكه من الأسر فداء من المال، وعلى من عجز عن الافتداء بالمال - إن كان ذا دراية بالكتابة - أن يعلمها عشرة من صبيان المدينة، فلا يطلقونه إلا بعد تعليمه، وبذلك راجت سوق الكتابة بالمدينة<sup>(١)</sup>، وكان عليه الصلاة والسلام يختار أجوء الناس خطأً لمراسلة الملوك<sup>(٢)</sup>.

ويمكن إيجاز مرحلة صدر الإسلام بأنها مرحلة الدعوة إلى تعلم الكتابة وتعليمها مما أدى إلى انتشارها، وحب القرآن والحرص على تعلمه كان له الأثر البالغ في نشر الكتابة، ويستدعي ذلك الحرص على الدقة المتناهية في تدوين كلام الله، وليس من المستبعد أن الصحابة كانوا يكتبون القرآن بين يدي النبي ﷺ بالخط اللين، فإذا رجعوا إلى منازلهم، وأصبحوا مطمئنين يملكون الوقت الذي يمكنهم إعادة نسخ ما كتبوه بالخط الجاف الذي يتطلب التأني في رسم الحرف، انصرفوا إلى ذلك قاصدين تكرير كلمات الله وتعظيمها، ومؤمنين بأنه بقدر ما يبذلونه في نسخها من جهد يكون ثوابهم عند الله<sup>(٣)</sup>.

وكانت هذه المرحلة من شيوع الكتابة وانتشارها القاعدة التي أرسى عليها الخط دعائمه في المرحلة التي تليها.

(١) ينظر زاد المعاد (٥/٦٥)، وتاريخ المصحف (ص ٥، ٦).

(٢) ينظر موازين رسم المصحف، بحث لأستاذنا د. غانم قدوري، نشر في مجلة المورد العدد (١٤) سنة (١٤٠٧هـ) (ص ٢٧)، والخط العربي والإسلام، بحث محمود شكر الجبوري، مجلة آفاق عربية (ص ٩١) العدد (٦) سنة (١٩٧٩م).

(٣) مجلة آفاق عربية العدد السابق (ص ٩٦)، والخط يقصد به الأداء اليدوي السريع (المشقق)، واليابس المستعمل في المخطوطات القديمة.

## الفصل الثاني

### إرساء قواعد الخط العربي عند استقرار الدولة الإسلامية

يتسم عصر استقرار الدولة الإسلامية في العصرين الأموي العباسي بازدهار العلوم والأداب والفنون، واهتم خلفاء بني أمية بالكتابة اهتماماً بالغاً، لإدراكهم مكانتها في نشر الدعوة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

وبدأ الخط يسمو ويرتقي ويتحسن أكثر من قبل حتى ظهر خطاطون مبدعون ومجددون، منهم «قطبة المحرر» الذي بدأ بتحويل الخط الكوفي إلى ما يقارب الشكل الذي هو عليه الآن، وقد كان أكتب أهل زمنه، وهو الذي اخترع القلم الطومار والقلم الجليل. واشتهر بعده «خالد بن أبي الهايج» بكتابه المصاحف، وهو أول من أجاد كتابتها، وكان منقطعاً لكتابه الوليد بن عبد الملك يكتب أخبار العرب وأشعارهم، واشتهر بعده بكتابه المصاحف «مالك بن دينار» وكان من كبار الزاهدين، المتوفى سنة (٢٣٠ هـ)، ولم تكن له حرفة يعيش عليها غير كتابة المصاحف<sup>(٢)</sup>.

وفي أوائل الدولة العباسية اشتهر رجالان من أهل الشام بجودة الخط، هما «الضحاك بن عجلان» وكان في خلافة السفاح، و«إسحاق بن حماد» وكان في خلافة المنصور والمهدى<sup>(٣)</sup>.

(١) الخط العربي وتطوره في العصور العباسية (ص ٦٤)، وأصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي (ص ١١٨).

(٢) تاريخ الخط العربي وآدابه: (ص ٦١).

(٣) صبح الأعشى: (١٦/٣)، وفن الخط (ص ٢٠).

ثم أخذت سلسلة مجودي هذا الفن بتطوير الخط والإبداع فيه يأخذ كل واحد عن من سبقه حتى وصلت إلى مرحلة إرساء قواعد جديدة لضبط قياسات الحروف، وهذا ما تم على رأس الثلاثمائة للهجرة على يد الوزير «ابن مقلة»، وقد أجمع الباحثون على أنه أول من وضع قواعد الخط العربي<sup>(١)</sup>.

ثم جاء بعده الخطاطون فزادوا هذه القواعد إبداعاً وجمالاً، مستندين إلى أسمها، منهم «ابن الباب البغدادي»<sup>(٢)</sup>، و«ياقوت المستعصمي»<sup>(٣)</sup>.

وأخذ الخط ينمو ويزدهر، وأخذت الخطوط تزدهر أسوة بازدهار الفنون والآداب والعمارة، ولم يشهد الخط تطوراً مثل هذه المرحلة، وكان اعتماد ولاة الأمر ومجودي الخط على محاولات تقدير آيات القرآن وتعظيمها في النفوس، واهتماموا بعمارة المساجد حتى وصل الخط أوج تطوره إلى أن حصلت نكبة بغداد عام (٦٥٦هـ) على يد التتر، وبعد هذه الفترة أفل نجم هذا الفن في مدينة السلام؛ ليواصل تطوره في تركيا أرض الخلافة العثمانية<sup>(٤)</sup>.

(١) «ابن مقلة» هو أبو علي محمد بن الحسين بن مقلة، ولد عام (٢٧٢هـ)، وتوفي عام (٣٢٨هـ)، وهو أول من هندس الحروف وقدر مقاساتها بالنقط، وكان شاعراً وكاتباً وخطاطاً وزيراً. وفيات الأعيان (ج٥) (ص ١١٣ - ١١٦).

(٢) هو أبو الحسن علي بن هلالالمعروف بابن الباب، له الفضل في تهذيب طريقة ابن مقلة وكتابها طلاوة، وليس في المتقدمين من كتب مثله، توفي عام (٤٢٣هـ). وفيات الأعيان (٣٤٢ - ٣٤٤).

(٣) هو ياقوت بن عبد الله المستعصمي، كان من موالي الخليفة المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس، وقد أخذ ياقوت فن الخط عن الشيخ زكي الدين حبيب المتوفى عام (٦٨٣هـ)، وقد نبغ في فن الخط حتى بلغ الغاية فيه وصار يضرب المثل في خطه، توفي عام (٦٩٨هـ). ينظر: الأعلام: قاموس أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين (٣/١٣٢)، وخطاطي بغداد (ص ١٢٣ - ١٢٤).

(٤) ينظر المدرسة البغدادية للخط العربي (١/٣٠٨)، وقد تولى الأتراك ريادة هذا الفن وتجويده ما يقارب خمسة قرون.

## الخط يخرج من عربته إلى عالميته بفضل القرآن:

أراد الله سبحانه وتعالى لكتابه «القرآن الكريم» أن يكون دستوراً للإنسانية جمعياً باختلاف أسلوبهم وأجناسهم وثقافتهم، فكان سلطان القرآن وتأثيره يغزو النفوس والعقول، فأقبلوا على تعلم وفهمه، وتعلم الحرف العربي «حرف القرآن»، فخرج بذلك الحرف العربي من عربته إلى عالميته بفضل القرآن، فكتب به العرب والعجم، كتب الإيرانيون به لغتهم الفارسية، والهنود كتبوا لغتهم الأوردو، كما كتب السلاجقة والعثمانيون لغتهم التركية، ومن هنا جاءت تسمية الخط العربي بالخط الإسلامي، ونرى هذه التسمية أصح وأدق<sup>(١)</sup>، وهكذا اكتسب الخط هالة من القدسية، فإذا ما ذكر القرآن ذكر الخط الذي يكتب به، وهناك أكثر من ثلاثين لغة تكتب بالحرف العربي تفرعت عن اللغات التركية والهندية والفارسية والإفريقية<sup>(٢)</sup>.

فالأمم التي خضعت للعرب آثرت أن تحفظ في ظلهم بلغتها، رأت لكي تيسر على أبنائها الذي دخلوا الدين الجديد مشقة تعلم نوعين من الخط: خطهم الأصلي لشئون الدنيا، والخط الجديد لشئون الدين.

فainما حل القرآن حل معه خط القرآن وأباد الخطوط الأصلية للأقاليم الجديدة، وحب القرآن وأثره في نفوس الأعاجم استدعي اهتمامهم بخط القرآن، وأن اهتمام الأعاجم غير العرب بخط القرآن لا يقل عن اهتمام العرب أنفسهم به وربما فاقوهم بذلك الاهتمام، كاهتمام الأتراك والإيرانيين، والأتراك يضربون مثلاً

(١) وهذا الرأي يرجحه أ.د. أكمل الدين إحسان إذ يقول: «نعت الخط العربي بالخط الإسلامي، فهي صفة أجدar وأوضح وأدق من أي صفة أخرى قد تضيق معانيها عن استيعاب فن ساهمت فيه الشعوب الإسلامية كافة». عن كتاب فن الخط (ص ٩). أقول: وهذارأي صحيح.

(٢) من أشهر هذه اللغات: الداغستانية والأذريجانية والقازانية من التركية والكمشميرية والسنديه من الهندية، والبربرية والحبشية من الإفريقية وغيرها. انظر تفصيل ذلك (ص ٤٧ - ٥٠) من تاريخ الخط وأدابه.

رفيعاً لولائهم للقرآن وخدمتهم لحرفه المقدس، وقد تركوا بصمات اهتمامهم في هذا الفن بكل صدق وإخلاص، ورعايتهم للخط امتدت إلى خمسة قرون منذ القرن العاشر الهجري حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، في حين أن زعامة هذا الفن قد انسحبت من باقي بلدان العالم<sup>(١)</sup>.

وكانوا يتوارثون هذا الفن عن معلميهم ويجودونه، وقد بلغ اهتمامهم بالخط أن بعض سلاطينهم كانوا يتلقونه عن خطاطي عصرهم، مثل السلطان مصطفى خان الثاني، وأحمد خان الثاني على الحافظ عثمان<sup>(٢)</sup>، كما تلمنذ محمود خان الثاني على مصطفى راقم<sup>(٣)</sup>، والسلطان عبد المجيد الثاني على الخطاط عزت<sup>(٤)</sup> ونال منه إجازة في هذا العلم، وكان السلطان بايزيد بن السلطان محمد الفاتح يجل خطاط عصره الشيخ حمد الله الأماسي، حيث كان يمسك له الدواة وهو يكتب، وتعلم الخط على يده<sup>(٥)</sup>.

(١) بعد حادثة بغداد سنة (٦٥٦هـ) انتقل كثير من الخطاطين البغداديين إلى الشام ومصر، وقامت هناك نهضة كبيرة في فن الخط، وعنهم أخذ الخطاطون الأتراك حتى نبغوا في بداية القرن العاشر، مثل: حمد الله الأماسي وقره حصاري وغيرهم. ينظر: المدرسة البغدادية للخط العربي (ص ٣٠٨).

(٢) عثمان بن علي، حفظ القرآن فلقب بذلك، أحد النابغين الموجدين من خطاطي الترك في كتابة القرآن، ونسخ خمسة وعشرين مصحفاً، توفي عام (١١١٠هـ) بعد أن مكث أربعين سنة يعلم الخط. عن كتاب تاريخ الخط (ص ٣٣٩).

(٣) مصطفى راقم بن أحمد، عمل في الخط، ولد عام (١١٧١هـ) وتوفي عام (١٢٤١هـ) في أينة على البحر الأسود، ودرس العلوم الدينية، عمل مدرساً، وكان مبدعاً متميزاً في تصميم الطغراء، وله فضل السبق في إيداع التوقيع. ينظر: المدرسة البغدادية للخط العربي (ج ١) (ص ٣٨٨)، وتاريخ الخط العربي وآدابه: (ص ٣٥٧)، وخطاطون مبدعون: (ص ١٤٦).

(٤) مصطفى عزت، كان يكتب جميع الخطوط، له الكثير من المخطوطات من مصاحف وأوراد وقصائد، وكان وحيد عصره، توفي عام (١٢٨٩هـ). تاريخ الخط العربي وآدابه: (ص ٣٦٤).

(٥) فن الخط (ص ٣١) الشيخ حمد الله الأماسي: شروط المسابقة الدولية لسنة (١٩٩٧م).

وإذا ما ذكرنا عمالقة هذا الفن ومجوّديه في العصر الحديث، فإن قائمة الأتراك تفوق أسماء غيرهم من خطاطي العالم من عرب وغيرهم.

والأتراك لهم الفضل في اختراع خطوط جديدة لا عهد للعرب بها مثل: الخط الديواني، والديواني الجلي، والرُّقعة<sup>(١)</sup>.

والإيرانيون لهم الفضل في اختراع قواعد خط التعليق والإبداع فيه، ثم ما زال خطاطو الترك والفرس يدخلون التحسينات على الخط حتى وصل إلى غاية الجمال والحسن<sup>(٢)</sup>.

وكل الحضارات من العرب والعمجم ساهمت في بناء هذا الفن الكبير، وكل حضارة أنتجت فناً مبدعاً ولو ناً يتميز عن آخرها لوناً وذوقاً<sup>(٣)</sup> والباحثون يجمعون على «أن لكل حضارة نظرتها الخاصة التي تتجلى في فنونها». وأنتجت تلك الجهود فناً عملاً على مائدة الإنسانية، فأرضست أذواقاً مختلفة حساً ولو ناً وفناً.

(١) روح الخط: (ص ١٢٨)، وتاريخ الخط: (ص ١٠٥).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تراجم خطاطي بغداد: (ص ٢٧).

### الفصل الثالث

## تعلم القرآن وتعلمه وأثره في الخط

حضر القرآن الكريم على العلم من أول نزوله ورفع شأن المتعلمين وفضلهم على الذين لا يعلمون، وتأكد ذلك أول آية من التنزيل، قال تعالى: ﴿أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي حَكَمَ﴾ [العلق: ١].

والقراءة لا تكون إلا لمكتوب فهي أساس الكتابة، فالدعوة إلى القراءة هي نفسها دعوة إلى الكتابة، وتشير الآيات التي تلت هذه الآية بوضوح إلى الكتابة، قال تعالى: ﴿أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمَنِ \* عَلِمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣ - ٥].  
وأعطى الله سبحانه وتعالى القلم الذي هو أداة الكتابة المنزلة السامية حينما أقسم به، قال تعالى: ﴿نَّ وَالْقَلْمَنِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. وهذا يشير بوضوح إلى أن القرآن الفعال في تطوير الكتابة التي هي مادة الخط.

وفي القرآن آيات كثيرة تدعو إلى التعلم والتفقه والتدبر وتحارب الجهل وتدعو إلى العلم الذي لا يتم إلا بإتقان الكتابة والاهتمام بها، فالكتابة أداة العلم ووسيلته، ونشر القرآن وتجويده مبدأ لهما بالغ الأثر في الخط، ونوجز ذلك بما يلي:

١) نشر القرآن الكريم: أمر الله تعالى المؤمنين بايصال دستوره القرآن إلى كل من لم يصل إليه، فتعاليم الإسلام، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يمكن أن تتم وتکمل إلا من خلال تبليغ القرآن، وقد أثني القرآن على هؤلاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مَمَنْ دَعَ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَلِحًا وَقَالَ إِنَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[فصلت: ٣٣]. والسنة النبوية التي تكمل القرآن وتفسره، وتستمر بالتأكيد على نشر القرآن ويؤكده ذلك حديثه ﷺ: (بلغوا عنّي ولو آية) <sup>(١)</sup>. و(نصر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عنّي، فربّ حامل فقهه غير فقيه، وربّ حامل فقهه إلى من هو أفقه منه) <sup>(٢)</sup>.

والآحاديث التي تدعو إلى نشر القرآن كثيرة جداً، ومن مستلزمات إيصال القرآن إلى الناس ومكملاته تجويد كتابته والاهتمام بها، وهذه المبادئ هي التي احتضنت الخط وجودته، فالكتاب أقبلوا على إتقان كتاب الله بكل إخلاص ليظهروه للناس بالمظهر المناسب لقدسيته وبيان معانيه بوضوح ويسر، فكانت هذه الدعوة في تأصيل الكتابة والدعوة لها هي التي ساهمت إسهاماً فعالاً في تطوير الخط.

(٢) تجويد القرآن: أمرنا الله بترتيل القرآن بقوله: ﴿وَرَقِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمول: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ إِنَّمَا قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُرْآنٌ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. فالدعوة إلى قراءة القرآن بتمهل ليسهل فهمه وتدرسه؛ حتى يؤثر في النفوس والعقول والقلوب، فإذا كانت الدعوة إلى الترتيل صفة شرعية لتلاؤه القرآن الكريم ولغرض الفهم والاعتبار والتاثير والإقبال عليه، فالدعوة إلى تجويد الكتابة كذلك مهمة؛ لأن الكتابة كما مرّ بنا تنفع الحاضر والغائب، وتُدوّن على مر العصور، فالقرآن له الأثر الكبير في تجويد الكتابة، والكتابة المجودة هي الخط العربي.

(١) والحديث عن عبد الله بن عمرو، وهو جزء من حديث: (بلغوا عنّي ولو آية، وحدّثوا عنّي إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). برقم (٣٤٦١) (ص ٦٦٦) صحيح البخاري.

(٢) سنن ابن ماجه برقم (٢٣٦) (ص ٤١).

## البسملة وأثرها في الخطاطين مع تلامذتهم:

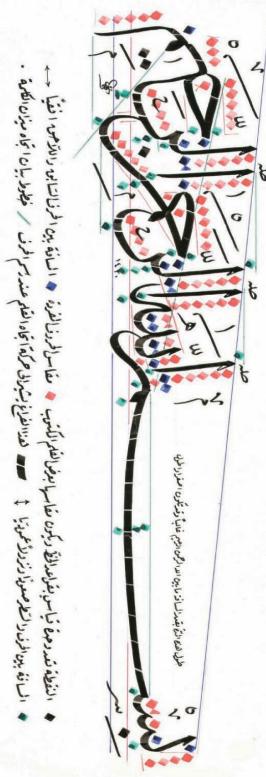
يُعدُّ الخطاط خطاطاً ماهراً إذا كان متقدناً لميزان البسملة، ولا سيما في خطى الثلث والنسخ، وقد بذل الخطاطون المجدودون جهوداً كبيرةً في تطوير ميزان البسملة، وللبسملة أثر في الخطاطين، فالعلمون يتخذون من البسملة منهاجاًً منذ بدء التدريس على مدى قرون حتى وصلت أعلى درجات الجمال والإبداع، ساهمت أكثر من حضارة في تلك الجهود متأثرين بقداسة وعظمة القرآن الكريم.

ويعتقد الخطاطون بالبسملة خيراً، ويُعدُّونها فاتحة خير وتسهيل مهمة تعليم الخط، ومفتاح تيسير الأمور والفتح والنصر، وقد ذكر القرآن أن البسملة كانت فاتحة خير في رسالة سيدنا سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ مِنْ سُرْكَرَمَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، ومما ذكره العلماء أن الكتاب وصف بالكريم لأن فيه بسم الله الرحمن الرحيم<sup>(١)</sup>. وكانت فاتحة خير لملكة سباً وقومها ونجاتهم من الضلال وسبباً لدخولها هي وقومها لدين سليمان عليه السلام، ويشير القرآن الكريم لذلك، ومن هنا استبشر الخطاطون بالبسملة، وعدوها فاتحة خير ونصر متأثرين بالقرآن.

وكان الخطاطون ومازالوا يمشقون البسملة بعد صلاة الفجر مستبصرين بافتتاح يوم مبارك جديد متأثرين بوقت الفجر الذي أشار إليه القرآن، قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسْقِ الْيَلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤٨٥ / ٣).

وهذا يوضح تأثير القرآن في الخطاطين، وحثهم على الإبداع والتفوق، وقد توهم بعض الباحثين ونسبوا أحاديث لا تصح للنبي ﷺ حول فضل كتابة البسمة وتجويدها<sup>(١)</sup>.



صورة ميزان البسملة في تدريس الخط بخط الباحث

(١) مثل حديث: «إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم بين السين فيه». وحديث: «إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن». وردت في تاريخ الخط العربي وأدابه (ص ٩، ١٠، ١١)، وتاريخ الخط وأنواعه (ص ١٣)، والحديثان لم أجدهما أصلًا في كتب الصحاح، وهناك أحاديث في مصادر غيرها ولوحات لخطاطين مبدعين وردت في ألفاظ متشابهة، وقد ورد حديث موضوع نصه: «من كتب بسم الله الرحمن الرحيم غفر الله له» الحديث (ص ٢٧٠) برقم (٢٦٦٤) في موسوعة الأحاديث والأثار الضعيفة والموضوعة.

## القلم يتصر على الحرف الطباعي:

يقول الخطاطون: **الخط في القط**، ويعنون أن سر قطة القلم لها علاقة بجودة الخط، وسمي القلم **قلماً لأنه قطٌّ وقلمٌ**، ومنه قلمت أظفارى<sup>(١)</sup>، وعرف قديماً بهذا الاسم.

«والقلم هو أداة الكتابة المعروفة عند الجاهليين، وقد ذكر القرآن الكريم القلم وأقسم به، ويكتب على الورق والرّق والجلود والقرطاس والصحف ومواد الكتابة الأخرى، وكان يتخذ من القصب في الغالب، ويعرف بقلم القصب ليميزه على الأقلام الأخرى»<sup>(٢)</sup>.

أقول: وجودة القلم بإتقان ما قُلُّم. ورغم التطور الكبير في آلات الطباعة الحديثة، إلا إنها لم تتمكن من منافسة الخطاطين المبدعين في قوة الجذب في اللوحة القرآنية؛ لأن الحروف الطباعية رغم ما تمتاز به من وضوح وتسهيل عمل النشر والقراءة، لكنها تمتاز بالجمود والرتابة أمام الحروف الخطية التي تمتاز بروح التجدد والحيوية والنفس بطبيعتها تحب التجدد والتنوع المستمر، ولم تفلح محاولات ضبط الخطوط الأصلية بنظام الآلات الطباعية باستثناء بعض خطوط الكوفي وبرنامج التعليق (كلك)<sup>(٣)</sup>، وهذه الخطوط غير متعددة، وتأخذ غالباً واحداً تقارب مع الحروف الطباعية بقلة تأثيرها في المشاهد، ولما تأملت قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْسِمْ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ حَلَقَ إِلَيْسَنَ مِنْ عَلَقٍ \* أَفَرَأَوْرَبِّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَ﴾ [العلق: ٤ - ١] من أسرار حرف القرآن الجميل وقوة تأثيره جاءت من سر قطة القلم. وتبقى هذه المزية التي أشار إليها القرآن ولا يستوعب الحاسوب أسرارها لأن الله تعالى قال ﴿عَلَمَ بِالْقَلْمَ﴾.

(١) رسالة الخط والقلم المنسوبة لابن قتيبة (ص ١٣).

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ص ٢٥٣).

(٣) وهو برنامج مصمم بنظام الحاسوب في خط التعليق.

والأمر الآخر أن هناك علاقة بين القراءة وبين قطة القلم، فنحن أمة إقراء، إن أردنا أن تقرأ الأمم حضارتنا وتأثر بها فعليها الاهتمام بفن الكتابة لأنها تقود إلى القراءة، فقوة الجذب والتأثير الموجودة بالخط أشار إليها القرآن.

ولفظ «الأكرم» التي جاءت في موضع واحد من القرآن مع فضيلة التعليم بالقلم إشارة إلى فضيلة الكتابة ونشر العلم، والخط بلاغة في الكتابة، ومن الصدقة الجارية التي تنفع الكاتب بعد مماته وينال الخطاط أجر القارئ والسامع والمشاهد والغائب والمتأمل والمتدبر، وهذه المنة العظيمة عبر عنها القرآن بالأكرم؛ لعله منزلتها، وهذا جزء من أفضال القرآن على الخطاطين، وشَدَّهُم نحو الإبداع.

### التأثير بالقرآن وأثره في الخط:

القرآن الكريم حيرَ العرب بأسلوبه وبلاعته وإيقاعاته المعجزة، فآمن به كثرون وأعرض عنه آخرون، ولكن هؤلاء المعرضين لم يفلتوا من تأثير سلطانه عليهم، والوليد بن المغيرة اعترف بهذا التأثير رغم إعراضه عنه، عندما قال: «ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، والله إن له لحلوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلىه لمشرم، وإن أسفله لمُعْدِق، وإن يعلو ولا يعلى عليه»<sup>(١)</sup>، فاستکبر عن الانقياد لنداء القرآن معتبراً بما له ونسبه ولده جحوداً ومعترفاً بسحره صراحةً وسجّل القرآن هذا المشهد، قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنَّهُنَّ إِلَّا سَحِيرُونَ﴾ [المدثر: ٢٤]. وهذا أحد مشاهد المعرضين عن القرآن.

والقرآن الكريم يصف تأثير المؤمنين، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَكِّلًا مَّا شَاءَ فَقَسَّمَ رُمَّانَهُمْ ثُمَّ تَابَ لِجُلُودُهُمْ وَفَلَوْهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ وَمَنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

(١) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي (٦٨ / ١٩) تفسير سورة المدثر.

ويصف تأثر النصارى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيقُهُنَّ مِنَ الْدَّعْمِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِمَّا فَعَلَّقْنَا عَلَيْهِنَّا مَعَ الشَّهِيدِينَ﴾

[المائدة: ٨٣].

وهناك صنف آخر معرض عنه، ويخشى من تأثيره، وهم يحدّرون أتباعهم من الاستماع خشية الإيمان. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْءَانَ وَالْعَوْنَىٰ فِيهِ لَعْلَكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] إنهم يخشون من أتباعهم أن يسمعوا القرآن، فيؤثّر بيانه فيهم، ويتركوا طواغيتهم ولهاذا حذّروهم هذا التحذير<sup>(١)</sup>.

كان أثر القرآن في نفوس المؤمنين وعقولهم منذ الرعيل الأول إلى يومنا هذا واضحًا. جسد ذلك التأثير المجاهد في ساحة الوعي، والخطيب على منبره، والشاعر في قصيده، والعالم في علمه، والفنان بفنه، فأبدع الرسام والمصور والخطاط كل ضمن اختصاصه؛ ليعبّروا عن صدق تأثيرهم وأصدقهم بالتأثير أصدقهم بالتعبير.

والأديب يربط نجاحه بمدى صدقه في عرض صورة أدبه للناس بحقيقةتها، ويفشل الأديب عندما يغش في نقل الصورة بغير الواقع، ومن هنا كان نجاح الخطاط يجسد التفاعل الصادق مع القرآن، فالخطاطون المبدعون خلال قرون عديدة آمنوا إيماناً عميقاً بهذا الكلام الخالد وسرى بدمائهم، وأوقد جذوة هممهم، وفجّر طاقاتهم، فكان ذلك الإبداع خلال قرون عديدة يتوارث هذا التفاعل والحب الصادق لحرف القرآن جيل عن جيل، فأبدع الخطاطون إبداعاً لم يشهد العالم مثله في رسم أيّ كتابة غير العربية، فالقرآن كان ولا يزال يوقد الهمم في الخط العربي لأنّه حرف القرآن، وكذلك يشد الهمم في كل تخصص، ويدفعه إلى أمام.

(١) انظر: التصوير الفني في القرآن: (ص ١٢ - ١٣).

## القرآن يدعو إلى التأمل في الجمال:

القرآن الكريم يدعونا بنداءاته المتكررة إلى إعمال حواسنا في الكون وتدبر معاني الجمال فيها ليعزز الرصيد الإيماني لدى الإنسان، ومن تلك النداءات إعمال البصر، قال تعالى: ﴿يُقْبَلُ اللَّهُ أَتَيْلَ وَالْهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَةً لَا فُلَى لِلْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿أَفَمَرَّ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوَقْهُمْ كَيْفَ بَيْنَهَا وَرَيْنَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى شَمَرِهِ إِذَا آتَمَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَذَائِتِ لَقَوْمٍ قُوْمُ مُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَيْهِ أَشَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحِبِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهِ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحِيطُ الْمُوْقَطُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

إنها دعوة صريحة إلى تدبر معاني الجمال ودعوة إلى تنمية الذوق المتحسس لمعاني الجمال، ونفس الدعوات تتكرر بأساليب عديدة لإعمال الحواس الأخرى كالسمع والتفكير، وأخرى تدعو لإعمال القلب، حتى وصف الجنة بجمالها بعدة أوصاف، وكذلك التهويل من مظاهر القبح في النار، إنها دعوات إلى تنمية الخيال واستعماله حتى يبلغ أقصى غایاته بالتحسس بالقيم الجمالية.

والقرآن يقف بوجه أولئك الذين فقدوا اتصالهم الحسي والجمالي الفعال بالطبيعة لأنهم قد أسلدوا على حواسهم ستائر، فعطلوها عن أعمالها، فيوبخهم القرآن بلهجة قاسية (صم)، (بكم)، (عمي)، (لا يفقهون)، ثم يمضي القرآن بالجمال ولا يقف عند تدبره وتحسسه، بل الدعوة إلى التزين والتجمل ويأمر بذلك، قال تعالى: ﴿يَبَّنِيَّ إِدَمَ حُذُوا زِينَتُهُ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُّهُ أَشَرُّ بُلُوْلًا لَا سُنْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

ثم يمضي القرآن بهذه الطريق، فيندد بالذين يقفون بوجه جمال الحياة وتزيتها ويصرخ بوجههم؛ لكي يرد للدنيا وجهها الأنقي الذي أراده الله بقوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ أَتَيْنَاهَا أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالظِّيبَتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هَيْ لِلَّذِينَ أَمْنَوْا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ويستمر القرآن في لفت أنظارنا للجمال فيما أبدعه الله من مخلوقات، وأقسم بعض المظاهر حتى يشدها إليها (والفجر، والضحى، والعصر)، وكذلك يلفتنا إلى جمال المخلوقات **﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا كَيْفَ خَلَقْنَا﴾** [الغاشية: ١٧]، حتى نتأملها وندرك أسرار جمالها من تنسيق بديع، وألوان رائعة وتقابل وتكرار وظلالة وأصوات.

ولا بد من إدراك الجمال وتحسسه من المرور بمراحل ليكون ذلك التحسّس ناجحاً في تحقيق غاياته، فالقرآن يعرض المبادئ ولا يهتم بالتفاصيل، قد أعطانا البذرة الأولى فيتحسّس الجمال وعندما تتحسّس الجمال تنتقل إلى مرحلة إدراك الجمال المعنوي، فتتحسّس معاني الجمال في الفضائل كاللوفاء والصدق والتضحية والإخلاص، ونستقيع معاني الرذيلة كالكذب والخيانة والغدر والعدوان.

فالقرآن يوجه الإنسانية بالبذل والعطاء والتضحية في بناء الحضارة، وهذه الفضائل تدرج تحت مبدأ الجمال وتحسسه، وينهانا عن القبح والإساءة والاعتداء والظلم لكل الإنسانية، وهو مبدأ يندرج تحت محاربة الرذيلة التي تعارض مبدأ الجمال، ولا تتحسّسه.

والكلمة الطيبة التي يصفها القرآن بالشجرة التي تنمو وتغرس ليتذوق طعمها الطيب جيل بعد جيل، وعكسها الشجرة الخبيثة، وهذا المثال أصدق صورة على الجمال، ويؤيد التوجيه النبوي ذلك التحسّس الجمالي للكلمة: (والكلمة الطيبة صدقة) <sup>(١)</sup>.

وبهذا يعلمنا القرآن أن الكلمة أربع الأدوات الجمالية في هذا العالم، وأن ليس بمقدورها التعبير عن الجمال فحسب كما هو في الموضوع، ولكن يضيف إليه ويزيده التركيب الخطي أن تصنع بنفسها جمالاً يهـر القول والأبصار.

(١) الحديث جزء من حديث رواه البخاري برقم (٢٩٨٩) كتاب الأدب، باب طيب الكلام، مستفاد من رسالة إلى ولدي: د. أحمد أمين. (ص ١٠ - ١٦).

وعندما يؤثر جمال خط في نفوسنا وعلقونا علينا أن نتذكر أن بذرة هذا الجمال قد بذرها القرآن الكريم أول نزوله، فمررت هذه البذرة بمراحل التحسّن حتى وصلت إلى هذا الجمال الذي أثّر فينا، فقيم الجمال هي سر نجاح الخط، وهذا الجمال دعا إلى تحسّسه وإدراكه القرآن<sup>(١)</sup>.

---

(١) حديث عن الجمال في الإسلام: (ص ٢٠ - ٣٠) بتصرف.

## الفصل الرابع

### حرف القرآن يصمد أمام محاولات طمسه

بفضل القرآن الكريم انتشر الحرف العربي انتشاراً واسعاً لم يبلغ أن انتشر خط غيره في العالم كانتشاره، فخشى أعداء الإسلام من هذا الانتشار في العالم، فبدؤوا حملاتهم في محاربته، ففي الهند مثلاً قاد حملة إيقاف لغة القرآن «غاندي» للحيلولة دون انتشار العربية في القارة الهندية، إذ يقول: «إن من الخير لسكان الهند ألا يلتجأوا إلى اللغة الأردية التي تكتب بحرف القرآن؛ لأنه كتاب المسلمين وحدهم، وعليينا أن نختار اللغة المحفوظة عن الأمهات فقط وهي اللغة السنسكريتية»<sup>(١)</sup>.

وشهدت حملات طمس الحرف العربي بلدان كثيرة، وقد بلغت ضراوتها في المغرب العربي تونس والمغرب، وكان أشد الغزو في الجزائر فلم يتأثر بلد مثلما تأثر هذا البلد وقت احتلاله.

إن تشجيع اللهجات العامية والاهتمام بها ونبذ العربية الفصيحة هي الأخرى محاولات محاربة هذه اللغة العظيمة، إذ ظهرت تلك الاهتمامات من خلال المسرح والإعلام المرئي والسموع والقصص، وبرز لهذه الأفكار مؤيدون يتحججون بحججٍ واهيةٍ لصعوبة الكتابة العربية ولغتها من تلك الحجج:

- ١) إن اللغة هي ملکنا، وليس ملکاً لرجال الدين، ومن حقنا أن نتصرف بها.
- ٢) إن العربية لغة كلام ولغة كتابة، فلماذا لا نستعمل اللهجة العامية التي تعبر عن مشاعر الشعب بسهولة؟.

(١) المسلمين أمام تحديات الغزو الفكري: (ص ٣٨).

(٣) إن العربية لغة صعبة وخطها مليء بالعقد يحول دون تعلم الناس لها، فلماذا لا نبدل الحرف اللاتيني بالحرف العربي.

وظهرت دعوات إصلاح الخط العربي متأثرة بذلك التيار بحججة تسهيل تعقيداته وحل مشاكله، منها إصلاحات تدعو إلى حل مشكلة الحركات، وأخرى تعالج رسم الحرف، وثالثة تدعو إلى إحلال حروف لاتينية مع عربية، وقد صدرت هذه الاقتراحات من مثقفين عرب سياسيين وأدباء، فلم تزد تلك المقترنات الكتابة العربية إلا تعقيداً، فكان مصيرها كسابقاتها من الحملات الفشل الذريع، وهذه الدعوات ما كان منها عن حسن نية أو سوء، فقد استهدفت الأمة بعقيدتها وفكرها وثقافتها قصدت ذلك ألم لم تقصد<sup>(١)</sup>.

أما في تركيا فقد كان أثر ذلك الغزو كبيراً جداً، إذ جرحت الأمة التركية المسلمة جرحاً عميقاً فقدت فيه تراثاً ضخماً شيه الآباء والأجداد يمتد عبر أكثر من اثنى عشر قرناً بعد نهاية الدولة العثمانية، وذلك بعد إبعاد الحروف العربية وإحلال الحروف اللاتينية محلها، بحججة أن اللغة العربية لغة أجنبية. قاد هذه الحملة «كمال أتاورك»، ويعمل عمله ذلك بأن اللغة العربية لغة صعبة وغير اختزالية، ولا تتماشى مع متطلبات العصر<sup>(٢)</sup>.

مثل هذه الافتراضات وغيرها ما تزال تتردد من قريب أو بعيد، فنحن نتحفظ من الرد عليها خشية اتهامنا للتعصب للغتنا، بل نسوق لهم كلاماً لمستشرق اسمه «ريتر» وهو أستاذ في اللغات الشرقية في جامعة إسطنبول، وهو من المخضرمين الذين عاشوا العهدين العثماني والعلمانى يقول: «إن الطلبة قبل الانقلاب الأخير في تركيا كانوا يكتبون ما أتلو عليهم بسرعة فائقة؛ لأن الحرف العربي اختزالي بطبيعته، أما

(١) المصدر نفسه: (ص ٣٦ - ٣٨).

(٢) المصدر السابق: (ص ٣٨).

اليوم فإن الطلاب يكتبون بالحرف اللاتيني، ويطلبون مني أن أعيد العبارات عليهم مراراً، إنهم معدورون لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها، فلا بد من كتابة الحروف بتمامها - ثم أضاف - إن الكتابة العربية أسهل كتابات العالم وأوسعها، فمن العبث إجهاض النفس من ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن النديم في «الفهرست» قول الكندي: «لا أعلم كتابة تحتمل من تجليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربية، ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات»<sup>(٢)</sup>.

لقد كان صمود الحرف العربي حرف القرآن بمقوماته الأصلية بوجه هذه التيارات والحملات الشرسة، يدعوا إلى العجب، ما السر في هذه القوة التي أفشلت تلك المخططات التي استهدفت هذه اللغة وكتابتها؟ وكانوا كقول الشاعر:

كناطِحٌ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَّهَا فَلَمْ يَضْرِبْهَا وَأَوْهِيَ قَرْنَهُ الْوَعْلُ

كل محاولات النيل من الحرف العربي هي محاولات طمس القرآن؛ لأن الحرف العربي وسيلة فهمه، لقد فات أولئك الأغبياء أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. والقرآن الكريم كتب بالحرف العربي، وهذا يظهر لنا بوضوح تأثير القرآن الكريم في حفظ الخط وتطوره.

(١) روح الخط: (ص ١٥، ١٦).

(٢) الفهرست (ص ١٣).

## الخاتمة

خلاصة استنتاجات البحث:

- (١) اهتم القرآن الكريم بالكتابة ودعا إليها وأعطها منزلة رفيعة منذ أول نزوله، فكانت هذه الدعوة الأرض التي أرسى عليها الخط العربي قواعده.
- (٢) الكتابة تدوين العربية بدون قيد أو ضبط، والخط هو كتابة العربية وفق قواعد مخصوصة إذ اقترنت محاولات تجويد الكتابة منذ أول نزول القرآن.
- (٣) ولد الخط العربي بعد ثلاثة قرون من نزول القرآن وأول من وضع قواعده ابن مقلة عند استقرار الدولة الإسلامية، أما في القرون الثلاثة الأولى فكانت محاولات تجويد الخط موجودة. ويمكن تسمية الخط في تلك المدة (الخط غير المنضبط على قواعد)، وعدم ولادة الخط عقب نزول القرآن يرجع إلى إعطاء الأولوية لتعليم الأميين، ورفع لواء القرآن ونشره والذود عنه، وتشييت العقيدة.
- (٤) انتشر الخط العربي إلى العالم الإسلامي بفضل القرآن، ولو لا قداسة القرآن لم يبلغ هذا الانتشار من القداسة والشهرة.
- (٥) كان لتعلم القرآن ونشره أثر كبير في تجويد الخط، ولا سيما أن تجويد القراءة تتفق مع تجويد الكتابة لتحقيق أغراضها.
- (٦) يدعو القرآن الكريم إلى الجمال ويحث عليه، وينمي قدرات الجمال بمراحل تحول فيما بعد إلى إدراك الجمال والفضائل المادية والمعنوية، وله الفضل في تذوق قيم الجمال والفضائل وتحسسيها واستهجان القبائح.
- (٧) للقرآن الأثر البالغ في شحن الهمم، وإيقاد جذوة الحماس، لكل التخصصات من علماء وأدباء وملائكة وفنانين وغيرهم، وله الفضل في إبداع الخطاط المسلم.

- ٨) صمود حرف القرآن أمام محاولات طمسه دليل على أن هذا الحرف أكبر من كونه لغة قومية أو حرفاً جميلاً مؤثراً، بل يمتد إلى عمق أكبر، إنه يرتبط قداسة بوحي القرآن الخالد الذي تكفل الله بحفظه.
- ٩) الخط العربي معجزة كتابة القرآن، فلم تشهد أي لغة في العالم مثلما لخط المسلمين من قوة تأثير وجمال، فالله سبحانه وتعالى شاء لحرف القرآن أن يكون معجزة حتى في كتابته.
- ١٠) يزيد الخط معاني الكلمات جمالاً ويشد قوة الجذب إليها، فالاهتمام بالخط والعناية به هو اهتمام بنصوص القرآن وتقديسها ليقبل الناس عليه فيزدادوا تأثراً بها.
- ١١) هذا الفن العملاق (الخط) عربي المولد، عالمي التكوين ساهمت في بنائه جهود عظيمة من حضارات مختلفة فأخرجه من قوميته إلى عالميته وزاد من عمقه وإبداعه الفني والجمالي ما أضافت عليه من جهود وخبرات عبر مئات السنين، زاد عليه المبدعون والمجودون من تلك الحضارات المختلفة ليرضي أدواقاً وأمماً مختلفة الأذواق والفنون؛ ليكون فناً عملاً يجمع الإنسانية كلها فيعطيها من عطره الطيب جمالاً وعلمًا وأصالةً ومنهجاً للعالمين تحيا به سلام وطمأنينة وسعادة.

## المراجع والمصادر

- ١) القرآن الكريم.
- ٢) ابن مقلة أديباً وخطاطاً وإنساناً: ناجي زين العابدين، بغداد (١٤١١هـ - ١٩٩١م).
- ٣) أحكام القرآن: محمد عبد الله المعروف بابن العربي، دار الكتب العلمية (١٤٠٧هـ).
- ٤) أصل الخط وتطوره حتى نهاية العصر الأموي: سهيلة الجبوري، مطبعة الأديب، بغداد، (١٣٩٧هـ).
- ٥) الأعلام: قاموس تراجم أشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين، الزركلي، دار العلم للملايين (١٥٠٢م) (٢٠٠٢م).
- ٦) تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد، ط الكويت (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).
- ٧) تاريخ القرآن: الزنجاني، أبو عبد الله، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، (١٣٨٨هـ).
- ٨) تاريخ المصحف الشريف: عبد الفتاح القاضي، شيخ معهد القراءات بالأزهر، مطبعة الجندي، مصر.
- ٩) تراجم خطاطي بغداد: لأستاذنا وليد الأعظمي، مكتبة النهضة، دار القلم، (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).
- ١٠) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار المعارف، (١٩٤٥م).
- ١١) الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي، محمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

- (١٢) حديث عن الجمال في الإسلام: د. عماد الدين خليل، مطبعة الموصل، (١٩٨٤م).
- (١٣) الخط العربي تاريخه وآدابه: محمد طاهر الكردي، مكتبة الهلال (ط١).
- (١٤) الخط العربي مشكلاته، دعوات إصلاحه: د. إميل يعقوب، طرابلس، لبنان، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
- (١٥) الخط العربي وتطوره في العصور العباسية: سهيلة الجبوري، مطبعة الزهراء، (١٣٨١هـ - ١٩٦٢م).
- (١٦) الخط العربي: حسن المسعودي، دار فلاماريون للنشر، باريس، (١٩٨٠م).
- (١٧) الخط العربي: د. عبد العزيز العبيدي.
- (١٨) خطاطون مبدعون: باسم ذنون.
- (١٩) ديوان الخط العربي: عبد الكريم الخطيبى، ومحمد السجلمانى، ترجمة محمد برادة، الدار البيضاء، دار العودة، (١٩٨٠م).
- (٢٠) رسالة القلم المنسوقة إلى ابن قتيبة: تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).
- (٢١) رسالة إلى ولدي: د. أحمد أمين، مكتبة الآداب، القاهرة، (ط١)، (١٣٧٠هـ - ١٩٥١م).
- (٢٢) رسم المصحف: غانم قدوري، (ط١) بغداد (١٤٠٢هـ).
- (٢٣) روح الخط العربي: كامل بابا، دار الملايين للنشر، بيروت، لبنان، (١٩٩٤م).
- (٢٤) سنن ابن ماجه: ابن ماجه القزويني، بيت الأفكار، الرياض، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- (٢٥) صبح الأعشى: لأبي العباس بن علي القلقشندى، الطبعة الأميرية.

- (٢٦) صحيح البخاري: للإمام البخاري، بيت الأفكار الدولية، (ط: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م).
- (٢٧) الفن الإسلامي، أصوله، فلسفته: أبو صالح الألفي، دار المعارف (١٩٨٤ م).
- (٢٨) الفن الإسلامي، تاريخه، خصائصه: أبو صالح الألفي، دار المعارف (١٩٨٧ م).
- (٢٩) فن الخط: أشرف أكمل الدين إحسان أوغلي، أرسيكا، إستانبول (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م).
- (٣٠) لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- (٣١) المدرسة البغدادية في الخط العربي: محمود شكر الجبوري (ط ١)، بغداد (٢٠٠١ م).
- (٣٢) المسلمين أمام تحديات الغزو الفكري: إبراهيم نعمة، مطبعة الزهراء، الموصل (١٤٠٦ هـ).
- (٣٣) المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير: أحمد العماري الحسيني.
- (٣٤) مفردات ألفاظ القرآن الكريم: للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) تحقيق: مصطفى بن العدوبي، مكتبة فياض، مصر.
- (٣٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. علي جواد (ط ٢) ساعدت جامعة بغداد على نشره.
- (٣٦) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، بيروت (د. ت).
- (٣٧) نشأة الخط العربي وتطوره: محمود الجبوري، مطبعة بيت الحكم، بغداد (١٩٨٤ م).
- (٣٨) وفيات الأعيان وأئم الرازقين: لأبي حاتم الربيعى، تحقيق: رضا تجذدي، طبعة مصر (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م).

(المجلات والدوريات):

- ١) مجلة المورد، فصلية تصدر عن وزارة الثقافة في العراق، عدد خاص عن الخط العربي لسنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ٢) مجلة آفاق عربية، الأعداد (١١، ٦، ٢) للسنوات (٧٦، ٧٩).
- ٣) شروط المسابقة الدولية باسم الشيخ حمد الله الأماسي، تصدر عن مركز الأبحاث للفن الإسلامي في إسطنبول.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٢٩٩	ملخص البحث.
٣٠٠	المقدمة.....
٣٠١	الفصل الأول: الكتابة والخط.....
٣٠٣	أهمية الكتابة والخط.....
٣٠٤	الفرق بين الخط والكتابة.....
٣٠٥	الكتابة في صدر الإسلام.....
٣٠٨	الفصل الثاني: إرساء قواعد الخط العربي عند استقرار الدولة الإسلامية.....
٣١٠	الخط يخرج من عربته إلى عالميته بفضل القرآن.....
٣١٣	الفصل الثالث: تعلم القرآن وتعليمه وأثره في الخط.....
٣١٥	البسملة وأثراها في الخطاطين مع تلاميذهم.....
٣١٧	القلم ينتصر على الحرف الطباعي.....
٣١٨	التأثر بالقرآن وأثره في الخط.....
٣٢٠	القرآن يدعوا إلى التأمل في الجمال.....
٣٢٣	الفصل الرابع: حرف القرآن يصمد أمام محاولات طمسه.....
٣٢٦	الخاتمة.....
٣٢٨	المراجع والمصادر.....
٣٣٢	فهرس الموضوعات.....

# إشكالية ترجمة المصطلح مُصطلح الصلاة بين لغة عربية ولغة إنجليزية د. عامر الزناني الجابري<sup>(\*)</sup>

مُختص بالبحث

تعد مشكلة ترجمة المصطلح من أهم ما يعترض سبيل المترجم باعتبار أن المصطلح يتضمن شحنات ثقافية تقف في خلفية النص الأصلي وتحيط به، وعلى المترجم حينئذ أن يترجم ليس فقط العناصر المختلفة للإطار السميولوجي، بل أيضاً عليه أن يترجم مكان هذا العنصر في المجتمع كله، باعتبار أن التصور أو المفهوم واحد، بيد أن المصطلح يختلف من شعب لآخر. وبالتالي فإن لعلم الترجمة أهميته في التعامل مع المصطلح؛ بوصفه المرأة التي تعكس فهم المصطلح في لغته الأم، ثم تنقله إلى المتلقى في اللغة الهدف.

وسيتناول البحث معنى المصطلح وأهميته وإجراءات ترجمته، والمسائل التي تطرحها ترجمة المصطلح سواء ما يختص منها باللغتين المصدر والهدف أو ما يرتبط منها بالمترجم ذاته. وأهم المعايير التي يجب وضعها في الحسبان عند اختيار أي من هذه الإجراءات. وبعد ذلك يتم تناول دلالة مصطلح (الصلاحة) في العربية وفي العبرية، مع عقد مقارنة بين المفهومين لتحديد مدى العلاقة القائمة بين المفهوم والمصطلح الدال عليه؛ وذلك حتى يمكن تقييم الإجراءات التي اعتمدها المترجمون في عملهم. وما مدى نجاحهم في المحافظة على فحوى المصطلح الإسلامي عند نقله إلى اللغة العبرية.

(\*) مدرس للسانيات والترجمة بجامعة عين شمس والملك سعود.

## مقدمة

لا شك أن لكل علم من العلوم مجموعة من الركائز التي يستند إليها ويقوم عليها، سواء على مستوى المفهوم والمضامون، أو على مستوى المنهج والمصطلح. وتواجه العلوم الإنسانية الكثير من المشكلات التي تبدأ بأطر العلم الواحد ومدى تفرد़ه أو تداخله مع غيره من العلوم، مروراً بإشكاليات المنهج، وصولاً لإشكاليات المصطلح. ومن هنا كان النظر والتعامل مع المصطلح أمراً حساساً إن لم يكن خطيراً.

ولقد بلغ علم المصطلح - بوصفه أحد فروع علم اللغة التطبيقي - في العصر الراهن شأنًا بارزاً، حتى صار علمًا مستقلًا بذاته، ولستنا في حاجة إلى توضيح الأهمية الكبرى لدراسة علم المصطلح، ولكن يكفي في هذا الصدد القول: إن معرفة مصطلح علم من العلوم من شأنها أن توحد بساط البحث الذي من الممكن أن يلتقي عليه العلماء، وتسهم بشكل فعال في التنسيق بين مختلف أبحاثهم ودراساتهم. كما أنها تزيد من اتصال القارئ العادى غير المتخصص بهذا العلم أو ذلك نتيجة القضاء على الاضطراب المصطلحي، وبالتالي البلبلة الفكرية. فعلم المصطلح عبارة عن «حقل المعرفة الذي يعالج تكوين التصورات وتسميتها، سواء في موضوع حقل خاص أو في جملة حقول المواضيع»<sup>(١)</sup>.

وبما أنه علم يفيد من الكثير من العلوم اللغوية وغير اللغوية، فإن علم الترجمة أهميته الملحة في التعامل مع المصطلحات؛ بوصفه المرأة التي تعكس فهم المصطلح في لغته الأم، ثم تنقله إلى المتكلمي في اللغة الهدف، وهو يحمل كافة المفاهيم والمضامين التي يدل عليها في أصل وضعه.

(١) الشريف: (ص ٥).

ولما كان القرآن الكريم يحوي بين دفتيه العديد من المصطلحات ذات الدلالة المحددة والمفاهيم المقيدة، فإن الإقدام على ترجمة معانيه - إلى اللغات الأخرى وخاصة العربية - يعكس بادئ ذي بدء أهمية المصطلح والعنابة باختيار المقابل الملائم لحمل دلالته الأصلية.

ومن هنا كان اختيار هذا الموضوع باعتباره يقع ضمن علم المصطلح الخاص؛ وذلك لمعرفة الكيفية والمنهج الذي اتبعه المترجمون في تعاملهم مع المصطلح عند ترجمتهم لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة العربية، وهل كان المقابل محايداً؟ أو متحيزاً؟ أو مجانباً للمفهوم المراد؟ وهل اتفق المترجمون على توحيد المقابل المستخدم في اللغة العربية أو اختلفوا فيما بينهم حوله؟

وينقسم البحث إلى قسمين: أولهما: مقدمة نظرية تضع الأساس لهذه الدراسة، حيث تتناول ماهية المصطلح وعلاقته بالتصور، ثم علاقة علم المصطلح بعلم الترجمة، وما هي إجراءات ترجمته بين اللغات. وذلك لأن الدراسة النظرية هي المحك الأول، ثم تليها الدراسة التطبيقية التي تتخذ من مصطلح الصلاة مجرد إنموذج لإبراز أهمية الجزء النظري وضرورته قبل التطبيق وضرورةوعي المترجم بالأسس العلمية التي ينبغي أن يلم بها في إطار علمي المصطلح والترجمة، ومعرفة مدى التزام المترجمين بهذه الأسس عند نقلهم للمصطلح ضمن ترجماتهم لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة العربية. ويتناول هذا الجزء التعريف بالترجمات العربية التي اعتمد عليها البحث، ثم التعريف بمصطلح الصلاة في اللغتين مع عقد مقارنة بين مفهومه في الإسلام وفي اليهودية للوصول إلى مدى العلاقة القائمة بين المفهوم والمصطلح الدال عليه في اللغتين، لتحديد أكثر إجراءات الترجمة ملاءمة له عند نقله إلى اللغة العربية. وقد اعتمد البحث في عقد المقارنة بين دلالة المصطلحين على عدد من المصادر والمراجع التي تعد وسيلة مشتركة بين الباحث من ناحية وبين المترجمين من ناحية أخرى، فقد أشار بعض المترجمين إلى اعتمادهم عليها في مقدمات ترجماتهم.

## أ) ماهية المصطلح:

يشار للمصطلح بلفظين هما الاصطلاح والمصطلح: فأولهما مصدر من الفعل اصطلاح، أما الآخر فاسم مفعول منه<sup>(١)</sup> - وقد أُسْتَعْمِلَتْ صيغة المصدر للدلالة على المراد باسم المفعول - ويقصد بهما الألفاظ التي تحمل دلالات خاصة متعارف عليها بين طائفة معينة في مجال أو حقل معين، إذ يختلف مدلول المصطلح من مجال إلى آخر<sup>(٢)</sup>.

وَثُمَّة تعريفات حديثة تربط المفهوم بالمصطلح الدال عليه، منها: «المصطلح الكلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة [علمية أو تقنية... إلخ] يوجد موروثاً أو مفترضاً ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم وليدل على أشياء مادية محددة»<sup>(٣)</sup>. وهذا التعريف يجعل المصطلح غير مقصور على الكلمة المفردة، فالمصطلح قد يكون من كلمة أو مجموعة من الكلمات<sup>(٤)</sup>.

(١) تُسمّى اللغة العبرية المصطلح باسم מִינְגַּל وهو اسم معنى في صيغة اسم المفعول المزيد بالميمن من المبني للمجهول لوزن הַגִּילָאֵל ومادته الأصلية גִּיל, ودلت نصوص العهد القديم على أن مشتقات هذه المادة تعني في دلالتها الأساسية: الراحة والسكن كما في (أيوب ٢٦/٣)، وفي خروج ٢٠/١١). وأثبتت هذه النصوص صيغًا أخرى في الأوزان المزيدة لها، نحو הַגִּילָאֵל – הַגִּימָן الذي يرتبط بمعنى الوضع كما في (ثنية ٢٦/١٠). وبعد إليعizer بن يهودا أول من نقل صيغة מִינְגַּל مقصودًا من معناها اللغوي الأصلي الدال على الوضع بمفهومه المادي، إلى معنى اصطلاحي معنوي يرتبط بفكرة الاصطلاح بمفهومها العلمي الدقيق قياساً على المفهوم الاصطلاحي المعنوي لكلمة الوضع في العربية. وجاء تحديده لمعنى المصطلح מִינְגַּל على نحو يقترب من المجال الدالي لمفهوم مصطلح Term في الدراسات اللغوية الحديثة. انظر: علي: ص ٢، ٦. (بتصرف).

(٢) عبادة: (ص ١١).

(٣) حجازي: (ص ١١).

(٤) المرجع السابق، نفسه.

وهناك اتفاق على أن أفضل تعريف للمصطلح هو أن الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة مركبة استقر معناها أو بالأحرى استخدامها وحدّد في وضوح<sup>(١)</sup>. وهو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة وواضح إلى أقصى درجة ممكنة<sup>(٢)</sup>، وله ما يقابلها في اللغات الأخرى، ويرد دائمًا في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحاً الضوري.

ويوضح هذا التعريف أهمية التحديد الدقيق لمعنى المصطلح، وأن هذا التحديد ممكن في إطار موضع المصطلح بين مجموعة المصطلحات المكونة لنظام التسميات في داخل التخصص الواحد<sup>(٣)</sup> مع تقدير مسألة وجود مقابل للمصطلح بين اللغات المتعددة.

وقد كان الغرب أسبق إلى الاهتمام بهذا المجال المعرفي الحديث نسبياً، بيد أنَّ هذا العلم لم يتأسس بصورته المعروفة اليوم إلا في بدايات

(١) إن التأكيد على أن المصطلح يرد مفرداً أو في عبارة مركبة يدل على أن المصطلح قد يكون كلمة واحدة، وقد يتكون من عدد من الوحدات الدلالية؛ كأن يكون تركيبه من: موصوف وصفة - مضاف ومضاف إليه - مضاف ومضاف إليه موصوف - كلمة ومتعلقها التحوي - اسم موصول وصلته. انظر: عبادة: المرجع السابق، (ص ٢١، ٢٢) (بتصرف).

(٢) يتضح في ضوء التعريفات السابقة أن للمصطلح مقومات المجاز والنقل. فال المجاز لأنَّه عُدِلَ باللفظ عما يوجهه أصل اللغة، ولأنَّهم جاؤوا به موصفه الأصلي، أو جاؤز هو مكانه الذي وضع فيه. أما مقومات النقل فلأنَّ من طرائق النقل أن يشيع الاستعمال المجازي فتنتقل الكلمة إلى ما يُعرف بالمجاز ثم تصير بغلبة الاستعمال منقوله إلى المعنى الجديد. ومن طرق النقل أن يغلب استعمال الكلمة في معنى جزئي خاص مع أن الكلمة موضوعة في الأصل لمعنى كلي يتناول هذا الجزئي، أي: إن المصطلح بدأ مجازاً بالنقل ثم أصبح حقيقة في عرف أصحاب هذا المجال. ولا بد أن تتحقق مناسبة ما بين المعنى اللغوي العام والمعنى الاصطلاحي كالعلوم والخصوص، أو المشاركة في أمر أو مشابهتها في وصف ما. انظر: المرجع السابق، (ص ١٢، ١٣)، (ص ٢١، ٢٢) (بتصرف).

(٣) حجازي: المرجع السابق، (ص ١١، ١٢).

القرن العشرين<sup>(١)</sup>. ويرجع الفضل للعالم النمساوي يوجين فوستر (١٨٩٨ - ١٩٧٧ م) في وضع أساس النظرية العامة للمصطلحية وتطويرها<sup>(٢)</sup>. ومن ثم تبلور علم المصطلحية Terminology Science علماً جديداً وأنشئت من أجله المعاهد والمؤسسات المصطلحية<sup>(٣)</sup>.

ودراسة المصطلح علم تمتزج فيه المعرف وتناخم حدوده اللسانيات والمنطق وعلم الوجود Ontology، وعلم المعلومات Information science ولغة الأهداف الخاصة والمعجمية وعلم التأصيل ... إلخ. وينقسم علم المصطلح إلى جانبين: أحدهما نظري والأخر عملي، فالجانب النظري يتمثل في البحث في النظرية العامة والنظرية الخاصة لعلم المصطلح. أما الجانب العملي فيتبلور في وضع المصطلحات وتوحيدتها وتوثيقها بما في ذلك استخدام بنوك المصطلحات<sup>(٤)</sup>.

وتعالج النظرية العامة للمصطلحية طبيعة التصورات وما بينها من علاقات ونظمها وخصائصها مع وصف التصورات [المفاهيم]، وتخصيص مصطلح ذي مفهوم معين، وعكس ذلك، وطبيعة المصطلحات، وبنيتها، وتدوين المصطلحات<sup>(٥)</sup>، سواء بالأسلوب التقليدي أو بالاستعانة بالحاسوب الآلي<sup>(٦)</sup>.

(١) في الثلاثينيات من القرن العشرين بذلت الجهود في النمسا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا والاتحاد السوفيتي لإرساء أساس علمي لدراسات المصطلح (للمصطلحية). وقد أدت هذه الجهود إلى خلق ثلاث مدارس مصطلحية هي: مدرسة براغ، ومدرسة فيينا، والمدرسة السوفيتية. انظر: Al –toma,s.a, toward unified linguistic terminology al – arabiyya, 1980, 13, P. 51-64.

نقاً عن: علي: مرجع سابق، (ص ١٢). هليل: أسس المصطلحية، (ص ١٥).

(٢) هليل: المرجع السابق، نفسه، وكذلك مقال: ملاحظات حول برامج تدريب المترجمين في الوطن العربي، (ص ١٩٥). المسدي: قاموس اللسانيات، (ص ٢١).

(٣) هليل: المرجع السابق، نفسه. الشريف: مرجع سابق، (ص ٥).

(٤) علي: المرجع السابق، نفسه.

(٥) يقترب هذا التعريف من تعريف القاسمي للمصطلحية، انظر: الديداوي: الترجمة والتواصل، (ص ٤٧).

(٦) هليل: ملاحظات حول برامج تدريب المترجمين في الوطن العربي، المرجع السابق، نفسه.

ومن هنا نجد أن المفهوم أو التصور والمصطلح هما وجهان لعملة واحدة. فإذا كان المصطلح رمزاً لغوياً يتتألف من الشكل الخارجي فهو ذو معنى فكري يتتألف من التصور (وهو معنى من المعاني يتميز عن المعاني الأخرى داخل نظام من التصورات). وتعد دراسة المفاهيم أو التصورات Conceptology حجر الزاوية بالنسبة لنهج المتخصصين في مجال دراسة المصطلح. وإن كان لكل من المصطلح والتصور وجود قائم بذاته، إذ أن قصر مصطلح على تصور معين ما هو إلا عملية مقررة سلفاً<sup>(١)</sup>، لأن المعاني في اللغات الخاصة تؤلف عن طريق التصورات وتُنقل للأخرين عن طريق المصطلحات. وما التصور في حقيقته إلا تركيب ذهني مشتق من الموضوعات. ولكي نبلغ هذا التركيب الذهني نسند رمزاً إلى التصور الذي يمثله. هذا الرمز عادة هو المصطلح في التواصل المعرفي. ومن ثم احتلت نظرية التصورات مكان الصدارة في علم المصطلحية، ويُعرف التصور بأنه: «البيانات المرتبة عن صفات شيء أو أكثر – موضوعات: أحداث، عمليات – من شأنها أن تسمح لموضوع بعينه أو لفئة من الأشياء أن تنماز عن، أو أن يكون لها صلة بغيرها من الأشياء أو فئات الأشياء»<sup>(٢)</sup>. ومن ثم فالتصورات تؤلف جزءاً مهماً من بنية علم المصطلح وهي تعود في تاريخنا إلى الفلسفة اليونانية القديمة، وخاصة علمي المنطق والوجود<sup>(٣)</sup>.

وعليه فتحديد المفهوم أو التصور إنما هو عملية مزدوجة، إذ ينبغي لواضع المصطلح أن يحيط بدلاته كامل الإحاطة فيجد ما يدل على ذلك بحيث يستطيع من

(١) هليل: أسس المصطلحية؛ (ص ١٩). علي: مرجع سابق (ص ١٥).

(٢) هليل: أسس المصطلحية (ص ١٦، ١٧).

(٣) المرجع السابق، نفسه.

يصادفه أن يهتدي إلى مفهومه به ومنه.<sup>(١)</sup> ومن ثم بات من المنطقي أن وضع مصطلح معين بإزاء مفهوم معين إنما يعني إلحاقه بنظام محدد من المفاهيم والتصورات بحيث يتلمس، أو يتخصص بهذا المفهوم حتى وإن استخدم خارج النظام. ويرى البعض أن محاولة تفسير علم من العلوم بذكر أمثلة من مصطلحاته فحسب دون الإشارة إلى نظامه التصوري أو المفهومي Conceptual System إنما تعد محاولة غير كافية. وهذا يؤكد مدى تأثير وضع مصطلح جديد، أو إعادة تعريف مصطلح قديم في المصطلحات الأخرى. ذلك أن المنظومة المصطلحية كُلُّ واحدٍ متکامل، وعندما يتغير مفهوم مصطلح ما فهذا يضطرنا إلى تغيير مفهوم المصطلحات الأخرى المرتبطة به داخل التخصص<sup>(٢)</sup>.

هذا ويتبادر المصطلحيون وعلماء اللغة في منهج الوصول إلى معنى المصطلح وتعريفه، في بينما يستعين المصطلحيون بفكرة المفهومية أو التصور يستخدم اللغويون مصطلح الدلالية Semantics للمفهوم Conceptology ذاته. وعلى الرغم من أن المفهومية والدلالية متفقان من حيث الهدف والغاية فإنهما مختلفتان في النهج والطريقة. بينما يرى اللغويون أن معنى الكلمة يحدده السياق بوصفها وحدة معجمية خاصة من مفردات اللغة، يذهب المصطلحيون إلى أن معنى المصطلح تقرره خصائص المفهوم الذي يعبر عنه، والعلاقات القائمة بين هذا المفهوم وبقية المنظومة التصورية للحقل العلمي الذي ينتمي إليه<sup>(٣)</sup>.

(١) الديداوي: منهج المترجم بين الكتابة والاصطلاح والهوية والاحتراف، (ص ١١١).

(٢) حجازي: مرجع سابق، (ص ١٢، ١٣)، وكذا: عبد العزيز (ص ٢١).

(٣) علي: مرجع سابق، (ص ١٥، ١٦).

## ب) العلاقة بين علم المصطلح وعلم الترجمة:

وفي ضوء ما سبق من تعريفات للمصطلح يتفق رأي المتخصصين في مجال علم المصطلح على أن لكل مصطلح ما يقابلها في اللغات الأخرى<sup>(١)</sup>، وهو الرأي الذي يؤكّد وجود صلة قوية بين علمي المصطلح والترجمة إضافة لانتماههما إلى مجال علم اللغة التطبيقي.

وفي ضوء نظرية دي سوسيير حول كيفية العلاقة بين الدال والمدلول ينبغي بالنسبة لعملية الترجمة التأكيد على مدى ارتباط المبادئ اللغوية للغة الأم / المصدر واللغة المنقول إليها/ الهدف بالمعالم الإنسانية الوجودية لحياة الإنسان «وفق البعد الحضاري والفلسي والأثربولوجي لهذه المعالم»<sup>(٢)</sup>.

ونظراً لأن مشكلة ترجمة المصطلح من المشاكل الخطيرة التي تعترض سبيل المترجم، لأنّه يتضمن شحنات ثقافية تقف في خلفية النص الأصلي وتحيط به وكأنّها هالة شفافة لطيفة لا ترى أحياناً<sup>(٣)</sup>. فعلى المترجم حينئذ أن يترجم ليس فقط العناصر المختلفة للإطار السيميوولوجي، بل أيضاً يترجم مكان هذا العنصر في المجتمع كله، ولذلك فإنّ البناء الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع يؤثر على جميع العناصر التي تشكّل بنيته<sup>(٤)</sup>، باعتبار أنّ التصور أو المفهوم واحد حيث إنّه فكرة عن شيء ما، ييد أنّ المصطلح يختلف من شعب لآخر<sup>(٥)</sup>.

وهذا ما أكدّه الباحث المنصف الشلي من خلال مقارنته لنظامين لغوين مختلفين في الجذور والاستعمال واستطاع أن يتوصّل إلى حقيقة مهمّة هي أنّ من

(١) انظر (ص ٥) من هذا البحث.

(٢) حفيظ: (ص ٧٩).

(٣) مطالقة: عِلم، ١٣.

(٤) شم، عِلم، ١٢، ١٣. وكذا: الديداوي: منهاج المترجم، (ص ١٠٥، ١٠٦).

(٥) الكرمي: (ص ١٩٩)، وكذا: الزليطي، التريكي: (ص ١٤).

يتكلم العربية هو عربي في كينونته، ومن يتكلم الفرنسية هو فرنسي في كينونته، ولا مجال للشك في أن الأول يختلف عن الآخر في وعيه وتفكيره وحياته النفسية والاجتماعية والأخلاقية. والسبب وراء ذلك واضح ولا يحتاج لكثرة تأويل. فاللغة التي تتكون لحاجة اجتماعية مباشرة هي أيضاً تفرض ذاتها على الواقع الاجتماعية الراهنة من خلال ما تمتلكه الكلمة من شحنة تاريخية مليئة بالرموز والإشارات والدلائل، إنها تفرض نفسها ليس فقط على مستوى القيمة الذوقية الجمالية والحسية بالأشياء، وإنما أيضاً على مستوى القيمة التصورية التجريدية في الأفكار السياسية والاجتماعية والفلسفية<sup>(١)</sup>.

وهو ما يتفق مع رأي مصالحة السابق ذكره، فإذا كانت الواقع تفرض نفسها على اللغة فإن اللغة من جانبها تفرض نفسها على الواقع، ذلك أن المفردة اللغوية تملك الإيحاءات التي تختلف باختلاف الثقافة، بل وباختلاف الحقب التاريخية داخل الثقافة الواحدة.

من هنا وقبل الحديث عن كيفية نقل المفاهيم وترجمتها إلى حقلنا الأدبي لابد من استحضار ما يُعرف (بشرط البداية) أو شروط الإمكان والوضعية الإبستيمولوجية التي تقف وراء الأشياء والنظريات والكلمات، وذلك لتتمكن من الإمساك بالخيوط الأساسية المكونة لمفاهيم هذه (النظرية). بمعنى أن عملية الفهم هنا لا تتحقق إلا بإدراك هذه الوضعية الإبستيمولوجية التي ساهمت فيها عناصر أخرى تاريخية وعلمية

(١) إذا أردنا وصف رجل دولة بأنه يعمل في (cadre) أو ( إطار)، وهو الاسم الذي نجده عادة في المقالات السياسية والصحفية، فإن هذا المصطلح هو الترجمة المباشرة للكلمة الفرنسية Cadre التي تشير بمعناها إلى شكل هندسي مربع له علاقة ضمنية بهرمية الإدارة المركزية. وبمجرد استعمال مصطلح cadre فإننا نجد أنفسنا في سياق معنوي محدد متسم بترابط تنظيمي معقد. والأمر نفسه ينطبق على مصطلحات الوضوء، والحرية، (ومشهد، وحال) الصوفيين... إلخ. انظر: ملاحة: شم. الزليطي، التريكي: (ص ٤١). (بتصرف). وكذا: حفيظ: مرجع سابق (ص ٧٩) وما بعدها.

وسياسية أي إدراك المدخل الموجه نحو المفهوم Concept – oriented approach إن مثل هذا الفهم هو الذي سيؤدي إلى إدراك عملية النقل والترجمة وكيفية نقل تلك المفاهيم إلى حقلنا ونسقنا الأدبي واللغوي. إن شروط فهم هذه المفاهيم هي التي ستحدد فهمنا لها حينما نقوم بنقلها، وما سيتولد عن ذلك من تأويلات تبحث عن المماثلة والمقاييس والانسجام لهذه المفاهيم في أوضاعنا الإبستيمولوجية<sup>(١)</sup>، وأيضاً قدرة ذلك الفهم على استنبات تلك المفاهيم المنقولة بصورة كافية أو جزئية<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن تتضح المفاهيم المصطلحية لن تكتمل الصورة وينجلي المقصود تماماً إلا بمحالسة الأخصائي في الميدان قصد الاستفسار، ومناظرته قصد التعرف، وقد يكون ذلك عبر المعاجم المصطلحية - ومن ثم نتمكن من الفهم العميق للمصطلح بما يؤدي إلى إيجاد المقابل المناسب له<sup>(٣)</sup>.

وذلك الشرط ليس تعنتاً بل هو مصدق لقول فلبر إن أهل الاختصاص أنفسهم هم المؤهلون تأهيلاً خاصاً لتحديد المصطلحات التي تختص حقول تخصصهم وتقويم التعريف، لأنهم ولا أحد غيرهم، يفهمون عناصر الموضوع أو المفاهيم المعينة<sup>(٤)</sup>. فالامر لا يتعلق بمسألة المصطلحات وترجمتها وحدها، بل إنها مشكلة الواقع قبل أن تكون مشكلة المترجم. فقبل أن يقف المترجم حائراً في أي كلمة يختار في مقابل هذا الاصطلاح الأجنبي أو ذاك، وقف المؤلف حائراً في أي لفظ يختار للتعبير عن مدلول جديد لم يسبق إليه في ميدانه<sup>(٥)</sup>.

(١) ربما لا يلتفت المترجم لما يحمله الأصل من شحنات دلالية ثقافية مما يؤدي إلى ترجمة سطحية، تفتقد الطبقات العميقة للأصل. وأحياناً ما تخرج الترجمة فاقدة لأي دلالة ويكون القارئ عاجزاً أمام رسالة لا يعرف لها تفسيراً ما. انظر: مذلحة: شم. (بتصرف)

(٢) بوحسن: (ص ٨٦، ٨٧).

(٣) الديداوي: منهاج المترجم، (ص ٩٩)، نيويورك: اتجاهات الترجمة، (ص ١٥٦).

(٤) هليل: ملاحظات حول برامج تدريب المתרגمسين في الوطن العربي، (ص ٢٠١).

(٥) مونان: (ص ٩) من مقدمة المترجم.

## ج) إجراءات ترجمة المصطلح:

في ضوء ما سبق ذكره ينبغي تعين إجراءات ترجمة المصطلحات بين اللغات، حيث تقترن طرق الترجمة بالنصوص بصفة عامة، إلا أن إجراءات الترجمة تستعمل للجمل والوحدات اللغوية الأصغر وهي<sup>(١)</sup>:

١) التحويل (الكتابة الصوتية، الكلمة المستعارة): وهو عبارة عن عملية تحويل الكلمة في لغة المصدر إلى نص اللغة الهدف مع الانتباه للتطبيع الذي يعني تحويل الحروف الهجائية المختلفة للغات الأخرى، مثل التحويل بعد التطبيع من الروسية واليونانية والعربية... إلخ إلى الإنجليزية، وحينئذ تصبح الكلمة

(١) أشار محمد رشاد الحمزاوي عند حديثه عن تقنيات الترجمة - يقصد ترجمة المصطلحات - اعترافاً منه وتقديراً بأن هذا النوع من الترجمة الذي يمثل جزءاً أساسياً من ترجمة النص، يتحتم أن تكون له قواعده وضوابطه - وأشار إلى عدد من المعايير استناداً إلى المدرسة الكندية وبخاصة فيناي وداريلينه ولخص هذه الإجراءات فيما يلي:

أ) الترجمة المباشرة وهي:

- النسخ: نوع من الاستعارة الخاصة تستوجب فيها الترجمة إدخال استعمال جديد يبدو غريباً.  
- الاستعارة (التعريب).

- التضخيم: استعمال عدد من الكلمات أكبر من الأصل.

- التحشية: شبيهة بالتضخيم، مع زيادة الأفاظ.

ب) الترجمة غير المباشرة (الجانبية) وهي:

- التكافؤ: التعبير عن مصطلح في الأصل مع استعمال تعبير مختلف.

- المؤلفة: اعتماد مقابل خاص من لغة ما لتأدية معنى خاص بلغة أخرى.

- التحوير: استعمال معايير قديمة للدلالة على مفاهيم جديدة.

وقد التقى مع نيومارك في بعض هذه الأنواع كالنسخ (التحويل)، الاستعارة (التطبيع)، التضخيم (المقابل الوصفي)... إلخ. انظر: الديداوي: الترجمة والتواصل، (ص ٥١، ٥٢)، (بتصرف).

مستعارة. وإذا كان على المترجم اختيار هذا الإجراء، فعليه أن يكمل هذه الخطوة بإجراء ترجمة أخرى، ولا سيما أن الكلمة هنا هي كلمة ثقافية في لغة المصدر ذات إشارة خاصة بثقافة تلك اللغة. ويشار إلى الإجراءين الروتينيين المعروف بهما بلفظ (الثاني)، مثل: **ပြောကြန်**. ويمكن القول بأن هذا هو الإجراء الأساسي لأنه يظهر احتراماً لثقافة لغة المصدر<sup>(١)</sup>.

٢) **التطبيع:** يتبع هذا الإجراء التحويل، إذ تُكيَّفُ الكلمة لغة المصدر أولاًً مع اللفظ السليم، ومن ثم مع علم الصرف في اللغة الهدف<sup>(٢)</sup>.

٣) **المقابل الثقافي**<sup>(٣)</sup>: وهذا الإجراء ترجمة تقريرية حيث تترجم الكلمة لغة المصدر الثقافية بكلمة ثقافية في اللغة الهدف لذا ترجمت *Baccalouréat* إلى (مستوى آ) في الفرنسية. ويستعمل هذا الإجراء على نطاق محدود؛ لأنه ليس كامل الدقة، إذ يساء استعماله لاعتماده على درجة التماثل الثقافي بين الأصل والهدف. وهو يفيد في النصوص العامة وفي الدعاية والإعلان، وكذلك في الشروح المقتضبة التي تقدم للقراء؛ ذلك أن لهذا الإجراء تأثيراً ذرائعيًاً أكبر من المصطلحات الثقافية الحيادية. وعلى كل فهذا الإجراء يتأنى للدعم أو تكملة لإجراء ترجمة آخر في شنائين الترجمة<sup>(٤)</sup>.

٤) **المقابل الوظيفي:** يتطلب هذا الإجراء الشائع الذي يتم تطبيقه على الكلمات الثقافية – يتطلب استعمال الكلمة حرة من الثقافة مع مصطلح خاص جديد أحياناً. لذا فهو يُحيد أو يعمم الكلمة الواردة في المصدر وأحياناً يضيف عنصراً

(١) نيومارك: الجامع في الترجمة، (ص ١٠٧، ١٠٨)، اتجاهات في الترجمة (١٤٥).

(٢) نيومارك: الجامع في الترجمة (ص ١٠٩).

(٣) صنف نيومارك هذا الإجراء في كتابه الجامع كثالث إجراء يلجأ إليه المترجم، في حين صنفه في كتابه اتجاهات على أنه الإجراء الخامس.

(٤) نيومارك: الجامع في الترجمة، (ص ١١٠، ١٠٩)، اتجاهات في الترجمة، (ص ١٤٦).

تخصيصياً، مثل: Baccalouréat (البكالوريا) (امتحان نهاية المدرسة الثانوية في فرنسا). ويُعدُّ هذا الإجراء - وهو تحليل تكويني ثقافي - أكثر طرق الترجمة دقة، حيث تُفرَغ الكلمة الثقافية من مركبها الثقافي، ويحتل هذا الإجراء المنطقية الوسطى، وأحياناً العالمية بين اللغة المصدر أو ثقافتها وبين اللغة الهدف أو ثقافتها. غالباً ما يندمج هذا الإجراء مع التحويل<sup>(١)</sup>.

٥) المقابل الوصفي: يجب موازنة الوصف مع الوظيفة في الترجمة أحياناً، فمثلاً الكلمة Samurai توصف بأنها (الأستقراطية اليابانية من القرن الحادي عشر إلى القرن التاسع عشر)، وكانت وظيفتها (توفير الضباط والإداريين). فالوصف والوظيفة عنصران أساسيان في الشرح كما في الترجمة أيضاً عند مناقشة الترجمة، وجرت العادة على إهمال الوظيفة، أما الآن فهناك ميل إلى المبالغة<sup>(٢)</sup>.

٦) ثنائيات الترجمة: المراد بهذا الإجراء هو استخدام أكثر من إجراء (اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة) من الإجراءات المذكورة آنفًا للتعامل مع مشكلة واحدة، كأن يكون الإجراء من (الكتابة الصوتية) والتحويل للمصطلح متبعاً بترجمة له (وقد تكون الترجمة حرافية أو مقابلاً ثقافياً أو وظيفياً... إلخ)، وتكتب بين قوسين. ويفترض أن المترجم سيقي من خلال هذا الإجراء على المصطلح الأصلي في باقي النص وفي آية كتابات أخرى في اللغة الهدف، مثل: בְּנִסָּת Knesset الكنيست (البرلمان الإسرائيلي)<sup>(٣)</sup>. إلى غير ذلك من الإجراءات، مثل: الترجمة المباشرة والترجمة الحرافية والترجمة الرسمية والترجمة المؤقتة والتراծ اللفظي والقولبة والحدف<sup>(٤)</sup>.

(١) نيومارك: الجامع في الترجمة (ص ١١٠، ١٦٢، ١٦٥).

(٢) المرجع السابق، (ص ١١١).

(٣) نيومارك: الجامع في الترجمة، (ص ١٢١)، اتجاهات في الترجمة، (ص ١٤٧).

(٤) انظر: نيومارك: الجامع في الترجمة، (ص ١١٩ - ١٠٩)، اتجاهات في الترجمة، (ص ١٤٥ - ١٤٨).

وفي ضوء تعدد هذه الإجراءات نجد أن ترجمة الاصطلاحات تطرح عدداً من المسائل منها ما يختص باللغة المنقول منها، ومنها ما يتعلق باللغة المنقول إليها، ومنها ما يرتبط بالمترجمين.

على صعيد اللغة المنقول منها يختلف أمر الاصطلاحات بين أن يكون هناك تقارب بين اللغتين الهدف والمصدر كأن تنتهيان إلى مجموعة لغوية واحدة، أو يتسمى كل منهما إلى مجموعة مختلفة. كما يختلف الأمر إذا كانت هذه الاصطلاحات أصلية في اللغة المصدر أو مترجمة إليها باللفظ أو بالمعنى. ودرجة ثراء اللغة المصدر بالصطلاحات، فالأمر يختلف إذا كانت الترجمة بين لغتين ساميتين مثلًا تشركان في البناء والاستدراك والتصريف عن أن تكون بين لغة اشتراكية وأخرى إلصاقية... إلخ. كذلك هل الاصطلاح أصيل أو نسأنس بأصل اللفظ ومدلوله عند واضعه؟ وعلى صعيد اللغة المنقول إليها يختلف أمر الاصطلاحات تبعاً لما عرفته هذه اللغة من ترجمات إليها، فرأوها اللغوي المصطلحي مرتب بذخيرتها وما ترجم إليها. وهو ما يسهل من عملية الترجمة بين اللغتين<sup>(١)</sup>.

وثمة عدد من المعايير Reference criteria يجب وضعها في الحسبان عند التعامل مع أي من هذه الإجراءات وهي:

- ١) على المترجم أن يضع نصب عينيه جمهور القراء الذي قد يكون على اطلاع بشكل أو بآخر على اللغة المصدر، أو يقرأ الترجمة فقط لأنه لم يتمكن من الحصول على الأصل، أو قد يرغب في الاتصال بكاتب الأصل لاستشارة كتبه الأخرى... إلخ، فهناك فئات مختلفة من الجمهور، فالمتخصص يطالب باستخدام المصطلح الأصلي في لغة المصدر في حين نجد على الطرف الآخر

(١) مونان: (ص ١٤) من مقدمة المترجم.

أن غير المتخصص يحتاج إلى شرح في لغة الهدف يعطي من التفاصيل قدر ما يسمح به عامل التشويق<sup>(١)</sup>.

(٢) يجب أن نذكر الدرجات المتفاوتة للتعادل الثقافي، أو ما أطلق عليه الحمزاوي مشكلة الترادف الكوني الذي يفترض وجوباً أن لكل مصطلح في لغة ما مرادف في لغة أخرى. وذلك من أعقد المشاكل التي لم يقر لها قرار؛ لأن الترجمة من لغة إلى أخرى تفرض اعتبار ثقافة كل لغة وما يحيط بها من حالات، ولا تقر التلاصق والنسخ. فعلى المترجم أن يُقدّر العزة الوطنية القومية الحقيقية والثقافة المحلية والعناصر الدلالية والبراجماتية والأساليب الإعلانية، ومن هنا فالكتابة الصوتية تجد لها تأييداً أكبر من غيرها<sup>(٢)</sup>.

(٣) من المستحب أن يوجد نوع من الاطراد في ترجمة المصطلحات أو كتابتها صوتيًا، وذلك بالسير على نهج واحد في هذا الشأن. غير أن اعتبارات الأهمية والشفافية قد تتعارض مع فكرة توحيد النهج مما يحتاج إلى إضافة شروح تراعي فيها مقاصد النص ووظيفة المصطلح - وليس شكله أو تكوينه - وذلك بأكبر قدر ممكن من الإيجاز<sup>(٣)</sup>.

(٤) على المترجم تجنب ثلاثة أخطاء شائعة:

- أ) إعطاء ترجمة جديدة لمصطلحات لها ترجمات معروفة.
- ب) استخدام مصطلحات من اللغة الهدف تتسم بمحلية الطابع كثيراً.
- ج) الترجمة الحرافية (كلمة بكلمة)<sup>(٤)</sup>.

(١) نيومارك: الجامع في الترجمة، ص ١٣٨، ١٣٥، ١٤٩، ١٥٠ - اتجاهات في الترجمة، ص ٥١.

(٢) نيومارك: اتجاهات في الترجمة، ص ١٥١، ١٥٢ - الديداوي: الترجمة والتواصل، ص ٥١.

(٣) نيومارك: اتجاهات في الترجمة، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٤) السابق، نفسه.

وقد اجتهد نيومارك محاولته الثانية في تعين طرق الترجمة وفقاً لنوعية المصطلح أشار إلى أن المصطلحات الدينية غالباً ما تحول (التحويل) حينما تكون ذات أهمية في اللغة الهدف<sup>(١)</sup>. وأما المصطلحات المؤسسة التاريخية فالمنبدأ الأول هو عدم ترجمتها ما لم يكن لها ترجمة مقبولة عموماً. أما في النصوص الأكاديمية فإنها تحول عادة (صوتياً) مرافقة لمصطلح وظيفي أو وصفي قدر ما هو مطلوب<sup>(٢)</sup>. ولكن بصورة عامة نجد أن أفضل إجراء يتبع مع المصطلح الجديد الخاص بشقاقة أجنبية (مع وجود العزة القومية والاهتمام الكبير بالآخر، والاتصالات المتزايدة) أفضل إجراء وبما يكون الكتابة الصوتية مصحوبة بشرح داخل النص<sup>(٣)</sup>. فإذا انتشر المصطلح فقد تبنيه أو تأخذ به اللغة الهدف، وتعتبر هذه الطريقة العامة المناسبة لاحترام الثقافات الأجنبية<sup>(٤)</sup>.

إذن فاختيار المقابل الملائم أثناء الترجمة عبر إجراء دقيق و مباشر يتوقف على عدة أمور منها: نوعية النص، ومتطلبات الجمهور الممثل (القارئ)، وأهمية الكلمة الثقافية (المصطلح) في النص، ويفضل أن يكون هناك أكثر من إجراء معًا لضمان الحيدة الموضوعية والدقة المطلوبة<sup>(٥)</sup>.

(١) نيومارك: الجامع في الترجمة، ص ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨.

(٢) السابق، نفسه.

(٣) ذلك أن بإمكان المترجم إعطاء معلومات بديلة أو إضافية بطرق ثلاثة: (داخل النص - ملاحظة هامشية في نهاية الصفحة أو الفصل أو الكتاب - في صورة مسرد)، والطريقة الأولى هي الفضلية إذ يمكن المترجم من تقديم المعلومة بإيجاز دون تأثير في تسلسل السرد، وذلك لأن يرد مصطلح بديل، أو بين قوسين، أو كتعريف مكون من كلمة واحدة... إلخ. انظر: نيومارك: اتجاهات في الترجمة، (ص ١٤٩)، (بتصرف).

(٤) المرجع السابق، (ص ١٦٠).

(٥) بيتر نيومارك: الجامع في الترجمة، (ص ١٦٢).

## الدراسة التطبيقية

**التعريف بالترجمات العربية لمعاني القرآن الكريم:**

تعتمد الدراسة التطبيقية لأحد أهم المصطلحات الإسلامية، ألا وهو مصطلح الصلاة على أربع ترجمات عربية لمعاني القرآن الكريم هي:

- ترجمة المستشرق الألماني اليهودي تسفي حاييم هيرمان ركندورف، والصادرة عام ١٨٥٧ م في ليزوج Leipzig بعنوان: **אלקוריון או המקרא נעתך מלשון ערבית ללשון עברית ומבואר** (القرآن أم المقدار نُقل من اللغة العربية إلى اللغة العربية مشروحاً<sup>(١)</sup>). وهي أول ترجمة مطبوعة لمعاني القرآن الكريم اعتمدت على الأصل العربي مباشرة<sup>(٢)</sup>.
- ترجمة المستشرق اليهودي يوسف يوئيل ריבצין الصادرة في فلسطين عام ١٩٣٦ م، بعنوان: **אלקוריון- תרגום מערבית** (القرآن مترجماً من العربية) عن دار النشر **דביר** بتل أبيب، وقد طُبعت هذه الترجمة عدة طبعات؛ فصدرت طبعتها الثانية عام ١٩٦٣ م، ثم صدرت الطبعة الثالثة عام ١٩٧٢ م، وأما طبعتها الرابعة والأخيرة فكانت في عام ١٩٨٧ م<sup>(٣)</sup>. وهي ترجمة مشكولة.

(١) ر肯دورف: **אלקוריון או המקרא** ، ليفسغ ، ١٩٥٧.

(٢) الرفاعي: (ص ١٠). صميدة: (ص ٥٨٣، ٥٨٤). **האנציק'** העברית : כ' 31, עם' 343. כ' 30, עם' 52.

Ency. Judaica, vol 10, P. 1199. Somekh: P. 10. (بتصريف).

(٣) **האנציק'** העברית : כ' 30 , ש. - صميدة: (ص ٥٨٥).

Ency. Judaica: ibid. Somekh: ibid.

- ترجمة المستشرق الإسرائيلي أهaron بن Shimsh، وقد صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٧١ م عن دار نشر مسداة رامات جان، بعنوان הקورאן הקדוש - ספר הספרים של האשלם תרגום מערבית،<sup>(١)</sup> (القرآن المقدس - أقدس كتب الإسلام مترجمًا من العربية)، ثم صدرت الطبعة الثانية منها عام ١٩٧٨ م وهي طبعة منقحة بعنوان הקورאן - ספר הספרים של האשלם תרגום מערבית (القرآن - أقدس كتب الإسلام مترجمًا من العربية) إصدار سهرين קרני تل أبيب<sup>(٢)</sup>.
- ترجمة المستشرق الإسرائيلي Oriy Rovin الأستاذ بجامعة تل أبيب، وقد صدرت طبعتها الأولى عام ٢٠٠٥ م بعنوان הקورאן תרגם מערבית Oriy Rovin (القرآن ترجمة من العربية أوري روين)، ويرى بعض المستشرقين الإسرائيليين أن سبب صدور هذه الترجمة هو عدم ملائمة لغة الترجمة التي اتبعها ريفلين لروح العصر لدى المتكلمي الإسرائيلي المعاصر. وهو ما يؤكد ضرورة المراجعة المستمرة لأي ترجمة تتم لمعاني القرآن الكريم<sup>(٣)</sup>.

### ترجمة مصطلح الصلاة:

تنوعت الصيغ التي أشار بها النظم الجليل إلى الصلاة والأمر بإقامتها، كل حسب السياق القرآني، فعلى سبيل المثال استخدم النظم القرآني الكريم مصطلح

(١) סומך: הקוראן בעברית פרוזאית, עמ' 12- לשם: עמ' 3. האנציק' העברית: כ', 30, שם. Ency. Judaica: ibid

(٢) בן שמש: القرآن, ספר הספרים של الأشلام, ترجمة مערבية, הוצאת سهرين קרני, تل-אביב, 1978.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول الترجمات الثلاث الأولى، انظر: الجايري: الآيات الواردة عن اليهود في الترجمات العربية لمعاني القرآن الكريم، (ص ٧٧) وما بعدها. وكذا: إشكالية الترجمة لأوجه بلاغية في الترجمات العربية لمعاني القرآن الكريم، (ص ١٥) وما بعدها.

(الصلاوة) بصيغته الاسمية فيما يربو على الخمسة والعشرين موضعًا، في حين وردت الإشارة للمصطلح بصيغته الفعلية (أقم الصلاة، صلي) بصيغهما المتعددة ومشتقاهما المختلفة في باقي المواقع التي تصل إلى ثمانين موضعًا ونحوه؛ وذلك للدلالة على عظم أمر الصلاة وأهميتها في الدين، فهي عماد الدين والركن الركيز. وستشير الدراسة لبعض هذه المواقع؛ للوقوف على الصيغ المستخدمة كمقابل للمصطلح العربي، وذلك من خلال عرض الآية الكريمة بدءاً بالصيغة الاسمية للمصطلح، تعقبها الصيغة الفعلية، حيث تلي كل آية ترجمة معانيها في الترجمات العبرية الأربع، ويعقب ذلك الإشارة لنهاية كل مترجم في مختلف المواقع التي ورد بها المصطلح في صيغته محل البحث، على النحو التالي:

### أولاً: الصيغة الاسمية لمصطلح الصلاة:

قوله تعالى: ﴿أَقِمْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالصَّلَاةُ كُلُّهُ ذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وفي مقابل ذلك جاءت الترجمات على النحو التالي:

ركندرוף: «קרא את הספר אשר גלינו לך והתפלל אל אלהיך, כי התפילה מצלת את האדם מחרפה ומזימה!....»<sup>(١)</sup>.

ريفلין: «קרא את אשר נגלה אליך מן הספר, עורך התפילה, כי התפילה תניא מהתוועה והרעה....»<sup>(٢)</sup>.

بن شمش: «שנן למאמיןם מה שנטגלה לך מן הספר וכיים את התפילות, כי תפילה מונעת את התוועה ואת האסור,...»<sup>(٣)</sup>.

(١) ر肯درוף: عمى 234, 235.

(٢) ريبلين: عمى 432.

(٣) بن شمش: عمى 241.

روبيان: «השמע את הספר אשר נגלה לך וכיים את התפילה, כי התפילה מונעת תועבה וכל דבר מגונה...»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَعِذُنَّ بِكُوْنِ الَّذِينَ مَلَكُوكَ أَيْمَنُوكَ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْعُمُوكَ الْحُمُرُ مِنْكُوكَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصْبُورُوكَ شِيَابِكَ مِنْ أَطْهِيرَةٍ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُوكَ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ [النور: ٥٨].

وفي مقابل ذلك جاءت الترجمات على النحو التالي:

ركندروف: «أتم المامين! عبدكم، كنین כספכם، وبchorיכם، אשר עוד לא גדלوا، יבאו לדרוש את שלומכם שלש פעמיים ביום: לפניהם תפלת השחר, ובצהרים הפשיטכם את בגדיכם ואחרי תפלה הערב, שלושת המועדים האלה לכם מה...»<sup>(٢)</sup>.

ريفلين: «المامين، يבקשו منكم رشيو אלה אשר קנתה ימיכם [معبد وأماه] ואלה מכם، אשר לא בגרו [בטראם יבאו לפניכם], שלש פעמיים ביום, לפניהם תפלת השחר ובעת תסירו את בגדיכם בצהרים, ואחרי תפלה הערב, שלוש עיתות עריה hon לכם...»<sup>(٣)</sup>.

بن شمش: «المامين! על העבדים והילדים שלא בגרו לבקש רשות להיכנס לחדריכם לפני תפלה השחר, בשעת הצהרים בהסירכם בגדיכם לשעת המנוחה, ולאחר תפלה הערב, בשלוש ההזמנויות אלו שבחן אינכם לבושים...»<sup>(٤)</sup>.

(١) روبيان: עמ' 324.

(٢) ר肯דרוף: עמ' 207.

(٣) ריבליין: עמ' 375.

(٤) בן שמש: עמ' 214.

רוביין: «הוי המאמינים, ישן שלוש פעמים ביום אשר בהן שומה על העבדים אשר בבעלותכם ועל הילדים אשר בטרם בגרו, ליטול רשות בטרם ייכנסו אליכם : לפני תפילה שחרית, וכאשר תפשטו את בגדיכם לעת צהריים, ולאחר תפילת הלילה. אלה הם שלושה זמני התעරטנות,...»<sup>(١)</sup>.

وفي مقابل مصطلح الصلاة الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقوله: ﴿صَلَاةُ الْفَجْرِ﴾ [النور: ٥٨]، وقوله: ﴿صَلَاةُ الْعِشَاءِ﴾ [النور: ٥٨] في الآيتين الكريمتين - التزم المترجمون جميعاً بوحدة المقابل في اللغة العبرية، حيث أجمعوا على استخدام الصيغة الاسمية للمصطلح العربي **التפילה**. وقد ييدو من الوهلة الأولى أن هذا الالتزام هو النهج الأساسي والصارم فيما بينهم، إلا أن تبع الآيات التي ورد بها مصطلح الصلاة في صيغته الحالية يؤكّد مخالفته بعضهم لهذا النهج، وذلك حسبما سيتضح من خلال عرض نهج كل مترجم منهم على حدة، كما يلي:

- ركندورف: عمد المترجم في مقابل الصيغة الاسمية للمصطلح إلى عدة إجراءات، هي:

- ١) المحافظة على وحدة المقابل المستخدم مع الالتزام بالصيغة الاسمية للمصطلح الصلاة، كما في الآيتين السابقتين، وكذلك في آيات: [النساء: ١٠١] **בְּהַתְפִּלָּכֶם** **תְּפִילָה קָצֶרֶת**، [النساء: ١٤٢] **בְּתְפִילְתֵּם לְבָם בְּלֻעָם**، [الأعراف: ٩٢] **וַיִּשְׁמַרוּ** **אֶת עַת הַתְפִילָה**، [الأعراف: ١٦٢] **תְּפִילָתֵי**، [الأنساق: ٣٥] **וְלَا הַתְפִלוּ בְבֵית** **הַתְפִילָה כִּי אָם**، [التوبه: ١٠٣] **כִּי תְפִילְתָךְ** **תְשִׁקְתִּית אֶת לְבָם**، [الإسراء: ١١٠] **אֶל תַּצְעַק בְתְפִילְתָךְ**، [مريم: ٥٩] **אֲשֶׁר מָאֹסֹו בְתְפִילָה**، [المؤمنون: ٢] **הַמְאִמְנִים הַנְּכֻנִים בְתְפִילְתָם**، [المؤمنون: ٩] **מִתְאַמִּים בְתְפִילְתָם**،

(١) روبين: עמ' 290.

[العنكبوت: ٤٥] כי הַתְפִילָה מצלת האדם מ...، [الجمعة: ١٠] ואחרי

כלות התפילה، [المعارج: ٣٤] השומרים את עת התפילה، [المعون: ٥]

ולבם בלם בתפילותם<sup>(١)</sup>.

٢) استخدام صيغة المصدر להتפלל، كما في آيات: [البقرة: ٤٥] הַצְנִיעו  
בהתפליכם، [النساء: ١٠٣] ככליותכם להتפלל، [المائدة: ٦] אם תקומו  
להתפלל، [المائدة: ٥٨] בקראותם עצמם להתפלל، [المائدة: ٩١] ימנעכם  
מ.... ומהתפלל אליו، [المائدة: ٦١] אחרי התפליכם، [مريم: ٣١] ויצוווני  
להתפלל אליו، [مريم: ٥٥] הוא צווה את ביתו להתפלל، [طه: ١٣٢] צו  
את ביתך להתפלל، [الجمعة: ٩] בהקראותם להתפלל<sup>(٢)</sup>.

٣) استخدام الصيغة الفعلية התפלל، كما في [النساء: ٤٣] אל תתפלל  
בשכרותכם، وفي [التوبية: ٥٤] לא התפללו כי אם...<sup>(٣)</sup>.

٤) تعدد المقابل في ضوء اختلاف معنى الأصل، كما في [هود: ٨٧] שעייב!  
שגנתק תשיאץ להшибנו מאחרי אשר עבד אבותינו، وفي [الحج: ٤٠]  
כי אז כבר נהרסו כל בתיה הקומוריים וכל בתיהם תפילות הנוצרים  
והיהודים והישראלים<sup>(٤)</sup>.

٥) تعدد المقابلات المعجمية رغم وحدة المقابل في الأصل، فقد استخدم المترجم  
أكثر من صيغة فعلية، منها: استخدامه الفعل התחנן אל في مقابل قوله تعالى:  
**﴿أَسْتَعِينُو بِالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ﴾** [البقرة: ١٥٣]، ثم عَدَل عنده إلى صيغة شوفakis

(١) רקנדורף: עמי ٥٢, ٣٣٥, ٣٢٥, ٢٣٥ - ٢٣٤, ١٩٨, ١٧٦, ١٦٦, ١١٣, ١٠١, ٨٣, ٧٧, ٥٥.

(٢) רקנדורף: عمي ٥, ٥٢, ١٨٤, ١٧٦, ١٧٥, ٦٩, ٦٧, ٦٥, ٦٠.

(٣) רקנדורף: عمي ٤٧, ١١٠.

(٤) רקנדורף: عمي ١٢٩, ١٩٥.

את שיחם בمقابل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُوَ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]، أما في مقابل قوله تعالى: ﴿وَصَلَوَاتُ الرَّسُولِ﴾ [التوبه: ٩٩] فقد استخدم المقابل وللترatzot בעיניו<sup>(١)</sup>.

٦) حذف بعض الآيات، فقد المترجم الآية [٢٣٨] من سورة البقرة<sup>(٢)</sup>.

• ريفلين:

١) التزم المترجم بالمنهج نفسه عند تعامله مع الصيغة الاسمية للمصطلح في معظم المواقع، كما في: [البقرة: ٤٥] وبتفضلها، [البقرة: ١٥٣] وبتفضلها، [البقرة: ٢٣٨] شמרו التفاصيل والتفضلة التفصي، [النساء: ١٠١] بكصرهم את التفضلة، [النساء: ١٠٢] وعرقت لهم التفضلة، [النساء: ١٠٣] כי التفضلة بموعديها مقصودة، [المائدة: ٥٨] בקראותם للتفضلة، [المائدة: ٦٠] אחרי التفضلة، [الأعما: ٦٦٢] تפלتي، [الأفال: ٣٥] לא הייתה תפילהם ליד הבית בלתי אם، [التوبه: ٥٤] ואשר לא יבואו אל התפילה בלתי אם، [التوبه: ٣] כי תפילהך מבטח להם، [الإسراء: ١١٠] ולא תרים קולך בתפילהך، [مريم: ٣] ויצוווני על התפילה، [مريم: ٥٥] היה מצוודה את בני ביתו על התפילה، [مريم: ٥٩] אשר לא שמרו את התפילה، [طه: ١٣٢] וצוו את ביתה על התפילה، [المؤمنون: ٢] ענוי הרוח בתפילהם، [المؤمنون: ٩] השומרים על תפiliothems، [العنكبوت: ٤٥] התפילה، [الجمعة: ٩] כאשר ייקרא לתפילה,...ובכלות התפילה، [المعارج: ٢٣] הם שוקדים על תפילהם תמיד، [المعاون: ٥] ובתפילהם מתרשלים<sup>(٣)</sup>.

(١) ر肯دورף: عمى 13-14 // 335.

(٢) رkenedorf: عمى 21-22.

(٣) Riblin: عمى 7, 22, 38, 315, 313, 295, 198, 192, 177, 144, 118, 113, 93-92, 38.

٢) استخدام صيغة المصدر *להתפלל*, نحو: אל תגשו להתפלל كمقابل لقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَلَا تُمْسِكُـاـي﴾ [النساء: ٤٣], وكذلك [النساء: ١٤٢] *בְּקוּמָם לְהַתְפִּלֵּל*, [المائدة: ٦] *בְּקוּמָם לְהַתְפִּلֵּל*, [المائدة: ٩١] *לְהַסִּירָם* ... *וּמְהַתְפִּלֵּל*<sup>(١)</sup>.

٣) المخالفة العددية، حيث استخدم المترجم في مقابل قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢] المقابل *ישמרו* *על תפילהיהם*, وفي مقابل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُوَ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤] المقابل *shawrimim* *על תפילהיהם*, وهو بذلك قد استخدم صيغة الجمع في الحالتين على النقيض من صيغة الإفراد في الأصل<sup>(٢)</sup>.

٤) الالتزام بوحدة المقابل رغم اختلاف المعنى في الأصل، كما في [التوبية: ٩٩] *ותפילות השlich بعدם*<sup>(٣)</sup>.

٥) تعدد المقابل في ضوء اختلاف معنى الأصل، كما في [هود: ٨٧] *הָאָמִים יְרַא תְּצִוּד*. وقد أشار المترجم في هامشه إلى أن المراد بدقة هو (تפילהجيد), وفي [الحج: ٤٠] *נהרסו בתיהם נזירים*, وبתי تفילה لنוצרים وبתי הכנסת *ומסגדים*<sup>(٤)</sup>.

• بن شمش: سار المترجم على نهج وسط بين سابقيه عند اختياره لمقابل الصيغة الاسمية للمصطلح، وقد انتهز لذلك عدة إجراءات، هي:

.759 ,684 ,655 ,432 ,330

(١)Riblin: עמ' 84 ,98 ,105 .

(٢) Riblin: עמ' 198 ,685 .

(٣) Riblin: עמ' 198 .

(٤) Riblin: עמ' 226 ,349 .

1) الالتزام، فقد حرص المترجم على استخدام الصيغة الاسمية للمصطلح في معظم الموضع، كما في: [البقرة: ٢٣٨] הקפידו על זמני התפילות ובעיקר על התפילה האמצעית، [النساء: ٤٣] אל תקרבו ל תפילה، [النساء: ١٠١] אם תקצרו בתפילה، [النساء: ١٠٢] וערכת להם את התפילה، [النساء: ١٠٣] קיימו את התפילה כרגיל ובמועדיה، [النساء: ١٤٢] בזמנים תפילה، [المائدة: ٦] בזמנים תפילה، [المائدة: ٥٨] בזמן שאתם נקראים לתפילה، [المائدة: ٦٠] לאחר התפילה، [الأعماق: ٦٢] תפילה، [الأطفال: ٣٥] אין תפילותם על-יד הבית אלא، [التوبية: ٥٤] על ידי תפילה، [التوبية: ١٠٣] כי תפילה מרגוע لهم، [مريم: ٣١] וציווה עלי את התפילה، [مريم: ٥٥] והיה מצווה על בני ביתו על התפילה، [مريم: ٥٩] הזינוו את התפילה، [طه: ١٣٢] צווה לבני ביתך על התפילה، [المؤمنون: ٩] המקפידים על مواعדי התפילות، [العنكبوت: ٤٥] תפילה، [ال الجمعة: ٩, ١٠] כאשר קוראים לכם להתכנס לתפילה,...בגמר התפילה، [المعارج: ٢٣] המתמידים בתפילה<sup>(١)</sup>.

2) استخدام الصيغة الفعلية التفضل، كما في [الإسراء: ١١٠] אך אל תתפללו לא بكل רם ולא בלחש، وفي [المؤمنون: ٢] המתפללים בהכנה<sup>(٢)</sup>.

3) المخالفة العددية، فقد استخدم المترجم في مقابل قوله تعالى: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥, ١٥٣] المقابل وبהתפלות في الحالتين، وفي مقابل قوله تعالى: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٩١] استخدم المقابل لمعنى يريحكم من... ومحاتفالوت، وفي مقابل قوله

(١) بن شمش: عمى , ٢٥, ٥٢, ١٩٢, ١٨٤, ١٨٣, ١١٨, ١١٤, ١٠٦, ٨٩, ٧٤, ٧٠, ٦٥, ٥١, ٥٨, ٥٧, ٣٥٧, ٣٤٤, ٢٤١.

(٢) بن شمش: عمى , ١٧٣, ٢٠٤.

تعالى: «وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» [الأنعام: ٩٢] استخدم المقابل **ונזרים** لكيم את תפילותיהם، بينما في [المعارج: ٣٤] استخدم المقابل **ושומרים** על موعد התפילהות، وهو بذلك يستخدم صيغة الجمع خلاف صيغة الإفراد في الأصل، مثلما فعل ריבلينين מقبل<sup>(١)</sup>.

٤) الالتزام بوحدة المقابل رغم اختلاف المعنى في الأصل، كما في [التوبه: ٩٩] **وتפילהת השlich**<sup>(٢)</sup>.

٥) تنوع الم مقابل المعجمي، فقد استخدم المترجم الم مقابل המתرشלים בקיום **המצוות** في [المعاون: ٥]<sup>(٣)</sup>.

٦) تعدد الم مقابل في ضوء اختلاف معنى الأصل، كما في [هود: ٨٧] **האם אמוןתך** **דורשת שנזנich את...**، وفي [الحج: ٤٠] **הייו נהרסים מינזרים, נסיות,** **מקומות תפילה ומסגדים**<sup>(٤)</sup>.

- روبين: يميل المترجم إلى الدقة والالتزام بوحدة الم مقابل في كل الموضع، كما يلي:

١) حرص المترجم على استخدام الصيغة الاسمية للمصطلح، كما في: [البقرة: ٤٥] **ובתפילה,** [البقرة: ١٥٣] **وبתפילה,** [البقرة: ٢٣٨] **שמרו** **על התפילהות** **ועל התפילה התקינה,** [النساء: ٤٣] **אל תקרבו לתפילה,** [النساء: ١٠١] **אם תקצרו בתפילה,** [النساء: ١٠٢] **ובקיימך** **לهم את התפילה,** [النساء: ١٠٣] **התפילה היא מצווה אשר נקבעו זמנה,** [المائدة: ٥٨] **ובקורכם**

(١) בן שמש: عمى ٦, ١٦, ٨٣, ٧٣, ٣٥٧.

(٢) בן شמש: عمى ١١٨.

(٣) בן شמש: عمى ٣٩٤.

(٤) בן شמש: عمى ١٣٥, ٢٠٢.

لتפילה، [المائدة: ٩١] **لحرثيكم معل....ومعل التپیله**، [المائدة: ٦١٠]  
 لآخر التپیله، [الأنعام: ٩٢] **ومکفیدیم عل تپیلتم**، [الأنعام: ٦٢] **تپیلته**  
 [الأفال: ٣٥] **تپیلتم لید الہیت اینہ الالا...»** [التوبہ: ٥٤] **بایم لتپیله**  
**رک با-ای-رظنون**، [التوبہ: ٩٩] **ات تپیلوت النبیا**، [التوبہ: ١٠٣] **کی تپیلتك هیا**  
**مرگوع لهم**، [الإسراء: ١١٠] **الل تیشا کولک بتپیله**، [مریم: ٣١] **وچیونی عل**  
**التپیله**، [مریم: ٥٥] **وهوأ چیوه بنی بیتو عل التپیله**، [مریم: ٥٩] **asher**  
**زنخو ات التپیله**، [طه: ١٣٢] **زووها ات بنی بیتك عل التپیله**، [المؤمنون: ٢]  
**هم عنویم بتپیلتم**، [المؤمنون: ٩] **وهمکفیدیم عل تپیلتم**، [العنکبوت:  
 ٤٤] **التپیله**، [الجمعة: ٩، ١٠] **بهیشماع الکریا لـتپیله,... وعم توں**  
**التپیله**، [المعارج: ٢٣] **المتمیدیم بتپیلتم**، [المعارج: ٤٣] **وعل تپیلتم**  
**مکفیدیم**، [المعاعون: ٥] **asher لا ییتنو دعاتم لـتپیله<sup>(١)</sup>**.

### ثانيًا: الصيغة الفعلية لمصطلح الصلاة:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقْيِمُونَ الْصَّلَاةَ وَمَتَّعَ رَبَّهُمْ يُنْفَقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

في مقابل ذلك جاءت الترجمات على النحو التالي:

ركندروف: «**الهادئین بسُرُورِ الظُّلْمَةِ وَمُتَّفِلِّيْم**، **وَمُفَزِّرِيْم لآبَيْوْنِيْم**  
**مِمَّا شَنَتَتِي لَهُمْ**<sup>(٢)</sup>».

ريقلين: «**asher يَأْمَنُوا بِنَعْلَمَاتٍ وَعَرَقُو التَّفَلِّيْه** **وَمَا شَرَّحَنَوْهُ لَهُمْ**

يفزرو<sup>(٣)</sup>.

(١) رو彬: عمي ٦, ٢١, ٣٥, ٧٣, ٨٠, ٨١, ٩٨, ١٠٢, ١٠٣, ١١٤, ١٢٢, ١٤٦, ١٦٠, ١٦٤, ١٦٥, ٢٣٥.  
 .٢٤٨, ٢٤٩, ٢٥٩, ٣٢٤, ٢٧٨, ٤٧٠, ٤٨٦, ٤٨٧, ٥٣٨.

(٢) رکندروف: عمي ٢.

(٣) ریبلین: عمي ٢.

بن شمش: «المؤمنين بما شmeal להشتם، بما شنتגלה له،  
الشlich، وبما شنتגלה לפניך، **המקיימים את התפילותות**، התורמים  
מה מה שהענקנו להם»<sup>(١)</sup>.

روبيان: «المؤمنين בנסתר **והמקיימים את התפילה והמוסאים**  
ממון מאשר שלחנו לפרנסתם»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بَنَاهُ لَنِي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرْبِي بِوَادِي عَيْرِ ذِي زَعْ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمَحَرَّمَ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الآية، قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ الآية [إبراهيم: ٣٧، ٤٠].

وفي مقابله جاءت الترجمات على النحو التالي:

ركندورף: «أدوني! هو شحتي מזרעى عميق لا زروع אצל בית מקדש  
لمعنى يتפלلو به.... أدوني! شيمني نا مشوع אליך אותי ואת זרעי,...»<sup>(٣)</sup>.

ريفلين: «اللهينו הנה הושבתי מצאצאי عميق לא מקום זרע אצל  
ביתך הקדוש ، اللهينו למען יערכו התפלה... الله شיתני עורך התפלה  
(אני) ומצאצאי,...»<sup>(٤)</sup>.

بن شمش: «אני הושבתי חלק מצאצאי عميق בלבתי פורה זה על - יד  
ביתך הקדוש ، למען יקימו את התפילותות...Ribonni! הרשה לי ולצאצאי  
לקיים במקום זה את התפילותות...»<sup>(٥)</sup>.

(١) بن شمش : عمى 3.

(٢) روبيان : عمى 2.

(٣) ركندورף : عمى 146.

(٤)Riblin : عمى 257.

(٥) بن شمش : عمى 153.

רובין: «רַיְבּוֹנָנוּ, הַנָּה הוֹשִׁבְתִּי אֶת זָרְעֵי בָּעֵמָק אֲשֶׁר לֹא יִנְבוֹיט בָּו זָרָעֵ, אֶצְלֵ בֵּיתֵךְ הַקָּדוֹשׁ, רַיְבּוֹנָנוּ, לְמַעַן יִקְיִימּוּ אֶת הַתְּפִילָה.... רַיְבּוֹנָי, עֲשָׂה שָׁאֲקִים אֶת הַתְּפִילָה, וְגַם זָרְעֵי אַחֲרֵי,...»<sup>(۱)</sup>.

وقد التزم المترجمون جميعاً في مقابل المركب الفعلي لمصطلح الصلاة الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، وقوله: ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، وقوله: ﴿مُؤْمِنًا الصَّلَاةَ﴾ في الآيتين الكريمتين - التزموا باستخدام مقابل فعلي في اللغة العبرية وإن اختلف المقابل فيما بينهم، وسيتمتناول نهج كل مترجم منهم على حدة، على النحو التالي:

- ركندورف: عمد ركندورف إلى المحافظة على نفس المقابل الفعلي المستخدم في الآيتين السابقتين، وهو الفعل **התפלל** مع مراعاة التنوع الزمني، وذلك على النحو التالي:

۱) في مقابل صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمُ الصَّلَاةَ﴾، وقوله: ﴿וَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ استخدم المترجم صيغة فعل الأمر **התפללו** للجمع، كما في [البقرة: ۴۳، ۸۳، ۱۱۰]، [النساء: ۷۷]، [الحج: ۷۸]، [النور: ۵۶]، [المجادلة: ۱۳]، [المزمول: ۲۰] **התפללנה** [الأحزاب: ۳۳]، وصيغة **התפלל** للمفرد، كما في [العنكبوت: ۴۵]، [لقمان: ۱۷]<sup>(۲)</sup>.

۲) استخدام الصيغة الصرفية نفسها في مقابل أكثر من صيغة في الأصل، فقد استخدم المترجم صيغة المضارع (اسم الفاعل) **מתפללים**، في مقابل قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾، كما في [البقرة: ۳]، [المائدة: ۵۵]، [الأنفال: ۳]، [النمل: ۳]، [لقمان: ۴].

(۱) روبن: עמ' 208.

(۲) ركندورף: עמ' 5, 7, 234, 235, 239, 318, 207, 197, 49.

بالإضافة لذلك استخدم نفس هذه الصيغة متحفللِيم كمقابل لقوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ في [النساء: ١٦٢]، [الحج: ٣٥]. كما استخدمه كمقابل لقوله تعالى: ﴿وَاقْمُوا الصَّلَاةَ﴾، في [البقرة: ٢٧٧]، [الأعراف: ١٧٠]، [التوبه: ١٨]، [الرعد: ٢٢]، [الحج: ٤١]، [فاطر: ٢٩]، [الشورى: ٣٨]. واستخدمه مرة أخرى كمقابل لقوله تعالى: ﴿فَوَلِلْمُصَلِّينَ﴾، كما في [المعارج: ٢٢]، [المدثر: ٤٣]، [الماعون: ٤]. بالإضافة لهذا استخدم المترجم عينه في صيغة الإفراد مقابلاً لقوله تعالى: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾، كما في [البقرة: ١٧٧]، [النساء: ٤٣]، ومقابلاً للفعل (صلى) في [النساء: ١٠٢]، [الأعلى: ١٥]<sup>(١)</sup>.

(٣) استخدم المترجم صيغة المستقبل يتفلل كمقابل لصيغة الشرط في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا فَأَقَامُوا الصَّلَاةَ... فَخَلُوْسَيْهِم﴾، كما في [المائدة: ١٢] **أم** تتفللُ، و[التوبه: ٥، ١١] **אם יטיבו...** **ויתפללו**، وكمقابل لصيغة النهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ [التوبه: ٨٤] **ואל תתפלל** بعد، وأيضاً كمقابل لصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [التوبه: ٧١]<sup>(٢)</sup>.

(٤) استخدام صيغ المصدر להتفلل بالاتساق مع الأصل أو لمراعاة قواعد اللغة العبرية، وذلك في مقابل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، وقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، [النور: ٣٧]، ومقابل قوله: ﴿وَيُقْيِمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البيت: ٥]، ومقابل قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦]، ومقابل الفعل (صلى) كما في [العلق: ١٠]<sup>(٣)</sup>.

(١) רקנדורף: عام' ٢, ٢٥٦, ١٩٥, ١٤٢, ١٠٦, ٩٦, ٢٦// ١٩٤, ٥٦// ٢٤١, ٢٢٠, ٩٩, ٤٦, ٣٥٣, ٥٢, ٤٧, ١٥// ٣٦٤, ٣٣٥//

(٢) רקנדורף: عام' ٦١, ١٠٥, ١٠٦, ١١٢//

(٣) רקנדורף: عام' ٧٥, ٣٥٨, ٦٠// ٣٦٠, ٢٠٦, ١٨٩.

- ٥) استخدام نفس المقابل المعجمي مقابل لأكثر من معنى في الأصل، فقد استخدم المترجم الفعل **התפלל** كمقابل لمعنىين في الأصل، أولهما للتعبير عن جملة (أقام الصلاة) ومشتقاتها، حسبما سبقت الإشارة لذلك، والآخر للتعبير عن الفعل (صلى)، وذلك كما في [التوبة: ١٠٣] **התפלל בעדום**<sup>(١)</sup>.
- ٦) تعدد المقابلات المعجمية، فقد استخدم المترجم أكثر من مقابل فعلية لنفس الأصل في قوله تعالى: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾**، من ذلك: استخدام المقابل **תִּשְׁאַת לְבָבֵךְ אֶל** في [النساء: ١٠٢]، والم مقابل **הַפִּיל תְּחִנֵּה** في [يونس: ٨٧]، [هود: ١١٤]، ثم استخدام المقابل **הַתְּחִנֵּן אֶל** في [الروم: ٣١]. ولم يكتف المترجم بهذا، بل عَدَّل عن الصيغة الفعلية للمصطلح إلى صيغته الاسمية **עֲשֵׂה אֶת תְּפִלָּתֶךָ**، كما في [الإسراء: ٧٨]، وإلى **וְהַצִּירֵנִי בְּתְפִלָּתֶךָ**، كما في [طه: ١٤]<sup>(٢)</sup>.
- ٧) حذف المترجم الآية [١٨] من سورة فاطر<sup>(٣)</sup>.

- **ريقلين:**

التزم ريقلين بالمحافظة على نفس المقابل الفعلي المستخدم في الآيتين السابقتين، وهو الجملة الفعلية **לֹא** **תְּפִלָּה**، مع مراعاة التنوع الزمني حسب السياق القرآني، وذلك على النحو التالي:

- ١) في مقابل صيغة الأمر في قوله تعالى: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾**، وقوله: **﴿وَلَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾** استخدم المترجم صيغة فعل الأمر للمفرد **לֹא** **תְּפִלָּה**، كما في [الإسراء: ٧٨]، [طه: ١٤]، [العنكبوت: ٤٥]، [القمان: ١٧]، وصيغة فعل الأمر للجمع

(١) ر肯دورف: **עמ' 113**.

(٢) ر肯دورف: **עמ' 52, 164// 131, 121, 238, 180.**

(٣) ر肯دورف: **עמ' 256.**

לערכו תפילה, كما في [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠]، [النساء: ٧٧]، [الأعما: ٧٢]، ولערכו

התפילה [يونس: ٨٧]، [النور: ٥٦]، [الروم: ٣١]، [المجادلة: ١٣]، [المزمول: ٢٠]

.  
לערכיה התפילה [الأحزاب: ٣٣]، ولערכו אפוא התפילה [الحج: ٧٨]<sup>(١)</sup>.

٢) استخدام صيغ المصدر **לערכך** تفילה بالاتساق مع الأصل أو لمراعاة قواعد

اللغة العبرية، في مقابل قوله تعالى: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاة﴾ [الأنبياء: ٧٣]، [النور: ٣٧]

ومقابل قوله: ﴿وَقُيِّمُوا الصَّلَاة﴾ [آلية: ٥]<sup>(٢)</sup>.

٣) اختلاف الصيغ، حيث استخدم المترجم صيغة الماضي المسبوق بواو القلب

**לערכך** أت التفילה؛ للدلالة على صيغ زمنية متعددة، مثل: صيغة الأمر

**לערכך** أت التفילה مقابلًا لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُ الصَّلَاة﴾ [هود: ١١٤]. ومثل:

زمن المستقبل **לערכך** أت التفילה، مقابل قوله تعالى: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاة﴾

أقام الصلاة، وقوله: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاة﴾ [البقرة: ١٧٧]، [النساء: ١٠٣]. ومثل: زمن

المستقبل المستمر **לערכו** التفילה، مقابل قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاة﴾

[البقرة: ٣]، [التوبه: ٧١]، ومقابل قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاة﴾ في [التوبه: ٥، ١١]

[الحج: ٤١]<sup>(٣)</sup>.

٤) استخدام صيغة المستقبل المسبوق بواو القلب **לערכך** أت التفילה سواء في

صيغة الإفراد أو الجمع؛ للدلالة على الديمومة والاستمرارية، وذلك مقابل قوله

تعالي: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاة﴾ [التوبه: ١٨]، وقوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاة﴾ في [البقرة: ٢٧٧]

.[الرعد: ٢٢]، [فاطر: ١٨، ٢٩] [الشوري: ٣٨]<sup>(٤)</sup>.

(١)Riblin: עמ' 462// 694 ,639 ,439 ,375 ,213// 131 ,89 ,11 ,7// 447 ,432 ,320 ,290 ,639 .354

(٢) Riblin: עמ' 348 ,373 ,749 .

(٣) Riblin: עמ' 184// 194 ,2// 93 ,15// 229 .349

(٤) Riblin: עמ' 485 ,484 ,248 ,45// 185 .550

- ٥) استخدام نفس الصيغة الصرفية مقابل أكثر من صيغة في الأصل، فقد استخدم المترجم صيغة المضارع **הַעֲרָכִים תְּפִילָה** في مقابل قوله تعالى: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [المائدة: ٥٥]، ومقابل قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، [الحج: ٣٥]، ومقابل قوله تعالى: ﴿وَاقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]<sup>(١)</sup>.
- ٦) استخدام صيغة المستقبل **כִּי תָעַרְכוּ הַתְּפִילָה** مقابل صيغة الشرط في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَمُوا الصَّلَاةَ﴾، كما في [المائدة: ١٢]، [التوبه: ٥]. علاوة على استخدامها مقابل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ كما في [الأفال: ٣]، [النمل: ٣]، [لقمان: ٤]<sup>(٢)</sup>.
- ٧) استخدام المترجم الفعل **התפלל** مقابل الفعل (صلى) مع مراعاة تنوع الأزمنة والصيغ في السياق القرآني، وذلك كما في [النساء: ١٠٢، ١٠٣]، [المائدة: ٦]، [التوبه: ٨٤، ١٠٣]، [المعارج: ٢٢]، [المدثر: ٤٣]، [القيامة: ٣١]، [الأعلى: ١٥]، [العلق: ١٠]، [المعون: ٤]، [الكوثر: ٢]<sup>(٣)</sup>.

• بن شمش:

التزم بن شمش بالمحافظة على نفس المقابل الفعلي المستخدم في الآيتين السابقتين، وهو الجملة الفعلية **קִיִּם אֶת הַתְּפִילוֹת/ הַתְּפִילָה**، وذلك على النحو التالي:

- ١) في مقابل صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمُ الصَّلَاةَ﴾ وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ استخدم المترجم صيغتان، أولهما صيغة فعل الأمر للمفرد أو الجمع مع

(١)Riblin: עמ' 113 // 348, 100 // 167.

(٢) Riblin: עמ' 106, 184, 401, 172 // 447.

(٣) Riblin: עמ' 93, 98, 105, 196, 198, 684, 697, 701, 731, 747, 759, 760.

إفراد المفعول به **קִים/קִימוֹ** את התפילה, كما في [النساء: ١٠٣], [الإسراء: ٧٨], [طه: ١٤], [الحج: ٧٨], والأخرى صيغة فعل الأمر للمفرد أو الجمع مع جمع المفعول به **קִים/קִימוֹ** את התפילותות, كما في [البقرة: ٤٣, ٨٣, ١١٠], [النساء: ٧٧], [الأنعم: ٧٢], [هود: ١١٤], [النور: ٥٦], [العنكبوت: ٤٥], [الروم: ٣١], [لقمان: ١٧], [الأحزاب: ٣٣], [المزمول: ٢٠]<sup>(١)</sup>.

(٢) استخدام صيغ المصدر بالاتساق مع الأصل أو لمراعاة قواعد اللغة العبرية، نحو: **לְקִים** את התפילה مقابل قوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاة﴾ [المجادلة: ١٣], **לְקִים** את התפילותות مقابل قوله تعالى: ﴿وَقَامَ الصَّلَاة﴾ [الأنياء: ٧٣]، وقوله: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاة﴾ [البيت: ٥]. بكموم **لتפילה** مقابل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاة﴾ [النساء: ١٤٢], [المائدة: ٦]<sup>(٢)</sup>.

(٣) اختلاف الصيغ، فقد استخدم المترجم صيغة المضارع **המקים** את التفילותات مقابل قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاة﴾ [التوبه: ١٨]، واستخدم صيغة الجمع **המקיימים** את التفilihات مقابل قوله تعالى: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاة﴾، كما في [البقرة: ٢٧٧], [الأعراف: ١٧٠], [الرعد: ٢٢], [الحج: ٤١], [فاطر: ١٨, ٢٩], [الشورى: ٣٨]. ومقابل قوله تعالى: **יُقִيمُוּ** **الصَّلَاة** كما في [البقرة: ٣], [المائدة: ٥٥], [الأناضول: ٣], [التوبه: ٧١], [لقمان: ٤]، ومقابل قوله تعالى: **وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاة** في [النساء: ١٦٢], [الحج: ٣٥]، ومقابل قوله تعالى: **وَقَامَ الصَّلَاة** [النور: ٣٧]<sup>(٣)</sup>.

(١) בן שמש: عم' ٥٩, ١٧١, ٣٦٢, ٢٥٤, ٢٤٨, ٢٤٤, ٢٤١, ٢١٤, ١٣٦, ٨١, ٥٥, ١٢, ٩, ٦// ٢٠٤, ١٨٧.

(٢) بن شمش: عم' ٣٣٦ // ٣٨٩ // ١٩٦ // .٦٥, ٦١.

(٣) بن شمش: عم' ١١١, ١٢٦, ١١٦, ١١٥, ١٠٤, ٧٠, ٣// ٢٩٥, ٢٦٥, ٢٦٤, ٢٠٢, ١٤٨, ١٠١, ٣٠.

.٢١٢, ٢٠١, ٦٢// , ٢٤٧

٤) استخدام صيغة المستقبل **אִם יִקְיִימּוּ אֶת הַתְּפִילֹות** مقابل صيغة الشرط في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَأْتُوا وَأَقْمُوا الصَّلَاةَ﴾ كما في [المائدة: ١٢]، [التوبه: ٥]<sup>(١)</sup>.

٥) استخدام صيغة الاسم المشتق بكىوم **הַתְּפִילֹות** مقابل قوله تعالى: ﴿وَاقْمِرْ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ١٧٧]<sup>(٢)</sup>.

٦) استخدام نفس المقابل المعجمي لأكثر من معنى في الأصل، حيث استخدم المترجم الفعل **התפלל** - مع مراعاة تنوع الأزمنة والصيغ في السياق القرآني - مقابل قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [يونس: ٨٧]، ومقابل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ صَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠]. هذا بالإضافة لاستخدام الفعل عينه مقابل الفعل (صلى)، كما في [النساء: ١٠٢]، [التوبه: ٨٤، ١٠٣]، [المدثر: ٤٣]، [القيامة: ٣١]، [الأعلى: ١٥]، [العلق: ١٠]، [المعاون: ٤]، [الكوثر: ٢]<sup>(٣)</sup>.

٧) تعدد المقابلات المعجمية، فقد استخدم المترجم أكثر من مقابل فعلي لنفس الأصل، بالإضافة للمقابل **קיים התפילותות** وهو المقابل الأساسي لديه، عمد المترجم إلى استخدام المقابل **ערץ את התפילה** كما في [النساء: ١٠٢]، بل إنه استخدم المقابلين معاً في هذه الآية نفسها<sup>(٤)</sup>.

• روبين:

ال Zimmerman رويبين بالمحافظة على نفس المقابل الفعلي المستخدم في الآيتين السابقتين، وهو الجملة الفعلية **קיים את התפילה** مع مراعاة التنوع الزمني حسب السياق القرآني، وذلك على النحو التالي:

(١) بن شمش : عمي' 18.

(٢) بن شمش : عمي' 62 , 110.

(٣) بن شمش : عمي' 126 , 117 , 118 , 364 , 365 , 379 , 387 . 394.

(٤) بن شمش : عمي' 58.

١) في مقابل صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاة﴾، وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاة﴾ استخدم المترجم صيغة فعل الأمر للمفرد كيim את התפילה، كما في [هود: ١١٤]، [الإسراء: ٧٨]، [طه: ١٤]، [العنكبوت: ٤٥]، [لقمان: ١٧]. واستخدم صيغة فعل الأمر للجمع קיimo את התפילה، كما في [البقرة: ٤٣، ٨٣، ١١٠]، [النساء: ٧٧، ١٠٣]، [الأنعام: ٧٢]، [يونس: ٨٧]، [الحج: ٧٨]، [النور: ٥٦]، [الروم: ٣١]، [الأحزاب: ٣٣]، [المجادلة: ١٣]، [المزمول: ٢٠]<sup>(١)</sup>.

٢) استخدام صيغ المصدر לקiim את התפילה بالاتساق مع الأصل أو لمراعاة قواعد اللغة العربية، وذلك مقابل قوله تعالى: ﴿وَفَاقَمُوا الصَّلَاة﴾ [الأنياء: ٧٣]، [النور: ٣٧]، ومقابل قوله: ﴿وَيُقْبِلُوا الصَّلَاة﴾ [البيتة: ٥]. وصيغة בקומם להתפלל مقابل قوله تعالى: ﴿وَذَاقُوا إِلَى الصَّلَاة﴾ [النساء: ١٤٢]، [المائدة: ٦]<sup>(٢)</sup>.

٣) استخدام الصيغة الصرفية نفسها مقابل أكثر من صيغة في الأصل، حيث استخدم المترجم صيغة المضارع המكينيمים את התפילה مقابل قوله تعالى: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاة﴾ كما في [البقرة: ٣]، [المائدة: ٥٥]، [الأناشيد: ٣]، [التوبية: ٧١]، [النمل: ٣]، [لقمان: ٤]. ومقابل قوله تعالى: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاة﴾، كما في [البقرة: ١٧٧]، [الأعراف: ١٧٠]، [الرعد: ٢٢]، [فاطر: ١٨]، [الشورى: ٣٨]، وقد أورده في صيغة المركب الإضافي מקיimi התפילה في [البقرة: ٢٧٧]. كما استخدمه بصيغة الإضافة نفسها مقابل قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاة﴾ في [النساء: ١٦٢]، [الحج: ٣٥]. وجاء بصيغة المفرد המكينيم את התפילה مقابل قوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاة﴾ في [التوبية: ١٨]<sup>(٣)</sup>.

(١) רובין: עמי' 188, 290, 277, 176, 112, 81, 77, 15, 11, 6//333, 324, 252, 232, 232, 329, 329 .493, 458, 343

(٢) רובין: עמי' 265, 85// 288, 529// 288

(٣) רובין: עמי' 2, 98, 143, 306, 162, 139, 23// 332, 355, 201, 398, 87// 41//

٤) استخدم المترجم صيغة المستقبل **אִם תַּקְיִימוּ אֶת הַתְּפִילָה** كمقابل لصيغة

الشرط في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا فَأَقْمُو الْأَصْلَوَةَ﴾ في [المائدة: ١٢]، [التوبه: ٥]، [١١].

[الحج: ٤١]<sup>(١)</sup>.

٥) تعدد المقابلات المعجمية، فقد استخدم المترجم أكثر من مقابل فعلي لنفس

الأصل، فقد استخدم المترجم الفعل **הַתְּפִלָּל** بمشتقاته مقابل الفعل (صلى)،

وذلك كما في [النساء: ٦]، [المائدة: ٦]، [التوبه: ٨٤]، [١٠٣]، [المعارج: ٢٢]،

[المدثر: ٤٣]، [الأعلى: ١٥]، [العلق: ١٠]، [المعاون: ٤]. هذا بالإضافة لاستخدامه

التعبير **נְשָׁא תְּפִילָה**، كما في [القيامة: ٣١]، [الكوثر: ٢]<sup>(٢)</sup>.

مما سبق يتبيّن اتفاق المترجمين جمِيعاً على استخدام المصطلح العربي

**תְּפִלָּה** كمقابل للصيغة الاسمية لمصطلح الصلاة في النص القرآني، واتفاقهم

كذلك على استخدام الفعل العربي **הַתְּפִלָּל** مقابل الفعل العربي (صلى)، كما في

[التوبه: ٨٤]، [١٠٣]، [النور: ٥٨]، [العنكبوت: ٤٥] على سبيل المثال، لكننا لن نعدم خروجاً

عن هذا الالتزام في بعض الأحيان<sup>(٣)</sup>. وإذا تأملنا نهج المترجمين هنا نجد أنه لا يخرج

(١) ר'ובין: עמי' ٩١, ١٥٣, ١٥٤, ٢٧٤.

(٢) ר'ובין: עמי' ٨٠, ٨٥, ٩١, ٤٩٧// ٥٣٨, ٥٢٧, ٥١٧, ٤٩٥, ٤٨٦, ١٦٥, ١٦٣, ٩١, ٨٥.

(٣) من ذلك عدم توحيد المقابل رغم وحدة الأصل، وهو ما أقدم عليه ركندورف عندما استخدم الصيغة

الاسمية للمصطلح مقابل الصيغة الفعلية (أقم الصلاة) في الأصل، كما في [الإسراء: ٧٨]، [طه: ١٤]،

بينما التزم بالصيغة الفعلية لنفس الأصل في [العنكبوت: ٤٥]، [لقمان: ١٧]، كما غير المقابل الفعلي

إلى مقابل آخر، كما في [مود: ١١٤]. كذلك عدم الالتزام بالتمثيل بين الآيات المتشابهة، كما عند

ركندورف في [البقرة: ٤٥]، [١٥٣]، [هود: ١١٤]، [الإسراء: ٧٨]، وكما عند بن شمش في [آل الأنبياء: ٧٣]

[النور: ٣٧]، وإن التزم بالتمثيل في [النساء: ١٦٢]، [الحج: ٣٥]، [التوبه: ١١]، [الحج: ٥].

حذف الضمير المتصل بالاسم، نحو ما أقدم عليه ركندورف في [الأنعام: ٩٢]، [المعارج: ٣٤]، بينما

الزم بالضمير المتصل بالاسم في [المؤمنون: ٩]، [٢]. وتبعد في ذلك بن شمش في [الإسراء: ١١٠]

= وروبيان في [الإسراء: ٧٨].

## عما سبقهم إليه أسلافهم من اليهود<sup>(١)</sup>.

= تقدير محدود في الأصل وهو المفعول به، مثلما قدره كل من ركندورف في [المائدة: ٩١]، [العنكبوت: ٤٥]، [لقمان: ١٧]، وبين شمش في [المؤمنون: ٩]، [المعارج: ٣٤].

إفراد ما هو جمع في الأصل، كما فعل كل من ركندورف وروбин في [المؤمنون: ٩]، وهو الأمر الذي أدى إلى الخلط لديهما بين هذه الصيغة وبين الصيغة الواردة في [الأعراف: ٩٢]، [المعارج: ٣٤].

جمع ما هو مفرد في الأصل، وذلك حينما جمع كل من ركندورف وبين شمش ضمير الخطاب في [مود: ١١٤]، بالرغم من أنه ورد على صيغة الإفراد في الأصل؛ لأنَّه موجه للرسول ﷺ، ونفس الأمر أقدم عليه ريفلين في [الأعراف: ٩٢]، [المعارج: ٣٤]، وهو ما يؤدي للخلط بين هاتين الآيتين وبين [المؤمنون: ٩]. وقد أسرف بن شمش في استخدام هذا النسق حينما أورد مصطلح الصلاة في صيغة الجمع في العديد من المواضع، كما في [البقرة: ٢٣٨]، [النساء: ١٦٢]، [التوبه: ٥]، [الأنبياء: ٧٣]، [الحج: ٣٥]، [النور: ٣٧].

تحويل نمط الجملة من الفعلية إلى الاسمية، كما فعل ركندورف في [النساء: ١٤٢]، وبين شمش في [الإسراء: ١١٠]، [المؤمنون: ٩]. وتحويل صيغة الشرط إلى الصيغة الخبرية، كما عند روбин في [الجمعة: ١٠]. وتحويل الصيغة من المبني للمبني للمجهول، كما فعل بن شمش في [المائدة: ٥٨]. ومن ذلك أيضاً استخدام صيغة النفي مقابل الإثبات في الأصل، كما عند ريفلين حينما استخدم صيغة *לא שמע* مقابل الفعل (*أخذوا*)، في [مريم: ٥٩]، وكما فعل روбин في [البقرة: ٢٧٧].

(١) من هؤلاء ربي سعديا جاؤون، والمشهور بسعديا الفيومي، الذي استخدم مصطلح الصلاة في العربية مقابل مصطلح *תפילה* العبري في كتابه المكتوب بالعربية اليهودية والمعنون بـ ”*כתבאב גאמע אצלואות ואלטסביח*“ (كتاب جامع الصلوات والتسابيح)، وقد استخدم فيه الكثير من المصطلحات الإسلامية كالصلاحة والإمام وأحكام الفقه... إلخ، من ذلك قوله في مقدمة الكتاب: ”*אםא بعد פאן צלאות בני איסרא'*، וتسbirחם ללה ג'ל ג'לה למא כאן ג'יר מנוצחה פי אלכתאב כמו און כת'ירא מן אחכאמ אלפקה ואלטראעת למ תשרה פה....“ (أما بعد فإن صلواتبني إسرائيل وتسبيرحهم للله جل جلاله لما كانت غير منصوصة في الكتاب كما أن كثيراً من أحكام الفقه والطاعات لم تشرح فيه...). ونلاحظ هنا أنه قد استخدم المقابل الثقافي وقيده بإضافته لبني إسرائيل، ربما للإشارة لفارق بين دلالة المصطلح في اللغتين. كما قام بترجمة مصطلح *תפילה* الوارد في [مزامير ٦ / ١٠] *שמע יהוה תחינותי יהוה*، *תפילה כי*ك.

إذا سمع تحني وقبل صلوتي). גאון : עמי 'י , וعود מבוֹא עמי' 5 – 58 Margulies:

وعلى الطرف الآخر اختلف المترجمون فيما بينهم في اختيار المقابل الفعلي المستخدم لترجمة الصيغة الفعلية للمصطلح **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾** ومشتقاتها، فقد توالت المقابلات بينهم في الآيات [العنكبوت: ٤٥]، [لقمان: ١٧] على سبيل المثال، على النحو التالي:

- استخدم ركندورف عدة م مقابلات لهذه الصيغة، مثل الأفعال (*התפלל, התחנן אל, הפיל תחינה, עשה את התפילה, שפך את שיחו*).
- التزم ريثلين بوحدة المقابل فاستخدم الصيغة *עריך את התפילה*.
- غير بن شمش بين صيغتين للمقابل، هما: *קיים את התפילה / קיים את התפילות*.
- انتهج وروين نهيج ريثلين، حيث التزم بوحدة المقابل مستخدماً صيغة *קיים את התפילה*.

وقبل الحديث عن دقة المصطلح المستخدم في العربية سواء أكان في صيغته الاسمية أو في صيغته الفعلية، ينبغي أولاً إيضاح دلالة مصطلح (الصلوة) في العربية، ثم تحديد دلالة مصطلح *תפילה* في العربية، حتى يكون بالإمكان تقويم الإجراء الذي اعتمدته المترجمون في عملهم.

### مصطلح الصلاة في اللغة العربية:

يُشتقُ لفظ الصلاة في اللغة من الفعل *صلى*، ومنه صلی الفرس في السباق؛ أي جاء مُصلِّياً وهو الثاني في السباق. وصلی فلان؛ أي دعا، ويقال: صلی عليه؛ أي: دعا له بالخير. والصلأ هو جانب الذنب عن يمينه وشماليه وهما صلوان، ووسط الظهر من الإنسان والدواب. ويقال: صلی الشيء صلیاً؛ أي: ألقاه في النار، وصلی اللحم

شواه، وصلى العيد نصب له الشرك. ويُقال: صلى فلاناً (وله)؛ أي كاد له ليوقعه في الشر. وأصلاحه النار وصلاح إياها، و(فيها) أدخله إياها وأنثواه فيها، والصلب بالنار والوقود، والصلب الشواء، واصطبى استدفأ<sup>(١)</sup>.

فالصلاوة في العربية: فعلة من صلبي وأصله الواو لاشتقاقه من الصلب، وهو عرق متصل بالظهر يفترق من عند عجب الذنب، ويمتد منه عرقان في كل ورك عرق، يُقال لهمما الصلوان، فإذا رکع انحنى صلاه وتحرك، فسمى بذلك مصلباً، ومنه أخذ المصلي في سبق الخيل لأنه يأتي مع صلوى السابق. قال ابن عطية: اشتقت الصلاة منه إما لأنها جاءت ثانية بالإيمان فشبهت بالمصلب من الخيل، وإما لأن الراكع والساجد يثنى صلويه<sup>(٢)</sup>.

قال بعضهم: أصل الصلاة من الصلاء، قال: ومعنى صلبي الرجل، أي أزال عن نفسه بهذه العبادة الصلاء الذي هو نار الله الموقدة. وقال ابن فارس: يُقال: إن الصلاة من صلبيت العود بالنار إذا لينته؛ لأن المصلي يلين بالخشوع<sup>(٣)</sup>.

قال الراغب: «الصلاحة التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه أي تسمية الجزء اسم الكل والعكس، أو على سبيل المجاز». وجعل ابن عطية الصلاة مما أخذ من صلبي بمعنى دعا. قال: فلما كانت الصلاة في الشرع دعاء وأضيفت إليها هيئات وقراءة، سمى

(١) ابن فارس: (ج ٣) (ص ٣٢٣). الزمخشري: أساس البلاغة: (٢٥، ٢٦، ٢٦). الفيروزآبادي: القاموس المحيط (١١٧٠٠ / ١). مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (٥٤١ / ١، ٥٤٢ / ١) مادة (صلبي). إبراهيم: (ص ٢١٨).

(٢) الزمخشري: الكشاف عن حقائق غواص التنزيل (٤٠ / ١). ابن الجوزي: (٢٥ / ١). القرطبي: (١٦٩ / ١). الأندلسبي: (٦٥، ٦٦ / ١). أبو السعود: (٣١ / ١).

(٣) الأصفهاني: (ص ٢٨٥)، الفيومي: (ص ٣٤٦).

جميع ذلك باسم الدعاء، والقول أنها من الدعاء أحسن<sup>(١)</sup>. وقيل: الصلاة اسم علم وضع لهذه العبادة، فهي لا اشتراق لها<sup>(٢)</sup>.

من هنا قيل: إن الصلاة على وجهين، فهي من الله هي الرحمة والدعاء والتبريك والتمجيد والتزكية (منه عز وجل على عباده)، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٣]. والصلاحة من الملائكة هي الدعاء والتسبيح والاستغفار، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. ومن المخلوقين الاستغفار، فالصلاحة من الإنس والجن القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح، ومن الطير والهوام التسبيح. وقيل: الأصل في الصلاة اللزوم، يقال: قد صلي واصطلي إذا لزم، ومن هذا من يصلي في النار أي يلزم النار. وهي اسم يوضع موضع المصدر، كقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَاةُ اللَّهِ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةُ الْبَقْرَةِ﴾ [البقرة: ١٥٧]، وكقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]<sup>(٣)</sup>.

والصلاحة في اصطلاح الفقهاء: أقوال وأفعال مفتوحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، بشرائط وهيئات مخصوصة. وللصلاحة أنواع، وشروط وأركان، وتسمى فرائض وسنن ومكرورات، ومبطلات. وتنقسم الصلاحة إلى ما لا يشتمل على ركوع وسجود، وهي صلاة الجنازة، وما يشتمل عليهما وهو ما عداها، وينقسم الثاني إلى قسمين: الأول الصلاة المفروضة، والثاني الصلاة النافلة، وهي تشمل المسنونة والمندوبة. ولم تنفك شريعة منها، وإن اختلفت صورها بحسب كل شرع<sup>(٤)</sup>.

(١) الأصفهاني: المرجع السابق، نفسه. ابن الجوزي: المرجع السابق، نفسه. الأندلسي: المرجع السابق، نفسه. أبو السعود: المرجع السابق، نفسه. (بتصرف).

(٢) عتريس: (ص ١٥).

(٣) الأصفهاني: المرجع السابق، نفسه. ابن منظور: (٤٦٥ / ١٤). الفيومي: المرجع السابق، نفسه. إبراهيم: (ص ٢١٧).

(٤) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: (ص ٣). ابن سلام: (ص ١٦٦، ١٦٧).

وذلك مصدق قول النبي ﷺ فيما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في الرجل الذي علمه النبي الصلاة لما أخل بها، فقال له: (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، ثم كبر، ثم اقرأ ما تيسر من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها) <sup>(١)</sup>. وإقامة الصلاة: أداءها بأركانها وسننها وهياتها في أوقاتها. وقيل: المراد المداومة عليها، من قوله: أقامه، إذا أداه <sup>(٢)</sup>.

وقد وردت الصلاة في القرآن على ثلاثة عشر وجهاً:

- ١) عقب الدعاء كقوله تعالى: ﴿وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ صَلَوةَنَا سَكْنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبه: ٣].
- ٢) بمعنى الاستغفار كقوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].
- ٣) الرحمة كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٣].
- ٤) صلاة الخوف كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢].
- ٥) صلاة الجنائز كقوله تعالى: ﴿وَلَا نُصَلِّي عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدَآ﴾ [التوبه: ٨٤].
- ٦) صلاة العيد كقوله تعالى: ﴿وَذَرْ أَشْمَرَرِيهِ فَكُلِّي﴾ [الأعلى: ١٥].
- ٧) صلاة الجمعة كقوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩].
- ٨) صلاة الجمعة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ أَنْتُذُوهَا هُزُوا وَلَعِبُوا﴾ [المائدة: ٥٨].
- ٩) صلاة السفر كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُ وَأَمِنَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠١].

(١) عتريس: المرجع السابق، نفسه. (بتصرف)

(٢) نفسه.

- ١٠) صلاة الأمم الماضية كقوله تعالى: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالرَّكْوَةِ﴾ [مريم: ٣١].
- ١١) كنائس اليهود كقوله تعالى: ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعٍ وَبَيْعٍ وَصَلَوَاتٍ﴾ [الحج: ٤٠].
- ١٢) الصلوات الخمس كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوْا الرَّكْوَةَ﴾ [البقرة: ٤٣].
- ١٣) صلاة العصر كقوله تعالى: ﴿تَحِسُّسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدah: ١٠٦]<sup>(١)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أنه بالرغم من أصلية اللفظ وجذره في اللغة العربية، إلا أن بعض المستشرقين يصر على تصنيف هذا اللفظ ضمن الألفاظ التي قيل بأعجميتها في القرآن الكريم - وقد قام الباحث وحيد صفية ببحث هذه المقوله في إطار رسالته العلمية المعروفة بنـ: «الألفاظ التي قيل بأعجميتها دراسة في ضوء اللغات السامية» - وقد أشار الباحث في معرض بحثه إلى رأي آرثر جفري الذي صنفَ الفعل (صلى) وكل ما يُشتق منه من ألفاظ، مثل: صلاة، مُصلَّ، مُصلَّي ضمن الألفاظ الأعجمية في القرآن الكريم. ولم يكتف جفري بهذا، بل استعرض بعض آراء سلفه من المستشرقين التي تؤيد وجهة نظره تلك، حيث ذهب بعضهم إلى أن الفعل (صلى) إنما هو مشتق من لفظ صلاة، وأن لفظ (صلاة) نفسه مستعار من مصدر آرامي، كما أن اللفظ الوارد في الحبشي مستعار من نفس المعنى. في حين ذهب البعض الآخر إلى احتمال استعارة لفظ (صلاة) من الآرامية اليهودية أو من السريانية؛ نظراً لانتشار عبارة (إقامة الصلاة) بها. ويخلص جفري أخيراً إلى أن الاستعارة تمت منذ وقت مبكر، لذا فإن هذه الصورة شائعة في الشعر العربي الذي سبق الإسلام<sup>(٢)</sup>.

(١) الفيروزابادي: بصائر ذوي التمييز في طائف الكتاب العزيز (ج ٣) (ص ٤٣٥) وما بعدها. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن (ج ٢) (ص ١٢٥).

(٢) صفية: (ص ٢٩١).

وقد فندَ الباحث وحيد صفيه في دراسته هذا القول اعتماداً على المشترك السامي القديم: فيري أننا إذا ما عدنا إلى اللغات السامية فإننا نجد الفعل (صلّى) قد ورد في الأكادية *Sullû* بمعنى (يتوصل إلى، ينشد). وفي آرامية العهد القديم نجد الفعل *צָלַא<sup>(١)</sup>* *Slâ* بمعنى صلّى، كما نجد الاسم *צָלֹתָא<sup>(٢)</sup>* *Slotâ* بمعنى صلاة، ونجد في السريانية الفعل *salli* بمعنى صلّى، كما نجد الاسم *Salot* صلوتاً بمعنى صلاة. وفي العربية الجنوبية نجد *سِلَّ* *Slw* بمعنى صلّى، وفي المنداعية نجد الفعل *Salat* بمعنى صلّى، ويقابل ذلك في العربية الفعل صلّى والاسم الصلاة.

ويخلص الباحث وحيد صفيه إلى أنه يرجح أن الفعل (صلّى) وكذلك لفظ (الصلاحة) هما من مفردات المشترك السامي، وأنهما ليسا من الألفاظ الدخيلة في العربية من الآرامية أو السريانية أو غيرهما. ويستشهد في صواب رأيه هذا بما ذهب إليه كل من حازم كمال الدين وطه باقر حينما صنفا هذين اللقظتين ضمن مفردات المشترك السامي <sup>(٣)</sup>.

ولعل الدراسة الحالية تؤكّد رأي الباحث وحيد صفيه حينما تشير لوجود مشترك سامي آخر؛ ألا وهو الفعل صلّى بمعنى (شوى، صلا). وهذا على تحرير الصلاة أنها من الجذر صلا بمعنى شوى أو لين العدو بالنار أو وقع عن نفسه الصلاء وهي النار <sup>(٤)</sup>، مما يدعم القول بوجود أصل سامي قديم مشترك للفظ الصلاة وللفعل «صلّى».

(١) שטיינברג: لا، צלא.

(٢) שכתרא: عام، 319.

(٣) صفيه: (ص ٢٩١، ٢٩٢).

(٤) B.D.B. p802

## مصطلح **תְּפִלָּה** في اللغة العبرية:

يُطلق مصطلح **תְּפִלָּה** على الصلاة في اللغة العبرية، وهو لفظ مشتق من الجذر **פלל** الذي يدل على التفكير والحكم، ويعني لفظ **תְּפִלָּה** (صلاة - دعاء - تسبيح - مصحف الصلاة - كتاب الصلاة). وقد ورد في العهد القديم، كما في (إرميا ٧/١٦) (**וְאֵל-תְּשַׁא בַּעֲדָם רֹנֶה וְתְּפִלָּה** - ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة)، وفي (مزامير ٦/١٠) (**יְהֹוָה, תְּפִלָּתִי יְקֻחַ** - الرب يقبل صلاتي)، وفي (أيوب ٦/١٧) (**וְתְּפִלָּתִי זָהָה** - وصلاتي خالصة). وقد تطورت دلالة اللفظ في العصر الوسيط لتدل على كتاب الصلوات اليهودية<sup>(١)</sup>.

وأما الصيغة الفعلية فيستخدم للدلالة عليها الفعل **הַתְּפִילָל** من وزن **הַתְּפִילָל**<sup>(٢)</sup> الذي يعني (صلى - تضرع - ابتهل - دعا - استعطف)، وقد ورد في العهد القديم، كما في (الملوك الأول ٨/٤٢) (**וּבָא וְהַתְּפִילָל אֶל-הַבַּיִת הַזֶּה** - فمتى جاء صلى في هذا البيت)، وفي (إشعياء ٤٥/١٤) (**וְאֶלְיךָ יִשְׁתַּחֲוו אֶלְיךָ יִתְּפִלֵּלוּ** - ولك يسجدون، إليك يتضرعون). ويidel هذا الفعل على معنى الاستعطاف والابتهاج، كما في (الملوك الأول ٨/٥٤) (**וְיְהִי כָּלּוֹת שֶׁלֶמֶת לְהַתְּפִילָל אֶל-יְהֹה אֵת כָּל-הַתְּפִלָּה** - وكان لما انتهى سليمان من الصلاة إلى الرب بكل هذه الصلاة). ويستخدم مع الأدوات **ל** ، بعد، **על** للإشارة لمن يستغرون من أجله أو يتضرعون للعفو عنه، بينما يستخدم مع الأداة **אל** للإشارة لمن يتضرعون إليه أو يستغفرون كما في (صمونيل الأول ٧/٥) (**וְאֶתְפִילָל בַּעֲדָכֶם אֶל-יְהֹה** - فأصلوا لأجلكم إلى الرب).

(١) شتاينبرغ: **ע'** تپيلا. ابن شوشن: **ע'** تپيلا. شغيب: **ע'** تپيلا.

(٢) يقابل هذا الوزن في العربية عدة أوزان، مثل: (افتعل، تفعّل، تفاعل، استفعل).

وهذا الفعل مشتق كذلك من الجذر **فلل** الذي لم يرد في الوزن البسيط (فعل /  **فعل - كل** )، بل ورد في الوزن المزيد بالشدة ( فعل /  **فعل** )  **فعل** بمعنى (خطر على باله - اعتقد - فكر - تضرع - ابتهل - صلي - استعطف - دان - حكم - جرم)، كما في (تكوين ٤٨/١١) ( **ראה פניך לא פללו כי** - لم أكن أظن أني أرى وجهك)، وفي (صومييل الأول ٢/٢٥) ( **אם-יךטא איש לאיש ופללו אליהם** - إذا أخطأ إنسان إلى إنسان يدينه الله<sup>(١)</sup>).

وبالتالي فإن دلالة الصيغتين الاسمية والفعلية تختص بالتقرب والتضرع للإله فقط، وذلك تفرقة مما قد يقترب من دلالتهما من ألفاظ في اللغة، مثل:  **ברכה**،  **תהלה**،  **שמעה**، وغيرها التي تدل على التقرب والتوجه للإله أو للإنسان<sup>(٢)</sup>.

ويعني لفظ  **תפלה** في الاصطلاح: حديث الإنسان مع الإله سواء بالتسبيح أو الشكر أو الدعاء أو التضرع وطلب القربى، ويطلق عليها العبادة القلبية<sup>(٣)</sup>.

وتعد الصلاة أهم الشعائر التي تقام في المعبد اليهودي، ولكنها في بادئ الأمر لم تكن تتم بشكل منظم ودقيق، بل كانت تتم بشكل عفويا ارتجالي حسب الظروف والأحوال الخاصة وال العامة، وحسب الاحتياجات الشخصية، وفي صورة فردية. فقد ورد في العهد القديم بعض صيغ الصلوات الفردية، مثل صلوات يعقوب وموسى وداود وسليمان وغيرها، وذلك كما في (تكوين ٢٠/١٧) ( **ויהת פליל אברהם אל-האלים** - فصل إبراهيم إلى الله)، وفي (صومييل الأول ١/١٠)

(١)شتينبرغ: **ע פלל פיל התפלל**. ابن شوشן: **ע פלל פיל התפלל**. شגיב: **ע פלל פיל התפלל**.

(٢) האנציק' העברית, ע' תפילה, כ' 32, עמ' 1009.

(٣) האנציק' למדעי החבורה, כ' 5, עמ' 913 ועוד **ע תפילה**. אריאל: **ע תפילה**,

עמ' 178.

וְתִפְלֵל עַל־יְהוָה וּבְכָה תִּבְכָּה – فَصَلَّتْ إِلَى الْرَّبِّ وَبَكَتْ بَكَاءً). وللم يكن للصلوة بالتالي أية قيود من حيث المضمون أو الصياغة أو الأسلوب أو اللغة المستخدمة فيها، ولا من حيث الزمن، بل إنها عمل قلبي يصدر عن الإنسان في أي وقت وبأية كيفية<sup>(١)</sup>. وذلك لأن الأساس في العبادات اليهودية هو تقديم القرابين، ومن ثم ندرك أنه بالرغم من ذيوع الصلوات والأدعية في العهد القديم وإقراره بأنها ترمز للعلاقة بين الإنسان والإله، إلا أنه لم يذكر الصلاة كإحدى الوصايا التوراتيةמצוות התורה، وقد كانت القرابين تقدم في البداية في صمت ودون تلاوة أدعية أو تراتيل<sup>(٢)</sup>.

وبمرور الوقت تطورت دلالة الصلاة من العفوية والارتجال إلى التنظيم والتحديد، فمن خلال الإشارات اللغوية الواردة في سفر المزامير يمكن الوقوف على تحول الصلاة إلى فريضة أساسية كبديل عن تقديم القرابين، كما في (مزامير ٥ / ٤) ((יְהוָה-בָּקָר תִּשְׁמַע קֹלִי בָּקָר אֶלְעָרָךְ - לֹךְ וְאַצְפָּה - يارب بالغداة تسمع صوتي. بالغداة أوجه صلاتي نحوك وأنظر)، حيث يشير لفظ **אֶלְעָרָךְ** إلى عملية تقديم القرابين. كما يتضح من بعض الصيغ في نفس السفر كثرة مرات الصلاة في اليوم الواحد، وتعد الفقرة الواردة في (مزامير ١٨ / ٥٥) ((עֲרֵב וּבָקָר וְאֶחָרִים אֲשִׁיכָה וְאֶחָמָה וְיִשְׁמַע קֹלִי - مساء وصباحاً وظهراً أشكوك وأنوح فيسمع صوتي) - تعد أقدم مصدر ورد فيه ذكر الصلاة ثلاث مرات في اليوم<sup>(٣)</sup>.

(1) האנציק' העברית, ע' תפילה, כ' 32, עמ' 1009, 1010. האנציק' למדעי החברה, שם. אריאל: שם. الموسوعة: (ج ٥) (ص ٦٢٢).

(۲) האנץ'ק', העברית, שם.

(3) האנציק' העברית, ע' תפילה, כ' 32, עמ' 1010.

بيد أن بعضهم يرى أن تأويل بعض الفقرات في العهد القديم، كما في سفر الملوك الأول ٨/٦٣) (וַיִּזְבַּח שֶׁלֹמֶה אֶת זָבֵח הַשְׁלָמִים אֲשֶׁר זָבֵח לִיהְוָה, בָּקָר עֲשָׂרִים וָשְׁנִים אֶלָּף וְלֹאָן מֵאָה וָעֶשֶׂרִים אֶלָּף נִזְחַנְכוּ אֶת-בֵּית יְהוָה הַמֶּלֶךְ וְכָל-בָּנֵי יִשְׂרָאֵל - وذبح سليمان ذبائح السلامه التي ذبحها للرب من البقر اثنين وعشرين ألفاً ومن الغنم مئة ألف وعشرين ألفاً فدشّن الملك وجميع بنى إسرائيل بيت الله). وكما في سفر لاويين ١٢/١) (וְנִתְחַנֵּח אֲתָנוּ לְנִתְחַנֵּי אֶת-רָאשׁוֹ וְאֶת-פְּדָרוֹ וְעַדְךָ הַפְּהָנוּ אֶתְכֶם עַל-הָעָצִים אֲשֶׁר עַל-הָאָשָׁר עַל-הַמִּזְבֵּחַ - ويقطعه إلى قطعه مع رأسه وشحمه ويرتبهن الكاهن فوق الحطب الذي على النار التي على المذبح)، وفي (لاويين ٥/٦) (וְהָאָש עַל-הַמִּזְבֵּח תַּוקֵּד-בּו לֹא תִכְבַּה וּבְעָרָר עַלְיָה הַפְּהָנוּ עָצִים בְּבָקָר בְּבָקָר וְעַדְךָ עַלְיָה הָעָלָה וְהַקְטִיר עַלְיָה חָלֵב הַשְׁלָמִים - والنار على المذبح تتقد عليه، لا تطفأ، ويشعل عليها الكاهن حطباً كل صباح ويرتب عليها المحرقة ويوقد عليها شحم ذبائح السلامه) وغيرها - يرى هؤلاء أن تأويل هذه الفقرات يدل على أن الأمر بالصلاه مرتبط في حقيقته بتقديم القرابين في المعبد، وهي ثلاثة قرابين، وأن الصلاه جاءت لتحل محلها أو لإكمال عملية تقديم القرابين، ومن هنا جاءت صلاه شחרير [شحرير / صلاه الصبح] في مقابل كربون تميد شل شحرير القرابان الدائم لفترة الصباح، وصلاه منحة [منحة / صلاه متتصف النهار] في مقابل كربون تميد شل منحة القرابان الدائم لفترة الظهيره، ثم صلاه معرب / عرببيت [عربيت] صلاه المساء] في مقابل تقديم أجزاء القرابين في الليل. وهو ما يعرف بـ**תפילה נגד تمמידים תיקנום** (تشريع الصلاه مقابل القرابين الدائمه) وهذا هو الرأي السائد<sup>(١)</sup>.

(١) האנציק' העברית : ע' תפילה, כ' 32, עמ' 1018. לאו : עמ' 36, 37.

وفي مقابل هذا الرأي تذهب الأجاداة **أَجَادَه**<sup>(١)</sup> إلى أن الآباء البطارقة هم الذين وضعوا هذه الصلوات الثلاث، وهو ما يُعرف باسم **تَفْيلَتْ أَبَوَاتْ تِيكُونُوم** (تشريع صلاة الآباء)، كما ورد في (براخوت ٢٦ / ٧٢)، حيث وضع إبراهيم صلاة **شَبَرِيتَه**، ووضع إسحاق صلاة **مِنْقَه**، ثم وضع يعقوب صلاة **مِعَرِيب** / **عَرَبِيَّة**. في محاولة للقول بأن الصلاة العفوية كانت سابقة على تقديم القرابين؛ اعتماداً على ما ورد في سفر التكوين (٢٧ / ١٩) (**וַיִּשְׁפֹּם אֶבְרָהָם בְּפָנָר אֶל-הַמְּקוֹם אֲשֶׁר עָמַד שָׁם אֶת-פָּנֵי יְהֹוָה** - وبَرَّ إِبْرَاهِيمَ فِي الْغَدِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ أَمَامَ الْرَّبِّ)، وفي (تكوين ٢٨)<sup>(٢)</sup>.

ويعد النبي دانيال هو أول من صلى الصلوات الثلاث يومياً، وذلك حسبما ورد صراحة في (دانيال ٦ / ١١) (**וְדָנִיאֵל כִּדְיֻעַ דִּין רַשִׁים כַּתְבָּא עַל לִבְיתָה וּכְיוֹן פְּתִיחָה לְה בְּעַלְיתָה נִגְדֵּן יְרוֹשָׁלָם וּזְמָנוֹ תְּלִתָּה בַּיּוֹם֙ הַוָּא בְּרַךְ עַל-בְּרִכּוּהִ וּמִצְלָא וּמִזְדָּא קָדָם אֶלְהָה כָּל-קִבְּלָה דִּי-הַנָּא עָבֵד מְנוּקָדְמָת** **אֱלֹהָה** - فلما علم دانيال بإمضاء الكتابة ذهب إلى بيته وكواه مفتوحة في **עָלֵיתָה** نحو أورشليم فجثا على ركبتيه ثلاثة مرات في اليوم وصلى وحمد قَدَّام إلهه كما كان

(١) لفظ **(أجاداه)** أو **(هجاداه)** آرامي، يعني (حكاية، أسطورة، حدوة فلكلورية)، وتستخدم هذه الكلمة للإشارة إلى الفقرات والقطع التلمودية التي تعالج الجوانب الأخلاقية أو القصصية الوعظية أو الأدعية أو الصلوات أو مدح الأرض المقدسة أو التعبير عن الأمل في وصول المخلص. كما تشير إلى الأجزاء التي تتناول التاريخ والسير والطب والفلك والتنجيم والسحر والتصرف. وتقربن الأجاداه دائمًا بالهالاخاه. وتُعرَف الأجاداه بأنها ذلك الجزء من التعاليم الحاخامية الذي لا يعالج الهالاخاه (أو الجوانب القانونية أو التشريعية). وحتى حينما تتعرض الأجاداه إلى مثل هذه الجوانب، فإنها تقتصر دائمًا على الحديث عن الحكمـة من إرسال القوانين. وتُسمى القصص الأجادـة بـمبالغاتها الأسطورية ومعانـيها الغـيرية.

(٢) אלבוק: **עמ' 7. האנץיק'**, העברית, שם. לאו: **עמ' 37**.

يفعل قبل ذلك).<sup>(١)</sup> ومن هنا كانت الصلاة الفردية وفرضيتها، وهي تختلف في هيئتها وشروطها عن صلاة الجماعة<sup>(٢)</sup>.

ومع عدم تمكّن اليهود من تقديم القرابين خلال وجودهم في بابل، حلّت الصلاة محل تقديم القرابين، ويبدو أنها انتقلت من يهود بابل إلى يهود فلسطين. ثم بدأ رجال المجمع الكبير הגדולה<sup>(٣)</sup> في وضع إطار لهذه الصلاة وتقنيتها<sup>(٤)</sup>، وذلك بدءاً من القرن الخامس قبل الميلاد. وأما في فترة المعبد الثاني (٥٦١ ق. م تقريباً - ٧٠ م) فقد تطورت الصلاة وصارت صلاة جماعية تتم بشكل ثابت و دائم داخل المعبد، واستقلّت عبادةً خاصة بالرب تمثيل في قيمتها العمل في المعبد. وبالتدريج صارت الصلاة جزءاً لا ينفصل من الحياة الدينية، ووضعت لها صيغ محددة وثابتة، وذلك بوصفها رمزاً للوحدة الروحية بين اليهود المتشترين في أنحاء المعمورة - وبخاصة بعد دمار المعبد الثاني سنة ٧٠ م من ناحية - ورمزاً للصلة بين الإنسان والرب من ناحية أخرى<sup>(٤)</sup>.

(١) האנץיק' העברית, ע', תפילה, כ', 32, עם, 1010. אריאל: ע', תפילה, מלא, 179.

(٢) האנץיק' העברית, שם.

(٣) (المجمع الكبير) وهو المجلس التشريعي الذي يُقال إن عزرا أنسنه بعد عودته من بابل إثر سماح الإمبراطور الفارسي قورش بهذا. ويرى البعض أنه يعود إلى أيام العبرانيين الأوائل، وأنه استمر في فترة التهجير البابلي، وأن كل ما فعله عزرا هو دعوة المجلس للانعقاد، وإن كانت المعلومات عنه غير مؤكدة. ويبدو أنه كان يضم ممثلين عن كل اليهود بما فيهم الكهنة. ويُقال إن عدد أعضاء المجمع الكبير كان مائة وعشرين. ويبدو أن المجلس كان يعقد اجتماعاته كلما ظهرت قضية خطيرة، واشتراك في المجلس الأول الشيوخ والأئمة الذين عادوا من بابل، من بينهم عزرا ونحريا وحجي وزكرييا، واستمر المجلس يمارس نشاطه حتى الفترة الهيلينية. وقد قرر هذا المجمع الشمانية عشر دعاء شمونة عشرة وكثيراً من الصلوات والبركات الأخرى. وهو أيضاً الذي قام بتقسيم الشريعة الشفوية إلى مدراش وهالاخاه وأجاداه.

(٤) האנץיק' העברית, ע', תפילה, כ', 32, עם, 1011. אריאל: שם. المسيري: المرجع السابق، نفسه.

ولم يُستَّرِ قرار نص الصلاة إلا في زمن التلمود<sup>(١)</sup> حينما قام الرباني جماليل وأصدقاؤه في أشيع الآراء - وهناك رأي يقول: إن النبي شمعون هبقولي قد سبق الرباني جماليل في ذلك<sup>(٢)</sup> - بوضع صيغة ثابتة للصلاه؛ ألا وهي صيغه لامزجه لپشره (البركات الشماني عشرة) التي تتلى بعد قراءة صلاة لاملا (شمع) / اسمع يا إسرائيل). وصارت صلاة لامزجه لپشره تمثل أساس متن الصلاة الفردية والجماعية. حيث ترتل في الصلاة الجماعية (همساً) في البداية - وذلك حسب تشريع الرباني جماليل - ثم يتم تكرارها مع ليليم האכזר אור חמא (حرزان) / وهو ما يماثل الإمام في الإسلام)،<sup>(٣)</sup> من خلال تأمين المصليين على أقوال الإمام بلفظ (آمين) بعد كل بركة من البركات، وقد شرع الحكماء تكرارها منعاً من تبديل جوهر الصلاة العلني وهو الأصل عندهم. وتعد تلاوة هذا الجزء هي الأساس المركزي في الصلاة بعد أن تضم له البيوطيم (التراتيل الدينية)، وكان عدد هذه البركات في الأصل ثماني عشرة بركة ثم أضيفت إليها بركة أخرى فصارت تسعة عشرة بركة، ويعتبر هذا الجزء هو أساس الصلاة في صلوات منجاه (منحة) صلاة متتصف بالنهار)، ملوس (موساف) / الإضافي، وهي صلاة إضافية بعد صلاة الصبح في أيام

(١) بدأت عملية جمع التلمود وتدوينه مع القرن الثاني الميلادي، إذ تعود الآراء والفتاوي التي وردت فيه إلى القرن الخامس قبل الميلاد، واستمرت عملية التفسير والتدوين حتى القرن السادس. وبعد اكتمال نص التلمود، استمرت الإضافات والتعليقات حتى القرن التاسع عشر حين أضاف إلياهو (فقيه فلنا) تعليقاته عليه.

(٢) אריאל: لا، شمنه عشرة ، عام' 166 , 167.

(٣) يطلق لفظ الحرزان على مرتل الصلوات في المعبد، وكان يعني أصل وضعه (مشرف، مراقب، راع، خادم)، وهو مشتق من الفعل العربي حرق الذي يعني (رأي، نظر). وبمرور الوقت اتسعت دالة اللفظ لتشير إلى من يتقدم لإمامه المصليين في المعبد، وفي فترة الجائوبين زادت أهمية الحرزان بسبب إدخال البيوطيم إلى الصلاة الجماعية، وكان على الحرزان أن يرتلها بصورة مُنَعَّمة؛ ولذا كان جمال الصوت وموهبة إلقاء الشعر من أهم الشروط التي ينبغي أن تتوفر فيه.

السبت وبعض الأعياد اليهودية)، **بِلِلَّهِ** (نِعِيلَه / الختم، وهي كناية عن الصلاة الختامية في عيد الغفران). ولا يُتَلَى مع هذه البركات سوى دعاء **קָדִישׁ** (قَدِيشٌ / اسم دعاء يُتَلَى عدة مرات خلال الصلاة وأغلبه باللغة الآرامية) الذي يُتَلَى قبل تلاوة البركات وبعدها<sup>(۱)</sup>. وقد أطلق على هذه البركات اسم **עַמִּידָה** (عَمِيَّدَاه / قيام، وقوف)؛ لأنها تُتَلَى وقوفاً<sup>(۲)</sup>.

وهناك ثلاث صلوات يؤديها اليهودي في اليوم وهي **שְׁחִירִת**, **מִנְחָה**, **מֵעִירִב** / **عَرْبِيَّة**, وأوقاتها كما يلي:

- فَالْأُولَى الصبح **שְׁחִירִת** ووقتها من الفجر وحتى مرور أربع ساعات بعد الشروق (ثلث النهار).
- الثانية صلاة نصف النهار **מִנְחָה** وهي من انتصاف النهار وحتى غروب الشمس؛ أي من الزوال وحتى الغروب. وهي إما أن تكون من الساعة الثانية عشرة ونصف ظهراً حتى مغيب الشمس وتسمى **מִנְחָה גְדוֹלָה** (منحاه جُدوَّlah / صلاة متتصف بالنهار الكبرى)، أو تكون من الساعة الثالثة ونصف وحتى غروب الشمس وتسمى **מִנְחָה קְטַנָּה** (منحاه قِطْنَاه / صلاة متتصف بالنهار الصغرى)[].

(۱) **قَدِيشٌ** كلمة آرامية تعني ( المقدس)، وهو نوع من أشهر التسابيح الدينية اليهودية المكتوبة بالأramaic. وقد عُرف منذ عهد الهيكل الثاني، إذ كان يُتَلَى قبل وبعد الصلاة أو قبل وبعد قراءة التوراة، إلا أنه لم يكتسب صبغته الحالية إلا في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين. وتشير كلماته لتمجيد اسم الإله وملكه والخضوع لحكمه ومشيئته والتعبير عن الأمل في سرعة مجيء المسيح المخلص. وقد تَطَوَّر القَدِيشُ وأدخلت عليه عدة إضافات، وهو يشكل الجزء الختامي في الصلاة اليهودية. وقد تَعدَّدت أنواعه حتى بلغت أربعة أنواع أساسية هي: (القَدِيشُ القصير يُتَلَى قبل أو بعد أجزاء معينة من الصلاة، والقَدِيشُ الكامل وهو الجزء الختامي في الصلاة اليهودية، والقَدِيشُ الحاخامي ويُتَلَى بعد الانتهاء من الدرس، وقدِيشُ الحداد).

(۲) אריאל: ע, תפילה עמ' 179. האנציק' העברית, ע, תפילה, כ, 32, עמ' 1013, 1014.

- الثالثة صلاة المساء **مِعْرِيب** / لِأَرْبَيْتِ و تكون من بعد غروب الشمس وحتى مطلع الفجر.

وكانت الأخيرتان تختزلان إلى صلاة واحدة (منحة **مِعْرِيب**) (منحاه **مَعَارِيف**).

ويجب على اليهودي أن يغسل يديه قبل الصلاة **بِيَلَتْ يَدِيمْ**، ثم يلبس **تِلِيت** (طايليت / شال الصلاة) والـ**تِجْلِيلِين** (التجليلين / تمائم الصلاة) في صلاة الصبح، كما عليه أن يغطي رأسه بقبعة **اليرملكا**<sup>(١)</sup>.

ويسبق الصلاة تلاوة الأدعية والابتهالات، ثم قراءة في أسفار موسى الخمسة في أيام السبت والأعياد، ثم تعقبها ابتهالات وأدعية كذلك. وأما عن الصلاة نفسها فإنها تقام بعد وجود النصاب أو المنيان وهم عشرة أفراد ذكور بالغين [حيث إن الصلاة تجب على الذكر، ولا تجب على الأنثى، لأنها بديل عن القربان الذي كان يقدم في أيام الهيكل ولا يقدمه سوى الذكور]. ويلاحظ أن عدد النساء المصليات في الوقت الحاضر يزيد على عدد الرجال في كثير من المعابد اليهودية الإصلاحية أو المحافظة، مع أن العقيدة اليهودية لا تُكَلِّفُ النساء بالذهاب إلى المعبد. ولا شك في أن للمحيط المسيحي أثره في هذا الشأن<sup>(٢)</sup>.

وأما عن الصلاة نفسها فت تكون من:

(١) لآءٌ : لام ، ٥٩ . المسيري : نفسه . وكذا : [www.wikipedia.org](http://www.wikipedia.org)

(٢) المنيان لفظ عربي يعني حرفيًا (عدد)، وتنطق الكلمة على آية مجموعة لا يقل عددها عن عشرة ذكور بالغين، فهذا العدد يُكون النصاب الشرعي المطلوب لصحة القيام بصلاة الجماعة اليهودية، ويسمح اليهود الإصلاحيون باحتساب النساء ضمن النصاب الشرعي المطلوب. انظر: المسيري :

ج٥ ) ص ٤٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ . لآءٌ : لام ، ٤٠ لعله .

د) **בָּמַעַם** (شمع)؛ أي شهادة التوحيد اليهودية<sup>(١)</sup>.

ه) **שְׁמוֹנָה לְשִׁירָה** الثمانية عشر دعاء أو العميداً وهي تسعه عشر دعاء كانت في الأصل ثمانية عشر.

و) **קָדֵש** دعاء القديس.

هذا وتضاف صلاة تسمى **מַעֲמָד מַוְסָּף** (الإضافي) يوم السبت وأيام الأعياد. أما في عيد يوم الغفران فتبدأ الصلاة بتلاوة دعاء كل النذور في صلاة العشاء، وتضاف صلاة تسمى **בְּלִילָה נְعִילָה** (الختام).

ويتجه اليهودي في صلاته صوب القدس، وإذا كان في القدس اتجه صوب الهيكل. وكانت الصلاة تم بأي لغة يعرفها الإنسان حسبما ورد في بعض مباحث التلمود، كما في (سوطا ٧/١). وذلك وفقاً لما أباحه الحكماء، إلا أن ثمة أفضلية لصلاة باللغة العبرية، وإذا تلا إنسان يهودي الصلاة بأي لغة أخرى فعليه تلاوة القديس باللغة الآرامية<sup>(٢)</sup>.

وكانت الصلاة تم قديماً بالسجود **בְּגִילָת אֶפְרַיִם** ويبسط الأيدي **פְּרִישָׁת אֶפְרַיִם** أو برفعهما **בְּשִׁיאָת אֶפְרַיִם** أو بمد هما على الأرض **שְׁטִימָת אֶפְרַיִם**، كما ورد في (خروج ٩/٢٩)، وفي (مزامير ١٣٤/٢، ٨٨/١٠)، أو بالجثو على الركبتين،

(١) لفظ **شمع** عبري الأصل ويعني (اسمع)، وكلمة **شمع** أول كلمة تقرأ من أحد نصوص العهد القديم في الصلاة (اسمع يا يسرائيل رب إلينا رب واحد)، وتتضمن تلاوة **شمع** عدد من فقرات التوراة على التحول التالي: (ثنية ٦/٤ - ٩)، ثم (ثنية ١١/١٣ - ٢١)، ثم (عدد ١٥/٣٧ - ٤١). وتقرأ تلاوة **شمع** في صلاتي الصباح والمساء، ولا تُتلَى في صلاة الظهر. وعلى اليهودي أن ينطق بعبارة التوحيد قبل موته، أو ينطق له بها أحد الواقعين بجواره.

(٢) المسيري: المرجع السابق، نفسه. **האנציק'** لمدعي الخبرة: 'ע', תפילה, כ', 5, עמ' 918.  
לאו: עמ' 41, ועוד. **האנציק'** העברית: 'ע', תפילה, כ', 32, עמ' 1017.

كما في (دانيل ٦/١١). وهذا يدل على تغيير حركات الجسد عند اليهودي أثناء الصلاة على مر الزمان. وتم الصلاة الآن جلوساً على الكراسي كما هو الحال في الكنائس المسيحية، إلا في أجزاء معينة كتلاوة شموخة لبشرة، فتلتى وقوفاً في صمت). ولا يخلع اليهود نعالهم في الصلاة (باستثناء الفلاشا والسامريين)<sup>(١)</sup>. وتقل في اليهودية حركات السجود والجثو خلال الصلاة بالمعبد، باستثناء صلاة موساف (الإضافي) في رأس السنة ويوم الغفران. ويُشيع في اليهودية هز الجسم كله وتحريكه في حركة تدل على الحماسة، بل تزيد<sup>(٢)</sup>.

وإذا نسي إنسان بدون قصد إحدى الصلوات فعليه أن يقضى ما فاته مع الصلاة التالية لها، وذلك مثلاً: إذا نسي إنسان صلاة منحة فعليه أن يتلو صلاة شموخة لبشرة مرتين خلال صلاته ميلاد. وإذا نسي صلاة منحة يوم الجمعة فعليه أن يصلبي ليلة السبت (مساء الجمعة) صلاة شموخة لبشرة مرتين، بالرغم من اختلاف نص العميدات في يوم السبت عنه في الأيام العادية. وأما من تعمد عدم الصلاة فهذا تحريف لا يمكن إصلاحه أو قضاءه<sup>(٣)</sup>.

وللصلاة صيغتان رئيستان هما:

١) صيغة الصلاة في فلسطين נוסח א"י التي ذاع صيتها تحت مسمى صيغة الصلاة الإشكنازية מנהג אשכנז או נוסח אשכנז

٢) صيغة الصلاة في بابل מנהג בבל التي انتقلت من بابل إلى إسبانيا ومنها إلى كافة مناطق اليهود في العالم، ثم عادت مرة أخرى إلى فلسطين، حيث ذاع صيتها تحت مسمى صيغة الصلاة السفاردية נוסח ספרד.

(١) الميسيري: ج ٥، ص ٢٢٧. האנץיק, למדעי החבורה: שט.

(٢) האנץיק, למדעי החבורה: ע, תפילה, כ, ٥, עמ' ٩١٦.

(٣) לאו: עמ' 62.

وهاتان هما الصيغتان الأساسيةان للصلوة في اليهودية، وقد تفرّعت عنهما صيغ أخرى جديدة للصلوة، من ذلك صيغة صلاة يهود اليمن **نوصח תיימן** التي تفرّعت عن نص صيغة الصلاة في بابل **מנהג בבל** أو **נווכח ספרד**. كما تبني القبابيون في فرنسا في القرن السادس عشر صيغة الصلاة في بابل **נווכח ספרד** بعد إدخال تعديلات عليه، ثم انتقلت الصيغة الجديدة المعدلة إلى الحسديم في شرق أوروبا وهي تُعرف بصيغة الصلاة الحسدية **נווכח החסידים**<sup>(١)</sup>.

ويرتبط باختلاف نص الصلاة اختلاف كتبها بين الطوائف اليهودية في العالم، وذلك في ضوء كل من المنهج (صيغة الصلاة) المتبوع وعادات كل طائفة من هذه الطوائف، وتسمى كتب الصلوات اليومية عند الإشكناز **תנ"ך** (سِدُورْ)، من الجذر العبري **תפילה** الذي يعني (نظم، رتب، نسق). أما بين السفارديم **סְפָרִים** **תפילה** (سفر تفيلة) وتعني (كتاب الصلاة). وهذه الكتب تضم الصلوات اليهودية المفروضة والاختيارية بالإضافة إلى بعض الأدعية والتراويل الدينية (البيوطيم)<sup>(٢)</sup>، وبعض الأصحاحات من سفر المزامير، وأجزاء من المسناد ومن كتاب **פרק אבות אריאלה** (يرقي آقوٌ / فصول الآباء)، علاوة على بعض شروح الفقهاء، حيث تُتلى غالباً قبل الصلاة أو بعدها، كما تشتمل كتب الصلاة على كل المعلومات التي قد يحتاج إليها المصلي أثناء أدائه صلاته في المعبد. ويختلف حجم هذه الكتب حسب الغرض الذي أُعدت من أجله، ولكنها جمِيعاً تحوي الصلوات اليهودية الثلاث الأساسية.

(١) אריאלא: ע, תפילה,لام', 179. المسيري: ج, ٥, ص ٢٢٧

(٢) كلمة (البيوطيم) يونانية الأصل وهي صيغة جمع مفردتها **βιότος**، وهي نصوص شعرية غنائية تتناول الموضوعات الدينية وتُعبر عن المشاعر الدينية، وتدخل على الصلوات اليهودية بهدف إثراها وتزيينها، خصوصاً على صلوات الأعياد والسبوت. ولغة البيوط هي عبرية المسناد، حيث تُستخدم فيه مفردات من عبرية العهد القديم ومن اللغة الآرامية، ويعود تاريخ البيوط إلى القرن الخامس الميلادي في فلسطين عندما بدأت تُقحم على الصلوات، وقد اعترض فقهاء بابل على إدخالها، كما اعترض موسى بن ميمون فيما بعد، ولكن رغم كل هذه الاعتراضات استمر إفحام قصائد البيوط على الصلوات حتى صارت جزءاً أساسياً منها.

وبالرغم من شيوع لفظ סדור (سدور) للإشارة إلى كتب الصلاة في اليهودية إلا أنها تنقسم إلى قسمين، هما:

١) סדור (سدور) ويشير في الأساس إلى الكتب التي تضم الصلوات اليومية والسبوت وأهم صلوات الأعياد، ومن أشهر هذه الكتب סדור ר' סעדיה גאון (سدور ربى سعديا جاؤن والمشهور باسم سعديا الفيّومي<sup>(١)</sup>).

٢) מחזר (محزور) ويشير إلى كتاب الصلاة الذي يُرتَّل في المناسبات والأعياد والسبوت، وهو يتضمن مجموعة من الصلوات والتراتيل الدينية (البيوطيم) التي تُتلى في فترة الـ ימים נוראים (الأيام الرهيبة) أو ما يُطلق عليها ימי הסליחות (أيام الكفاررة أو أيام الغفران) - وهي الأيام الممتدة بين عيد رأس السنة اليهودية وعيد الغفران - بالإضافة للصلوات التي تُتلى في أعياد الفصح والأربع والمظال. ويرى البعض أنه سبب التسمية هو اشتتمال معنى الاسم على دلالة العود والتكرار المتعلقة بالأعياد، في حين يرى آخرون أنه قد أطلق عليه هذا الاسم لاشتماله في أصل وضعه على كافة الصلوات التي تؤدي خلال العام - الصلاة اليومية وصلوات أيام السبوت والأعياد - فهو كتاب صلاة للعام كله مחזר שנתי، ولكن مع كثرة الصلوات والتراتيل الدينية (البيوطيم) المرتبطة بالأعياد تم فصله وتمييزه عن الـ סדור (سدور) الذي تم تضييق دلالته لتشير لكتب الصلاة اليومية بشكل أساسي. ويُعد מחזר ויטרי الذي وضعه الربى سمحا بر شموئيل أحد تلاميذ ר' (راشى الربى شلومو يتسيحاقي) هو أقدم مَحْزُور كامل يتضمن جميع صلوات العام مع التراتيل الدينية (البيوطيم)<sup>(٢)</sup>.

(١) אריאל: ע', סדור, עמ' 120.

(٢) אריאل: ע', מחזר, עמ' 101.

وبالرغم من هذا التقسيم فإن كتب الصلوات لم تكن تختلف كثيراً في أصل الصلاة والابتهاles، بل كانت الاختلافات تنحصر في البيوطيم (التراطيل الدينية) والأشعار وغيرها من الملحقات بالصلاه. ييد أنه بمرور الزمان اتسعت رقعة هذه الاختلافات كما هو الحال في الاختلافات القائمة بين كتب الإشكناز وكتب السفارد. ناهيك عن الاختلافات بين كتب اليهود الإصلاحيين وكتب اليهود الأرثوذكس، من ذلك على سبيل المثال: ما قام به الإصلاحيون من ترجمة جميع صلواتهم إلى لغتهم المحلية مع الإبقاء على القليل من النصوص باللغة العبرية. كما استبعدوا كل الصلوات ذات الطابع القومي الديني، مثل الصلوات من أجل العودة إلى فلسطين، والأدعية بسقوط أعداء اليهود، ودعاء كل النذور. وعلى النقيض من ذلك يرفض اليهود الأرثوذكس نهج الحركة الإصلاحية، ويؤكدون في كتابهم على أفكار الأمة والشعب المختار والعودة مع الإبقاء على النصوص باللغة العبرية تأكيداً لاستقلال اليهود الديني<sup>(١)</sup>.

مما سبق يتضح أن المترجمين قد استخدموا مقابل مصطلح الصلاة في العربية المصطلح *תפילה* في العربية، وهم بذلك يميلون إلى استخدام المقابل الثقافي فقط - الذي سبق تفصيل القول فيه عند ذكر إجراءات ترجمة المصطلح - دون مراعاة لما قيل من خطورة الاعتماد على هذا الإجراء بمفرده<sup>(٢)</sup>، دون مراعاة للفارق بين التصور والمصطلح في اللغتين والثقافتين العربية والعبرية<sup>(٣)</sup>، واختلاف إحداهما عن الأخرى، مما يتسبب دون شك في وقوع لبس لدى المتلقى، بل والإيحاء بأن مضمون الصلاة اليهودية يتطابق مع مضمون الصلاة في الإسلام. وسوف تتم الإشارة هنا إلى الفروق بين المصطلحين في اللغتين، مع التركيز على المصطلح في صيغته

(١) المسيري: ج ٥ (ص ٢٣٠).

(٢) انظر (ص ٩) وما بعدها من هذا البحث.

(٣) انظر (ص ٦، ٥) من هذا البحث.

الاسمية؛ باعتبارها محل التطبيق هنا من ناحية، وباعتبار وجود مشترك سامي قد يهم للصيغة الفعلية، وجود تقارب في دلالة الصيغة الفعلية التي استخدمها المترجمون من ناحية أخرى.

فالصلاحة في الإسلام فرض عين على كل مسلم (ومسلمة) بالغ عاقل، بيد أن الصلاة لا تجب في اليهودية إلا على الذكور فقط.

تشترط الصلاة في الإسلام الوضوء قبلها بأركانه وسننه، وهو ما يختلف عن مجرد غسل الأيدي *טַבְלָה יְדִים* في اليهودية الذي لا يقتصر القيام به على الصلاة فحسب، بل يقوم به اليهودي مثلاً عند الاستيقاظ من النوم وقبل الطعام.

تتطلب صلاة الجمعة - وهي الأصل في الإسلام - الأذان قبلها ثم الإقامة، وتكون القبلة في الإسلام نحو الكعبة المشرفة، فإذا تعذر الأمر تكون القبلة نحو الحرم الشريف، فإذا تعذر الأمر كانت القبلة نحو مكة المكرمة، بينما لا يوجد أذان ولا إقامة للصلاة اليهودية، كما تكون القبلة في اليهودية نحو القدس الشريف.

تشتمل الصلاة الإسلامية على (قيام وركوع وسجود) بهياتهم في كل ركعة وإن كانت الصلاة باطلة، ولا تقل الصلاة في الإسلام عن ركعتين، بيد أن هذا غير مؤكد في اليهودية، فقد تغيرت حركات اليهود أثناء الصلاة عبر العصور، ففي الماضي كان اليهود يسجدون ويرکعون في صلواتهم (ولا يزال الأرثوذكس يفعلون ذلك في الأعياد)، فالصلاة تتم جلوساً كما هو الحال في الكنائس المسيحية، أو قياماً عند قراءة نص العمدة فقط، ويغلب عدم وجود ركوع فيها الآن.

تشترط صلاة الجمعة في الإسلام وجود اثنين فأكثر من المصليين (خلافاً لصلاة الجمعة التي يزيد فيها عدد المصليين)، وهو ما يختلف عن اليهودية التي تشترط وجود المنيان وهو عشرة أفراد حتى تكون الصلاة صحيحة، ولا يعتمد النساء عند احتساب المنيان في الأصل، غير أن هناك تساهلاً في ذلك لدى بعض فرق اليهود.

يجب أن تتم الصلاة في الإسلام باللغة العربية فقط حتى لمن لا يفهمها ولا يتقنها، وذلك خلافاً للغة الصلاة اليهودية التي يمكن أداؤها باللغة العربية والأرامية أو أي لغة أخرى مع الأرامية، حيث لا تشرط الصلاة اليهودية لغة معينة، وإن كان هناك تفضيل لاستخدام اللغة العربية في الصلاة اليهودية.

حدد رسول الله ﷺ صيغة الصلاة في الإسلام - بعدها أمر بها في القرآن الكريم - بصيغتها وأركانها وشروطها، ولم يقم أحد غيره بإدخال أي تعديل على صيغة الصلاة في الإسلام، وذلك خلافاً لمصطلح *تفصيلا* في اليهودية الذي ظل يتطور مفهومه ويبدل حتى وضع الرباني جماليل صيغة نص صلاة العميدah بشكل ثابت، وكان ذلك في فترة تلي زمن موسى عليه السلام بعدة قرون.

لا يجوز أثناء الصلاة في الإسلام تلاوة أي شيء خلاف القرآن الكريم، ويجمع المسلمون على تلاوة فاتحة الكتاب وما يتيسر من القرآن الكريم، في حين تصاحب تلاوة العميدah في الصلاة اليهودية تلاوة الأشعار الدينية والتراتيل التي تختلف باختلاف الطوائف اليهودية وباختلاف المناسبة.

يُشترط في الإسلام قضاء الصلاة التي خرج وقتها عند تذكرها، بشكل كامل وبأركانها الثابتة، وليس هذا هو الحال في اليهودية، إذ يكون قضاء الصلاة اليهودية التي خرج وقتها بتكرار نص العميدah مرتين أثناء الصلاة التالية لها.

إن عدد الصلوات المفروضة في الإسلام خمس في اليوم - خلافاً لل السن والنوافل - وهو ما يختلف عن عددها في اليهودية التي تشتمل على ثلاث فقط، بالإضافة إلى وحدة نص الصلاة في اليهودية، بينما يختلف عدد ركعات كل صلاة في الإسلام عن غيرها.

يشترط الإسلام في الصلاة ستر العورة دون الإلزام برداء معين من حيث الشكل أو اللون أو النوع، في حين يجب على اليهودي ارتداء الطاليل والتيفيلين والقبعة عند أداء الصلاة اليهودية.

فعلى الرغم من وجود تشابه جزئي في أصل مفهوم الصلاة إلا أن هناك اختلافات بيّنة في شكل الصلاة ومضمونها بين الإسلام واليهودية مما يوقع القارئ في البلبلة الفكرية. ومن هنا فإن ما قام به المترجمون باستخدامهم المقابل الثقافي فقط يُعد خروجاً عن الأمانة في النقل وعدم احترام للمصطلح الديني الإسلامي (لدى أتباع الأديان الأخرى)، وذلك رغم علمهم التام بمعارض المسلمين في فلسطين وفي العالم أجمع في عباداتهم التي تختلف ظاهراً وباطناً عن العادات اليهودية.

## نتائج البحث

يمكن إيجاز أهم النتائج التي أسفر عنها هذا البحث فيما يلي:

- ١) ثمة علاقة وثيقة لا تفصى بين المصطلح والتصور أو المفهوم الذي يدل عليه وأن على المترجم إدراك الدلالة الدقيقة للمصطلح حتى يتمكن من نقله إلى اللغة الهدف نقلًا كامل الأبعاد.
- ٢) للمصطلح دور مهم في البنية الثقافية للغتين المصدر والهدف، مما يجعل المترجم أمام اختبار صعب عند تعامله مع مفاهيم المصطلحات أثناء عملية الترجمة.
- ٣) هناك العديد من الإجراءات التي يمكن استخدامها في نقل المصطلح ومفهومه بين اللغات، إلا أن ثمة شروط يجب مراعاتها عند انتقاء أي من هذه الإجراءات، وذلك احترامًا للغة النص المصدر وثقافته.
- ٤) تبين أن أفضل سبل نقل المصطلح بين اللغات هو أسلوب الثنائيات أو الثلاثيات في الترجمة الذي يعتمد على التحويل والترجمة والمقابل الوظيفي أو الوصفي.
- ٥) لم يتمكن المترجمون من الالتزام بفتحي المصطلح الإسلامي عند نقله إلى اللغة العبرية؛ نظرًاً لاقتراحهم على المقابل الثقافي فقط، مما أضفى على المصطلح ظللاً تخل بمعناه وبمفهومه، وهو ما أكد الرؤية الاستشرافية عند بعض المترجمين من أن الإسلام مستقى كلية من اليهودية، مما يخرج بنا عن حيز الموضوعية والأمانة في الترجمة.

- ٦) ينبغي على المترجم الحرص على احترام الهوية الثقافية للغة المصدر؛ لكيلا يقع في خطأ تشويه ثقافة النص المصدر عند نقلها إلى ثقافة المتلقي الجديد.
- ٧) إن أفضل وسيلة يمكن الاعتماد عليها لنقل دلالة مصطلح الصلاة العربي إلى العبرية، هي استخدام المقابل **צלالا** (**תפילה המוסלמים**)، أو **צלالا** - (**תפילה**) **תפילה המוסלמים**، بما يعني استخدام أسلوب الثنائيات أو الثلاثيات في الترجمة من خلال دمج أكثر من إجراء كالتحويل والم مقابل الوظيفي أو الوصفي معًا. وبينما الوسيلة يتم نقل دلالة مصطلح **תפילה** العربي إلى اللغة العربية باستخدام المقابل **تفيلاه** (**الصلاحة اليهودية**/ **صلاة اليهود**).
- ٨) ضرورة تكوين لجنة علمية عربية تكون مسؤولة عنها مراجعة المصطلحات الثقافية، خاصة المترجمة من العربية وإليها؛ للحفاظ على هويتنا القومية والإسلامية مع ضرورة مراجعة النصوص المترجمة من العربية، وخاصة النصوص الدينية؛ للوصول إلى توحيد للمصطلحات المستخدمة كمقابلات للمصطلحات الإسلامية في اللغات الأخرى، والعمل على وضع مقابل رسمي لكل مصطلح إسلامي ما أمكن ذلك.

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- اتجاهات الترجمة، جوانب من نظرية الترجمة، نيومارك، بيتر: ترجمة محمود إسماعيل صيني، دار المريخ، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.
- الإنقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- أساس البلاغة، الزمخشري، محمود بن عمر: سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مايو ٢٠٠٣ م، عدد ٩٦.
- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، حجازي، محمود فهمي (د.): دار غريب للطباعة، القاهرة.
- أساس المصطلحية، هليل، محمد حلمي (د.): مقال ضمن إشكالية المصطلح، إشراف: د. يوسف زيدان وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الفلسفة والعلم، ١٩٩٦ م، ع ٣.
- الألفاظ التي قيل بأعجميتها، دراسة في ضوء اللغات السامية، صفية، وحيد أحمد: دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس ٢٠٠٢ م.
- الآيات الواردة عن اليهود في الترجمات العبرية لمعاني القرآن الكريم، دراسة لغوية نقدية، العجاري، عامر الزناتي: رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٨ م.
- البحر المحيط، الأندلسي، أبو حيان: عناية: صدقى محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢ م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي، تحقيق محمد علي النجاشي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦ م.

بني إسرائيل في الترجمات العربية لمعاني القرآن الكريم، صميدة، محمود علي (د.): حولية كلية الآداب، جامعة سوهاج، مجل ٢، ع ٩، ١٩٩٠ م.

الترجمة والتواصل، الديداوي، محمد (د.): المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.

تفسير أبي السعود، أبو السعود: دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٤ م.

الجامع في الترجمة، ترجمة د. حسن غزالة، دار الحكمة، ١٩٩٢ م.

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري: المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

حول الترجمة والتعريف والتغريب - مأساة المصطلح وفراغ المعنى، حفيظ عبد الوهاب: ضمن: مجلة الوحدة (الترجمة وتشكيل الفكر العربي المعاصر) إصدار المجلس القومي للثقافة العربية ع ٦١، ٦٢، أكتوبر - نوفمبر ١٩٨٩ م.

دراسة في فن التعریف والترجمة، محمد، عبد الغني عبد الرحمن: القاهرة ١٩٨٦ م.

دراسة في مشكلات ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة العبرية، الرفاعي، جمال (د.): القاهرة، ١٩٩٤ م.

زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزيّ، عبد الرحمن بن علي بن محمد: المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٤٠٤ هـ.

ضوابط الخيانة الأمينة للنص المترجم، الزليطي، محمد لطفي (د.)، التريكي، منير (د.): ترجمة طنجة، المغرب، أبريل ١٩٩٢ م، ج ١، ع ١.

- قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، إبراهيم، محمد إسماعيل: دار الفكر العربي، ١٩٦١ م.
- قاموس اللسانيات، المسدي، عبد السلام (د.): الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤ م.
- القاموس المحيط، الفيروزابادي، محمد بن يعقوب: تحقيق محمد نعيم العرقاوي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦ هـ.
- كتاب الصلاة من الفقه على المذاهب الأربع، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: قسم العبادات، رسالة الإمام، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦ م.
- الكتاب المقدس.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، رتبه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧ م.
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.
- ما هكذا يا سعد تورد الإبل، الكرمي، حسن سعيد: مقال ضمن اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، الرباط، المغرب، ١٩٩٤ م، ع ٣٨٤.
- المسائل النظرية في الترجمة، مونان، جورج: ترجمة لطيف زيتوني، دار المنتخب العربي، بيروت، طبعة أولى، ١٩٩٤ م.
- المصباح المنير، الفيومي، المقرئ: تحقيق د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف.
- المصطلح الصوقي في العربية، علي، عبد الله رمزي: رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٥ م.
- مصطلح نقد الشعر عند الإحيائيين، الشريف، محمد مهدي (د.): الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية ع ١٢٤، يوليو ٢٠٠٢ م.
- المصطلحات اللغوية الحديثة، عبد العزيز، محمد حسن (د.): مقال ضمن مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٨٥ م، الطبعة الثالثة.
- معجم مصطلحات النحو والصرف والعرض والقافية، عبادة، محمد إبراهيم (د.): مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥ م، الطبعة الثالثة.
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريّا: تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، الراغب: تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- ملاحظات حول برامج تدريب المתרגمين في الوطن العربي مقال ضمن: عالم الترجمة، تحرير: عبد الله الشناق وآخرين: جمعية المתרגمين الأردنية، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م، المجلد الأول.
- منهاج المترجم بين الكتابة والاصطلاح والهواية والاحتراف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، عبد الوهاب (د.): دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.
- نقل المفاهيم بين الترجمة والتأويل، بوحسن، أحمد: نقل مفاهيم نظرية التلقى، ضمن كتاب: الترجمة والتأويل: منشورات، كلية الآداب، والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٩٥ م.
- תנ"ך : تورה،نبيאים וכותבים.
- בן שושן, אברהם : המילון העברי המרוכז, הוצאת קריית ספר, ירושלים, 1993.
- אלבך, חנוך : ששה סדרי משנה, סדר זרעים, הוצאת מוסד ביאליק, ירושלים – דבר, תל - אביב, הדפסה חמישית , תשל"ח.
- אריאל, שלמה זלמן : לכסיון לתודעה יהודית - הווי ומנגיים, הוצאת מסדה בע"מ, רמת – גן, הדפסה ששית, 1976.

- بن شمش, אהרון (ד"ר) : הקוראן, ספר הספרים של האשלאם, תרגום מערבית,  
הווצאת ספרים קרני, תל - אביב, 1978.
- גאון : סידור רב סعدיה גאון, יוצא לאור על ידי ישראל דודזון, שמחה אסף  
וישכר יואל, מהדורה שנייה, חברות מקיצי נרדמים בהוצאה ראובן מס'  
ירושלים, תשכ"ג.
- האנציקלופדיה העברית, חברת להוצאה אנציקלופדיות בע"מ - ירושלים,  
תשלי"ג, תל אביב, כ' 30 , 31 , 32 .
- האנציקלופדיה העברית, הוצאה הקיבוץ הארץ השומר הצער, ספרית  
פועלים , מרחביה, כ' 5 .
- לאו, הרב י. מ. : יהדות הלכה למעשה, דברים שבעל פה , בעריכת שאול  
מייזליש , מסדה , 1988 .
- לשם , חיים : הקוראן בתרגומים עבריים חדש, משא 14 / 1 / 1972 עמי 3 .
- מצלה, סלמאן : "התרגום יצירה דומה ו שונה", מאמר ב : תרגום בצד הדרך,  
בעריכת : שושן סומך, הוצאה אוניברסיטית תל - אביב, גבעת חביבה, 1993 .
- סומך, שושן : "הקוראן בעברית פורזאית", ידיעות אחרונות 3 / 12 , 1971, עמי 12 .
- רובין, אוריה : הקוראן, תרגום מערבית, הוצאה אוניברסיטית תל - אביב,  
מהדורה ראשונה, 2005 .
- ריבלין, יוסף יואל : אלקראן תרגום מערבית, הוצאה דבר, תל-אביב,  
הדפסה שנייה , תשכ"ג .
- רקנדורף, צבי חיים הרמן : אלקוראן או המקרא , ליפסג , 1957 .
- שגיב, דוד : מלון עברי – ערבי , הוצאה שkn , ירושלים ותל – אביב , 1990 .
- שטיינברג, יהושע : מלון התנך הוצאה ירושאל , תל אביב , 1977 , עי' צלא .
- שכתיר, יוסף (ד"ר) : אוצר התלמוד, הוצאה דבר, תל - אביב, מהדורה שנייה,  
הדפסה שנייה , תשלי"ג .
- B.D.B. Hebrew and English lexicon of the old testament' oxford, at the  
clarendon press, 1955.
- Encyclopaedia. Judaica: 2<sup>nd</sup>, printing, Jerusalem, 1973
- Margulies, S. H: Saadia Al - Fajumis,: Arabische Psalmenubersetzung,  
Inaugural - Dissertation, Breslau, 1884.
- Somekh, Sason: "Arabic literature in Hebrew Translation and Research in  
Israel", in Bulletin of Israel P.E.N centre, No 15, Tel Aviv, August, 1971.
- www.wikipedia.org

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣٣٣	ملخص البحث.
٣٣٤	مقدمة.....
٣٣٦	ماهية المصطلح.....
٣٤١	العلاقة بين علم المصطلح وعلم الترجمة.....
٣٤٤	إجراءات ترجمة المصطلح.....
٣٥٠	الدراسة التطبيقية.....
٣٥٠	التعریف بالترجمات العربية لمعانی القرآن الكريم.....
٣٥١	ترجمة مصطلح الصلاة.....
٣٥٢	أولاً: الصيغة الاسمية لمصطلح الصلاة.....
٣٦٠	ثانياً: الصيغة الفعلية لمصطلح الصلاة.....
٣٧٢	مصطلح الصلاة في اللغة العربية.....
٣٧٨	مصطلح <i>תפילה</i> في اللغة العربية.....
٣٩٥	نتائج البحث.....
٣٩٧	قائمة المصادر والراجع.....
٤٠٢	فهرس الموضوعات.....

## أخبار المجمع

تراجم اللجنة العلمية لمراجعة المصحف الشريف المصحف الخاص برواية السوسي عن أبي عمرو البصري من طريق الشاطبية، وفق الخطة التي أعدّها المجمع لإخراج مصاحف بالقراءات العشر وفق روایاتها العشرين.

راجعت اللجنة العلمية برنامج النشر الحاسوبي وفق نظام (آبل ماكتوش) الذي يُسَهِّل للباحث إدراج ما يريد من الآيات بالرسم العثماني بيسر، من مصحف المدينة النبوية.

شرع الباحثون في مركز الدراسات القرآنية في عمل «المعجم الميسّر لموضوعات القرآن الكريم»، وذلك بعد أن وافق فضيلة الأمين العام على مفردات المعجم وخطته التفصيلية.

انتهى مركز الدراسات القرآنية من إعداد موسوعة «لطائف الإشارات لفنون القراءات» للإمام القسطلاني تحقيقاً ودراسة، وتقع في عشرة أجزاء، ودفعها إلى إدارة التحضير الإلكتروني تمهيداً لطبعتها. والجدير بالذكر أن هذه الموسوعة تُطبع أول مرة، وقد اعتمد الباحثون في تحقيقها على (١٥) نسخة مخطوطه.

تقوم إدارة الشؤون العلمية بإعداد «التفسير الميسّر الصوتي»، وكلفت لجنة علمية بمراجعته. ومن المتوقع أن ينتهي قريباً إعداد هذا التفسير على أقراص إلكترونية.

دفعت إدارة الشؤون العلمية إلى إدارة التحضير الإلكتروني - تمهيداً لطبعته - كتاب «التبیان في معرفة تنزيل القرآن» المنسوب لأبي حفص العطار المتوفى نحو ٤٣٢ھ، وهو بتحقيق الدكتور الشريف هاشم بن هزاع الشنيري، وذلك بعد مراجعته من قبل لجنة علمية متخصصة.

شارك الأستاذ الدكتور أحمد الخراط وكيل مركز الدراسات القرآنية في مناقشة رسالة الدكتوراه التي أعدّها الطالب عبد الله هاشم سعد الشريف بعنوان: «البحر المحيط لأبي حيان، من الآية (٥٠) من سورة الحجر إلى الآية (٨٧) من سورة الإسراء، تحقيق ودراسة»، وذلك في قسم التفسير بكلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

شارك الدكتور حازم بن سعيد حيدر في مناقشة رسالة الدكتوراه المقدمة من الشيخ مبارك الأوخامي بعنوان: «الفتح الداني من كنز حرز الأماني» للقسطلاني دراسة وتحقيق، وذلك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الدراسات الإسلامية في جامعة الجنان بالجمهورية اللبنانية.

صدرت ترجمة «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» إلى اللغة الصينية. تم اقتناه ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة القرغизية، وتمت مراجعتها، وستقدم للنشر قريباً إن شاء الله.

يجري العمل في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الطاجيكية على قدم وساق، وقد وصلتنا الترجمة إلى سورة التوبة.

تمت دراسة ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة النيبالية، ويجري الآن ما يتعلّق بالحصول على حقوق طبعها.

تمت مراجعة النسخة المحسوبة من ترجمة البشتو، بعد تهذيب التفسير المرافق لها. وبهذا أصبحت الترجمة جاهزة للطبع.

انتهى مترجم الترجمة البنغالية من إعدادها، وتمت مراجعتها النهائية، وستقدم للطبع قريباً إن شاء الله.

انتهى أحد المراجعين من مراجعة ترجمة «التفسير الميسر» إلى لغة التغالوغ الفلبينية، ونحن في انتظار تقرير المراجع الثاني.

تم الاتفاق مع مترجمٍ على إعداد ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الهولندية، وإجراءات إبرام العقد معه في المراحل النهائية.

ترجمة معاني سورة الفاتحة وجزءٌ عمٌّ إلى اللغة الدنماركية قيد الطبع.  
الترجمة السويدية لمعاني الأجزاء الخمسة الأولى من القرآن الكريم قيد الطبع.

الترجمة الصينية لكتاب «أصول الإيمان» قيد الطبع.

تم بحمد الله وتوفيقه الانتهاء من تصميم وبرمجة:

- خط النسخ المفرغ.

- خط النسخ المنقط.

وهي خطوط حاسوبية مرادفة لـ(خط النسخ) الحاسوبي، الذي سبق أن أنتجه «وحدة البحوث والتطوير» بإدارة الحاسوب الآلي بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. وهو من الخطوط الحاسوبية الموجهة لصغار السن، يستفيد منها الأطفال في التمارين على تحسين الخط، وتعلم كتابة الأحرف والكلمات وتلوينها.

وقد روّعي في إعداد هذه الخطوط الحاسوبية المذكورة الدقة والم坦ة في التصميم، والتوافق مع منصّات التشغيل العالمية، وبرامج النشر المكتبي. وللاطلاع على مزيد من التفاصيل، وتحميل الخطوط المذكورة، يرجى مراجعة موقع مجموعة الخطوط الحاسوبية على شبكة الإنترنت:

<http://fonts.qurancomplex.gov.sa>

توافرت لدى إدارة التسويق والبيع فهارس «إتحاف المهرة» وتقع في خمسة مجلدات. تم تأمين آلته طباعة شريطية، تتكون كل آلة من ستة ألوان، من شركة KBA الألمانية، ويجري متابعة تركيبها.

تتابع إدارة الشؤون الفنية الدراسات التمهيدية المتعلقة بإنشاء مكتبة متكاملة في

المجمع على مساحة ٢٠٠ م٣.

بلغ عدد زائري المجمع في الفترة من ١٥ / ١ / ١٤٣٢ - ٣٢ / ٧ / ٣٠ هـ ما يقرب

من مئتي ألف زائر.

شارك المجمع في هذه الفترة في (١٣) معرضاً، منها معارض محلية، ومنها

معارض دولية، ومن هذه المعارض: معرض الدار البيضاء للكتاب، ومعرض

مسقط الدولي للكتاب، ومعرض أبوظبي للكتاب، ومعرض الشارقة الدولي

للكتاب، ومعرض جينف الدولي للكتاب، وجائزة الكويت لحفظ القرآن

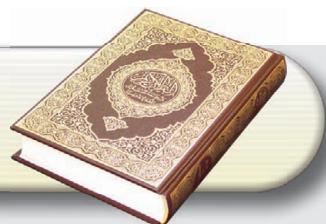
الكريم وتجويده.

# من إصدارات

مُجَمَعُ الْمُلَكِ فَهْدُ الْطَّبَاعَةِ الْمُصَفَّفُ الشَّرِيفُ

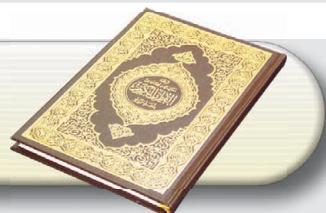
## الترجمة الاندونيسية

المقاس: ٢١ × ١٤ سم  
الرمز: د/٤٠٠٠٦٦



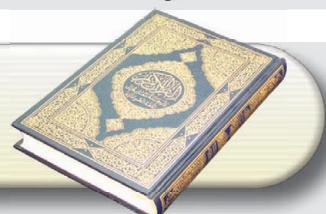
## ترجمة آيات مختارة من القرآن الكريم بلغة الزولو

المقاس: ٢١ × ١٤ سم  
الرمز: د/٤٠٠٠٣١



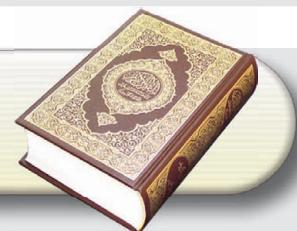
## الترجمة الصومالية

المقاس: ٢١ × ١٤ سم  
الرمز: د/٤٠٠٠١٢



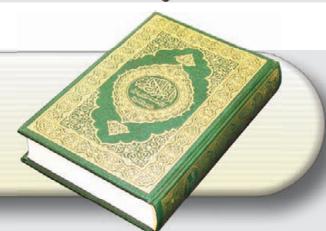
## الترجمة الكشميرية

المقاس: ٢١ × ١٤ سم  
الرمز: د/٤٠٠٠٣٠



## الترجمة المقدونية

المقاس: ٢١ × ١٤ سم  
الرمز: د/٤٠٠٠٢٣



## The Problem of Translating Terminology With Specific Reference to the Term “*salāh*” in Arabic and Hebrew

Dr. Āmir al-zanātī al-Jābirī<sup>(\*)</sup>

The translation of terminology poses an important problem. Terms are embedded in the cultural background of the original text. Therefore, the translator has to take into account not only the semiotic but also the social dimensions. By representing an idea about an existence, a conceptual or intellectual image may look similar in two languages. Yet, a term varies from one culture to another. So, translation basically needs to deal with terminology as some kind of a mirror that reflects the understanding of a specific term in its original language, then conveying it, with all its related connotations, to the receiver in the target language.

Containing a lot of its own specific terms, the Qur'an represents a good source of translation problems with respect to terminology, particularly as great care and precision are required for conveying the original meanings of the sacred text. Hence, it has been selected for the research purpose to investigate how the translators dealt with the terminology issue. The investigation will be conducted on the four printed Hebrew translations of the meanings of the Qur'an, with specific reference to the term “*Salāh*” due to its Islamic significance.

The investigation will deal with the following points: the meaning of the selected term; its significance; the procedures followed in translation; the issues raised by the translation processes regarding the source and the target languages and regarding the translators; and the criteria of procedure selection. Then, the meanings of the term “*Salāh*” in both languages will be presented and compared in order to identify their relationship with the term. This will help assess the procedures followed by the translators and assess how successfully the essence of the Islamic term is maintained in the target language.

---

(\*) Assistant Professor of Hebrew at Ain Shams University and King Saud University.

## The Impact of The Glorious Quran on Arabic Calligraphy

Kamāl al-Jumayli<sup>(\*)</sup>

The Glorious Qur'ān was revealed in Arabic and written down in Arabic alphabet. Since that time interest in writing commenced as the Qur'ān called upon the Muslims to learn it.

Since the first century AH, improvement on the writing system was in progress. In the third century AH, rules and systems were devised till it emerged as an independent science known as Arabic Calligraphy. It developed into many styles of writing and reached the pinnacle of charm and beauty combining precision with beauty of form, originality of design and the sanctity of the text.

Thus it became an outstanding system of writing surpassing all other systems of the world, both modern and ancient, in beauty and precision. And but for the Glorious Qur'ān, it would not have attained this exalted position.

---

(\*) Researcher in the Department of Higher Studies, Islamic University, Baghdad.

## Protecting the Qur'ānic Text from Contempt

Dr. Muhammad bin 'Abd al-'Aziz al-Musnid<sup>(\*)</sup>

The Qur'anic text is a sacred text. There has been complete consensus on this point amongst Muslims in all the epochs of Islamic history. It is a religious duty of every Muslim to protect this text and the material containing it.

As many people intentionally or unintentionally commit contempt of this text or the material containing it, it has become imperative that Islamic scholars, especially the scholars of the Qur'an, should explain to the people the many manifestations of the contempt of the sacred text prevalent among Muslims with a view to helping them avoid it.

I have thoroughly examined all the intentional and unintentional manifestations of contempt of the Qur'anic text. These include the contempt of the text and its exegesis, and also the contempt of the material containing it whether it is the mushaf or otherwise.

I have separately discussed both the types of contempt, intentional and unintentional, and have enumerated in detail all the manifestations of contempt supported by sound proofs from the Qur'an and the Sunnah, rulings of the imāms and great scholars.

In conclusion I have mentioned the results of my investigation and recommendations. I have noticed that ignorance and negligence are mainly to blame for this phenomenon.

And the most important recommendation is that scholars should be asked to educate the people regarding the sanctity of the Qur'anic text.

---

(\*) Member, Teaching Staff, King Sa'ud University, Riyadh.

## Treatment of Non-Muslim Relatives

### (A Qur'anic study in the light of the Sunnah)

Dr. Muhsin al-Khalidī<sup>(\*)</sup>

This paper discusses the maintenance of blood relationship with a *kāfirah*, and by *kāfirah* is meant a non-Muslim woman whether she is a *kitābiyyah* or an idolatress. The reason for writing on this subject is the phenomenon of a number of Muslim children born to non-Muslim mothers. This highlights the glorious image of Islam of maintaining blood relation even with a non-Muslim relative. Some of the ways in which a *kāfirah* can be kindly treated is to earmark a part of the inheritance for her in the will, and to treat her with love and affection in the hope of winning her to Islam. The children of non-Muslim parents are required by law to treat them well even if they openly display their *kufr*.

This does not contradict *muwālāt*, for *ṣilat al-rahīm* is different from *muwālāt*: for *ṣilat al-rahīm* can be for both Muslims and non-Muslims, but *muwālāt* is for Muslims alone.

The paper has shown that *ṣilat al-rahīm* helps the *kafir* and his offspring in this world by protecting them from being humiliated. But it will not help them in the hereafter.

---

(\*) al-Najāḥ National University (Palestine), Faculty of Islamic Law, Department of Uṣūl al-Dīn.

## Methodology of the Grammatical Analysis of the Glorious Qur'ān

Prof. Fakhruddīn Qabāwah<sup>(\*)</sup>

The paper speaks in detail about the technical concepts of *i'rāb*, and traces its historical background with its rich heritage. The study has proved that there should be a scientific methodology to be relied upon in the grammatical analysis of words, sentences and phrases, and also in morphological analysis.

The paper then deals with the different styles of analysis, its history, the books written on this topic and their methodologies.

He then speaks about the necessity to follow the methodology of the Başri School and its terminologies as these are more prevalent in the ancient books of reference.

The paper is a guidebook of the grammatical analysis of the Glorious Qur'ān.

---

(\*) Professor in the College of Humanities, Aleppo.

of *sūrahs* as found in the Uthmānic Muṣḥaf.

- 5) The belief that the order of the *sūrahs* is *tawqīfī* calls for our sticking to it, and preserving it.
- 6) In the light of these conclusions, the researcher has made a number of important recommendations some of which are:
  - To highlight the stand that the *rasm* is *tawqīfī*, and to bring out the weakness of the other stand.
  - To study the affinity between the *sūrahs*, and to carry on the great efforts made by the *salaf* in this field.

## An Analytical Study of the Sayings of the 'Ulamā' Regarding the Arrangement of the Sūrahs

Dr. Taha 'Abidin Taha<sup>(\*)</sup>

The researcher uses both the inductive as well as the deductive methods to study this subject. The paper is divided into an introduction, and three chapters. The paper deals with the following points:

- What is meant by Arrangement of Sūrahs.
- Opinions of the 'ulamā' about this subject with their proofs.
- Examining these opinions and selecting the preferable.
- In conclusion, the ruling with regard to the arrangement of sūrahs is mentioned.

The paper has come out with the following conclusions:

- 1) The difference of opinion in this subject is old, and every one of the three schools claims to have the backing of the majority of the 'ulamā'. According to the researcher, the arrangement of the sūrahs is *tawqīfī*, and has been taught by the Prophet (Peace and blessings of Allah be upon him).
- 2) This Prophetic arrangement has many merits and subtleties which our minds cannot comprehend.
- 3) It is *wājib* to follow this arrangement in writing the muṣḥaf. But in the recitation of Qur'ān and in *ṣalāh* it is *mustahabb*, and it is permissible to follow a different arrangement. It is also permissible to follow a different arrangement for the purpose of teaching the Qur'ān by commencing with the shorter *sūrahs*.
- 4) With a view to preserving the Glorious Qur'ān from tampering, a consensus has evolved on the fact that it is *wājib* to follow the order

---

(\*) Member, Teaching Staff, Umm al-Qura University, Faculty of Da'wah and Uṣūl al-Dīn, Makkah.



- The *al-Naskh al-Mufarragh* Font.
- The *al-Naskh al-Munaqqat* Font.

They are computer fonts similar to the computer *al-Naskh* Font which the Research and Development Unit in the Computer Department of the Complex earlier took to. They are among the fonts meant for the young ones. Children benefit from them in improving on their writing, learning how to write the alphabet and words and painting them.

Accuracy, consolidation in design and compliance with universal operating platforms and desk publication programmes were put into consideration in preparing the aforementioned computer fonts.

For more details and downloading the said fonts, visit the website:

<http://fonts.qurancomplex.gov.sa>

■ The index of *Ithāf al-Maharāh* in 5 volumes is now available in the Sales and Marketing Department.

■ Two web press machines have been acquired from the German KBA Company. Each of them is made up of six colours. The assembly process is in progress.

■ The Technical Affairs Department is following up the preliminary studies related to the construction of an integrated library in the Complex on a land area of 3,200 square meters.

■ The visitors who came to the Complex between 15/1/1432 AH and 30/7/1432 AH numbered 200, 000 approximately.

■ In this period, the Complex participated in 13 exhibition, both local and international. Amongst them are:

- al-Dār al-Bayḍā' Book Fair.
- Masqat International Book Fair
- Abu Dhabi Book Fair
- Sharja International Book Fair
- Geneva International Book Fair
- Kuwait Award for Qur'an Memorization and Recitation.

*al-Hijr* to āyah 87 of *Sūrat al-Isra'*, presented by 'Abdullah Hāshim Sa'īd al-Sharīf of the Tafsir Department in the Faculty of al-Qur'an al-Karīm, Islamic University, Madinah for obtaining the PhD degree.

- Dr Hāzim ibn Sa'īd Haydar participated in the *viva voce* of a PhD thesis titled *Critical Editing of al-Qastallāni's al-Fath al-Dānī min Kanz Ḥirz al-Amāni* presented by Shaikh Mubārak Awkhāmi. The *viva voce* took place in the Faculty of Arts and Humanities, Department of Islamic Studies of al-Jinān University, Republic of Lebanon.
- The Chinese translation of *al-Miṣbāh al-Munīr fi Tahdhīb Tafsīr ibn Kathīr* has been published.
- The Kyrgyz translation of the meanings of the Glorious Qur'an has been revised. It will soon be forwarded for publication *in shā Allah*.
- Work on the Tajik translation of the meanings of the Glorious Qur'an is in progress. It has already been accomplished up to sūrat al-Tawbah.
- The Nepali translation of the meanings of the Glorious Qur'an is ready and we are currently in the processes to securing the copyright.
- The soft copy of the Pashto translation with the revised *Tafsīr* is ready, and thus set for printing.
- The Bengali translation has been completed and gone through the final revision. It will soon be sent for printing *in shā Allah*.
- One of the reviewers of the Tagalog translation of *al-Tafsīr al-Muyassar* has completed the revision while the report of the second reviewer is still awaited.
- A contract in its final stages is being concluded with a translator to prepare a Dutch translation of the meanings of the Glorious Qur'an.
- The Danish translation of Sūrah al-Fatiḥah and juz' 'Amma is in press.
- The Swedish translation of the meanings of the first five *ajzā'* of the Glorious Qur'an is in press.
- The Chinese translation of the book *Uṣūl al-Īmān* is in press.
- With the special grace of Allah, the following programmes have successfully been designed:

## News from the Complex

- A special Muṣḥaf according to the reading of al-Sūsi ‘an Abī ‘Amr al-Baṣrī as reported in al-Shātibīyyah is being revised by the Scholarly Committee for Reviewing the Glorious Muṣḥaf, in conformity with the guiding principles laid down by the Complex for the publication of Muṣḥafs according to the ten authenticated Qur'anic readings, and their twenty narrations.
- The Scholarly Committee has revised the computer publication programme compatible with AppleMac system. This allows the user to insert the Qur'anic *āyahs* in the Uthmanic Orthography with ease from the Muṣḥaf al-Madīnah.
- Researchers in the Qur'anic Studies Centre will soon embark on the preparation of a simplified subject-based dictionary of the Glorious Qur'an to be known as *al-Mu'jam al-Muyassar li Mawdū‘at al-Qur'ān al-Karīm*. This will be soon after the approval of the Secretary General.
- The Qur'anic Studies Centre has completed the editing of al-Qastallānī's encyclopedic reference work on Qur'anic Readings titled *Laṭā'iṭ al-Ishārāt li Funūn al-Qirā'āt*. It will be in 11 volumes and is ready to be sent to the press for printing. It is worth stating here that this is the very first time this book is being edited in its entirety, and the researchers relied on 15 manuscripts in editing it.
- The Directorate of Scholarly Affairs is preparing *al-Tafsir al-Muyassar* in audio and has already charged a scholarly committee with its revision. It is expected that this project will soon be ready on electronic discs.
- The Directorate of Scholarly Affairs has handed over Abū Ḥafṣ al-‘Atṭār's book (d 432 AH) *al-Tibyān fi Ma'rifat Tanzil al-Qur'ān* to the press in preparation for printing. It has been edited by Dr al-Sharif Hāshim ibn Hazzā' al-Shanbari and was revised by a specialized scholarly committee.
- Prof. Dr. Aḥmad al-Khārraṭ, the Assistant Director of the Qur'anic Studies Centre, participated in the *viva voce* of a PhD thesis titled *Critical Editing of Abū Hayyān's al-Bahr al-Muhiṭ from āyah 50 of Sūrat*



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

In the Name of Allah  
the Most Beneficent, the Most Merciful

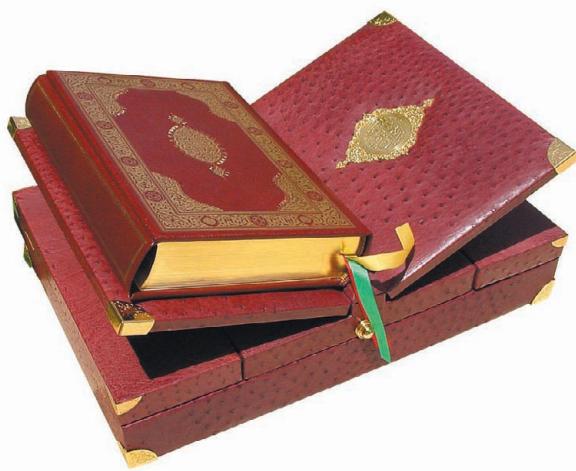
# Journal of Qur'anic Research and Studies

Volume 9 Issue 5,6 2009-2010

---

## CONTENTS

News from the Complex.....	7
Abstracts of Arabic Articles.....	11



### Notes for Authors

The **Journal of Qur'anic Research and Studies** welcomes serious scholarly contributions in Arabic and English on the Glorious Qur'an and its studies, the translation of the meanings of the Glorious Qur'an and editing old manuscripts related to it.

Contributions should conform to the following:

- the length of contributions should normally be between 6000 and 12000 words.
- Three copies should be submitted, double-spaced with ample margins on one side of A4 sized paper.
- A soft copy of the contribution must be submitted. Text should be a Microsoft Word 2000 document (or a more recent version). Authors are welcome to send their contributions by e-mail, formatted as a Word attachment.
- A brief C.V. relevant to the scope of the journal should be submitted detailing the full contact information of the author and their institutional affiliation.
- An abstract of no more than 200 words should accompany the manuscript.
- Notes should appear page by page as they occur, i.e. in footnotes not endnotes. They should be numbered page by page.

The editorial board will consider original contributions set within sound theoretical or methodological frameworks, provided the material presented is rigorous. Submission of a contribution will be taken to imply that it has neither been published nor is being considered for publication elsewhere.

Contributors will be financially rewarded, receive five copies of the issue in which their contribution appears and twenty offprints of their contribution.

### Transliteration System of Arabic Characters

ء	,	ض	d
ا	ā	ط	t
ب	b	ظ	z
ت	t	ع	c
ث	tb	غ	gb
ج	j	ف	f
ح	ḥ	ق	q
خ	kḥ	ك	k
د	d	ل	l
ذ	db	م	m
ر	r	ن	n
ز	z	ه	h
س	s	و	w as a consonant and ū as a vowel
ش	sh	ي	y as a consonant and ī as a vowel
ص	ṣ		

Short vowels are to be transliterated as follows:

a for *fathah* ( ́ ), i for *kasrah* ( ˘ ) and u for *dammah* ( ˙ ).

ة : is transliterated as h, but t when *mudāf*.

ال : is transliterated as al whether *shamsiyah* or *qamariyyah*.

The **Journal of Qur'anic Research and Studies** encourages scholarly research and promotes publication in the field of the Glorious Qur'an and its studies with a view to enriching the Qur'anic studies library further and bringing specialists to get involved together in this field of study.

To achieve its aims, the journal welcomes contributions in the following areas: Qur'anic studies, editing of related old manuscripts and studies concerning the translation of the meanings of the Glorious Qur'an.

---

### **Editorial Board**

#### *Supervisor General*

His Excellency Shaikh Ṣalīḥ bin ‘Abdul-‘Azīz bin Muḥammad Āl al-Shaikh  
Minister of Islamic Affairs, Endowments, Da‘wah and Guidance  
Supervisor General of the Complex

#### *Editor in Chief*

Professor Muḥammad Sālim bin Shudayyid al-‘Awfi  
Secretary-General of King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex

#### *Deputy Editor in Chief*

Professor ‘Alī bin Nāṣir Faqīh  
Director of Scholarly Affairs at King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex

#### *Editor*

Dr. ‘Abd al-Ghafūr ‘Abd al-Haqq al-Bulūshi

#### *Members*

Professor Ahmād bin Muḥammad al-Kharrāṭ

Professor ‘Imād bin Zuhayr Hāfiẓ

Dr. Hāzim bin Sa‘id Haydar

Dr. Muṣṭafā bin ‘Umar Halabī

---

### **Editor in Chief**

### **Journal of Qur'anic Research and Studies**

King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex

Madinah, P.O. Box 6262

Kingdom of Saudi Arabia

Telephone/Fax: 00966 (04) 8615600 Ext. 1810

[journal@qurancomplex.org](mailto:journal@qurancomplex.org)

[www.qurancomplex.org](http://www.qurancomplex.org)

ISSN 1658-2624

©All rights reserved for King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex

# King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex in Brief

## Inauguration

In response to the increasing need of Muslims the world over for copies of the Glorious Qur'an, assuming the pioneering role of the Kingdom of Saudi Arabia in serving Islam and Muslims, and realizing the importance of serving the Glorious Qur'an and the Prophet's Sunnah, the late Custodian of the Two Holy Mosques, King Fahd bin 'Abdul-'Aziz, laid the foundation stone of King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex in Madinah in 1982 and inaugurated it in 1984 as a body dedicated to carrying out this honourable task. On laying the foundation stone he said:

In the Name of Allah, the Most Beneficent, the Most Merciful. With the blessing of Allah, the Exalted, the Able [do I lay this stone].... We pray that this project will be a blessing for the service of the Glorious Qur'an, firstly, and Islam and Muslims, secondly. I pray to Allah, the Exalted, the Able, to grant us help and success in our religious and worldly affairs, and to make this project successful in fulfilling what it has been set up for, namely, the Glorious Qur'an, so that Muslims may benefit from it and ponder on its meanings.

## Aims of the Complex

Prominent among the aims of the Complex are: printing the Glorious Qur'an and recording it on audio media in the modes of reading well-known in the Muslim world, translating its meanings, furthering tafsir and Qur'anic studies, serving the Prophet's Sunnah and biography, undertaking Islamic research and studies, and catering for the needs of Muslims, inside and outside the Kingdom, for the different publications of the Complex and making them available on the internet.

## Supervision of the Complex

The Ministry of Islamic Affairs, Endowments, Da'wah and Guidance supervises the Complex. His Excellency Shaikh Ṣāliḥ bin 'Abdul-'Azīz bin Muḥammad Āl al-Shaikh is the Supervisor-General of the Complex and the head of its higher committee. The implementation of the Complex's policies and the achievement of its aims are overseen by a General-Secretariat headed by the Secretary-General of the Complex, Prof. Muḥammad Sālim bin Shudayyid al-'Awfi.

## The Higher Committee

The higher committee of the Complex sets its general policies and aims, oversees their implementation, and endorses the rules and regulations of the Complex.

## The Scholarly Board

The scholarly board of the Complex looks into scholarly matters in line with the Complex's aims and suggests ways to advance them. It also considers research and issues of scholarly nature, and reviews the reports presented by specialized centres within the Complex.

## Figures and Achievements

- The Complex comprises an integral line of production including the scholarly bodies, which work on preparing and producing its publications, and state-of-the-art printing, CD and audio-tape recording equipment.
- The Complex stands out with its advanced quality control system, applied rigorously at all production stages. There are almost 700 personnel in the quality control department responsible for ensuring that publications are free from defects.
- The Complex produced more than 273 important titles in the fields with which it is concerned, 58 of which are translations of the meanings of the Qur'an in different languages. Work is on-going on producing more useful publications.
- The annual output of the Complex has reached 13 million copies. The total number of copies printed in the Complex since its inception topped 270 million.
- The Complex distributed tens of millions of its publications all over the world as a present from the Kingdom of Saudi Arabia. More than a 1.8 million copies are distributed annually as part of the Custodian of the Two Holy Mosques' Gift to Pilgrims.

## Support of the Complex

The Complex receives constant support from the Custodian of the Two Holy Mosques, King 'Abdullah bin 'Abdul-'Aziz, and from his Royal Highness, Crown Prince Nāif bin 'Abdul-'Aziz, Deputy Premiere and Minister of Interior.



Kingdom of Saudi Arabia

Ministry of Islamic Affairs,  
Endowments, Da'wah and Guidance

King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex  
General Secretariat

# Journal of Qur'anic Research and Studies

A Refereed Journal Specializing  
in the Glorious Qur'an and its Studies

VOLUME 5&6, ISSUE 9, 2009 - 2010